مير بصري

أعلام الأدب في العراق الحديث

الجُزءُ الثّالِثُ

دار الحكمة
لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

أعلام الأدب
في العراق الحديث
٣

I S B N _1 898209 46 4

* أعلام الأدب في العراق الحديث
الجزء الثالث

* مير بصري

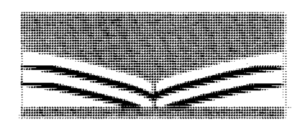
* جميع الحقوق محفوظة ومسجلة

* طبعة أولى: تشرين الأول 1999

* الناشر: دار الحكمة – لندن

88Chalton Street , London NWI IJH
Tel: 0207-3834037- Fax: 0207-383 0116

DAR AL-HIKMA
Publishing and Distribution



88Chalton Street , London NW1 IHJ Tel :0207-3834037 Fax : 0207 -383 0116

المحتويات

النثر

الصحافة

العلوم السياسية
والقانونية والطبية

القصة والرواية

الشعر

العلوم الفقهية والدينية

اضافــــات



توطئة

ظهر الجزآن الاولان من «اعلام الأدب في العراق الحديث» فتناوله النقاد بالمدح والقدح . ولا بأس في ذلك ، فانني كتبت عن أكثر من مائتي شاعر وأديب وعالم ورجل دين ودنيا عاشوا في العراق منذ القرن التاسع عشر ، ومـا زال القليل منهم على قيد الحياة . وقد عرفت الكثيرين منهم وصحبتهم ودوّنت عنهم ما تيسّر التدوين . وكانت السنون المائة الماضية عصر انتقال ونهضة ، لا في مجال الأدب وحده ، بل في كل مناحي الحياة العلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية مما ترك أثره البارز في الحقل الأدبي وثقافة الأدباء .

أخذ عليّ انني حشرت رجال الدين بين الذين ترجمت لهم من الأدباء . فما تعريف الأدب؟ قالت العرب ان «الأدب كل رياضة محمودة يتخرّج بها الانسان في فضيلة من الفضائل» . وأضاف السيد احمد الهاشمي مؤلف «جواهر الأدب» في مطلع هذا القرن والشيخان احمد الاسكندري ومصطفى عناني في كتابهما «الوسيط في الأدب العربي وتأريخه» قائلين : «وهذه الرياضة كما تكون بالفعل وحسن النظر والمحاكاة ، تكون بالأقوال الحكيمة التي تضمّنتها لغة أي أمّة» . وقال الشيخان : «وأدب لغة أي أمّة هو ما أودع نثرها وشعرها من نتائج عقول ابنائها وأمثلة طباعهم وصور أخيلتهم ومبلغ بيانهم ، مما شأنه ان يهذب النفس ويثقف العقل ويقوّم اللسان» .

وقال أحمد حسن الزيات ان «أدب اللغة ما أثر عن شعرائها وكتابها من بدائع القول المشتمل على تصوّر الأخيلة الدقيقة وتصور المعاني الرقيقة مما يهذب النفس ويرقّق الحسّ ويثقف اللسان . وقد يطلق الأدب على جميع ما صنّف في أي لغة من الأبحاث العلمية والفنون الأدبية ، فيشمل كل ما أنتجته خواطر العلماء وقرائح الكتّاب والشعراء» .

وقالت دائرة المعارف البريطانية : «الآداب اصطلاح عام يدلّ على أفضل تعبير لأحسن فكرة يعبّر عنها بالكتابة» . وعرّف اللغويون الفرنسيون الأدب بأنه «معرفة المؤلفات والأصول الأدبية ومجموعة الانتاجات الأدبية في أي لغة او في موضوع خاص» .

ولا شك ان مؤلفات علماء الدين ومواعظهم وخطبهم تدخل في باب الأدب عموماً الى جنب الخطابة والصحافة والتراجم والتأريخ والقصة والرواية والآثار الفلسفية العلمية والفقهية والقانونية واللغوية والسياسية . وقد تساءل العلماء هل التأريخ علم او فنّ ، فكان الرأي ان التأريخ علم في تفحّص أخباره وتمحيصها وتوثيق مصادره والتثبّت من صحتها ، لكنه فنّ أدبي في رواية الحوادث وأسلوب مناقشتها وكتابتها .

وأخذ عليّ انني اغفلت ذكر عدة أدباء وشعراء كان لهم أثر طيب في تأريخ الأدب العراقي . فأقول انه ظهر في هذه الحقبة مئات الكتاب والشعراء والمؤلفين ، فكيف يتسنى لفرد واحد ان يحيط بهم ويكتب سيرهم ويذكر آثارهم؟ وحسبي انني وفقت لجمع المادة التي دوّنتها ، لا سيما انني غادرت العراق منذ عشرين سنة وتركت معظم كتبي والمراجع التي أستند اليها في بغداد ، وصرت بعيداً عن مناهل الثقافة العراقية في عهدها الأخير .

وقد رأيت ان أضيف الى الجزءين الأولين من «أعلام الأدب» هذا الجزء الثالث الذي يتناول تراجم شعراء وأدباء آخرين . وأضفت اليه سير الأدباء الذين كنت اقتطعت تراجمهم وأضفتها الى كتابي «أعلام الوطنية والقومية العربية» المعدّ للطبع ، وفي مقدمتهم خيري الهنداوي ومحمد باقر الشبيبي ومحمد مهدي البصير وهبة الدين الشهرستاني وفهمي المدرس وساطع الحصري وعبد الرحمن البزاز وغيرهم .

هذا غاية جهدي أقدمه الى القراء راجياً ان يجدوا فيه بعض المتعة ، والله المستعان .

وأود في ختام كلمتي ان أسجل شكري وتقديري للاخوان الأفاضل الذين اعطوني معلومات قيمة ، وفي مقدمتهم الدكتور جليل العطية والمرحوم الدكتور صفاء خلوصي ، والاستاذ نجدة فتحي صفوة والدكتور جودت القزويني المقيمون في لندن والمرحوم الشاعر بلند الحيدري .

وأثني ايضاً على صاحب دار الحكمة السيد حازم السامرائي الذي لم يألُ جهداً في اخراج «اعلام الأدب» بأجزائه الثلاثة في طبعة نفيسة وحلّة قشيبة .

مير بصري

لندن ، تشرين الاول ١٩٩٩

المصادر والمظانّ

ذكرت في الجزء الأول جدولاً بالمصادر والمظانّ، وأضيف اليها هنا مصادر أخرى رجعت اليها في تصنيف هذا الجزء الثالث :

١) الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور مراد ميخائيل (١٩٨٨) .

٢) انور شاؤل : همسات الزمن (شعر ١٩٥٦) .

٣) انور شاؤل : في زحام المدينة (قصص ١٩٥٥) .

٤) انور شاؤل : قصة حياتي في وادي الرافدين (١٩٨٠) .

٥) يونس الشيخ ابراهيم السامرائي : تأريخ علماء بغداد (١٩٨٢) .

٦) خليل ابراهيم عبداللطيف : أدباء العراق المعاصرون (١٩٧٢) .

٧) عبد الرزاق الهلالي : أدباء المؤتمر (١٩٦٦) .

٨) عبد الاله أحمد : فهرست القصة العراقية (١٩٧٣) .

٩) الدكتور يوسف عز الدين : فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث (١٩٧٠) .

١٠) احمد عزت الأعظمي : تأريخ القضية العربية (٦ أجزاء، ١٩٣١ - ١٩٣٤) .

١١) محمد علي كمال الدين : سعد صالح (١٩٤٩) .

١٢) سليمان فيضي : في غمرة النضال (١٩٥٢) .

١٣) ابراهيم صالح شكر : حياته وآثاره (اعداد عبد الحميد الرشودي وخالد محسن اسماعيل وجميل الجبوري، ١٩٧٨) .

١٤) عبد الرحيم محمد علي : خليل عزمي (١٩٧٦) .

الأدب والحركة الأدبية
في عراق القرن العشرين

ينشأ الأدب ويتقدم في البيئة السياسية والاجتماعية المناسبة . وقد شهدنا عصر الانحطاط ينتهي في مطلع القرن العشرين ، ولا سيما بعد اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وانهيار الاستبداد الحميدي الذي عقل الألسنة وجمّد الأفكار . صدرت الصحف والمجلات وانبرى ادباء الشباب وشعراؤه يكتبون وينظمون ويتصلون بالعالم الخارجي عن طريق تركية والأقطار العربية المتقدمة كمصر وسورية ولبنان . ولم تلبث ان جاءت الحرب العظمى تكمّ الأفواه ، لكن عهدها لم يطل اذ عقبها ، بعد سنوات قلائل ، الاحتلال البريطاني وثورة ١٩٢٠ الكبرى وتأسيس الحكم الملكي تحت الانتداب أولاً وبعد الاستقلال ثانياً ، وانتماء العراق الى عصبة الأمم وأخذه محله بين الدول العالمية .

ويمكن القول ان الأدب يتفاعل مع البيئة ، يحمل مصباح التقدم ثم يسير هو نفسه الى الأمام مجارياً ذلك التقدم وممهداً الطريق لمواصلة النهضة والاصلاح . كان تقدم العراق في المناحي الأدبية والثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية باهراً منذ سنوات العشرين ، ثم جاءت الثورات والتقلبات بعد سنة ١٩٥٨ لتزعزع أركان النهضة وتؤخر ازدهار الأدب وتقضي على الثروة الاقتصادية في هذا البلد الغني الذي انتهى به الحال الى بلوغ مبلغ لا يصدّق من الفقر والاستعباد وانعدام الحرية وتبديد الثروة البشرية والمادية في حروب ما أنزل الله بها من سلطان . ونستطيع الآن ، بعد نحو أربعين سنة من الثوارت والحروب ، ان نقدر حق قدرها حكمة الملك فيصل الأول ومن بعده نوري السعيد ورجال الدولة الآخرين وجهادهم ومرونتهم في ظروف داخلية وعالمية قاهرة . ولم يقتصر الأمر على العراق وحده ، بل كان ذلك شأن أقطار أخرى كثيرة عربية وأجنبية .

وماذا كان نصيب الأدب وفنونه من تلك التقلبات وما صحبها من تدهور سياسي واجتماعي واقتصادي؟

الصحافة

لسان الأمة الناطق الصحافة . بدأت في العراق سنة ١٨٦٩ بصدور جريدة «الزوراء» الرسمية ، ثم اتسعت بعد صدور الدستور سنة ١٩٠٨ ببروز صحف ومجلات عديدة لا يحتملها البلد وثقافته ، ولد اكثرها خديجاً ولم يدم ، إذا دام ، سوى أمد وجيز . ولعل مجلة «لغة العرب» لصاحبها الاب انستاس ماري الكرملي ومجلة «العلم» النجفية لصاحبها محمد علي هبة الدين الشهرستاني كانتا خير وجه للصحافة العراقية الرزينة قبل الحرب العظمى الأولى .

ازدهرت الصحافة بعد الحرب بتقدم النهضة الوطنية . وقد تمتعت الصحافة في عهد الانتداب والحكم الملكي بحرية نسبية لم يكن لها مثيل بعد سنة ١٩٥٨ . قال رفائيل بطي في محاضراته عن «الصحافة في العراق» بعد ان تكلم عن اصدار جريدة «الاستقلال» الوطنية العنيفة في ايلول ١٩٢٠ وحملاتها المتوالية على حكومة الاحتلال : «وهناك حقيقة يحسن تسجيلها ، هي ان صدر حكومة الاحتلال الانكليزية كان رحباً ازاء ما تكتبه جريدة الاستقلال ، فأفسحت مجالاً لا بأس به من حرية الصحافة مما لم نجده بعد ذلك مراعى دائماً في عهد الاستقلال» .

وجدير بالذكر ان السيد طالب النقيب وزير الداخلية آنذاك اقترح على المس بلّ وجوب غلق تلك الجريدة !

وقال توفيق الفكيكي في مجلس النواب سنة ١٩٥٧ ، في اثناء مناقشة سياسة الحكومة : «ان العراقيين كانوا يتمتعون خلال الانتداب بحرية اكثر منها اليوم» .

امتدّ عهد الانتداب في العراق من سنة ١٩٢٠ حين أقرّت عصبة الأمم احالة الوصاية عليه الى بريطانية حتى شهر تشرين الأول ١٩٣٢ عند قبول العراق عضواً في تلك العصبة دولة مستقلة والغاء الانتداب المفروض عليه . وفي خلال تلك المدة كان الملك فيصل الأول يشرف على الحكومة ويدير سياستها ، يعاونه كوكبة من الرجال الافذاذ امثال عبد المحسن السعدون وجعفر العسكري وياسين الهاشمي وناجي السويدي . وكانت سياسة الملك ووزرائه تقوم على مبدأ الملاينة «خذ وطالب» ، فعقد أربع معاهدات مع الدولة المنتدبة جاءت كل منها تتقدم على سالفتها مع مراعاة الظروف الدولية السائدة آنذاك في أعقاب الحرب العظمى .

انتخب المجلس التأسيسي الذي صدّق القانون الأساسي (الدستور) سنة ١٩٢٤ وافتتحت الحياة البرلمانية في السنة التالية . وكانت المعارضة نشطة في الصحافة والمجالس النيابية على السواء تقضّ مضاجع الوزراء وتدفعهم الى موقف الدفاع عن

اعمالهم وتبرير خططهم وتحوير سياساتهم في احيان عديدة .

ولم يكن الملك نفسه بمأمن من الهجو والانتقاد ، فقد هجاه معروف الرصافي شعراً ونظم القصائد في نقد الأوضاع السياسية والافصاح عن شكاوي الجمهور . غير انه لم يفصل من الوظيفة ، فكان مفتشاً للغة العربية بوزارة المعارف واستاذاً في دار المعلمين العالية حتى استقال . وانتخب بعد ذلك نائباً في مجلس الأمة . ورفض ساسون حسقيل وزير المالية تعديل ميزانية البلاط الملكي معارضاً رغبة الملك ، اما رستم حيدر فهدّد الخزينة الملكية الخاصة بجرّها الى ساحة القضاء إن لم تبادر الى تسديد الضريبة المتأخرة عليها .

صدرت خلال عهد الانتداب اكثر من ٤٧ جريدة سياسية كانت ٢٢ منها اخبارية او مؤيدة للحكومة و٢٥ صحيفة معارضة . وكانت الجرائد المعارضة التي تشدّد هجماتها على الحكومة كثيراً ما تغلق فلا تلبث ان تصدر بعد يوم واحد أو أيام قليلة باسم وامتياز جديدين مستأنفة هجومها العنيف .

كانت جريدة «الاستقلال» التي أصدرها عبد الغفور البدري سنة ١٩٢٠ من أبرز الصحف المعارضة . وقد عطلت مراراً لكن صاحبها استعاض عنها بجرائد متعددة كلما أغلقت جريدته ، فأصدر «الوطن» و«نداء الشعب» و«الحارس» و«الرافدان» و«صوت العراق» و«صدى الاستقلال» و«صدى الوطن» ... الخ . قال مؤرخ الصحافة العراقية رفائيل بطي في محاضراته التي ألقاها في معهد الدراسات العربية بالقاهرة : «... وقد جاهدت الاستقلال في شرح أسباب الثورة (أي ثورة العشرين) وهي مشتعلة الأوار وتحليل عوامل الاستياء والنقمة من حكومة الاحتلال ، ومما تذرعت به من شعر حماسي تنشر أبياته يومياً . وكان المرء يحس وهو في ادارة هذه الجريدة انها مؤسسة شعبية وطنية وناد سياسي مكتظّ بالمكافحين . حركة نشيطة يشترك فيها جماعات من الأهلين من طبقات الشعب . هذا يتبرع بالمال وذاك يكتب ، وآخرون يتبرعون بتسيير ادارة الجريدة ، وذاك يبدي الأفكار ويوجّه . وتلفّ الجميع حماسة جارفة» .

وماذا نقول في الصحفي الحرّ ابراهيم صالح شكر ذي القلم الناري والأسلوب اللاذع الرشيق الذي دوّخ الحكومات ووزراءها في سنوات العشرين ، فأصدر «الناشئة» و«الناشئة الجديدة» و«الربيع» و«الزمان» و«المستقبل» و«الأماني القومية» ، وصفحات كل تلك الجرائد تزخر بمحاسبة المسؤولين وانتقاد أعمالهم والسخرية من كراسيهم حتى لم يجدوا سبيلاً لاسكاته وتعطيل قلمه إلا بأن قيدوه بقيد الوظيفة؟ وقد كتب ابراهيم صالح شكر في ذلك العهد يقول : «ان توزيع الثروة وتقسيم الأراضي وتمكين المساواة بين

الشعب إذا لم تتم حتى الآن بصورة عادلة فإنها ستجري حتماً في المستقبل حتى يجتلى المثل الأعلى لحياة الفرد والمجتمع في أرفع مجالاته وأكمل مظاهره» .

وكان ابراهيم حلمي العمر ايضاً ، بالرغم من تقلبه في آرائه وكتاباته ، من كتّاب المعارضة المرموقين . وقد طلب امتيازاً سنة ١٩٢٣ لاصدار جريدة فلم يسعف طلبه ، لكن صديقه الشاعر معروف الرصافي حصل على اجازة لاصدار جريدة باسم «الأمل» ووضعها تحت تصرفه . باشر العمر حملاته على الحكومة ، فقال له الرصافي – على ما أخبرني به صديقه وراويته مصطفى علي : «انك تحسن جيداً تعليق الطبل على عنق البعض ثم تدقّ عليه دقاً عنيفاً» !

وحدثني يعقوب سركيس ان الأرمن ، الذين هجّروا الى العراق بعد ان ذاقوا مرارة التشريد والقتل على أيدي الترك إبان الحرب العامة ، أصدروا جريدة باللغة الارمنية دأبوا فيها على التنديد بتركية وسلقها بألسنة حداد جزاء ما فعلت بهم . كانت علاقات العراق بتركية قد أخذت بالتحسّن شيئاً فشيئاً بعد الحاق الموصل بالعراق وزوال التنابذ والقطيعة بين الدولتين ، فقال يعقوب سركيس ، وهو من أسرة ارمنية ثرية سكنت العراق منذ عهد بعيد ، لرئيس الوزراء عبد المحسن السعدون : «أليس من الصواب الغاء امتياز هذه الجريدة الأرمنية حرصاً على علاقات الودّ وحسن الجوار مع تركية»؟ فقال السعدون : «أرى من الأفضل منح هؤلاء الناس حرية الكلام لينفسوا عن ذات صدورهم ، وإلا طووا ضلوعهم على الحقد حتى على البلاد التي آوتهم وأحسنت اليهم» . ولم يلغ امتياز الجريدة .

وروى أمين الريحاني في كتابه «فيصل الأول» عن احمد حامد الصراف ، مدير المطبوعات آنذاك ، قال : «كنت أطالع الجرائد كل صباح وألخّص ما يتعلق به (أي برئيس الوزراء عبد المحسن السعدون) وبالحكومة من الأخبار والمقالات . وكان يسألني عندما ألفت نظره الى مقال فيه طعن او تحامل عليه ان أراجع القانون المختص بالذم والقذف فأطلعه عليه . لكنه في الأيام الثلاثة التي تقدمت الفاجعة (أي الانتحار) فيما سمعني أقرأ من الطعن المقذع عليه كان يقول : سامحهم ، يا ولدي . ثم يعظني بالحلم والتؤدة وكرم الاخلاق» .

حدثني المرحوم مصطفى علي ايضاً (وهو الذي أصبح وزيراً للعدل في عهد عبد الكريم قاسم) انه كان كاتب ضبط في مجلس الأعيان سنة ١٩٣٠ عند عرض المعاهدة العراقية – البريطانية على مجلس الأمة ، فذهب الى مجلس النواب للاستماع الى المناقشة وجلس في شرفة المستمعين . وقد هاجم النواب الحكومة والمعاهدة بقسوة

شديدة ، فقام رئيس الوزراء نوري السعيد يردّ على خطبهم منفعلاً . ورأى مصطفى علي ان معطف السعيد انكشف وهو يخطب عن مسدس مثبت في حزامه ، فلم يكن منه إلا ان بادر الى كتابة كلمة يسجل تلك الظاهرة وأرسلها الى جريدة «الاخاء الوطني» المعارضة . نشرت الجريدة الكلمة في اليوم الثاني غفلاً من التوقيع ، فخاف مصطفى عاقبة الأمر وخشي ان يحاكم او يفصل من وظيفته . لكن محمد علي فاضل عضو مجلس الأعيان طمأنه ان الجريدة لن تذكر اسم كاتب الكلمة وأن ابنه عبد الاله حافظ مدير الجريدة المسؤول يتحمّل كل التبعة . وكذلك كان .

ويمكن القول ان حرية الرأي والكلام كانت مكفولة الى حدّ بعيد . كان الشعراء في عهد الاحتلال والانتداب لسان الأمة الناطق ، وقفوا خلال ثورة العشرين يسلقون الحكومة بألسنة حداد . فهذا الشيخ مهدي البصير يصرخ :

لبّيك ، يا وطني ، بكل ملمّة ... فيها يجيب المشرفيّ نداكا

ويرفع صوته عبدالرحمن البناء :

ألا هكذا من رام ان يتحررا ... يطالب ومن يسكت يعش متأسّرا

وتمضي السنون فيقول معروف الرصافي :

من أين يرجى للعراق تقدم ... وسبيل ممتلكيه غير سبيله
لا خير في وطن يكون السيف ... عند جبانه والمال عند بخيله

ويقول :

يا قوم ، لا تتكلموا ... ان الكلام محرّم
ناموا ولا تستيقظوا ... ما فاز إلا النوّم

ويقول جميل صدقي الزهاوي :

أقول لشعري : ايها الشعر صل وجل ... فأنت بميدان الفصاحة فارس
يمارس شعري اليوم اصلاح أمة ... فللّه شعري اليوم ماذا يمارس !

ويقول :

رأيت السيف قد ملك الشعوبا ... ولم أر انه ملك القلوبا

ويقول عبد الحسين الأزري :

وطن يرانا الخير من غربائه ... وتعدّنا النكبات من أبنائه
وتكاد تنكرنا الحياة كأننا ... لسنا بهذا القطر من أحيائه

ويأتي الى بغداد المستر شارلس كرين الاميركي المعروف باسم «صديق العرب» ، وهو الذي أوفده الرئيس وودرو ولسن في أعقاب الحرب العظمى الاولى الى البلاد العربية فقدم تقريره يقترح منح الاستقلال لسورية والعراق . قدم بغداد سنة ١٩٢٩ فأقام له الحزب الوطني حفلة تكريم خطب فيها الخطباء وتبارى الشعراء . فقال علي الخطيب :

الحال مضحكة والحال مبكية ... حتى تحيّرت الألباب بينهما
بينا نرى دولة أفرادها عرب ... اذا بها دولة تستأمر العجما
وقد نراها على الاوتار ضاربة ... لكنها تفسد الاوتار والنغما

وكان علي الخطيب موظفاً في محكمة التمييز ، فهل وبّخ او فصل من وظيفته؟

وقدم بغداد المندوب السامي البريطاني السر فرنسيس همفريز ، فخاطبه محمد باقر الشبيبي بقصيدة قال فيها :

شلّت يد وقعت عمداً معاهدة ... صيغت من الظلم واشتقت من الحيل
صيغت بلندن أطواقاً وأسورة ... من الحديد وإن كانت من الجمل

وقال الشيخ باقر يخاطب عصبة الأمم المندثرة :

يا عصبة الأمم التي قد أوكلت ... أمر العراق الى الذي يستعبد
ماكان عهدك وهو عهد جائر ... إلا لمنفعة الذين تعهدوا
هتفوا لتحرير الشعوب ولم يكن ... لهتافهم إلاّ صدى يتردّد

وقال ايضاً :

كل البلاد من القيود تحررت ... إلا العراق الحر فهو مقيد

وقال :

المستشار هو الذي شرب الطلا ... فعلام يا هذا الوزير تعربد؟

الخطابة والادب السياسي

كانت المجالس النيابية والأحزاب والندوات الثقافية منابر للخطابة ، بل مدارس لرجال السياسة والادب . ولا ريب ان الوعظ في المساجد والمعابد قديم ، لكنه تقدم في مواضيعه واصبح اكثر ملاءمة للحياة العصرية ومشاكلها . وأثر المعاهد العلمية والاذاعة والتلفزيون وصالات التمثيل والسينما كلها له شأنه وقيمته في المجتمع العصري . ومهما يؤخذ على مجالس الأمة من نواقص وتلاعب في الانتخاب فانها كانت واجهات حسنة للحياة الديمقرطية تناسب احوال البلاد وأبنائها في ذلك العهد . وقد

شهد بذلك الكثيرون من رجال الفكر عراقيين وأجانب .

قال فيليب ويلارد آيرلاند الاميركي في كتابه «العراق : دراسة في تطوره السياسي» ، بعد ان ذكر ان النواب اعتبروا منصبهم وسيلة للانتفاع الشخصي من وجوه شتّى ، ان الحكم على مجلس الأمة برغم عيوبه ومن سجله قبل ١٩٣٢ وبعدها يدل على انه أشغل حيزاً مهماً في حياة العراق السياسية . «فقد جذب اليه أنشط الأدمغة في البلاد ، وانعكس فيه الرأي العام ، ولو كان ذلك انعكاساً منقوصاً ، وقام بواجب جهاز التوقيف في التشريع الذي لولا وجوده لفرض على البلاد بأسرع مما كان يسعها ان تهضمه ، كما انه قام بالحدّ من محاولات الوزراء في اتخاذ المواقف الدكتاتورية . . . (و) عمل على اماطة اللثام عن انواع الخلل في الحكم ....» .

وقال محمد زكي رئيس مجلس النواب سنة ١٩٣٥/ ١٩٣٦ :

«... ان الحياة النيابية - على ما اعتورها ولم يزل يعتورها من نقص - قد أدّت خدمات جلّى للشعب العراقي...» . ومضى يورد فوائد النظام البرلماني ، قائلاً ان منها انماء الوعي السياسي في الأمة وان قاعات المجلس مدارس لكثير من الرجال .

وقال حسين جميل في كتابه «الحياة السياسية في العراق» ان الحياة النيابية في العراق منذ دعي مجلس الأمة الى الاجتماع في ١٦ تموز ١٩٢٥ لم تكن بالكمال والنقاء الذي كانت تريده القوى الشعبية والوطنية والديمقراطية . لكن مجلس النواب بقي مع ذلك أقرب مؤسسات الدولة الى الشعب الذي كان يسمع في ندوته في أحيان كثيرة صدى آلامه وصوت آماله . ثم قال : «والى جانب هذا كان مجلس الامة مدرسة سياسية زودت العراقيين بتجارب كثيرة وخبرات ثمينة في شؤون الحكم والمفاهيم الديمقراطية... وهي تجارب وخبرات كان يحتاجها العراق وهو في بدء ممارسة الحياة النيابية عصب نظام الحكم . ذلك ان الحياة الديمقراطية التي نريدها لوطننا لا تقوم على فراغ في حين أن لها في الواقع أساساً ثابتاً» .

وقال عبد الرحمن البزّاز الذي تولّى رئاسة الوزراء في عهد الرئيسين عبد السلام وعبد الرحمن محمد عارف سنة ١٩٦٥/ ١٩٦٦ ولم يستطع تنفيذ آراءه الديمقراطية الحرة لما لقي من معارضة رجال الجيش ، قال : ان الجرأة التي أبداها كثير من أعضاء المجلس التأسيسي والحرية التي سادت الجّو في معظم جلساته ، وحياد رئيس المجلس ، يدعو الى الاعجاب ويدّل على قابلية برلمانية جيدة . (العراق من الاحتلال حتى الاستقلال ، الطبعة الثالثة ، بغداد ١٩٦٧ ص ١٥٦) .

وقد سجلت محاضر مجلس النواب ومجلس الاعيان مواقف شديدة لم نر مثلها إلا

في أرقى البلاد الديمقراطية . فهذه محاضر المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤ تعجّ بالخطب النارية والكلمات الرنانة . وقدمت المعاهدة العراقية - البريطانية الى مجلس النواب لتصديقها فاشتدت المناقشة وغادر المعارضون قاعة المجلس احتجاجاً على الاستعجال في المذاكرة . ورمى النائب باقر الشبيبي قبل خروجه نسخة المعاهدة في الفضاء صارخاً : لتسقط الاكثرية الغاشمة ! ...ثم صاح : صدقوها يا خونة !

ويطول الحديث بنا اذا رمنا الاستشهاد بأقوال النواب والاعيان في انتقاد الحكومات المتعاقبة والتنديد بها . وقد حمل النائب معروف جياووك حملة ظالمة على رئيس الوزراء عبد المحسن السعدون واتهمه بالخيانة والعمالة للانكليز ، فلم يكن من عبد المحسن إلا أن انتحر في مساء ذلك اليوم تبريراً لاخلاصه للوطن .

وامتدّت هذه الحملات الى ما بعد عهد الانتداب . فقد رأينا سعد صالح يحمل حملة شعواء في كل مناسبة على حكومة حمدي الباجه جي خلال الحرب العالمية الثانية ، حتى اذا ما سقطت الوزارة وتقلد سعد صالح منصب وزير الداخلية بادر الى اجازة الأحزاب واطلاق حرية الصحافة .

قررت الحكومة في سنة ١٩٤٣ تعديل الدستور رغبة في زيادة سلطات الملك واختيار الوصّي الامير عبد الاله ولياً لعهد ابن اخته فيصل الثاني . فقال توفيق السويدي في مجلس النواب عند المناقشة في التعديل انه لا يرى ما يستلزم النظر في الأمر لأن الأخطاء الدستورية ليست ناشئة من الدستور نفسه وانما من تطبيقاته . ولما عرضت اللائحة على مجلس الاعيان عارضها بشدة محمود صبحي الدفتري ، وعارضها عمر نظمي وعزرا مناحيم دانيال . وكان الاعتراض منصباً بصورة خاصة على زيادة حقوق الملك في عهد الوصاية وعلى اجراء التعديل في ظروف الحرب التي قيدت فيها حرية الكلام والاجتماع ، ومعالجة الامور متأثرة بالاحداث الآنية . وغاب عن بال الحكومة ان الدستور لا يشرّع لمعالجة الثورات بل لمعالجة الأسس والقواعد الدستورية .

لم تضق صدور المسؤولين بالنقد والتعنيف . حدثني الشيخ محمد رضا الشبيبي أنه وقف يخطب ذات يوم في مجلس الاعيان معارضاً رئيس الوزراء نوري السعيد ، فلما فرغ من كلامه قال السعيد : ليست كلمة الشيخ خطاباً سياسياً بل هي شعر شاعر ! فغضب الشبيبي فالتفّ بعباءته وخرج من المجلس . قال الشبيبي : وفي المساء جاءني نوري السعيد الى داري على غير موعد معتذراً عن الكلام الذي بدر منه .

ووقف النائب عبد الرزاق الشيخلي يخطب في اندفاع عاطفي سنة ١٩٥٣ فقال لرجال الحكم : انّ الامة ستنصب لكم المشانق في ساحات بغداد !

وقال السيد عبد المهدي المنتفكي في مجلس الاعيان على أثر تسلم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية في آيار ١٩٥٣ : «لقد جاء التتويج والأفواه مكمّمة ، والسجون مملوءة ، والمحاكم العسكرية قائمة بأعمالها ، والصحف معطلّة ، والضمائر موقوفة لا تتمكن من أن تحكم في أي موضوع من المواضيع !» .

ذلك غيض من فيض من شواهد حرية الرأي والكلام والصحافة في العراق المنتدب عليه والعراق في عهده الملكي السالف . ولا بّد أن نقول كلمة في القضاء والأدب القانوني . درس عراقيون كثيرون الحقوق في مدارس استانبول في العهد التركي ، ثم أسست مدرسة الحقوق في بغداد سنة ١٩٠٨ فأنجبت رجالاً بارزين في القانون برّزوا في المحاماة والقضاء ومناصب الدولة الادارية . وقد أغلقت المدرسة عند نشوب الحرب العظمى سنة ١٩١٤ ، ثم اعادت السلطات الانكليزية فتحها سنة ١٩٢٠ .

قال سليمان فيضي في مذكراته «في غمرة النضال» ، وهو وطنيّ كان مناوئاً للانكليز وأصبح فيما بعد عضواً بمحكمة استئناف العراق . نوّه بعناية الانكليز بالقضاء وحرصهم على نزاهته . وعهدت سلطات الاحتلال الى السر ادغار بونهام كارتر ناظر العدلية ، ثم مستشار وزارة العدلية العراقية سنة ١٩٢٠ ، بانتقاء حكام (قضاة) وطنيين يحلون محل الحكام الانكليز ، فكان يستشير ويحقق تحقيقاً دقيقاً قبل أن يرشح أحداً للحاكمية . قال سليمان فيضي : «وهذا هو السرّ في نزاهة القضاء العراقي في بداية عهد الحكم الوطني . فلما كرّت الاعوام وآل الأمر الى أيدي الوطنيين دبّ الفساد في دور العدل وانتهكت حرمة القضاء» .

وقال عبد الرحمن البزاز في كتابه «العراق من الاحتلال حتى الاستقلال» :

«وعلى العموم يمكن القول بأن تأثير الانكليز الأساسي في القضاء العراقي قد تأتّى بالدرجة الاولى من التأثير الشخصي الذي تركه بعض فضلاء قضاة الانكليز الذين مارسوا القضاء في العراق وأظهروا من الاستقامة الشخصية والاستقلال الذاتي ما كان خليقاً بسمعة القضاء الانكليزي في العالم» .

ثم قال البزاز ان حكومة الاحتلال عملت جاهدة على ايجاد نظام مالي متين يؤمن الموارد اللازمة للقيام بمتطلبات العهد الجديد . وقال ان المهمة كانت شاقة ، وقد واكبتها بعض الاجراءات التعسفية والمحاباة لبعض الأشخاص الذين ساعدوا الاحتلال البريطاني للعراق . وقال ان سلطات الاحتلال قد استطاعت تحسين الجباية والقضاء على سوء الاستغلال والرشوة ، وآن لها القيام ببعض الاعمال الانشائية المفيدة واعادة تعمير المدن التي دمرتها الحرب ، كمدينة الكوت ، وفتح بعض الطرق ومدّ سكة الحديد . . .

وقامت السلطات بانشاء لجنة الاعمار الزراعي وشجعت انتاج الحبوب والمواد الزراعية ، وأصلحت وسائل الريّ بفتح الترع . ونشأ عن ذلك انتعاش الحياة الاقتصادية نسبياً بسبب كثرة النقد المتداول وزيادة مصروفات الجيش المحتلّ ، مما ساعد على نموّ طبقة من المقاولين والتجار .

ثم أشار البزّاز الى القيام ببعض الاعمال الصحية والعلاجية والوقائية ومكافحة الامراض والأوبئة والاهتمام بالنظافة الجماعية فاستفاد الأهلون من رفع المستوى الصحي . وقال إن الناس تذكر باعجاب الهمة التي كان الموظفون المسؤولون حينذاك يبذلونها في القيام بواجباتهم على الرغم مما رافق ذلك من شدة وصرامة قد تصل الى حدّ القسوة احياناً . (ا هـ)

هذا ولا ريب ان تحسن الحياة الاجتماعية واتساع الانتعاش الاقتصادي قد أدى الى انشاء المدارس ونشر التعليم وارسال البعثات الدراسية الى الخارج وازدهار الادب بنتيجة ذلك . وأصبح الادباء والشعراء يجدون الجوّ المناسب لاظهار مواهبهم فلا يكونون ، كما كانوا في عصور الانحطاط ، عالة على الرؤساء والاغنياء يمدحونهم ويرثونهم يأملون رفدهم ويعيشون على فتات موائدهم . وقد استقلوا الآن بمعيشتهم يعملون في التدريس والصحافة والاعمال الحرة والوظائف الحكومية والاهلية ، ويجدون المجال واسعاً للابداع في الفنون الادبية والعلمية .

كلمة ختامية

ان الادب العراقي في النصف الاول من القرن العشرين أدب حيّ يحمل في طياته آمال الأمة الناهضة ، المتطلعة الى الحرية والاستقلال ، الطامحة الى العلم والرخاء بعد عصور طويلة من الجهل والفقر والتخلف . انه يحمل شكاوي الشباب الناظر الى الأمام ، الراغب في مشاركة الجنسين في النهضة الحديثة واحياء الأراضي البور والاستفادة من المياه الدافقة . ولم يخلُ من التطلع الى الماضي وأمجاده الزاهية ، ولم يهمل دفقات القلب المغرم بالحبّ والحياة ، الذي يردّد أناشيد الأسى اللاهف والفرح الطاغي وسائر المشاعر التي تعصف بالنفس البشرية وتثيرها أو تهدهدها حيناً بعد حين .

وجاءت ثورة سنة ١٩٥٨ وما عقبها من ثورات وانتفاضات . قال لي الشيخ محمد رضا الشبيبي : كنّا نشكو من الاوضاع السائدة وننتقدها ونطلب الاصلاح والتقدم ، لكننا ، نحن معشر المعارضين في العهد الملكي ، لم نكن نرغب في هدم الكيان الذي شيّد حجراً فوق حجر خلال السنين دون أن نملك خطة لبناء كيان أفضل مكين .

معركة السفور والحجاب

احتدمت معركة السفور والحجاب في بغداد في سنة ١٩٢٤/ ١٩٢٥، وكان في مقدمة الداعين الى سفور المرأة وتثقيفها واشراكها في الحياة العامة الشاعران الزهاوي والرصافي وأدباء الشباب مصطفى علي وحسين الرحال وغيرهم. عارضهم الشيوخ المحافظون وكفرهم رجال الدين المتزمتون وهاجت عليهم جماهير العوامّ، لكن القافلة تسير وتتقدم لا يؤخرها ناعٍ ولا شامت متعصب.

حدثني مصطفى عليّ انه كان من أنصار السفور في جريدة «الصحيفة» التي أصدرها في كانون الأول ١٩٢٤ والمقالات التي نشرها في الصحف حتى كفره بعض العلماء. وكان في مقدمة أنصار الحجاب المفتي يوسف العطا ونجم الدين الواعظ والشاعر عبد الحسين الأزري الذي قال من قصيدة له:

حصروا علاجك بالسفور، وما دروا ... ان الذي حصروه عين الداء
أولم يروا ان الفتاة بطبعها ... كالماء لم يحفظ بغير إناء؟...
ليس الحجاب بمانع تهذيبها ... فالعلم لم يرفع على الأزياء

وقال مصطفى علي: كان لفهمي المدرس أخ اسمه جميل أصبح من أشد انصار الحجاب ومن المتحاملين على الشباب السفوريين. وسبب تشدده في معارضة السفور انه كان له دار بجوار دار اخيه فهمي، وقد زرع الورد في أصص على سطحها، فكان جميل يصعد كل يوم الى سطح الدار متعهداً زهوره. وأجّرت تلك الدار الى وزارة المعارف التي انشأت فيها مدرسة للبنات. ولم يمنع اتخاذ الدار مدرسة صاحبنا من محاولة الاستمرار على رعاية وروده، فذهب صباحاً ليفعل ذلك، لكن المديرة أخرجته وأوصت الحارس بمنعه من الدخول. وثار الرجل وأرغى وأزبد، وأصبح من دعاة الحجاب المتشددين، وأخذ يندّد بتعليم الفتيات ويدعو الى بقائهن جاهلات في دورهن ويستنكر دعوة أصحاب السفور!

ومما يذكر ان السر هنري دوبس المندوب السامي البريطاني ذهب مع زوجته لزيارة مدرسة فتحت حديثاً للبنات، فاستقبلتهما المديرة اللبنانية واعتذرت للمندوب السامي، وهو رجل في أواسط الخمسين من عمره، عن السماح له بالزيارة، فجلس في غرفة

المديرة حيث قدمت له القهوة بينما طافت زوجته تتفقد الصفوف .

وكنّا سنة ١٩٤٦ او ١٩٤٧ في حفلة تخرّج لمدرسة ثانوية للبنات ، فقال لي الشيخ محمد رضا الشبيبي ، وكنت جالساً الى جانبه نرى المدرسات والفتيات سافرات يجئن ويرحن ويخطبن على المنبر ، قال لي : «هل ترى تقدم الحركة النسوية في جيل واحد او أقل من جيل في بلادنا؟ لقد كنت وزيراً للمعارف سنة ١٩٢٤ ، أي قبل عشرين عاماً فقط ، وقد فتحنا مدارس رسمية لتعليم البنات واستقدمنا المدرسات من لبنان وغير لبنان ، لكنني لم يكن في وسعي ان ازور مدرسة من تلك المدارس . ونرانا اليوم نحضر الحفلات ونشهد تقدماً لا مثيل له» .

ومما يذكر ان مهرجاناً أدبياً أقيم في بغداد سنة ١٩٢٢ باسم سوق عكاظ ، فقامت صبيحة الشيخ داود ، وهي فتاة صغيرة دون العاشرة من عمرها بتمثيل دور الشاعرة الخنساء ، فاعتلت ظهر جمل وألقت قصيدة . وقامت قيامة المتعصبين يستنكرون قيام صبية بذلك الدور بمحضر من الملك فيصل ورجال الدولة والأدب ، لا سيما انها ابنة رجل دين معروف هو الشيخ أحمد الشيخ داود .

الشعر رائد النهضة الحديثة ولسانها الناطق

كان الشعر الحافز الى النهضة الاجتماعية والسياسية والناطق بلسانها .

وقد قيل قديماً ان الشعر ديوان العرب . والحقيقة انه قام ، منذ الجاهلية ، مقام ما نسميه اليوم المقالات الافتتاحية في الصحف قبل مئات الأعوام من نشوء الصحافة مع ميزة للقريض هي سهولة حفظه ونقله وروايته . وقد ظل خلال القرون الطويلة أداة للكفاح والهجوم والدفاع بمديحه ورثائه وهجائه وسائر أغراضه بالرغم مما اتسم به في الكثير من الأحيان من غلوّ واسراف ومجانبة للواقع والحقيقة .

أطلّ فجر النهضة الأدبية الحديثة في مطلع القرن العشرين ، فنفض الشعراء عن انفسهم غبار التقليد والجمود ، وتطلعوا الى آفاق الحضارة المادية والمعنوية . وكانت البلدان العربية ، وفي طليعتها سورية ولبنان والعراق ، تابعة للدولة العثمانية وراضخة لحكم الاستبداد الحميدي . اما مصر فكان لها موقع خاص ، وقد قطعت في نهضتها شوطاً بعيداً مذ تولّى زمام أمورها الوالي محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ وأوفد البعوث الدراسية الى فرنسة وغيرها من الأقطار الأوربية ، وانشأ ، ومن بعده خلفاؤه ، المدارس والمعاهد ، واستقدم الأطباء ورجال العلم والعمل .

أطلق الشعراء ألسنتهم في مكافحة الاستبداد والدعوة الى الحرية والعدالة وتمجيد الوطن والشعور الوطني . كان شعر محمود سامي البارودي ، أحد ابطال الثورة العرابية والمبعد الى جزيرة سيلان ، يزخر بالحنين الى مصر والترفّع والاباء . قال :

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنب أدان به ظلماً وأغترب؟
أثريت مجداً فلم أعبأ بما سلبت أيدي الحوادث مني فهو مكتسب
لا يخفض البؤس نفساً وهي عالية ولا يشيد بذكر الخامل النَّشَبُ

وفي الحقبة الأخيرة من الحكم الاستبدادي للسلطان عبد الحميد الثاني اشتدّ الشعور بالظلم وتقييد الحريات وكمّ الأفواه ، فانطلقت ألسن الشعراء تندّد بالظلم والطغيان وتدعو الى الحرية والانفتاح . قال شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي سنة

١٨٩٩ ، وكان في عاصمة السلطنة :

أيأمـــر ظلّ الله في أرضـــه بمـــا … نهى الله عنه والرســول المــبــجّل؟
فــيــفــقــر ذا مــال وينفي مــبــرّاً … ويســجن مظلومــاً ويســبي ويقــتل
تمـــهّل قليـــلاً ، لا تغظ أمّـــة إذا … تحــرّك فــيــهــا الغــيظ لا تتــمــهّل
وأيديك إن طالت فــلا تغــتــرر بهــا … فـــــإن يـد الأيـام مـنـهـن أطـول...

بلغت هذه الصرخة المدوّية سمع الخليفة فأمر بسجن الشاعر مع من كان سجيناً من الأحرار كعبدالحميد الزهراوي والشاعر التركي صفا بك ، ثم أقصي الى بغداد في نيسان ١٩٠٠ .

وقال معروف الرصافي :

عــجــبت لقــوم يخــضــعــون لدولة … يســوســهُمُ بالمــوبقــات عــمــيــدها
وأعـــجب من ذا انهم يرهبـــونهـــا … وأمـــوالهــــا منهم ومنهم جنودها
إذا وليت أمـــر العـــبـــاد طغـــاتهـــا … وســاد على القــوم السّراة مَــسُــودها
وأصــبح حــرّ النفس في كل وجــهــة … يُرَدُّ مُــهـــاناً عن ســبــيـل يريدها
وصــارت لئـام الناس تعلو كــرامــهــا … وعــاب لبـيـداً في النشـيـد بليـدها
فــمــا أنت إلا ، أيهــا المــوت ، نعــمــة … يعــزّ على أهل الحِــفــاظ جــحــودها

وقال :

الى كم انت تهــتف بالنشـــيـــد … وقـــد أعـــيـــاك ايقـــاظ الرقـــود؟

وقال خليل مطران :

كــسّــروا الأقــلام ، هل تكســيــرها … يمنع الأيديَ ان تنقش صـــخـــرا؟
قطّعـــوا الأيدي ، هل تقطيــعــهــا … يمنع الأقـــدام ان تـركب بحـــرا؟
حطّمــوا الأقــدام ، هل تحطيــمــهــا … يمنع الأعـــيـن ان تنظر شـــزرا؟
أطفــئـــوا الأعـــين ، هل إطفـــاؤها … يمنع الأنفـــاس ان تصــعــد زفــرا؟
أخــمــدوا الأنفــاس ، هذا جــهــدكم … وبه منجـــاتنا منك فـــشكرا

وقال أيضاً :

صــبّــوا المــداد وحطّمــوا الأقــلامــا … واطووا الصحــائف وانزعــوا الأفــهــامــا
وخـــذوا على الوجـــدان كلّ ثنّيـــة … واقــضــوا الحــيــاة مــزمّلين نيــامــا
ودعــوا البــلاد تذوق من عنت العــدا … مــا شــاء خــادمــهــا الخؤون ورامــا

وقال :

الحكم شورى ، لا تَفَرُّدَ صالحٌ | في غير حكم الواحد القهّار

وقال احمد نسيم :

إنّ الملوك إذا استبدّوا أصبحت | أيّامهم رهن الحوادث سُودَا

وقال أحمد محرّم :

الدار مملكة علوت سريرها | فتولَّ بالرأي السّديد أمورها
أحسن سياستها وشُدَّ عمادها | وامنع محارمها وسُدَّ ثغورها
وارفق بشعبك ، فالشعوب يسوؤها | عنف الملوك ويستثير نفورها
واسلك به نهج الهدى وأضئْ له | سنن الفضائل يبتَدرْ مأثورها
لا يُلْفيَنَّك بالمساوئ مولَعاً | إن كنت تؤثر أن يعافَ شرورها

وقال أحمد نسيم أيضاً :

ما ضاع حقّ لشعب راح يطلبه | برأي محتزم او سعي معتزم
والشعب يربض حيناً ثمّ ينهضه | الى التحفّز ما يلقى من الألم
حتى إذا شبّ يبغي مجده صَعَداً | شبّت عزائمه كالنار في الضَرمِ

وقال عباس محمود العقّاد :

ما يبتغ الشعبُ لا يدفَعْه مقتدر | من الطغاة ولا يمنَعْهُ مغتصب
ما بين أن تطلبوا المجد المعدّ لكم | وأن تنالوه الا العزم والطلب

وقال محمد الأسمر :

بني مصر ، ما للقائمين بأمركم | يسومونكم أشياء ضلّ سبيلها؟
هُمُو حلبوا منها الضَّروع جميعها | وصارت لهم أحزانها وسهولها
فيا لهف نفسي كيف نمتم على الأذى | وأنتم فروع ضيّعتها أصولها

لكن الشاعر الحرّ الذي قارع الاستبداد الحميدي وهاجمه شعراً ونثراً وكابد الهول والنفي من ظلمه انما كان محمد ولي الدين بك **يكن** سليل أسرة مصرية عظامية تبوّأ أفرادها أرفع مناصب الدولة . وهو محمد ولي الدين بن حسن سري باشا بن ابراهيم باشا ابن أخت محمد علي باشا والي مصر . ولد شاعرنا في الاستانة في ٢ مارس ١٨٧٣ ، وانتقل والده الى مصر فلم يلبث ان توفّي بها وولي الدين في السادسة من عمره ، فكفله عمه وتولى تربيته وتثقيفه . أصدر في سنة ١٨٩٧ جريدة «الاستقامة» فنزع فيها نزعة حرة منافحاً عن الحق ، داعياً الى الاصلاح . لكن هذه الدعوة لقيت من رجال الحكم سخطاً واستنكاراً ، فاضطرّ على تعطيل صحيفته وقال في رثائها :

ولما غدا قول الصواب مذمّما ... عزمتُ على ان لا أقول صوابا
فجافيت أقلامي وعفت «استقامتي» ... ورحت أرجّي للسلامة بابا

لكنه لم يفرّ من ميدان الكفاح ، بل صار يدبّج الفصول وينظم القصائد وينشرها في الجرائد المصرية . وعاد الى دار الخلافة فعين عضواً بلجنة الرسوم الكمركية فعضواً بمجلس المعارف الأعلى .

كان لهذه الأعوام التي قضاها متنقلاً بين العاصمتين المصرية والعثمانية اثر عميق في توجيه حياته . شهد في مصر حرية نسبية وطموحاً الى التقدم والاصلاح ، وشهد في استانبول استبداداً غاشماً يحصي على الناس الحركات والسّكنات ، فقام في نفسه صراع خفيّ لم يكبت إلا ليشتدّ اندفاعاً واستقواء . لقد كان لزاماً على وليّ الدين ان يختار بين سبيلين : سبيل الحياة الوادعة الهنيئة بممالأة السلطة والتزلف اليها وقبول مناصبها ، او سبيل الانتقاض على الظلم والمناداة بالاصلاح . ولم يتردد في الاختيار ، فمسّت دعوة الجهاد منذ البداءة من قلبه وتراً حساساً وانضوى الى فريق الأحرار الذين نصروا الحرية بالقلم واللسان .

اوجس رجال الدولةالحميدية ريبة من سلوك الموظف الشاب ، فبثّوا من حوله العيون والأرصاد . وفي سنة ١٩٠٢ فتّش منزله بأمر من ناظر الضابطة ، ثم قبض عليه وألقي في غياهب السجون . وبعد شهر واحد أشخص الى سيواس ، وأذن له باستقدام أسرته ، وعيّن معاوناً لمدير تحرير الولاية . وقد مكث في منفاه ستة أعوام ونصف عام حتى أذن المؤذن بزوال الطغيان واعلان الدستور ، فبارح سيواس التي قال فيها :

رضيت سيواس داراً ... وما بسيواس شرّ
جنوا عليها فأمست ... قد أقفرت فهي قفر

عاد الى مصر وانصرف الى الأدب يروي من مناهله نفسه الظامئة . وأصدر كتابه «المعلوم والمجهول» الذي خلّد في جزءيه أيام كفاحه ومنفاه . وأخرج ايضاً في هذه الآونة كتابيه «الصحائف السّود» و«التجاريب» . وبعد أعوام من العمل في الصحافة انخرط في سلك موظفي نظارة العدل المصرية ، ثم اختاره السلطان حسين كامل عند اعتلائه العرش سنة ١٩١٤ سكرتيراً عربياً في ديوانه . وابتلي بمرض عضال يقطع عليه أنفاسه وتوالت عليه النكبات العائلية فأوهنت مضاء عزمه ، وأصبح ولم يبلغ من عمره الخمسين ، شيخاً ينوء بأعباء الحياة ، ولم يبق منه على عوادي الدهر سوى عاطفته الجيّاشة الرقيقة . ووافته المنيّة في حلوان في ٦ مارس ١٩٢١ .

قال في أيام صراعه مع الاستبداد :

صحا كل شعب فاستردّ حقوقه فيا ليت يصحو شعبك المتناوم
هو الشعب أفنى دهره وهو خادم وليس له فيمن تولّوه خادم
يقلّب من عهد لعهد على الأذى إذا زال عنه غاشم جدّ غاشم

وقال :

يا شرق ، لجّ بك العداة هوى يا شرق ، أغراهم بك الطمع
وبنوك قد طبعوا على خُلُق وعلى سواه الناس قد طبعوا...
جهلوا فأخضعهم تعصّبهم ، والله لو علموا لما خضعوا

وقال :

باللّه ، يا وطني ، اما لك راحم ، أكذاك نارك كل يوم توقد؟
إن يظلموك فكم أصابك ظلمهم؟ إن كنت تجحده فما أنا أجحد
او ينزلوا بك للحضيض خيانة فَلَعهدنا بك للكواكب تصعد
لو كان في هذي المنازل مصلح ما ساد في هذي المنازل مفسد
إن يحرقوها ظالمين فبعدها نار سَتُحْرَقُ في لظاها الأكبد

وقال :

يا وطناً قد جرى الفساد به ، متى يرينا اصلاحك الزمن؟
دفنتَ حيّاً وما دنا أجل ، ما ضرّ لو دافنوك قد دفنوا
دماء أبنائك الكرام جرت بحراً فأشلاؤهم له سفن

خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ فقال احمد شوقي قصيدته الشهيرة :

سل يلديزاً ذات القصور هل جاءها نبأ البدور؟

رمى شوقي عصفورين بحجر واحد : رثى للسلطان المخلوع وذكر أيامه السعيدة ومجده الغابر ، ثم انثنى يحيي الثورة والثوّار ويعظّم الجيش الذي خلعه ويمدح قواده الأشاوس . فانبرى له ولي الدين يكن يردّ عليه ويردد مآثم الظلم والاستبداد ويقول :

هاجتك خالية القصور وشجتك آفلة البدور
وذكرت سكان الحمى ونسيت سكان القبور
وبكيت بالدمع الغزير لباعث الدمع الغزير
ولواهب المال الكثير وناهب المال الكثير
حامي الثغور الباسمات مضيع آهلة الثغور

حتى يقول :

لله أجساد ثوت　　بين الجنادل والصخور
باتت على خشن الثرى　　من بعد مضجعها الوثير
كانت زهور شبيبة ،　　لهفي على تلك الزهور!
نضرت سنين ولم تذق　　من لذة العيش النضير
سقيت مياه دمائها　　والروض رقراق الغدير
كم خلفها من صبية　　يتمت ومن شيخ كبير
يترقبون مآبها ،　　انّ المآب الى النشور
وممنّعات في الخدور　　تموت حزناً في الخدور
ترجو زيارة صبّها ،　　نبت الزيارة بالمَزُور
أودى الردى بنصيرها　　فغدت تعيش بلا نصير
فشكاتها بلسانها　　والحزن في طيّ الضمير

لكن أحمد شوقي الذي كان ينعم آنذاك في منصبه الكبير في بلاط الخديو عباس حلمي الثاني لم يكن نصيراً للاستبداد والظلم وطمس الحريات ، وشعره الوطني آية من آيات البلاغة وحبّ الحرية والاستقلال . قال فيه عبد الرحمن الرافعي مؤرخ مصر الكبير : «في قصائد شوقي يسطع نور الوطنية ويتأجج لهيبها . وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم انتاجاً في هذه الناحية . ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته ، شاباً وكهلاً وشيخاً ، بل ان شعره الوطني في شيخوخته كان أقوى منه في شبابه ، والوطنية في شعر شوقي هي فيض الفطرة والالهام وليس من صنع الظروف او التكلف ، ولذلك جاءت قوية جارفة ، عميقة رائعة» .

ولم يكن سائر الشعراء الذين نبغوا في ذلك العهد دون شوقي في غيرتهم ووطنيّتهم واخلاصهم ، وفي مقدمتهم محمد حافظ ابراهيم وخليل مطران وأحمد محرم وأحمد نسيم ومصطفى صادق الرافعي وأحمد الكاشف في مصر ، والزهاوي والرصافي ومحمد رضا الشبيبي وأخوه محمد باقر وعلي الشرقي وخيري الهنداوي ومحمد حبيب العبيدي وكاظم الدجيلي وعبد الحسين الأزري ومحمد مهدي البصير ومحمد الهاشمي وعبد الرحمن البناء في العراق ، واخوانهم في سورية ولبنان وسائر أمصار العروبة . دعا هؤلاء الشعراء الى الحرية والاستقلال ونادوا بتحرير المرأة وتثقيفها وانهاضها وطالبوا بالدستور وسيادة القانون وأشادوا بالوحدة الوطنية والقومية وهاجموا الاحتلال والفساد وحبّذوا الاخلاق الرفيعة والعلم الصالح وانطلاق الأفكار . رثوا احرار الأمة وشهداءها واتخذوا مراثيهم وسيلة لانهاض الهمم ومكافحة الطغيان وشجب الاحتلال والاستعمار

والاستغلال . ولم تفتهم مناسبة وطنية في الأقطار البعيدة والقريبة إلا اطلقوا فيها القول من بطش جمال باشا السفاح بأحرار العرب خلال الحرب العظمى الى ثورة الحسين سنة ١٩١٦ وثورة مصر سنة ١٩١٩ وثورة العراق سنة ١٩٢٠ والثورة السورية سنة ١٩٢٥ وثورة التحرير سنة ١٩٥٢ . رفعوا عقيرتهم في الانتصار لفلسطين ، مجّدوا دعاة الحرية والاستقلال في الجزائر وتونس والمغرب العربي . كانوا لسان الأمة الناطق وروادها في طريق النهضة وأدلاءها في منطلقها نحو الأعالي والمكارم .

ونشطت حركات التحرير في الشمال الأفريقي التابع لفرنسة في اعقاب الحرب العظمى الأولى ، فانطلق الشاعر التونسي الشاب ابو القاسم الشابي (١٩٠٩ - ١٩٣٤) يقول :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلا بدّ ان يستجيب القدر
ولا بدّ للّيل ان ينجلي ... ولا بّد للقيد ان ينكسر

ونادى بقوة الشعب الناهض فقال :

يقولون : صوت المستَذَلّين خافت ... وسمع طغاة الأرض أطرش أصخم
وفي صيحة الشعب المسخّر زعزع ... تخرّ لها شمّ العروش وتهدم
ولَعْلَعة الحقّ الغضوب لها صدى ... ودمدمة الحرب الضروس لها فم

ودعا الشعراء الى الأخلاق الحميدة فقال حافظ ابراهيم :

إنّي لتطربني الخلال كريمةً ... طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزّني ذكر المروءة والندى ... بين الشمائل هزّة المشتاق
والعلم ان لم تكتنفه شمائل ... تعليه كان مطيّة الاخفاق
لا تحسبنّ العلم ينفع وحده ... ما لم يتوّج ربّه بخَلاق

وقال معروف الرصافي :

هي الأخلاق تنبت كالنبات ... إذا سقيت بماء المكرمات
تقوم إذا تعهدها المربّي ... على ساق الفضيلة مثمرات

وقال أحمد شوقي :

وإنما الأمم الاخلاق ما بقيت ... فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال :

وإذا أصيب القوم في اخلاقهم ... فأقِمْ عليهم مأتماً وعويلا

وقال أحمد محرّم :

ان الحياة معالم ومجاهل | والنّاس من هاد ومن حيران
وإذا النفوس تهذّبت أهواؤها | لم يبغِ انسانٌ على انسان

وقال :

يا ربَّ مُثْرٍ لو أطاع إلهه | وأبي الدّنايا فاته الاثراء
بزّ الضعيف فمَن نسائل طمْره | حيكت عليه البزّة الحسناء
وعلى بقايا دوره وطَلوله | أمست تُقَام قصوره الشمّاء
وإذا الرعاة تنكبّت سبل الهدى | غوت الهداة وطاشت الحكماء

رفع الشعراء لواء النهضة الاقتصادية لتكون دعامة الاستقلال والرخاء والعيش الكريم ، فقال شوقي :

يا طالباً لمعالي الملك مجتهداً | خذها من العلم او خذها من المال
بالعلم والمال يبني النّاس ملكهم ، | لم يُبْنَ ملك على جهل واقلال

وقال أحمد الكاشف يبشّر بالاشتراكية :

للاشتراكية العُقْبى إذا شملت | شتّى الشعوب وجاراها المجارونا
فلا الكثيرون ملك للأقلّينا | ولا الأقلّون ملك للكثيرينا
ولا نرى واحداً ملأى خزائنه | بالمُغْنيات وآلافا يجوعونا
ولا نرى درّة في رأس محتكم | تهفو اليها قلوب المستظّلينا

وراودت الوحدة العربية أذهان الشعراء منذ مطالع القرن فقال عبد المحسن الكاظمي :

يا أيها العرب ، تعالوا | نحتكم الى الرُّشُدْ
لمْ لا نوحّد القوى | جميعها ونتّحد
تَحت لواء واحد | يخفق في كلّ بلد؟

وقال :

سيروا قواصد للمنى | أو تبلُغَ الأوطان قصدا
وترى البلاد جميعها | علماً طويل الظلّ فردا
يا حبّذا العَلَم الذي | إن تقصر الأعلام مدّا

وقال :

أيها العرب ، تعالوا نلتقي | في طريق المجد حتى نصلا
نلتقي تحت لواء واحد | سجّل النصر له إذ سجّلا

وقال محمد رضا الشبيبي :

ببــغــداد أشــتــاق الشــآم وها أنا — الى الكرخ من بغــداد جمّ التــشــوّق

فــمــا أنا في أرض الشــآم بمــشــئم — ولا أنا في أرض العــراق بمــعــرق

همــا وطن فــرد وقــد فــرّقــوهمــا ، — رمى الله بالتــشــتيت شــمل المــفــرّق

وماذا عن الأماني الوطنية؟

قال أحمد نسيم يودّع لورد كرومر لمناسبة رحيله عن مصر سنة ١٩٠٧ :

يا لوردُ ، هل لك في الاسلام من غرض — ترمي اليــه بســهــم فــيك مــسنون؟

هجــوت قــومي ومــا فــارقت أرضــهم — حــتى تجــرّأت ان تنحي على الدين

غــادرتهــا وهي لــلتــقــرير صــارخــة — الى الإله بقلب منك مــــحـــزون

وقال حافظ ابراهيم يستقبل خلفه السر الدون غورست :

أذيقــونا الرجــاء فــقــد ظمــئنا — بعــهــد المــصلحــين الى الورود

ومُنُّوا بالوجــود فــقــد جــهلنا — بفــضل وجــودكم مــعنى الوجــود

وقال احمد الكاشف يخاطب لورد كتشنر حين عيّن معتمداً بريطانياً في مصر سنة ١٩١١ :

في مــصــر شــعب لا يضــام ومــالك — مــتــفــرّد لا يقــبل الإشــراكــا

مــا أنت حــابس نيلهــا يومــاً ولا — أهرامــهــا مــهــدومــة بقــواكــا

الله أكــبــر من جــيــوشك سطوة — والدهر أبعــد من مــدى مــرمــاكــا

وقال محمد باقر الشبيبي يخاطب السر فرنسيس همفريز المندوب السامي البريطاني عند قدومه الى العراق ، والبلاد تطالب بالاستقلال ورفع الانتداب والانتماء الى عصبة الأمم :

هل في حــقــيــبــتــه شيء من الأمل — أم المــزيجــان من سمّ ومن عــسل؟

تســاءل الناس عن قــول يفــوه به — وقــد تمــرّ شــهــور وهو لم يقل

حتى يقول :

تنقلت بأمــانينا ســيــاســتــهم — تنقّل الجــسم بين السّــقم والأجل

فــازوا فــعــادت أمــانينا بفــوزهُمُ — طيــفاً وســارت مســاعينا الى الفشل

ســيــاســة القــوم عند الناس واضــحــة — مطويّة في مناحــيــهــا على دخل

مــا قــيــمــة الحلف منقــوضــاً يراد به — ان يصبح الحكم مقــصوراً على رجل؟

صــيــغت بلندن أطواقــاً وأســورة — من الحــديد وإن كــانت من الجُــمَل

وماذا عن حرّية الفكر؟ احتفلت مصر سنة ١٩٢٧ بتكريم أحمد شوقي ومبايعته بامارة الشعراء . وفي الوقت نفسه اشتدّت الحملة على الدكتور طه حسين صاحب «في الشعر الجاهلي» وعلي عبد الرازق صاحب «الاسلام وأصول الحكم» ، فقال معروف الرصافي في حفلة تكريم شوقي في بغداد :

إذا احتفلت مصر بشوقي فما لها ... تقيم على الأحرار في العلم حاجرا؟
فقد اسمعتنا ضجّة أمطرت بها ... علياً وطه حاصباً متطايرا
فما بال هذا عدّ في مصر مارقاً ... وما بال هذا عدّ في مصر كافرا؟
إذا لم تكُ الأفكار في مصر حرّة ... فليس لمصر أن تكرّم شاعرا!

وشعر محمد مهدي الجواهري شاعر العراق والعرب سجلٌّ حافل للتأريخ العربي منذ سنة ١٩٢٠ بخيره وشرّه ، بنهضته وتراجعه وانحطاطه ، بتطلعه وتأمّله وتشوّقه وتساميه . فهو يمدح ويقدح ، ويحزن ويفرح ، ويجمع ويطرح ، ويداوي ويجرح ، ويهدأ ويجمح ، ويثبت ويبرح ، ويستكين ويرمح ، وينتحب ويصدح ، ويوضّح ويعمّي ويشرح . مدح الملوك والوزراء والرؤساء في مختلف العهود ورثاهم ، وحيّا الانقلابات والثورات والانتصارات وهجاها ، ونقم على الطغاة وسار في موكب الهداة . ناجى البلاد العربية شرقاً وغرباً وشارك في اعيادها ومآتمها ، وكان له في كل مقام مقال وفي كل مسألة جواب وسؤال . فهو شعراء في إهاب شاعر ومسالم في رداء ثائر ، لا يملّ ولا يعجز ولا يهن ولا يهي .

ولنا ان نقول بعد ذلك ان الشعر أدّى رسالته وحمل مشعل التقدم والنهضة ورفع لواء الوطنية والقومية . وقد أصبح الآن في طور الخمود والخمول بعد ان طغت مذاهب الرمزية والسوريالية والتكعيبية والتعجيزية وفنون الشعر الحرّ والمنثور والمهموس ، وانصرف الشعراء الى معالجة الهواجس والعواطف والسباحة في بحر السلم والمبادئ المتطرفة أملاً في اصلاح البشرية وسيادة الأمن والسلام .

أدب المهجر ورسالته

كان لأدب المهجر الاميركي شماليّه وجنوبيّه أثر محسوس في نفوس جيل العشرينات والثلاثينات من القرن . ولئن كان هذا الأدب معظمه وجدانياً إنه لم يخلُ من نفحات وطنية تلهب النفوس وتثير المشاعروتبعث على الحماسة التي تستنهض الهمم ، لا سيّما شعر أمين الريحاني المنثور الذي يمجّد الثورة ويومها القطوب العصيب وليلها المنير العجيب ويدعو الى الحرية والنهوض والاتحاد والفضيلة .

وفي شعر المهجر حنين لاهب الى الوطن البعيد ، فيقول ايليا أبو ماضي :

لبنان فيكم ماثل إن كنتمُ ... في مصر أو في الهندأو في الصين
إن بنتُم عنه فما زال الهوى ... يدنيكم منه كما يدنيني

ويقول نسيب عريضة ، وقد ذكر مسقط رأسه حمص :

صور تلوح لخاطر المعمود ... ما بين أرباض المنى والبيد
خفّاقة فيها بنود العيد ... بسّامة فيها ثغور الغيد
تجلو رؤى ماضي الهوى المفقود

وقال أبو ماضي في قصيدته «متى يذكر الوطن النوّم» :

جلست وقد هجع الغافلون ... أفكّر في أمسنا والغد
وكيف استبدّ بنا الظالمون ... وأن جهنّم في مرقدي
وضاق الفؤاد بما يكتمُ ... فأرسلت العين مدرارها

وذكر الحروب وويلاتها والنساء اللواتي يجدن بأولادهن على الموت ، والموت لا يرحم . وذكر الدور والأربع التي أقفرت من أهلها ، ورأى جبال الغيوم في المشرق فاجتمعت حول نفسه الغموم . وعجب من الضاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف يبيتون في وجل ويلجؤون الى الكهوف والمغاور . ويحمل أبو ماضي همّ الفقير والبائس ويندّد بالغنّي المستعزّ بماله ، المسرف في خيلائه .

ويقول الياس فرحات :

عليكم سلام الله ، يا آل يعرب ، ... متى ينتهي مسعاكم المتنافر؟

متى تذكرون المجد، فالمجد ذاكر لكم أطيب الأيام والدهر ذاكـــــر

وقد رأى الخلق والعلم يتقدمان على المال الذي :

بـه ضـمـائر بـعـض تبـاع حـيناً وتُشـرَى

وقال :

كم أنطق المال عبداً، كم أسكت الفقر حرّاً...

المال ينفع لكن العلم بالنفع أحرى

والخلق فوق كلا الاثنين مجداً وقدرا

وفي شعر المهجر نغمات حزينة ويأس مرّ. قال ميخائيل نعيمة :

أخي، إن ضجّ بعد الحرب غربيّ بأعماله وقدّس ذكر من ماتوا وعظّم بطش أبطاله،

فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا بل اركع صامتاً مثلي بقلب خاشع دامٍ

لنبكي حظ موتانا...

ويقول نسيب عريضة :

كفّنوه، وادفنوه أسكنوه هوّة اللحد العميق.

واذهبوا لا تندبوه فهو شعب ميّت ليس يفيق...

ويحسد الشاعر القروي رشيد سليم الخوري البقر فيقول :

طوباكِ سارحة في القفر طوباكِ إن كنت احسد مخلوقاً فإيّاكِ

انه يحسد البقر لأنها حرة في المَروج تسرح وتمرح وتأكل العشب الطرّي. فاذاَ شكت الصخر والاشواك فالقفر غير الفقر، واذا شكت الانياب الفاتكة فالجلد غير العرض، واذا شكت برد الشتاء والغيث الهاطل فالقطر غير الدمع. ولو علمت البقر عن الافرنج والعرب وما يعانيه أباة الضيم في أوطانهم لما خشيت سكين السفاك، فالموت غير الذّل المهين.

يضرب الشاعر القروي لأمته مثلاً بغاندي زعيم الهند، يقول :

وهل سمعت بغاندي؟ إنه حمل في الهند ثار على الضرغام فانتصرا

هذا الذي لو هزّه ولد لاندق كالعود في كفّيه مندثرا

هزّوا الحسام فلم يحفل وهزّ لهم غصن السلام فهزّ البحر والجُزُرا

وغادر السيف يحكي عنده فللاً، فاعجب لغصن يفلّ الصارم الذكرا!

وقال الياس فرحات من مهجره في البرازيل يذكر موطنه :

نازح أقعده وجد مقيم في الحشا بين خمود واتّقاد

كلمـــا افـــتّـــر له البـــدر الوســـيم — عـــضّـــه الحـــزن بأنيـــاب حـــداد
يذكـــــر العــــهـــــد القـــديم — فـــــــــــــــيـــنـــادي :
أيـن جــنّــات الــنـعــــــــيـم — مـــــــــن بـــــــــلادي؟ . . .
مــوطني يمــتــدّ من بحــر المــيــاه — مــمــعناً شــرقـــاً الى بحــر الرمـــال
بين طوروس وبيـن التـــيـــه تاه — بجـــمـــال فـــائق حـــدّ الجـــمـــال
ذكـــــره يغـــــري فـــتـــــاه — بـــالمــــــــعــــــــالي
أنــا لا أرضـــى ســـــــــواه — فــــــهـــــو مــــــالي

وقال محبوب الخوري الشرتوني (من المكسيك) :

قــالوا : تحَبّ العُـرْب؟ قلت : أحبّهم ، — يقـــضي الجـــوار عليّ والارحـــام
قــالوا : لقـد بخلوا عليك ، أجبـتـهم : — أهـلـي وإن بخـلـوا عـلـيّ كـــــرام
قـــالوا : الديانة ، قلت : جـــيل زائل — ويـزول مـــعـــه حـــزازة وخـــصـــام
ومـــحـــمّـــد بطل البـــريّة كلهـــا — هو لـلأعـــارب أجـــمـــعـــين إمـــام . . . .

وقد قـال جبران خليل جبران رداً على سؤال لمجلة «الهلال» سنة ١٩٢٤ : « . . . وأنّى للأقطار العربية التضامن وقلب كل قطر منها يخفق ولكن بصدر عـاصمة من عواصم الغـرب؟ وكيف تستطيع الألفة والتعاون وكل منها يستمـدّ ميوله السيـاسية والعمرانية والاقتصادية من زاوية بعيدة من زوايا الغرب؟

وإذا كـان القطر الواحد من الأقطار العربية يريد أن يتفق سيـاسيـاً مع القطر الآخر فعليه أن يأخذ منه ويعطيه . وإذا كان يريد أن يلتحم به ادارياً فعليه أن يقرّبه ويقترب منه . واذا كان يريد أن يستعين به اقتصادياً فعليه أن يؤثر مبادلته على مبادلة البلاد الأخرى . فهل فهم القوم في الشرق العربي هذه الأوليات البسيطة الى حدّ الابتذال؟

أقول انهم لم يدركوها بعد . .»

وقال جبران :

يا بلاداً حـــجـــبــت منذ الأزل ، — كـــيـف نرجـــوك ومن أي ســـبـــيـل؟
أي قـــفـــر دونهـــا ، أيّ جـــبـــل — ســـورهـا العـــالي من منّا الدليـل؟
أســـــــــراب انــت ام انـت الأمـل — في نفـوس تتمنّى المستحـيل؟ . . .

لكن هذه البلاد المحبوبة التي سماها «بلاد الفكر ، مهد الألى عبدوا الحق وصلوا للجمال» لم تكن في الشرق ولا في الغـرب ، بل هي بلاد روحـانية يخـفق لهـا الفؤاد وتتلهف اليها النفوس .

واذا ذكر أدب المهجر فلا بد من ذكر أمين الريحاني ، وهو من طراز يختلف عن اعضاء الرابطة القلمية في نيويورك والعصبة الاندلسية في البرازيل ، اذ كان أديباً رائداً عاملاً ، خدم النهضة العربية بقلمه ورحلاته واتصالاته بزعماء العرب ورجالهم بعد الحرب العظمى الاولى . حضّ في كتاباته الكثيرة وخطبه البليغة على التعلق بالروح دون المادة ومناهضة الاستعباد الاقتصادي ، ونادى بالحرية والمساواة وحق الشعوب في تقرير مصيرها . وقال في وصيته التي تركها للأجيال المقبلة : «ان الأمة الصغيرة وهي على حق لأعظم من الأمة الكبيرة وهي على باطل» . وقال ايضاً : «الأمة القوية الحرة لاتستحق حريتها وقوتها ما زال في العالم أمم مستضعفة مقيّدة» .

تلك بذور من الغرب جاء بها الريحاني لزراعتها الى بلاده الشرقية . اين ذلك من قوله في قصيدة له منثورة : «انا الشرق ، عندي فلسفات وعندي ديانات ، فمن يبيعني بها طيارات؟»

الشعر بين الجمود والانطلاق

عرّف الأقدمون «الشعر» بأنه الكلام الموزون المقفّى . وقال محمد بن سلاّم الجمحي وهو صاحب «طبقات الشعراء» ومن أقدم النقّاد الأدبيين وقد توفي سنة ٨٤٦م : «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات . .» . وروى انه قال قائل لخلف بن حيّان : «اذا سمعت انا بالشعر واستحسنته فما ابالي ما قلت فيه أنت وأصحابك» . فقال له : «اذا أخذت أنت درهماً فاستحسنته فقال لك الصرآف أنه ردئ هل ينفعك استحسانك له؟» .

وتكلم الأديب الانكليزي تيودور واتس دانتن على تعريف الشعر في دائرة المعارف البريطانية فقال : «لئن كانت التعاريف كثيراً ما تكون مضلّلة وغير مرضية على السواء ، ان تعاريف الشعر ليضرب بها المثل في تضليلها وعدم كفايتها . ومع ذلك فلا بد من محاولة وضع تعريف في هذا المقام فنقول : «ان الشعر الخالص هو التعبير الماديّ والفني للفكر الانساني بلغة عاطفية ذات ايقاع» .

وفي خلال الألف سنة التي مرت بين ابن سلاّم وواتس دانتن وقبلهما وبعدهما أيضا حاول آلاف النقاد والأدباء من مختلف الأقوام وفي شتى الأقطار وضع تعريف للشعر ، بينما اكتفى الشعراء بنظم اشعارهم فلم يشكّ احد في أنها شعر ، من هوميروس وبندار وفرجيل الى لامارتين وبيرون وفكتور هوغو ومن امرؤ القيس وابن الرومي والمتنبي الى شوقي وحافظ والزهاوي والرصافي وايليا أبي ماضي وجبران . . .

ان التعاريف السهلة اكثر ما تكون خداعا ، والكلام الموزون المقفى ليس في الحقيقة تعريف الشعر بل هو تعريف النظم ، ولذلك نشأ آلاف النظامين الذين استعانوا بالوزن والقافية ليلفقوا كلاما أبعد ما يكون عن الشعر . وقد سأل بعضهم شاعراً من نوابغ الشباب : «كيف يهيأ للمرء أن يجوّد نظم الشعر؟» فقال : «يتعلم العروض ويحفظ آلاف الابيات من عيون الشعر ويمارس الصناعة عشرات السنين فينظم بيتاً ويسقط ألفاً» . قال : «ولكنك لم تفعل كل ذلك» ، فأجاب الشاعر العبقري : «أجل ولكنني لم أسأل كيف أقول شعراً» .

ولشاعر العراق جميل صدقي الزهاوى محاضرة عجيبة في الشعر نشرها وفائيل

بطي في مقدمة كتابه «سحر الشعر» المطبوع سنة١٩٢٢ ، وقد جال فيها الزهاوي وصال ، فمما قاله :

«الشعر شعور الشاعر قد خرج من مخدعه وهو قلبه متحداً اتحاداً أثيرياً بشعور آخر هو النغمة التي نسميها وزناً ، وقد ركبا أجنحة الألفاظ الخفيفة ليطيرا معاً مرفرفين رفرفة الفراش الجميل على زهر الرياض ، فيصلا الى الأسماع ويثيرا ما هنالك من الاحساسات الراقدة» .

وقد عبر عن نفس هذه الحقيقة أحد الشعراء الرمزيين الفرنسيين فقال ما مضمونه : «ان الشعر لايكون شعراً إلا بالاتصال بين روحين منسجمتين : روح الشاعر وقارئه . فالقصيدة تبقى خامدة ميتة حتى تمس من قلب القارئ او السامع وتراً حساساً» .

وقال الزهاوي - وصدق في ما قال :

لقد قرض الشعر الكثيرون في الورى	وأكثره ما فيه روح ولا فكر
إن الشعر لم يهززك عند سماعه	فليس خليقاً أن يقال له شعر

أما معروف الرصافي فعرّف الشعر بأنه مرآة من الشعورتنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الألفاظ انعكاساً يؤثر في النفوس انقباضاً او انبساطاً . وكان الرصافي واسع الأفق في نظرته الى الشعر ، فلم يخصّه بالنظم بل قال : «ثم ان هذا التعريف يتناول المنظوم والمنثور من الشعر . وهو كذلك فإن الشعر قد يكون في المنثور كما يكون في المنظوم ، ولكن الغالب في المنظوم أن يكون واسطة لبيان المعاني الشعرية ، أي لبيان سانحات الحسن والخيال بخلاف المنثور فإن فيه أن يكون واسطة لبيان ما هو من ثمار العقل ونتائجه ، ولذلك أكثرت العرب اطلاق اسم الشعر على المنظوم حتى قال المتقدمون من أهل الأدب في تعريف الشعر «انه كلام ذو وزن وقافية» وهو تعريف للأعم الأغلب من الشعر . . . وإلا فهم يعلمون أن الشعر لا يختص بالمنظوم وأنه قد يكون منثوراً» .

ونقل أنيس الخوري المقدسي عن توماس كارليل انه عرّف الشعر الحقيقي بالموسيقى الازلية التي يسمعها الشاعر من وراء الوجود . وقوله الشعر الحقيقي تمييز عن المنظومات الكثيرة التي ليس لها من روح الشعر سوى الوزن والقافية - تلك المنظومات التي زخرت بها الآداب الأوروبية والعالمية كما زخر بها الأدب العربي في حقبة طويلة من تأريخه .

قال كارليل : «ان الافكار السامية نظماً كانت ام نثراً مستمدة من مصدر واحد ، فكيف نقيد الشعر بالوزن والقافية؟ نعم ، لا بدّ من الموسيقى في الشعر لأن الشعر في الأصل نوع من الغناء ولكن الموسيقى الشعرية ليست موسيقى الألفاظ بل هي خاصّة من

المادة الأصلية بها تتجلى حركات الجواهر وبها تظهر عواطف الطبيعة ، وكل ما هو عميق في العالمين المادي والروحي راجع اليها . ألا ترى النفس في هيجانها تعمد الى الوزن على غير قصد منها؟ وأي كلام خال من نوع من الوزن الطبيعي ، أية لغة لا تنفرد بنوع من الغناء؟ الوزن سرّ الوجود والجماد يشارك الاحياء في هذا النظام . فليس الشعر الكلام المقفى الموزون بل هو الأفكار الموزونة . والشاعر الحقيقي من وصل الى هذا العمق - الى ناموس الوجود ، الى الموسيقى الأزلية فأبرزها للعالمين» .

وفي هذا المعنى يقول الشاعر العربي :

سمعت أناشيد علوية أعاد صداها الفضاء الرحيب

فلحن له نبرة عذبة ورجع شجيّ أنيس عجيب

تهادى كموج الأثير اذا حداه النسيم البليل رخاء

وشع كنور زها في العلى فطاف سناء وفاض رواء

ووشّى الرحاب بلون بدا مزيجاً لألوان طيف ذكاء

وفاح أريجاً كزهر الربى أذاع شجاه الصباح الرطيب

فأعجب للحن تآلف فيه ضياء وجرس ونشر غريب

هدوء لطيف سرى في الحشا خشوعاً وسرّ أجنّ الخفاء .

***

وطار الفؤاد شعاعاً الى مغاني البهاء وراء التخوم

هناك يوقّع لحن الخلود جموع الشموس وزهر النجوم

فيجري الزمان على وقعه وليس ابتداء وليس انتهاء .

أنا قد ثملت بذاك الرنين زماناً تقضّى كيوم قصير

فهيهات أصغي الى نغمة من الأرض تأتي كروح أسير

وهيهات يحلو لنفسي صدى ولو رجّعته اليّ السماء

***

ان للأمة العربية تراثاً ضخماً من الشعر قلما يدانيه تراث أية أمة أخرى على وجه البسيطة ، وقد اتصلت أسبابه منذ اكثر من أربعة عشر قرناً وتجددت أنغامه وتعددت على مرّ العصور . ولعلّ الاوزان العربية والقافية المتكررة في الشعر العمودي من أصعب قواعد النظم في اللغات العالمية ، وفي وسعي أن أشبّه بحور الخليل بالقالب الذي يصبّ فيه

الشعر صبّاً بينما لاتخرج الاوزان الافرنجية عن مقياس يقاس به الشعر . وهذا التشبيه يعطي القارئ فكرة عن الصعوبة التي يتجشمها الشاعر العربي لنظم افكاره ومشاعره ويفسر سبب خلّو الشعر العربي القديم من الملاحم والمسرحيات والقصص المنظومة الطويلة كالالياذة والاوذيسية اليونانيتين والانياد اللاتينية وأضرابها .

وترى الشعراء الاقدمين يستعينون بالرجز في قصائدهم الطويلة ، ولا سيما الأراجيز التعليمية (ديداكتيك) والقصصية كألفية ابن مالك ونظم كليلة ودمنة لسهولة هذا الوزن ويسر قافيته المزدوجة . وقد حاول الشعراء المتأخرون استخدام الشعر العمودي لنظم الملاحم كما فعل سليمان البستاني في ترجمة «الياذة هوميروس» وجميل صدقي الزهاوي في «ثورة في الجحيم» فجاءت أشعارهم مملة في رتوبها وصرامة موسيقاها . وتفنّن آخرون فمزجوا البحور والقوافي كما فعل شوقي في مسرحياته فأتوا بالطريف المعجز في الشعر العربي .

وذهب الشعراء المتأخرون الى أبعد من ذلك فتصرفوا في الاوزان العربية مداً وقصراً وتفننوا في القوافي ترصيعاً وتنويعاً فكان لنا «مجدلية» سعيد عقل وأمثالها من روائع الشعر الحديث .

ولا ريب ان الموشحات الأندلسية كانت ابتكاراً لطيفاً للتخفيف من صرامة الشعر العمودي وقوافيه الجامدة الراتبة فأضفت على الشعر العربي لوناً جديداً يمتاز بالخفة والسلاسة . وابتدع الشاعر اللبناني المعاصر الدكتور نقولا فياض فناً جديداً في التوشيح ، فمزج البحور المتقاربة في المقطوعة الواحدة واختزل المصاريع بين الحين والحين وعمد الى تنويع القافية أو اغفالها ، وأمثلة ذلك منشورة في ديوانه «رفيف الأقحوان» المطبوع سنة ١٩٥٠ .

والبحث في الشعر العربي الحديث من حيث الشكل والمبنى لايكون كاملا اذا لم نتطرق الى ذكر ما سمي بالشعر المرسل أو المنثور ، وهو لون من الشعر أبدع فيه طائفة من شعراء المهجر بوجه خاص ، وفي مقدمتهم أمين الريحاني وجبران . وقد ذكر الريحاني انه تأثر بطريقة والت ويتمان الشاعر الأمريكي الشهير (١٨١٩ - ١٨٩٢) ونسج على منواله ، لكن الحقيقة ان الشعر المنثور أقدم من الشعر المنظوم في مختلف اللغات ، وأمثاله كثيرة في الآداب السومرية والبابلية والمصرية القديمة وغيرها . ولئن كان الشعر المنثور خالياً في معظم الأحوال من الوزن والقافية انّ موسيقاه تقوم على التوازن بين الجمل المتناظرة المترادفة فيثير الترديد في ذهن القارئ أو السامع شعور التأثير والانفعال ويهدهد نفسه على إيقاع العبارات المنسجمة المتدفقة بالعاطفة المشبوبة .

ولذلك كـان الابداع في الشـعر الـمنثور أعسـر منالاً وأصعب منه في الشـعر الـمنظوم ، والسبب يرجع الى ان الوزن والرويّ يعينان على خلق الجوّ الشعري والتمهيد له في نفس القارئ في حين أن الشعر الـمنثور لايستعين بغير موسيقى التناظر والانسجام ، فلا بدّ ان يكون شعراً خالصاً مجرداً من الشوائب لينفذ الى قلب القارئ ويمس منه وتراً حساساً .

ولنأخذ مثالاً من الشعر المنثور لنرى مدى انطباق كلامنا المتقدم عليه . هاكم قطعة لجبران خليل جبران بعنوان «ايتها الأرض» حيث يقول :

ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك ،

ما أشـد حنانك على ابنائك المنصـرفين عن حقيقتهم الى أوهامـهم ، الضائعين بين ما بلغوا اليه وما قصروا عنه .

نحن نضجّ وأنت تضحكين ،

نحن نذنب وأنت تكفّرين ،

نحن نجدف وأنت تباركين...

نحن نهجع ولا نحلم وأنت تحلمين في سهرك السرمديّ .

نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وأنت تغمرين كلومنا بالزيت والبلسم .

نحن نزرع راحاتك بالعظام والجماجم وأنت تستنبتينها حوراً وصفصافاً...

نحن نصبغ وجهك بالدم وأنت تغسلين وجوهنا بالكوثر .

نحن نتناول عناصـرك لنصنع منهـا الـمـدافع والقـذائف ، وأنت تتناولين عناصـرنا وتكونّين منها الورود والزنابق .

ما أوسع صدرك ،ايتها الأرض ، وما أكثر انعطافك !

ما أنت أيتها الأرض ومن انت؟

أذرّة من الغبـار تصـاعدت من بين قـدمي الله عندمـا سـار من مشارق الأكـوان الى مغاربها ، ام شرارة قذفت من موقد اللانهاية؟

أنواة طرحت في حقل الأثير لتشقّ قشرتها بعزم لبابها وتتعالى نصبة ربانية الى ما فـوق الأثيـر؟ أقطرة من الدم في عـروق جـبار الـجـبـابرة ، أم أنت قطرة من العـرق على جبينه؟

أطفلة أنت في حضن الفضـاء أم عجوز ترقب الأيام والليالي وقد شبعت من حكمة الليالي والأيام؟ الخ .

ان المقـام لا يتسع للتبسّط في ايراد النمـاذج والشـواهد . ويجـدر القـول ان تذوّق الشعر كتذوق الموسيقى يقوم على التربية والتعود ، فالكثيرون منا لا يستسيغون الموسيقى الغربية لأنهم لم يتعـودوا سماعها وفهم أنغامها كما ان الاوربيين يملون الاصغاء الى الموسيقى الشرقية لأنها غريبة عن أذواقهم ومشاعرهم . ولا ريب أن الذوق الشعري في جيلنا الحاضر يختلف عمـاً كـان عليـه في الجيل المـاضي ، ومع ذلك لا يزال بيننا الكثيرون ممن يقررون جازمين ان صفحة الشعر قد ختمت بـالمتنبي او بشوقي . بل انني وجدت فريقاً من أعلام اللغة والأدب لا يفهمون الشعر مطلقاً فيتيهون في مهامهه وبحوره ويكادون لا يميزون بين منظومه ومشعوره . وليس ذلك بجديد ، فقد حدثنا ابن سلاّم في طبقات شعرائه عن بعض اولئك فقال : «وكان ممّن هجّن الشعر وأفسده وعمل كل غثاء محمد بن اسحاق... وكان من علماء الناس بالسير فنقل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول : لاعلم لي بالشعر انما اؤتى به فأحمله ، ولم يكن ذلك له عذرا...»

ومما يذكر في هذا الباب ان الشاعر النقاد الفرنسي الشهير بوالو قد رمى الشعراء في «فنّه الشعري» بسهام نقده الصائب ووضع قواعد الشعر والأدب ، ثم أخلّ في منظومه بالقواعد التي رسمها وسقط في ما أنكره على غيره من الشعراء .

ومن نافلة القول ان التجديد في الشعر لم يقتصر على الشكل والمبنى بل تجاوزهما الى الأغراض والمعاني . وذلك طبيعي ، فعصرنا الحالي قد حفل بالعلوم والوسائل المادية مما لم يعهده الأقدمون ولم يحلموا به ، فكيف يقف الشعر بمعزل عن حياة العصر وما يحيط بها من أفكار وأسباب ويجمد على الآراء والمعاني القديمة؟ ان المدنية الحديثة لتتحدّى الشعراء كما تتحدى الادباء والكتاب ، فينبغي لهم ان يلبّوا نداءها ويبرزوا الى ميدان الصراع . أما اذا اكتفوا بالتعلق بأهداب الماضي والتشبث بأذياله ولم يتطلعوا الى آفاق المستقبل الرحيبة فان مصير الشعر ليؤول الى الجمود والتحجرّ والاندثار .ولا يعني التطلع الى المستقبل اهمال اللغة والتهاون في قواعدها والعبث بأساليب الأداء الشعري ، وانما يعني ذلك التحرر من القيود الوضعية التي تكبّل الشاعر وتحول دون تحليقه في سماء القرن العشرين . وان مستقبل الشعر ليتوقف على مسايرته للحضارة الآلية والفكرية الحديثة ، كما يتوقف على تربية أذواق الجيل الناشئ على أساليب الشعر ومفاهيمه الجديدة .

النقد الأدبي بين الماضي والحاضر

لعلّ ابن سلاّم الجمحيّ المتوفى سنة ٨٤٦م اول من وضع مقاييس النقد الادبي القديم حين قال : «وللشعر صناعة وثقافة يعرفها اهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ، منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان . من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممّن يبصره . ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا يعرف جودتهما بلون ولا مسّ ولا طراز ولا حسّ ولا صفة ، ويعرفها الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستّوقها ومفرّغها . ومنه البصر بغريب النخل والبصر بأنواع المتاع وضروبه واختلاف بلاده وتشابه لونه ومسّه وذرعه حتى يضاف كلّ صنف منها الى بلده الذي خرج منه...»ثم قال : «وان كثرة المدارسة تعين على العلم... وقال قائل لخلف (الاحمر) : اذا سمعت أنا بالشعر واستحسنته فما ابالي ما قلت فيه أنت وأصحابك . فقال له : اخذت أنت درهما فاستحسنته فقال لك الصرّاف انه رديء هل ينفعك استحسانك له؟...»

وكذلك قرر ابن سلاّم وظيفة الناقد الأدبي ، وناقد الشعر على الاخصّ ، ووضع خبرته على صعيد واحد مع خبرة الصيرفي وصاحب الاختصاص في التجارة والصناعة والزراعة وامثالهم ، وفرض عليه الدرس والمطالعة لحيازة العلم وصقل الذوق ومعرفة الكلم والمعاني .

كان نقد الشعر عند العرب في بادئ أمره ساذجا لايزيد على تقسيم الشعراء الى طبقات من حيث الزمن والمقدرة الفنية ، واطلاق احكام جامعة لاتستند الى مبررات مشروحة شرحاً وافياً ، كقولهم في المفاضلة بين جرير والفرزدق والاخطل ، ان جريرا أشعر الثلاثة لأنه طرق جميع ابواب الشعر ولم يقصّر في باب ، وان الفرزدق امتاز بالفخر ، والاخطل بالمدح والهجاء ووصف الخمر . وقالوا : ان أغزل شعر قالته العرب هو قول جرير :

ان العيون التي في طرفها حور   قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

وان امدح بيت قوله :

ألستم خير من ركب المطايا   وأندى العالمين بطون راح؟

وان أفخر بيت قوله :

اذا غـــضـــبت عليك بنو تمـــيم   حـــسـبت الناس كلّهم غـــضـــابا

الخ . ونرى من ذلك ان نقاد الشعر الاقدمين كانوا ينظرون الى البيت الفرد او البيتين اكثر من نظرهم الى القصيدة او المقطوعة القائمة بنفسها ، ولذلك اصبحت اكثر القصائد مجموعة ابيات لا تربطها وحدة فنية ولا ينتظمها اتساق ، ولا ضير ان تقدم او تؤخر او تحذف من مصاريعها او تزيد عليها ابياتا او تتناولها بالتخميس والتشطير مما لم يكن له نظير في الآداب الاخرى .

وكانت العرب تحب المبالغة في الشعر وتعدها ضرباً من ضروب العبقرية والنبوغ ، وتهتم بالنظم والاداء فترفع المتانة والجزالة وقوة البيان الى منزلة رفيعة ولو خلت من المعنى الجميل . فلكم يبهرنا شعر لطيف الوزن ، فصيح الكلمات ، ثم نحاول ان نفهم معناه فلا نجد له معنى يناسب الثوب التي يختال فيه ويزهو .

ونرى العرب الى ذلك تهتم بالمعاني المبتكرة وتصيّدها وافراغها في قالب جميل ولا تبالي أن جاءت كالواحة في الصحراء القاحلة لا كالوردة في الروضة الغنّاء . اما الاغراب في المدح والمبالغة في الوصف فبقي الكثير منه عالقاً في صميم نفوسنا حتى عصرنا الحاضر . وقد روى رفائيل بطي في الجزء الثاني من كتابه «الادب العصري» عن الشاعر محمد حسن أبي المحاسن أنه عرف بالبداهة والذكاء وسرعة الخاطر . فاذا أنشده جليسه بيتاً نادر المعنى من الشعر الفارسي نظمه بسرعة وأنشده الجليس . وكثيرا ما كانت تجري له مناظرة فيقال له : ليس للعرب مثل هدا ، فيأتي على الفور بمثله كأنه استحضره ، في حين انه أنشأه على البديهة . وقد جرت له نادرة من هذا القبيل مع عبدالمهدي الحافظ ، اد أنشده بيتا تركيا في رثاء بعض السلاطين بعد ان بالغ في وصف معناه وأنه لم يسبق اليه ، فأجابه أبو المحاسن : هذا منظوم بالعربية . فقال : ومن الناظم؟ أجاب : لا أعلم ، ولكني أحفظه له من سنين . قال : أورده سريعاً ، وألح عليه في الطلب بدون امهال خشية أن يكون له مجال للتفكير والنظم ، فقال :

لقد كنت شمس العصر ، والعصر شمسه   مـــديدة ظلّ والبـــقـــاء قـــصـــيـــر

فخجل مناظره . ولما رآه أبو المحاسن على تلك الحال ، قال له : لاتتأثر ، فالمعنى كما قلت مبتكر لم يسبق اليه الشاعر التركي ، وقد نظمته الساعة .

ان هذه النادرة تدلّ حقا على فطنة محمد حسن أبي المحاسن وسرعة بديهته . لكننا اذا نظرنا الى المعنى المبتكر الذي لم يسبق اليه وجدناه ضئيل القيمة ، كثير المبالغة ، بعيدا عن مفهومنا للمعنى الرفيع والشعر الجيد . ويصّح هذا القول في الكثير

من المعاني المبتكرة والاوصاف والاهاجي والاماديح التي زخر بها الشعر العربي منذ الجاهلية حتى اليوم .

ولا ريب ان مقاييس النقد الأدبي تختلف باختلاف الزمان والمكان وتتطور بحسب تطور الحضارة والذوق . وقد نشأ الادب الاوروبي نشأة تختلف عن نشأة الادب العربي ، فامتدّت جذوره الى الادبين القديمين اليوناني واللاتيني . فلئن عني الشاعر العربي القديم بالمدح والفخر والهجاء والغزل والرثاء ، لقد اهتم أقدم شعراء اليونان بالقصص والملاحم والمسرحيات التمثيلية من مأساة وملهاة . وارتأى أرسطو انّ الشعر كسائر الفنون انما هو محاكاة للطبيعة في مظاهرها المختلفة . وقسم الشعر الى قسمين : الشعر الذي يثير العواطف وتلتذّ به النفس والنظم التعليمي كالأراجيز اللغوية والنحوية والقانونية . وقسم مواضيع الشعر الى الحماسة او شعر الملاحم كالالياذة والاوذيسية ، والمسرحيات المنظومة الهزليّ منها والمؤسّي المثير . ولا شك ان فنون الشعر تتضمن المدح والهجاء والفخر والرثاء ، لكنها تأتي عرضاً ضمن سياق القصة او الرواية التمثيلية وحسب اقتضاء الموقف .

وعرف الادب الاوروبي شعر المدح والرثاء وغير ذلك ، لكنه لم يغال فيه مغالاة العرب ولم يطل فيه القول . وقد سئل الشاعر الفرنسي بيير كورناي أن يرثي الوزير ريشليو فقال : «مهما يقل في الكردينال الشهير ، فإن نثري وشعري لن يتعرّضا له بشيء . فقد أسلف لي خيراً كثيراً حتى لا يسعني ان اقول فيه سوءاً ، وجزاني شراً كبيراً فلا استطيع ان اقول فيه خيراً» .

وكان بوالو أعظم النقاد الفرنسيين في عصر لويس الرابع عشر الذهبي ، وقد نظم «فن الشعر» (١٦٧٤) فحدد مبادئه وشروطه وذكر الاوزان والقوافي والمواضيع وعيّن للشعراء مناهجهم وأساليبهم . واعطى الاهمية القصوى لمحاكاة القدماء والسير على نهجهم ، وعدّ اسلوبهم الأدبي اماماً يؤتمّ به لأنه خلد على مرّ الازمان وغالب الدهر والنسيان حتى لا يمكن لأدب ان يخلد ويبقى إلا اذا حذا حذو الادب القديم والتزم بفنونه وطرائقه .

لقد كان بوالو استاذاً شديداً أخذ على الشعراء المآخذ وحمل عليهم حملات شعواء ، ثم نظم هو نفسه قصائد (كمكتب الكنيسة) فبالغ وأسفّ وخالف ما دعا اليه ولم يقرن عظمة الموضوع بفصاحة الشعر وفخامته . وقيل ان بعض الادباء تحدّى بوالو أن ينظم ملحمة جليلة في موضوع تافه فنظم قصيدته التي تبعث على الضحك والسخرية وتضع الكلمات الحماسية على ألسنة البشر الاعتياديين الذين ليس لهم حتى القليل من البطولة او السموّ .

ويجب ان ننتقل الى القرن التاسع عشر لنحظى بالنقد الأدبي القائم على اسس فنية واضحة . وفي مقدمة الناهضين بتطوير هذا الفن في فرنسا شارل سانت بوف (١٨٠٤ - ١٨٦٩) الذي أنشأ مذهباً جديداً في النقد تأثر به رواد النهضة الادبية الحديثة في البلاد العربية . كان ناقداً ادبياً لصحف متعددة كمجلة باريس ومجلة العالمين وجريدة الناسيونال والمونيتور والطان . جمعت مقالاته في مجلدات كثيرة ، منها : صور ادبية (في ثلاثة اجزاء) ، وصور نسائية ، وصور معاصرة ، وأحاديث الاثنين (في ١٥ جزءاً) ، وأيام الاثنين الجديدة (في ١٣ جزءاً) ، الخ .

ان سانت بوف أثر كثيراً في الدكتور طه حسين صاحب «حديث الاربعاء» . وقد قال انه يحبّ ان يكتب «التأريخ الطبيعي للافكار» ، فتنقل بين المحافل الادبية وألمّ بفنون الادب وعاشر الشعراء ودرس اساليبهم وخرج من كل ذلك بمبدأ الشكّ المعنوي والايجابية الفلسفية . وكان نقده يقوم على اساس البحث العلمي ، فيصاحب الادباء الذين يتناولهم بقلمه ويدرس بيئتهم وسيرتهم ، ويطالع الكتب والوثائق والمراجع ويحقق ويدقق ما شاء له التحقيق والتدقيق . ولئن اعاد تقييم الادب والآثار الادبية وكشف عن مواهب وعبقريات في معاصريه ، لقد اندفع مع ذلك وفي احيان كثيرة الى الوخز والتجريح ، لا سيّما في «دفاتره» التي عرفت بخزانة السموم . وقيل عنه انه كان حسوداً كثيراً ما حاول تحطيم العبقريات وتناول رجال الادب بالسخرية والتهكم . وبالرغم من ذلك كله استطاع ان يكون ناقداً أدبياً من الطراز الاول ، يعلّم ويحرّك الفكر ويزرع الآراء ويعجب بوفرة معلوماته وسعتها وصحتها ويصدر احكامه عن دراسة وافية ومقاييس منهجية منظمة .

ان الاديب الانكليزي ماتيو آرنولد عرّف النقد الادبي بأنه «محاولة بعيدة عن الهوى للتعلّم ونشر احسن آثار المعرفة والفكر في العالم» . اما الشاعر كولريج فقال : «ان النقاد هم عادة أناس كانوا يودّون لو اتيح لهم ان يكونوا شعراء او مؤرخين او كاتبي سير . وقد جربوا مواهبهم في هذا الفن او ذاك وأخطأهم التوفيق ، فأصبحوا نقاداً» .

لكن اناطول فرانس الروائي الفرنسي العظيم ، مؤلف تاييس والزنبقة الحمراء وجريمة سلفستر بونّار ، قال : «ان الناقد الجيد هو الذي يروي مغامرات روحه بين روائع الادب» . أي تعريف عميق للنقد ، من رجل كان هو نفسه اديباً انسانياً عظيماً ، وكان ناقداً ادبياً لجريدة الطان (الوقت) يكتب مقالاته بعنوان «الحياة الأدبية» . وقد طبّق تعريفه احسن تطبيق فكتب في نقده للكتب وعرضه للمؤلفات وذكره للشعراء والمؤلفين كتب عن نفسه وآرائه واذواقه واستطرد الى رواية القصص والنوادر وبحث الفلسفة والتأريخ والأخلاق والمذاهب . وكان البون شاسعاً بين نقدات سانت بوف المنهجية ومقالات

اناطول فرانس المتشعبة المشرّقة حيناً والمغرّبة حيناً آخر .

لقد كثرت المذاهب الادبية في عصرنا الحاضر وتنوعت حتى اصبحت مهمة الناقد الأدبي شاقة عسيرة . أيّ منهج يتّبع هذا الناقد بين الكلاسيكية والابتداعية والواقعية والرمزية والدادائية ، أيّ موقف يقف من الشعر العمودي والموشح والشعر المنثور والحرّ وقصيدة النثر والنثر المشعور؟ هل يصدر عن دراسة منهجية تستعين بعلم اللغة والبلاغة والبيان والبديع ام يذهب الى آراء جديدة تستهين بالقيم القديمة وتستسلم الى نزعات العصر الحاضر عصر الآلة والسرعة والمصلحة؟

هل يمزج الناقد بين مفاهيم الجاحظ والاصفهاني والثعالبي وياقوت الحموي وأبي هلال العسكري وابن قتيبة وابن سناء الملك وطه حسين والعقاد ومحمد مندور ومارون عبود أم يحاول ان يشق لنفسه طريقاً بكراً بين مناهج النقد ومذاهب الشعر والأدب؟

انني ازعم ان النقد الأدبي يعتمد على الذوق والحاسة ، وهو علم وفنّ في آن واحد : فهو علم من ناحية تدقيقه للنصوص ودراسته للأدب والأديب وتشبثه بثقافة عميقة الجذور واسعة الافق . وهو فن من ناحية اعتزازه بالملكة والموهبة وشعوره بالتيارات النفسية وبصره بمطالب العصر القائمة على تقاليد تمتّد اصولها في الزمان والمكان .

لا يطلب من الناقد الأدبي ان يجاري الذوق السائد ويبرز معالمه بقدر ما يطلب منه ان يكون فاهماً ومقيّماً وموجهاً . ليس للناقد ان يأخذ وظيفة الحكم او القاضي بين الشعراء والأدباء فيجلس مجلس النابغة الذبياني في سوق عكاظ ليقضي بتفضيل هذا الشاعر او تلك الشاعرة .

واذا صحّ للناقد ان يكون قاضياً في خصومات الادب فيحسن به ان يكون كعارفة العشائر . قال الاستاذ عباس العزاوي في الجزء الاول من كتابه «عشائر العراق» :

سألت حسن ابن عامود عارفة قبيلة شمّر : هل تقرأ وتكتب؟

- لا .

- كيف تقضي بين الناس؟

- كان آبائي واجدادي عوارف ، وكنت اشاهد قضاياهم وأسمع ما حكموا به وتناقلوه . وانا انظر في القضية ، وعندي قلب واع ، فماذا تريد وراء هذا؟

وعلق العزاوي على ذلك قائلاً :

وكأنه يقول : عرفت تأريخ الخصومات والعرف ممّن سبقني ، وأدقق المسألة

الموضوعة على بساط البحث ، ولي بصيرة وادراك .

وآفة النقد بعد ذلك الجمود ، فالنقد يتطلب سعة الافق وانفتاح الذهن . ولكم سمعت رجالاً لهم مكانتهم يقولون : قد انتهى الشعر بالمتنبي او شوقي ، فلا يقرأون بعد ذلك لشاعر كأن ينابيع العبقرية قد غاضت وجفّت . ان هؤلاء وامثالهم مصابون بداء التحجر وانهم ليحرمون انفسهم متعاً ذهنية جميلة . فلينظروا الى الجديد وليعاودوا قراءته مرة بعد اخرى ، وانا الكفيل بأنهم يجدون لذة لم يعهدوها من قبل ويعثرون على كنز يضيفونه الى الكنوز الادبية التليدة .

ان الاجيال الطالعة في ارجاء البلاد العربية قد ابتدعت الحاناً حريّة بالسماع وغزت آفاقاً تشرق بالنور والحياة . ولئن كانت اساليبها في بعض الاحيان تبدو غير مألوفة ومعانيها جريئة تخرج على القواعد الثابتة ، انها تتّسم بسمات العصر الحديث وتماشي منطق التغيّر والتطور ، وعلينا ان نتقبلها بصدر رحب واذن صاغية وان نحاول عزل غثها عن سمينها وزبدها الذي يذهب جفاء عما ينفع ويبقى . وتلك وظيفة النقد الأدبي البنّاء الذي يتحلى بالطبع الاصيل والحاسة المرهفة والثقافة الانسانية الشاملة .



أعلام الأدب

النثر

الآداب

التأريخ

الدراسات الجامعية

محمود شكري الألوسي

ترجمت لمحمود شكري الألوسي في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث» الذي نشرته وزارة الاعلام في بغداد سنة ١٩٧١ . ولما كان هذا الكتاب نادر الوجود ، وبالنظر الى مقام الامام الألوسي السامي ، فقد آثرت اعادة اثبات سيرته في هذا الكتاب .

العالم البحاثة الذي أحيا سنّة جده شهاب الدين محمود الألوسي وضرب مثالاً سامياً في الزهد والقناعة والتجرّد للعلم . وهو محمود شكري بن عبدالله الحسيني الألوسي .

كان جدّه ابو الثناء محمود (١٨٠٢ - ١٨٥٤) صاحب التفسير المعروف بـ «روح المعاني» ، و«نشوة الشمول» و«نشوة المدام» و«غرائب الاغتراب» والمقامات ، مفتياً لبغداد من ١٨٣٣ . وقد ولد محمود شكري في بغداد في ١٢ آيار ١٨٥٧ ، وعكف على تحصيل العلوم منذ صباه ، ودرس على أبيه . وتوفي الاب ومحمود في السابعة عشرة من عمره ، فكفله عمه نعمان خير الدين (١٨٣٦ - ١٨٩٩) واشرف على تهذيبه وتدريسه . وكان من أساتذته الشيخ عبدالوهاب النائب والشيخ اسماعيل الموصلي والشيخ عبدالرحمن القره داغي . ثم اشتق من نفسه لنفسه - كما قال محمد صالح السهروردي - طريقة في ضروب التحصيل والتعليم والتهذيب والتفهيم ما لم يسبقه اليها أحد من جلّة العلماء حتى توسّع في العلم وتفقّه في الادب وضرب فيهما بقوس صائب لم يخطئ الهدف . وأضاف السهروردي قائلاً بأنه صار بكثرة اشتغاله وبعد توسعه شيخ المعارف وامامها والآخذ بيده زمامها .

انصرف محمود شكري الى التدريس والتأليف . فصار يدرّس الطلاب في داره وفي جامع الحيدرخانة ، وبعد ذلك في جامع السيد سلطان علي . ولما توفي ابن عمه السيد علي علاء الدين سنة ١٩٢٢ خلفه في التدريس بمدرسة جامع مرجان ، واستمّر على ذلك الى وفاته .

وضع كتابه «بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب» وقدمه الى لجنة اللغات المشرقية في استكهولم عن طريق المستشرق الكونت كارلو دي لاندبيرغ الممثل

السياسي والقنصل العام لدولة السويد والنرويج في القاهرة، فنال جائزة التقدير مشفوعة بوسام ذهبي من لدن الملك اوسكار الثاني رئيس اللجنة الفخري في ايلول ١٨٨٩ .

وقدم بغداد والياً سنة ١٨٨٩ سرّي باشا الأديب الكاتب فقرّب محمود شكري اليه وأناط به تحرير القسم العربي من جريدة «الزوراء» الرسمية . لكنه تعرض للمحنة بعد عدة أعوام في عهد الوالي عبدالوهاب باشا الألباني من جراء عطفه على الوهابيين، وهو العالم السلفي المترسم خطى ابن تيمية وابن قيّم الجوزية والمناهض للبدع والأوهام . وكانت الحكومة العثمانية تحارب ابن سعود والوهابية آنذاك، فصدر الأمر بنفي محمود شكري الى الاناضول مع ثابت الألوسي وحمد العسّافي، وذلك في آذار ١٩٠٥ . فلما مرّوا بالموصل هبّ أهلها لنصرتهم والشفاعة لهم، فأذن لهم بالعودة الى بغداد معزّزين مكرّمين .

اشتهر من تلامذة الألوسي في تلك الآونة معروف الرصافي الذي لازمه سنين طويلة ومدحه وهنأه بأول أشعاره . وقد لقبه استاذه الألوسي بـ «الرصافي» معارضة لاسمه بمعروف الكرخي . ومما قاله الرصافي في مدحه وتقريظ كتابه «أخبار بغداد» :

آثار محمود شكري دام يشكرها ... بين الورى حاضر الأقوام والبادي
قد أصبحت، وهي بعض من مناقبه، ... عدّ الكواكب لاتحصى بتعداد
أسفار علم بدت كالصبح مسفرة ... عمّا له من مدى علم وارشاد
قد أسفر اليوم سفراً في صحائفه ... للناس أسفر عن أحوال بغداد

وقدم بغداد المستشرق الفرنسي الشاب لويس ماسنيون سنة ١٩٠٧ فلازم محمود شكري وأفاد منه، وأثنى عليه بعد ذلك فقال إنه يبطن اخلاصاً ومودة لا مثيل لهما لأصدقائه وعشرائه تحت مظهر خشن وعنجهية بدوية . وممن صاحبه وأفاد منه ايضاً الاب أنستاس ماري الكرملي .

ودعاه الوالي أحمد جمال بك (جمال باشا بعدئذ) الى عضوية مجلس ادارة ولاية بغداد سنة ١٩١١ . ثم نشبت الحرب العامة فانتدبته الدولة العثمانية لمقابلة أمير نجد آنذاك عبد العزيز آل سعود في وفد قوامه علي علاء الدين الألوسي ونعمان الاعظمي والضابط العثماني بكر بك . وقد شدّوا الرحال الى الديار النجدية في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٤ عن طريق سورية والحجاز، فبلغوا الرياض واجتمعوا بالأمير وحادثوه في نصرة الدولة، لكنه اعتذر بوضع بلاده الخاص الذي يحول دون اشتراكه في الحرب .

عاد الألوسي وصحبه عن طريق الشام ايضاً واجتمعوا فيها بجمال باشا . ثم اعتكف بداره في بغداد، حتى اذا ما احتلها الانكليز، عرضوا عليه منصب القضاء فرفضه بإباء

وشمم على الرغم من حاجته وضيق ذات يده . ورفض بعد تأليف الحكومة العراقية كل المناصب التي عرضت عليه كالقضاء والافتاء ورئاسة مجلس التمييز الشرعي .

ولازمه في سنيه الأخيرة تلميذه محمد بهجت الأثري الذي حقق كتبه المخطوطة ونشرها بعد وفاته ، وألف فيه وفي أسرته كتابه «أعلام العراق» . وقد انتخب محمود شكري عضواً بالمجمع العلمي العربي في الشام . داهمته الأمراض في كبره فتوفي في بغداد في ٦ آيار ١٩٢٤ . وندبه الرصافي بقصيدتين اولاهما «واشيخاه» :

أزمعت عنّا الى مولاك ترحالا	لما رأيت مناخ القوم أوحالا
رأيتنا في ظلام ليس يعقبه	صبح فشمّرت للترحال أذيالا
كرهت طول مقام بين أظهرنا	بحيث تبصرنا للحق خذّالا
ولم ترق نفسك الدنيا ، ونحن بها	لسنا نؤكد بالأفعال أقوالا
وكيف تخلو لذي علم اقامته	في معشر صحبوا الأيام جهّالا
لذاك كنت اعتزلت القوم منفرداً	حتى أقاربك الأدنين والآلا
وما ركنت الى الدنيا وزخرفها	ولا أردت بها جاهاً ولا مالا
لكن سلكت طريق العلم مجتهداً	تهدي به من جميع الناس ضلّالا

والثانية «في موقف الأسى» قال في مطلعها :

لمن تركت فنون العلم والادب ،	أما خشيت عليها من يد العطب؟

قال يوسف أسعد داغر في الجزء الثاني من كتابه «مصادر الدراسة الأدبية» : «نادى بتطهير الدين من الأوضار التي غشيته وحمل على أهل البدع في الاسلام ، فعاداه كثيرون ووشوا به لدى الباب العالي ، فأمر بنفيه . إلا انه لم يلبث أن أعيد الى بغداد بعد أن توسط له عند السلطان عبدالحميد جماعة دحضوا ما حاول الوشاة رميه به من التهم» .

مؤلفاته

وضع محمود شكري الألوسي ٥٢ مؤلفاً من كتاب ورسالة ، أهمها : بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب في ثلاثة أجزاء (طبع لأول مرة في بغداد سنة ١٨٩٦ ، ثم طبع ثانية في مصر باشراف محمد بهجت الأثري سنة ١٩٢٤/ ١٩٢٥) ، تأريخ نجد (١٩٢٥) ، عادات العرب في جاهليتهم (١٩٢٤) ، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر (١٩٢٣) ، أخبار بغداد (في ٣ أجزاء طبع منها الجزء الثاني : المسك الاذفر في تراجم علماء بغداد في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، ١٩٣٠ ، والجزء

الثالث : تأريخ مساجد بغداد وآثارها ، ١٩٢٨) ، الأسرار الالهية (١٨٩١) غاية الأماني في الردّ على النبهاني (١٩٠٩) ، فتح المنّان (١٨٩١) .

وله ايضاً : أمثال العوام ، رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين ، بدائع الانشاء ، عقد الدرر ، لعب العرب (١٩٠٨) . وقد صنف عدا ذلك كتباً ورسائل في دحض البدع والخرافات وفي التأريخ ومصطلح الحديث واللغة والعروض وهلم جرّاً .

محمد فهمي المدرّس

الكاتب العراقي الكبير محمد فهمي المدرس ولد في بغداد سنة ١٨٧٣ وتوفي بها في ١٤ آب ١٩٤٤ ، وقد أسهبت في ترجمته في «أعلام اليقظة الفكرية» . كان في العهد العثماني مديراً لمطبعة الولاية في بغداد وجزيرة رودس ورئيس تحرير جريدة الزوراء الرسمية واستاذاً في جامعة دار الفنون في استانبول . أما في العهد الوطني العراقي فكان كبير أمناء الملك فيصل الاول وأمين جامعة آل البيت ومدير المعارف العام .

قيّم الدكتور يوسف عز الدين أسلوب فهمي المدرس فقال انه امتاز بالجزالة وقوة العبارة وايراد الأمثلة من التأريخ والاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي . وقال ان بيان المدرس امتاز بالاشراقة الجميلة والتراكيب السهلة التي تتلألأ في ثناياه كلمات مختارة وعبارات أصيلة من أثر دراسة الأدب القديم وتدريسه .

وقال كامل الجادرجي في «أوراقه» :

«لم أرَ شخصاً يرتجل النكات اللاذعة والمستظرفة على مستوى رفيع كالاستاذ فهمي المدرس ، كما اني لم أرَ كاتباً سياسياً مثله يتعمق فيما يكتبه ويمحصه تمحيصاً دقيقاً ، بحيث يزن كل كلمة فيما تتطلبه اللغة والمعنى ودرجة تأثيرها النفسيّ على الجماهير . لذلك جاءت مقالاته المشهورة التي كان يكتبها في حقبة الثلاثينيات آية في الابداع ، فكان كلّ منها يهزّ السلطة - على طغيانها - هزاً عنيفاً ، وكان في الواقع مسماراً يدقّ في نعش ذلك العهد» .

ثم قال ان شخصية المدرس فذّة قلّما يجود الزمان بمثلها ، جمعت الذكاء الحادّ والعواطف الجيّاشة والكفاءات الممتازة والخبرة الواسعة في مجالات الحياة والاخلاص في العمل والوطنية الديناميكية التي لا تعرف الكلل ، بجانب الجاذبية الساحرة التي لا يفلت منها انسان .

أعجب فهمي المدرس بكمال أتاتورك ونهضته فدبّج المقالات يشيد بأعماله ويطنب في وصف تركية الحديثة وتقدمها . قال : «لم يشهد التأريخ في جميع أدواره انقلاباً تناول جميع مناحي الحياة ، سياسية وادارية واجتماعية وأدبية وعلمية واقتصادية في آن واحد ،

وسار على خطّ مستقيم لا عوج فيه ولا التواء ، وأقبلت عليه النفوس وتغلغل في أنحاء المملكة ، وتخلّل طبقات المجتمع على اختلاف العناصر والمذاهب والأديان وعلى تباين العقول والأفهام في عشر سنوات ، حاملاً راية الفوز والنجاح في كل صفحة من صفحات التجدّد والاصلاح ، وهو محفوف بأنواع العوارض والعقبات ، حتى قبض الغازي كمال باشا على ناصية النهضة التركية وقام بذلك الانقلاب الخطير الذي وقفت عنده دهاة العالم وساسة الأمم ، فكان أعظم حجّة على مواهب الشرق .» .

وذكر وثبة كمال أتاتورك لانقاذ تركية من عواقب اندحارها في الحرب العظمى الأولى واستخلاصه حقوقها الوطنية والغاء السلطنة واعلان الجمهورية . ثم أشار الى قضائه على الأساطير والخرافات التي كانت تقف عقبة كأداء في سبيل تقدم البلاد ورقيّها ، واصطناعه القبعة الأوروبية بدلاً من الطربوش اليوناني ، واتخاذه الحروف اللاتينية بدلاً من العربية ، وتعليم الأميين ، ورفع مستوى الجيش ، وتأسيس المصانع ، وتشييد المعاهد العلمية ، وتشجيع المنتجات الوطنية ، وتوسيع نطاق التجارة والزراعة ، وجعل المصالح الاقتصادية في أيدي أبناء الوطن . وعدّد سائر الأعمال النافعة التي أتمّها الرئيس التركي في بحر أعوام قليلة لخير البلاد ورفاهة أهليها .

ولما مات أتاتورك سنة ١٩٣٨ رثاه أبلغ رثاء مثنياً على خدماته الجليلة لبلاده .

فهمي المدرّس وسبب نقله الى جزيرة رودس

حدثني ثقة من المعمّرين ان سبب نقل فهمي المدرس الى ادارة مطبعة الحكومة في رودس - او بالأحرى نفيه من بغداد - في تشرين الأول ١٩٠٥ هو ان جريدة «الزوراء» صدرت في عيد جلوس السلطان عبد الحميد الثاني تحمل الى الخليفة العثماني في صدر صفحتها الأولى التهانئ والتبريكات . وقد وقع خطأ مطبعي في التهنئة ، فجاءت كلمة «السلطان بن السلطان» بسقوط حرف اللام أي «السطان ابن السطان» . وأوخذ فهمي المدرس فأثبت انه لم يكن مسؤولاً عن ذلك الخطأ الذي يمسّ لقب السلطان الأعظم ، فقبل اعتذاره واكتفي بإبعاده الى جزيرة رودس النائية ، ثم أعيد الى وظيفته في بغداد بعد سنة واحدة .

وجدير بالذكر ان عيد جلوس السلطان عبد الحميد يقع في ٣١ آب ، وأن جزيرة رودس ظلّت تابعة الى الدولة التركية حتى احتلتها ايطالية سنة ١٩١٢ . وكانت عادة السلطان عبد الحميد ان ينفي الموظفين الذين يغضب عليهم الى أماكن نائية من سلطنته : فقد أبعد الشاعر الحرّ ولي الدين يكن الى سيواس حيث قضى سبع سنوات

حتى أعلن الدستور سنة ١٩٠٨ فعاد الى الآستانة ومنها الى مصر . وقد قال في منفاه :

رضـــيت ســـيـــواس داراً ... ومـــا بســـيـــواس شـــرٌّ
جنوا عليـــهـــا فـــأمـــست ... قـــد أقـــفـــرت ، فـــهي قـــفـــر

نهضة الشرق

من قصيدة لفهمي المدرّس نشرت في جريدة «البلاد» في ٢ كانون الأول ١٩٢٩ بتوقيع «حارث» .

المطلع :

مـاذا يحـاول من يعـادي «المـعـهـدا» ... والشـرق أصبح ثائراً مـتـجـدّدا؟
في كلّ قطر منه قـام مـجـدد ... دكّت عـزائمـه الجـبـال الركّـدا
يطوي السنين بملحـة فـيـريك من ... عـهـد التـجـدد كلّ يوم مـشـهـدا
للمـصلحـين الشـائرين بأرضـه ... عـزم أبي الا المـجـرّة مـقـعـدا
لا يهـجع الشـرق الجـديد ولا يني ... في عـزمـه حـتى يعـيد السـؤددا...

ثم قال :

يا صـرح آل البـيت فـيك قـد انطوى ... للمـجـد دهر ثم دهـر للردى
مـجـد عناصـره إذا حلّلتـهـا ... تجـد المـهنّد والنّهى والعـسـجـدا
كـالنسر حلّق في الفـضـاء ، ومـاله ... وكـر سوى التـيجـان راح او اغـتـدى
والشـمس مـا طلعت على عـرصـاته ... إلا اكـتـست ثوب الفـخـار مـجـدّدا
مـجـد أبى الا الحـسـام مـعـاهداً ... وأبى بغـيـر الحقّ ان يتـعـهّـدا
مـجـد بذرّات الأثيـر تلألأت ... صـفـحـاته ، وسنا عـلاه توقّـدا
لـو كـان للانسـان علم كـامل ... لـرآه في طبـقـاته مـتـجـسّـدا
ولشـاهد التـأريخ في أدواره ... من كلّ مـا يحـويه يعـرض مـشـهـدا
جـمـعت مناظره تفـاصـيل العلى ... عـمّن بنى الحـسب الرفـيع وأخلدا
عـمّن إذا نفـروا سـمـعت زئيـرهم ... يدوي بأقـصى المـشـرقـين له صـدى
عن تبّع ، عن حـمـيـر ، عن يعـرب ... عن عـاد ، عن قـوم تساووا مـحـتـدا
عن عـرش هارون الرشـيـد ، عن الألى ... رصـفـوا المـقـاعـد لؤلؤاً وزبرجـدا
رفـعـوا منار العلم في أعلى الذرى ... والغـرب من ذاك المنار اسـتـوقـدا
كفّ على (اورال) تبني مـعـقـلاً ... ويـد على (أفـريق) تـرفع مـرصـدا
قـدم بأرض الصـين أحكم أمـرها ... وعلى أديم الغـرب أخـرى وطّدا

فالشرق إن نادى له بسياسة خفقت بقلب الغرب اعلام الهدى
وإذا دوى في الأرض صوت مجاهد ردّت عليه الشمس أنّى ردّدا

ومنها :

كلّ الشعوب تحررت من رقّها إلا ابن يعرب لا يزال مقيّدا
ما كان حقاً ، يا ابن خير أرومة ، في عقر دارك ان تكون مصفّدا
ولقد ورثت ، وأنت أول وارث ، مجداً أقام الخافقين وأقعدا
ثلّت عروش دونه وأسرّة والناس حول العرش خرّوا سجّدا

الخ...

تحدث الدكتور يوسف عز الدين في كتابه «فهمي المدرس : من رواد الفكر العربي الحديث» فقال ان المدرس كان ذا قابلية مبدعة وقدرة على التعبير . وأسلوبه مشرق واضح العبارة ، متين الأداء ، سهل التراكيب ، سالم من وصمة العجمة ، بعيد عن الركة ، وذلك نتيجة دراساته الأولى وحفظه القرآن الكريم مما اكسبه هذا المضمون النثري المتين والأسلوب الشاعري الجميل . وقال ان من ملامح أسلوبه الواضحة طريقة الكاريكاتور ، فهو يرسم صوراً لاذعة ويصور الأحداث بسخرية جميلة ويصف حوادث الحياة السياسية المعاصرة بتهكم لاذع مرير .

اما المواضيع التي طرقها فيقول الدكتور يوسف عز الدين انها تتناول احداث العراق والعالم . فكتب في قضايا السياسة الداخلية والوحدة العربية والوطن العربي وفلسطين والتعليم والمجتمع وقضايا الشعب بصورة عامة .

نماذج من نثر فهمي المدرس :

حق الشعب في محاسبة رجال الحكومة

يحقّ للشعب ، بل يجب عليه ، ان يطالب رجال العمل بالصدق والاخلاص ، إذا كان من الشعوب التي تسيطر على الحكومة وتراقب أعمالها ، وتحاسب وتثيب وتعاقب . وليس له ذلك إذا كان من الشعوب المغلوب على أمرها ، لا رأي له في مقدراته ولا ارادة له في تصريف شؤونه ، وليست له قوة تمكنه من الحساب والعقاب ، وقد أهمل حقوقه اهمالاً أدّى به الى أن يعيش عيشة المحجور ، قانعاً ببلغة يتناولها من أيدي أوصياء ليست بينه وبينهم صلة لا في النسب ولا في الدين ولا في اللغة ولا العرف ولا الاقليم .

النبوغ العراقي

... العراق أول المدعين والمخترعين ، وهو الذي فاجأ العالم بالساعة العجيبة المتحركة بالماء التي أعدّها هرون الرشيد الى شارلمان ملك فرنسة وامبراطور الغرب قبل ١١٦٧ عاماً ، فوقعت لديه ولدى سائر الغربيين موقع الدهشة والاستغراب مع غيرها من نوادر الصنعة وعجائب الفن التي حلت من لدنه محل الغبطة والعناية يوم كان العراق يتمتع بحرية العلم والعمل ، يوم كان محطّ الرحال لقصّاد العلم من مشارق الأرض ومغاربها .

اما ماضيه المنحدر من صلب حامورابي الى عهد الرشيد فتلك آثاره ماثلة في المتاحف ، راسخة في مفكرة علماء الآثار ، مثبتة في تأريخ العلوم والفنون والصنايع ، من بعض الكنوز المستخرجة من أور ونينوى وبابل ، من جملتها النحت والتنزيل والتلوين الثابت على ممرّ الدهور ، وفنّ الهندسة التي اقتبسها الغرب . والعراق مهد الحضارات ، ومنها حضارة السومريين التي سبقت مدنيات الأمم بكثير ، فازدهرت بالفنون الراقية وأساليب النجارة القويمة قبل حكم الفراعنة في وادي النيل . والسومريون أقدم شعب عرفه التأريخ بنظامه الاجتماعي . وبقايا الأطلال تمثل ثقافات متعاقبة امتازت بملوكها وكهانها وأديانها وقوانينها . واما بغداد فقد كانت ينبوعاً يتفجر منه العلم والحكمة والنور في العصور المظلمة . وأشهر مدينة في الشرق ، ومن معاهدها المدرسة النظامية التي بناها نظام الملك (قوام الدين الطوسي) وفتحها سنة ٤٥٩ هـ قبل جامعة كمبرج واقسفورد والصوربون ، وقبل جامعة بولونيا وجامعة ساله رن الطليانية التي هي أقدم جامعة في أوروبا .

ذلك غابر العراق في مختلف الادوار وهذا حاضره المغلوب فيه على أمره مهما حاول التدليل على قابليته للنهوض . والماضي قوة يستمد منها الحال ، والحال قوة المستقبل ، ومن لا حال له لا استقبال له (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلا) .

المثل الأعلى : مدحت باشا

كتب فهمي المدرس فصلاً طويلاً عن مدحت باشا الوالي المصلح والصدر الأعظم الذي وضع الدستور العثماني وخلع السلطان عبدالعزيز . اتخذه مثلاً أعلى للحكم الصالح ، وقال : «قد تلد الأرحام في مئات السنين دهاء تتلاشى دونه العظائم وتذوب أمامه الصعاب ، ويستوي عند صاحبه الموت والحياة ، فيحتقر اللذائذ ويركب الأخطار

ويأتي بالخوارق والمعجزات ، فمن تكييف وتجديد وايقاظ الى تكوين وانهاض واسعاد ، يحاسب على الأنفاس المعدودة ، ومن نفسه عليه رقيب عتيد... فلا تستهويه الشهوات ولا تغرّه السمعة ولا تخامر عزائمه المنّة . يقنع بالبلغة من العيش ، لا يريد جزاء ولا شكوراً . يأتمر في عقله الرزين ويستشير ضميره الطاهر . ولا يخضع لغير الحق والعدل ، فيبعث من الأموات أرواحاً تصارع الأقدار . ذلك هو المثل الأعلى وذلك هو مدحت باشا ابو الأحرار» .

الاختصاص ونهضة الشعب

... يجب علينا جميعاً ان نفهم ان الاختصاص لا يتحقق في كل عمل بمجرّد اللقب والعنوان . ومعنى الاختصاص قصر العلم على موضوع واحد لا الاحاطة بجميع ما في الدنيا من مواضيع . فتلك لا تتيسّر لأحد ولو كان عفريتاً من الجنّ (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) .

فلنعتصم بالحق ونستشعر الحزم ولا نعتمد إلا على انفسنا ، والله معنا ، وكل آت قريب . وبهذه الخطة وحدها نستحق الرحمة لا اللعنة من أحفادنا ، ونكون قد خففنا عن عاتق الحليفة (بريطانية) عبء الاستشارة ، وظهرنا بمظهر الكفء بين اصدقائنا وجيراننا ، ونلنا حريتنا الحقيقية واستقلالنا الصحيح .

ولا أريد ان اكشف عن النقائص والمعايب التي شجعت الغريب على الامتهان والاحتقار . وإذا كنا نحتقر انفسنا فلا عتب على الغريب ولا ملام ، وعار على شعب يخضع للجهل ويستسلم للمسكر - على علم منه - وهو على اصلاح حاله ، إذا شاء ، قدير (ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم) .

ولعلنا أنّا بذلك الخضوع وبذلك الاستسلام اصبحنا غرباء في أوطاننا وفي عقر دارنا ، وأصبح كل غريب مهما كانت جنسيته حاكماً فينا وكلمته هي العليا وكلمتنا هي السفلى ، حتى فقدنا الارادة وحرية الاختيار ، وفقدنا معهما ما كنّا نتجمّل به من الفضيلة ومكارم الاخلاق وعزّة النفس . وتمكنت من نفوسنا أفانين العداوات على حساب غيرنا ومصلحة غيرنا ، وأصبحت المنكرات من شعارنا والأوبئة الفتاكة علامة فارقة لنا ، وأنى توجهنا حجر علينا . وذلك هو التفسّخ ، وما بعد التفسخ إلا الانقراض .

ماذا يجب علينا؟

ولو عقلنا لكنا يداً واحدة على مصالحنا المشتركة لا أداة لنكاية بعضنا ببعض ،

وسلماً لتفريق الشمل و تمزيق الوحدة ، وكفتنا الأيام عظة وعبرة ، وعلمتنا ان الذي يصيب زيداً يتناول عمراً خيراً كان او شراً ، وأن من ضحك على غيره اليوم يضحك غيره عليه غداً .

والماضي يحفظ لهذا الشعب من مناقب الشمم والاباء والغيرة والشهامة وعظمة النفس ما نسجت على منواله الأمم واتخذته شرعة ومنهاجاً .

محمد سعيد مصطفى الخليل

من فضلاء بغداد وظرفائها محمد سعيد آل مصطفى الخليل ينتمي الى أسرة معروفة تتصل بآل الطبقجلي وينتهي نسبها الى السيد خليل الحموي ابن السيد اسماعيل مفتي بغداد .

ولد ببغداد في نحو سنة ١٨٥٧ ، ودرس على نعمان خير الدين الألوسي وعباس حلمي القصاب ، وكانت له صحبة طويلة مع محمود شكري الألوسي وعبد الوهاب النائب وعبد اللطيف ثنيّان وعبد المجيد الشاوي .

عيّن واعظاً بجامع حنّان في جانب الكرخ ، وألف كتاباً في الأمثال البغدادية وآخر في اللغة العامية ، وكلاهما مخطوط . وأدركه الحمام في مسقط رأسه في ٦ كانون الأول ١٩٢٧ .

ذكره جلال الحنفي في الجزء الأول من كتابه «الأمثال البغدادية» (١٩٦٢) فقال انه اشتهر بتتبّع أمثال العامة وتخريج ألفاظهم ، وكان يعنى بمقابلتها على النصوص القرآنية . ولم يطّلع الحنفي على مجموعة له في هذا الموضوع .

وقال ابراهيم الدروبي في كتابه «البغداديون أخبارهم ومجالسهم» : «كان صاحب ملح ونكات ولطائف ، اشتهر بذلك حتى صار فاكهة مجالس بغداد العلمية وبلبل محافلها الصادح ، لا يأنس ذوو البيوتات إلا بحديثه ولا يطيب للندماء والجلساء إلا مجلسه . وقد حفظ الناس له كثيراً من أخباره ونخبة من لطائفه وظرائفه ومداعباته . وكان يرتدي لباس العلماء الجبة ويضع على رأسه العمامة الخضراء شتاءً والبيضاء صيفاً . وكان أسمر اللون طويل القامة ذا لحية كثّة بياضها غلب سوادها ، عاش اكثر من سبعين عاماً… وقد عيّن واعظاً في جامع الحنّان لالقاء دروس الوعظ في شهر رمضان من كلّ سنة . وكان محبوباً عند الكرخيين فتجتمع اليه الناس في المسجد المذكور لسماع وعظه لما يتخلله من الظرائف والنكات والحكايات المضحكة» .

وقد حدثني عباس العزاوي انه كان يدرس على محمود شكري الألوسي في جامع مرجان ، فجاء محمد سعيد مصطفى الخليل وقال للأستاذ : «كنت الآن في سوق

الشورجة المجاور فرأيت الباعة يبعيون الفاكهة (كوطرة) ، فهل تعلم أصل هذه الكلمة العامية؟) .

قال الألوسي : «لا بد ان تكون من الدخيل الفارسي او التركي» .

فقال محمد سعيد : «بل هي من الفصيح ، وأصلها من بيع القَطَر (بفتحتين) ، وهو ان يبيع الرجل الحبوب او الفواكه جزافاً بلا وزن» .

وسئل عباس العزاوي ان يأتي بالقاموس ، فإذا به يؤيد كلام الرجل . وانطلق هذا يداعب الألوسي دعابة قاسية وينكر عليه معرفته للعربية ومفرداتها ، معتمداً على ما كان له من دالة وما كان بينهما من مودّة متصلة وكلفة مرفوعة .

وروى عبود الشالجي في كتابه «الكنايات العامية البغدادية» (بيروت ١٩٧٩) ان فتى استشار محمد سعيد مصطفى الخليل في أمر ، فقال له : عليك ان تتصرف كما قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز «لا شيش ولا كباب» . وذهل الفتى فتلا عليه الآية «ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كلّ البسط» .

ومحمد سعيد غير محمد مصطفى الخليل الذي اشترك في الحركة الوطنية سنة ١٩٢٠ ، فنفي الى البصرة وسجن فيها أمداً ثم أشخص الى جزيرة هنجام في الخليج العربي حيث بقي الى شباط ١٩٢١ . وكان بعد ذلك مدير البلدية الثالثة في بغداد (جانب الكرخ) سنة ١٩٢٢ .

ساطع الحصري

فيلسوف القومية العربية ومؤرخها ، سوريّ الأصل ، يمانيّ المولد ، درس في تركية وعمل في سورية ، العراق ومصر ، فكانت حياته تجديداً لحياة العربيّ القديم الذي كان موطنه يمتدّ من المشرق الى المغرب بلا فواصل ولا حدود ، يرتحل فيه ويقيم أينما شاء ، ويؤلف ويعمل حيثما يكون .

وهو مصطفى ساطع بن محمد هلال بن السيد مصطفى الحصري العلويّ النسب ، درس والده في الجامع الازهر وعاد الى حلب ، مسقط رأسه ، فعيّن قاضياً في دير الزور وحماة ورئيساً لمحكمة الاستئناف في اليمن ، حيث رأى ولده ساطع نور الحياة .

وكان أخو ساطع : بديع نوري بك (المولود ١٨٧٦) متصرفاً للواء الناصرية ، وقد اغتيل في البصرة في ٢٠ حزيران ١٩١٣ مع الزعيم فريد بك آمر موقع البصرة . كان بديع نوري من الكتاب المعروفين في تركية نشر البحوث والمقالات في المجلات والصحف ، تخرّج في المدرسةالملكية الشاهانية ، وتولّى منصب القائممقامية في أقضية مختلفة ، ثم كان مديراً للتحرير في ولاية أدرنة واستانبول ومدير بلدية فاتح ، وعيّن بعد ذلك متصرفاً للناصرية .

ولد ساطع الحصري في صنعاء اليمن في ٥ آب ١٨٨٠ ، وتنقل مع والده في أرجاء الدولة العثمانية من آطنة وأنقرة وطرابلس الغرب الى اليمن ثانية فقونية وطرابلس الغرب حيث عيّن الأب رئيساً لمحكمة استئناف الجزاء . وانتمى ساطع الى المدرسة الملكية الشاهانية ، فتخرّج فيها سنة ١٩٠٠ وعيّن معلماً في يانيا باليونان حيث بقي ٥ سنوات . ثم عيّن قائممقاماً لقضاء رادوشتة بولاية قوصوة في بلغارية (١٩٠٦) فقضاء فلورينة بولاية مناستر (قرب الحدود اليوغسلافية اليونانية) . وكان في شبابه مشايعاً لحركة تركية الفتاة .

وأعلن الدستور سنة ١٩٠٨ فانتقل الى سلك التعليم وعيّن مدرساً في المدرسة الشاهانية ودار الفنون . وعهدت اليه سنة ١٩٠٩ ادارة دار المعلمين في استانبول ، وأصدر مجلة «دار الفنون» باللغة التركية (١٩١١) . وتولى تنسيق «دار الشفقة» واصلاحها . وأسّس في بداية الحرب العظمى مدرسة حديثة للمعلمات وللاطفال .

ولما انتهت الحرب العامة وانفصلت البلدان العربية عن جسم الدولة العثمانية الهرمة ، ترك استانبول الى سورية (١٩١٩) ، فعيّن مفتشاً عاماً للمعارف السورية (١٦ نيسان ١٩١٩) فمديراً عاماً لها (اول آيار ١٩١٩) فوزيراً للمعارف من ١٠ آذار الى ٢٧ تموز ١٩٢٠ . وسافر مع الملك فيصل الى أوربّة ، ثم عاد الى مصر .

واستدعي الى العراق بعد تأسيس الدولة ، فجاء الى بغداد وقضى فيها ٢٠ عاماً كانت أحفل أيام حياته . عيّن في بادئ الامر معاوناً لوزير المعارف (٥ آذار ١٩٢٢) فمديراً عاماً للمعارف (١٧ كانون الثاني ١٩٢٣) . وزار الاندلس في صيف سنة ١٩٢٦ فتفقّد معالمها واطّلع على الآثار العربية الباهرة في اسبانية . ونقل استاذاً بدار المعلمين العالية (اول آب ١٩٢٧) فمراقباً عاماً للتعليم (اول تشرين الاول ١٩٣١) فرئيساً لكلية الحقوق (٢٢ كانون الاول ١٩٣١) . وتولّى مديرية الآثار القديمة العامة علاوة على رئاسة كلية الحقوق (١١تشرين الاول ١٩٣٤) ، ثم تخلّى عن رئاسة الكلية ليصبح مديراً عاماً للآثار ومدير التربية والتدريس العام (١٦ ايلول ١٩٣٥) . وفي ١٢ ايلول ١٩٣٦ ترك مديرية التربية والتدريس العامة وانفرد بمديرية الآثار العامة الى ١١ حزيران ١٩٤١ .

واخرج من العراق في هذا التأريخ ، بعد أن جرّد من منصبه وجنسيّته . لقد خدم العراق بحبّ واخلاص ، وضع أسس التدريس ونشر التعليم وأنشأ المدارس ووسّع المعارف في المملكة الناشئة ، وقد قصّ كلّ ذلك في جزءي مذكراته عن العراق . لكنه لم يستطع فهم العراقيين ولم يحاول معرفة تقاليدهم وافكارهم واختلاف طبقاتهم وفئاتهم ، ورأى نفسه أعلم منهم واوسع ثقافة واكثر خبرة ، فمضى يؤسس دواوين معارفهم ومدارسهم بسيطرة أبوية وترفّع العالم المعتّد بنفسه ، ولعل ذلك سبب ما زخرت به مذكراته من شعور المرارة والألم وما حفلت به من انتقاص لأقدار الرجال وازدراء لمواهبهم وآرائهم وشكّ باخلاصهم وكفاءتهم وسخرية بجهلهم وضعفهم .

ومهما يكن من أمر ، ومهما يكن من قسوة في تجريد الرجل العالم العامل من عمله ووطنه الذي تبنّاه ، في ظروف عصيبة لا تفسح المجال للتسامح والتهاون ، فان العراق حفظ لساطع الحصري الإلّ والذمّة ، ورعى له الودّ والاكبار ، وأحسن اليه بعد الاساءة ، ووفى حقه بعد الجحود والنكران ، وحاطه في أعوامه الأخيرة بالرعاية والاكرام والتبجيل .

غادر ساطع الحصري العراق سنة ١٩٤١ وأقام في لبنان ثلاثة أعوام . واستدعته الحكومة السورية سنة ١٩٤٤ وعيّنته مستشاراً فنياً للمعارف . ثم مضى الى مصر وألقى محاضرات في معهد التربية العالي التابع لجامعة القاهرة (آذار ١٩٤٧ – ١٩٥٠) بصفة

استاذ زائر . وعيّن سنة ١٩٤٨ مشاوراً فنياً للادارة الثقافية بجامعة الدول العربية حتى استقال في كانون الثاني ١٩٥١ . وأصبح عميداً لمعهد الدراسات العربية العالية الذي انشأته جامعة الدول العربية في القاهرة في نيسان ١٩٥٣ الى آذار ١٩٥٦ ، وبقي استاذاً في المعهد الى السنة التالية .

وتفرغ بعد ذلك للتأليف . وقد أعيدت اليه جنسيته العراقية بقانون صدر سنة ١٩٥٣ . واختير عضواً مراسلاً بالمجمع العلمي العراقي في ايار ١٩٤٩ وبالمجمع العلمي العربي في دمشق في شباط ١٩٥٥ . وعيّن استاذاً باحثاً في جامعة بغداد في تشرين الثاني ١٩٦٥ .

وقد توفي ببغداد في ٢٣ كانون الأول ١٩٦٨ .

رثاه زكي الجابر وكيل وزارة الثقافة والاعلام فقال :

يا ساطع الفكر ، أيّ الفكر اقتحمُ	وأيّ دنياك لم يهتف بها نغم؟
ربّيت جيلاً على الاخلاص يجمعهم	لون من الحبّ فيما بينهم رحم
حبّ تسامى على الألقاب تنشرها	كفّ الدخيل ، وفيها كلّ ما يصم
رياض كتبك في الآفاق ناشرة	أعرافها منطقاً بالحق يتّسم
وانها الوحدة العرباء رافعة	راياتها تزدهي في ظلّها الشّيم
انّا نسجنا لهيب النور من دمنا	ولم يطف في هوانا المضرم الندم
قصائد الحرب بالنيران مطلعها	وانّها باللظى والنّصر تختتم

مؤلفاته وآثاره

اصدر ساطع الحصري مجلات تربوية رسمية خلال توليه مناصب التربية والتعليم في تركية والعراق ، منها مجلة «أنوار العلوم» ومجلة «دار الفنون» في استانبول .

وأشرف في بغداد على اصدار مجلة «التدريسات الابتدائية» ، ثم مجلة «التربية والتعليم» (اول كانون الثاني ١٩٢٨) وقد ظهرت ثلاث سنوات .

ووضع مؤلفات كثيرة في التربية والقومية والتأريخ ، منها : فنّ التربية (جزآن باللغة التركية ، نقلهما الى العربية كامل نصري) ، أصول التدريس (١٩٢٤) مبادئ القراءة الخلدونية (١٩٢٤) ،طريقة تعليم الألفباء (١٩٢٤) ، دروس الطبيعة (جزآن : علم الحيوان ، علم النبات) ، جان جاك روسّو : حياته وآراؤه (جزآن ١٩٢٨) ، نقد تقرير لجنة منرو (١٩٣٢) ،دراسات عن مقدّمة ابن خلدون (جزآن ١٩٤٣ - ١٩٤٤) آراء واحاديث في التربية والتعليم (١٩٤٤) صفحات من الماضي القريب (١٩٤٨) آراء وأحاديث في

العلم والأخلاق والثقافة (١٩٥١) العروبة أولاً (١٩٥٥) آراء واحاديث في اللغة والأدب (١٩٥٨) حول الوحدة الثقافية العربية (١٩٥٩)، ما هي القومية (١٩٥٩)، آراء وأحاديث في القومية العربية (١٩٥١)، البلاد العربية والدولة العثمانية (١٩٥٧)، الإقليمية: جذورها وبذورها (١٩٦٣)، مذكراتي في العراق (جزآن ١٩٦٧ - ١٩٦٨)، اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية (١٩٦٦)، أبحاث مختارة في القومية العربية (١٩٦٤)، يوم ميسلون(١٩٤٧)، دفاع عن العروبة (١٩٥٧)، العروبة بين دعاتها ومعارضيها (١٩٥٢)، حول القومية العربية (١٩٦١) ثقافتنا في جامعة الدول العربية، حوليّة الثقافة العربية (ستة أجزاء، ١٩٤٩ - ١٩٦٣)، الحوليّة الخلدونية (تقويم، ١٩٢٩). آراء وأحاديث في التأريخ والاجتماع (١٩٥١)، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية (١٩٤٤)، آفات الكحول (ألفه بالتركية ونقله الى العربية طالب مشتاق، ١٩٢٣)، أحاديث في التربية والاجتماع (١٩٦٢)، الاحصاء (محاضرات ١٩٣٩)، الأخيضر (١٩٣٧)، تقارير عن إصلاح المعارف في سورية (١٩٤٤)، العرب في الحرب العالمية الاولى، في اللغة والادب وعلاقتهما بالقومية (١٩٦٦)، القومية العربية والدين الاسلامي، محاضرات في نشوء الفكرة القومية (١٩٥١) مذكرات ساطع الحصري (العهد العثماني)، الخ.

وقد زار ساطع الحصري بغداد في كانون الاول ١٩٦٢ لحضور احتفالات تأسيس بغداد وذكرى الفيلسوف الكنديّ، فقال يخاطب الجيل العربيّ الجديد:

«لا شك في أنكم ستشهدون من التبدّلات السياسية ما يفوق ما شاهدته أنا. لقد شهدت استقلال معظم البلاد العربية، وأنتم ستشهدون استقلال ما بقي منها تحت نير الاحتلال او الاستعمار الى الآن.

«لقد سعدت بمشاهدة زوال الاستعمار عن معظم البلاد العربية، ولكنني لم أسعد بمشاهدة زوال الآثار والرواسب التي خلّفها الاستعمار في هذه البلاد.

«وأعتقد ان أخطر وأضرّ هذه المخلفات هي الحدود المصطنعة التي أقامها المستعمرون بين هذه البلاد بعد أن اقتسموها فيما بينهم. وإني لا أشكّ مطلقاً في أنكم ستشهدون تحرّر البلاد العربية من هذه المخلّفات الاستعمارية أيضاً، وستنعمون بكلّ نعم التقدّم الماديّ والمعنويّ الذي سينجم عن هذا التحرّر.

«انني أغبطكم على هذه النعمة.....».

افنى ساطع الحصري ذاته في حبّ الأمة العربية. وقد سأله قاسم الخطّاط عن الأيام السعيدة التي مرّت به شخصياً، فقال: «انني لا أفكر في نفسي...... الأيام التي سعدت بها أمة العرب هي أيامي السعيدة».

وعلّق الخطاط على ذلك قائلاً : ونظرت الى هذا الوجه الحبيب ، وجه ساطع الحصري ، وتذكرت اولئك الصوفيّين الذين عشقوا الذات الالهية وفنوا فيها . هذا الرجل قد عشق أمته العربية عشقاً صافياً ، وفنى في ذاتها ، ناسياً نفسه وملذّاته وكلّ ما يتمناه الانسان من متع الحياة ، متطلعاً الى أمته العربية المحبوبة التي نسي من أجلها نفسه» .

وقد لخّص جمال الدين الألوسي سيرة الحصري ونزعته قائلاً : «هو فيلسوف القومية العربية الأول والباعث لفكرتها والناشر لوعيها والمتعمق في مفاهيمها بخطوطها العريضة وألوانها الزاهية ، والملقي أضواءه العلمية على حقيقتها ، والمقرّر لمقوّماتها الأساسية ، اللغوية والتأريخية ، أملاً وهدفاً ومنطلقاً . كانت القومية العربية تجري في دمائه ، والعروبة تشغل حيّزاً كبيراً من دماغة المبدع ، من غير تعصّب او غمط لحقوق الغير» .

آراء في ساطع الحصري

كتب الاستاذ ب . ج . فاتيكيوتس Prof. P. J. Vatikiotis المتخصص بشؤون الشرق الاوسط في الطبعة الجديدة من «دائرة المعارف الاسلامية» في مبحث «القومية» ان ساطع الحصري نادى بقومية علمانية وفكرية ، بل بالأحرى رومانتيكية ومثالية في محاولته فصل الدين عن الفكرة القومية . وقد استمّد آراءه من روسّو Rousseau الفرنسي (١٧١٢-١٧٧٨) وهيغل Hegel الالماني (١٧٧٠-١٨٣١) ومازيني Mazzini الإيطالي (١٨٠٥ - ١٨٧٢) فعبّر عن الصورة الروحية للأمة بأنها بناء أدبيّ ونفساني ، والشخصيّة المستقلّة للدولة بمثابة ضرورة تأريخية ، والوطنية كمبدأ عالمي موجود يدعمه التأريخ . وقدّم القومية وقداسة «روح الأمة» بأنها التركيب العضويّ الكلي الذي يؤلف الأمة فوق الأشخاص . وعدّ القومية عقيدة جديدة للعرب ، ورأى أن يكون اخلاص العربي لقوميته واجباً روحياً على كلّ عربي . وجعل الاسلام ثقافة وطنية للعرب لا دينهم فحسب .

أما عبد الرحمن البزّاز فحاول أن يثبت أن لا تناقض بين الاسلام والقومية العربية لأن العلاقة بين الدين والدولة لم تكن نظرياً مشكلة اسلامية .

هذا وقد قال عبد الرحمن البزاز : «ولا شك عندي انه ، حينما تتحقق الوحدة العربية - الأمل السعيد الذي لا بدّ أن يتحقق يوماً - سيعتبر أثر الاستاذ الحصري في الأمة العربية كأثر الفيلسوف والمربي المشهور فيخته بالنسبة للأمة الألمانية ، وستعتبر «آراؤه واحاديثه» (في القومية العربية) هذه أشبه ما تكون برسائل ذلك الفيلسوف العظيم الى أمته» .

والفيلسوف الألماني جوهان غوتليب فيخته (١٧٦٢ - ١٨١٤) تلميذ الفيلسوف كانت عرف بمثاليّته المطلقة في فلسفته ، وكان من دعاة التحرر الوطني الألماني في عهد الحروب النابوليونية .

وقد قال أمين الريحاني في كتابه «قلب العراق» وهو يذكر ساطع الحصري :«أما أن في لهجته العربية أثراً من التركية فذلك لا يضير . ان حبه للعرب في قلبه لا في لسانه . ولا أحد ينكر على ساطع الإخصائي مقدرته او على ساطع الرجل فضله . بيد أنه ، مثل اكثر الإخصائيين ، فيه بعض تزمّت ، فله في مسلكه خط واحد لا يعدوه ونظر فيه يبعد ولا يتّسع . لذلك ترى سجيّته الكبرى في صلابة عوده وفي حبه للنظام وقيوده . وكفى بالشطر الثاني منها قيداً للرجل العامل ، عالماً كان او سياسياً ، في هذا الشرق العربي . انه في الحالين ليلقى شتى الصعوبات والمقاومات.....» .

وقال جعفر الخليلي في الجزء الخامس من كتابه «هكذا عرفتهم» استطراداً في كلمته عن سامي الكيالي صاحب مجلة «الحديث» الحلبية : «وأنا أعرف ساطع الحصري معرفة جيدة . فهو فضلاً عن كونه لا يعرف شيئاً من القواعد العربية نحواً وصرفاً ، فإنه لا يحسن ضبط الكلمات العربية املاءً في الكثير من كتاباته . وعلى رغم أن جميع مؤلفاته كانت تمرّ من تحت أقلام أصدقائه وما كانوا يدخلون عليها من تصليح وتنميق فإنها لم تخلُ من أغلاط عربية فظيعة...» .

قال جمال الدين الألوسي في كتابه «ساطع الحصري رائد القومية العربية» (بغداد ، ١٩٨٦) :

«آمن الحصري بأن اللغة والتأريخ هما عاملا التوحيد والقاعدة المتينة التي ينطلق منها دعاة الوحدة . ولقد أسهب الحصري البحث في مناقشة الأساتذة ودعاة الإقليمية ، وأطال الوقوف عند قوله : «العربي هو من يتكلم العربية ويريد أن يكون عربياً» . والحديث الشريف يؤيّد قوله : «ليست العروبة أباً لأحد منكم وانما هو اللسان» .

«وكان يقول:كل الشعوب العربية التي تتكلم العربية هي عربية ، وكل فرد ينتسب الى هذه الشعوب فهو عربي . ويستعمل الحصري كلمة الشعب ويريد به مواطني الدولة ، ويرى الوطنية الجديدة للأمة العربية وطنية تسمو على كل الوطنيات الاقليمية يوم يتمّ توحّد الأمة تحت راية واحدة بحدودها القومية من المحيط الى الخليج» .

ساطع الحصري : من العثمانية الى العروبة

أشار عبد الكريم الازري في كتابه «مشكلة الحكم في العراق» الى كتاب وضعه وليام كليفلاند باللغة الانكليزية سنة ١٩٧١ بعنوان «تكوين قومي عربي - العثمانية

والعروبة في حياة ساطع الحصري وتفكيره» . وقال ان المؤلف الاميركي كشف عن صفحات في حياة الحصري ومواقف اتخذها ومبادئ اعتنقها ودافع عنها قبل وفي اثناء الحرب العالمية الاولى قد لا تكون معروفة لدى الكثيرين بهذه الصورة ، وهي تقع على طرفي نقيض والمبادئ والافكار التي صاغها ساطع الحصري بعد الحرب العالمية الثانية في القومية والوحدة العربية ، والتي كتب وحاضر ودافع عنها بقوة وحماس حتى آخر أيام حياته .

قال الازري ان كليفلاند خرج من دراساته بحصيلة تقول : «ان ساطع الحصري كان الى نهاية الحرب العالمية الاولى ، أي حتى الاربعين من عمره ، مؤمناً راسخ الايمان ومدافعاً أحرّ الدفاع عن العقيدة العثمانية ، اي نظام الدولة العثمانية الأممية ، الدولة المتعددة القوميات واللغات والاديان ، او ما كان يطلق عليه في التعابير الدارجة «الامبراطورية العثمانية» . وكان رافضاً الى آخرأيام تلك الدولة كلاً من القوميتين التركية والعربية على حدّ سواء ، وظلّ ممتنعاً عن التعاون مع الحركات المتصلة بأي منهما . وان الحصري لم يغيّر موقفه ويتحوّل الى مفهوم القومية العربية إلا بعد سقوط الدولة العثمانية ، حيث التحق بحكومة فيصل الاول في سورية عام ١٩١٩ ، شأنه في ذلك شأن باقي كبار المدنيين والعسكريين العرب الذين استمروا في خدمة الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الاولى» .

ونقل الازري ايضاً عن كتاب كليفلاند ان الحصري امتنع عن الاشتراك في النشاطات السياسية العربية وامتنع عن الالتزام بأية حركة سياسية عربية قبل نشوب الحرب العامة ، لأن ولاءه كان محصوراً بالدولة العثمانية المتعددة القوميات . وكان مفهوم الوطن عنده يشمل جميع الاقاليم العثمانية . وعلى رغم علمانية الحصري فقد اضطرّ الى اعتبار الاسلام احدى الروابط الرئيسية التي تربط اكثرية العثمانيين بعضهم ببعض . وخلص المؤلف الاميركي الى القول ان ساطع الحصري ، على أغلب الظن ، حلل الوضع الذي نشأ عن اندحار الدولة العثمانية فارتأى ان لا مفرّ من الخيار العربي ، فترك استانبول في حزيران ١٩١٩ متوجهاً الى دمشق لكي يتطوع للجهاد في سبيل قضية تتطلب ايديولوجية جديدة . وانضمام الحصري الى تلك القضية ومساهمته في فكرتها بدّله من ساطع بك العثماني الى ساطع الحصري «القومي العربي» . وقال : «لم يصغ ساطع الحصري ايديولوجيته القومية بهدف تحقيق الحريات السياسية ، وانما بهدف ايقاظ المشاعر التي تساعد على تحقيق الوحدة القومية» .

قال نجدة فتحي صفوة الذي عرف الحصري مذ كان فتى يافعاً :

«لقد كان الحصري عالماً حقيقياً ، لم يتظاهر قطّ بما ليس فيه . وكان على تصلّبه في الشؤون الادارية وتشدده في الحرص على المصلحة العامة وتمسكه بمبادئه ، متواضعاً في العلم ، يصغي لكل مناقشة ولا يغضب لاعتراض وجيه ، ولا يتناول موضوعاً او يشرع في مشروع إلا بعد الاحاطة التامة بكل جوانبه . وكانت آراؤه وأحاديثه في القومية والتربية والاجتماع قائمة على فهم عميق للتأريخ وإيمان حقيقي بالمكان الذي يجب أن تحتله الأمة العربية تحت الشمس ، الى جانب ثقافته الغزيرة المدهشة التي يعجب المرء كيف يتسنّى لمن عاش عمراً واحداً فقط - مهما طال - أن يكتسبها» .

أحمد عزت الأعظمي

خادم القضية العربية ومؤرخها أحمد عزت الأعظمي ولد في بغداد سنة ١٨٨٠ وتوفي بها في ٢٢ تموز ١٩٣٦ . كان صحفياً وعضواً بمجلس النواب ، ألف «تأريخ القضية العربية» في ٦ أجزاء . وقد ترجمت له في «أعلام اليقظة الفكرية» . رثاه عبد الحسين الازري فقال :

نَعَوْك عبرتَ قنطرة الممات ،	كذاك الموت عاقبة الحياة

حتى يقول :

عرفتك والمقالد حين كانت	بأيدي ساسة الترك الغلاة
تنوّه باسم قومك من فَروق[1]	وليس فروق بالخلّ المؤاتي
وتبعث من لسانك مرّ عتب	تثير النّزر فيه من الحماة
بيومٍ لم يكن للعرب صوت	اليه تصيخ أسماع الرعاة
ترى لغةَ العروبة مستهاناً	بها فكأنها لغة الجناة
ومجداً ضائعاً دلّت عليه	معالمُ حول دجلة والفرات
وما الذكرى بنافعة ولكن	أعاد عليَّ فقدك ذكرياتي

أصدر أحمد عزت في استانبول مجلة «لسان العرب» في آذار ١٩١٣ فمجلة «المنتدى الأدبي» في ٢٧ شباط ١٩١٤ .

حادث غريب للأعظمي

كان عبد الحميد الأعظمي والد أحمد عزت قائممقاماً لقضاء الحيّ على العهد العثماني ، فأرسل ولده للدراسة في استانبول . وقد حدثني ثقة عن حادث غريب وقع لأحمد عزت في اثناء دراسته ، وهو أن صديقاً له من الطلاب قتل زميلاً له وقطّع جسمه ووضع أشلاءه في حقيبة حملها في الصباح الباكر ونزل بها الى الشارع . وقد خرج أحمد عزت من محل سكناه للذهاب الى مدرسة الحقوق ، فلحق به صاحبه وقال له :

---

(١) فروق : اسم للقسطنطينية او الأستانة او استانبول .

هل لك أن تقف بجانب هذه الحقيبة برهة ريثما أستدعي حمالاً لحملها؟ فقال : أجل ، ولكن أسرع خوف أن يفوتني درس الحقوق . ومضى الطالب القاتل ، وأحمد عزت واقف ينتظر بجنب الحقيبة ، ولم يفطن الى أن الدم يسيل من جوانبها ، وقد لطّخ أرض الرصيف . ولم تمض دقائق من الزمن حتى تجمّع الناس حول طالبنا العراقي وحقيبته ، وجاءت الشرطة فقبضت عليه وأخذته الى المركز . ولم يغن ادعاؤه بالبراءة عنه شيئاً ، فظلّ موقوفاً أشهراً ، بينما كان البحث يجري عن القاتل الهارب . ووصل النبأ الى أبيه فأسرع بالسفر الى دار الخلافة ليكون الى جانب ولده وليقوم بالدفاع عنه .

وقبض أخيراً على القاتل الذي اعترف بجريمته ، وأخلي سبيل أحمد عزت .

الشيخ محمد أمين عالي باش أعيان

محمد أمين عالي بن عبد الله ضياء الدين بن عبد الواحد آل باش أعيان العبّاسي ، ولد في البصرة سنة ١٨٨٣ والتحق بالمدارس الرسمية ، ثم درس على علماء عصره ووالى تتّبعاته الخاصة في اللغة والأدب . وقد اختير عضواً في مجلس المعارف سنة ١٩٠٧ ، وعضواً في لجنة الاوقاف ومحكمة البداءة . وعهد اليه برئاسة محكمة الاستئناف (١٩١٠) ووكالة المدعي العام (١٩١١) وعضوية المجلس البلدي (١٩١٢) .

وأسس مدرسة في محلة المشراق سنة ١٩٠٨ على أثر اعلان الدستور العثماني . وكان من رواد الصحافة في البصرة ، أصدر جريدة «التهذيب» في اول حزيران ١٩٠٩ واستمرّ على اصدارها الى آذار ١٩١٠ . واحتل الانكليز البصرة في اواخر سنة ١٩١٤ فأبعدوه الى الكويت .

انتخب نائباً عن البصرة في المجلس التأسيسي في آذار ١٩٢٤ ، ثم ناب عنها في المجلس النيابي الاول (١٩٢٥ - ١٩٢٨) ، وعين وزيراً للاوقاف في الوزارة العسكرية الثانية من ٢١ تشرين الثاني ١٩٢٦ الى ١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ . وقد توفيّ بالبصرة في ٢٩ ايار ١٩٢٨ .

كان الشيخ محمد أمين عالي كاتباً ومؤرخاً ، نشر في شبابه مقالات في مجلة «النشئ الجديد» و«الفيحاء» و«المنبر» في البصرة و«لغة العرب» في بغداد الخ . وألف : رواية الشاب البصري والشيخ العصري (مطبوعة) ، مرشد الأبناء ، تأريخ البصرة (مخطوط) ، الخ .

قال عبد الحميد الكنين : «كان متواضعاً خلوقاً أديباً . كان ديوان هذا النبيل الصحافي نادياً للأدباء والفضلاء والفقهاء ، وكانت له الأيادي البيضاء في نشر كثير من الكتب الأدبية والعلمية والتأريخية على نفقته . هذا عدا المساعدات المالية التي كان يمنحها للمعوزين من ذوي العلم والأدب . فجمع هذا الأديب العبّاسي بين العظامية والعصامية وبين الإباء والتواضع وبين الأدب والمال . .» .

ياسين باش اعيان

الشيخ ياسين بن عبد الواحد بن عبد الله ضياءالدين آل باش اعيان ، ولد في البصرة سنة ١٨٩٠ ودرس في المدارس الرسمية ، ثم أخذ اللغة العربية عن عبد العزيز التكريتي الواعظ .

وقد انزوى في مكتبة الأسرة فنظمها واستخرج منها كنوزاً من المعلومات . وألف كتابه المطوّل في تأريخ البصرة ، ولم يهيأ له الطبع . وصنّف أيضاً كتاباً في تأريخ اسرته (بلوغ المرام في مناقب آل الشيخ عبد السلام) ورسائل وتراجم مختلفة .

وتوفي في البصرة في ١٧ حزيران ١٩٤٢ .

سليمان فيضي

ولد سليمان فيضي بك الموصلي بمدينة الموصل في ٦ تموز ١٨٨٥ ، وكان أبوه الحاج داود بن الشيخ سلمان القصّاب العوّادي إماماً بمسجد ابراهيم . وتنتسب الأسرة الى السيد احمد الرفاعي صاحب الطريقة . وقد توفيت أمه وهو طفل رضيع فكفلته جدته وتولّت رعايته .

نشأ الفتى عصامياً وانتمى الى المدرسة الأميرية في العاشرة من عمره ، ثم رحل الى بغداد سنة ١٨٩٩ وانتمى الى المدرسة الرشدية العسكرية . وفصل من المدرسة مع زميله مولود مخلص لمشاجرة حصلت بين الطلاب ، فشدّ الرحال في كانون الثاني ١٩٠٤ الى نجد للاتصال بأميرها عبد العزيز آل رشيد وطلب شفاعته . ثم عاد الى البصرة وعيّن مداوماً في محكمتها .وأكب في ذات الوقت على دراسة القوانين بنفسه ، فزاول المحاماة .

ولما أشرقت أنوار الدستور واطلقت الحريات العامة أسّس مدرسة تذكار الحرية في تشرين الثاني ١٩٠٨ وتولّى ادارتها . وأصدر جريدة «الايقاظ» (٢ ايار ١٩٠٩) واستمر على اصدارها اسبوعياً حتى احتجبت في اواخر تشرين الأول ١٩١٠ . واختير عضواً بمحكمة الحقوق (شباط ١٩١٠) . وسافر سنة ١٩١١ الى الحجاز لاداء فريضة الحجّ ، ثم زار دمشق وبيروت واستانبول . وانتهز فرصة وجوده في العاصمة التركية فأدى امتحان الحقوق وحصل على شهادتها .

عاد الى البصرة واتصل بالسيد طالب النقيب فكان عضده في مساعيه ومعتمده في الجمعية الاصلاحية . وانتخب نائباً عن البصرة في مجلس المبعوثان في كانون الثاني ١٩١٤ ، فقصد استانبول ثانية وشهد افتتاح المجلس في ١٤ ايار ، وعاد الى البصرة في آب من تلك السنة قبل نشوب الحرب العامة . وأوجس خيفة من نوايا الاتحاديين الاتراك فغادر الثغر مع طالب النقيب في تشرين الثاني ١٩١٤ الى الكويت وبُرَيْدة في نجد فقابلا عبد العزيز آل سعود . وذهب النقيب الى بومبي ، اما سليمان فيضي فقفل عائداً الى البصرة .

يقول سليمان فيضي في مذكراته «في غمرة النضال» ان لورنس الشهير جاء الى

البصرة في نيسان ١٩١٦ ، وكانت تحت الاحتلال البريطاني ، فدعاه لمقابلته وعرض عليه تأييد الانكليز لاستقلال العرب وحثهم على الثورة ضدّ الأتراك . وقال له : «انّي قد اخترتك لتقوم بمهمة اذكاء نار الثورة . فإن اقدمت فإنك واجد كل ما تحتاج اليه من وسائل هذه الثورة . فسأضع تحت تصرّفك البنك بكل أمواله ، وسيمدّك الجيش بما تشاء من السلاح» ، لكن سليمان فيضي اعتذر بعدم استطاعته القيام بهذه المهمة التي يكلفه بها .

وأنشأ الانكليز أول محكمة مدنية في البصرة في أواخر ١٩١٥ . وفي أوائل سنة ١٩١٩ عينوا سليمان فيضي حاكماً فيها تحت رئاسة رئيسها المستر فوربس . ونقل المستر فوربس في منتصف تلك السنة رئيساً لمحكمة الاستئناف في بغداد ، فاختار سليمان فيضي عضواً بها في أول تشرين الثاني ١٩١٩ . وقام في الوقت نفسه بتدريس التطبيقات القانونية والصكوك في مدرسة الحقوق عند اعادة فتحها في السنة التالية . وعهد اليه بعد ذلك تدريس الحقوق الدستورية .

ألفت السلطات البريطانية في تموز ١٩٢٠ لجنة لوضع لائحة قانون الانتخاب قوامها النواب العراقيون في المجلس التركي السابق ، وضمّ اليهم فريق من رجال البلاد المعروفين . وكان سليمان فيضي أحد الأعضاء ، وقد انتخب السيد طالب النقيب لرئاسة اللجنة . وفرغت اللجنة من مهمتها في أوائل تشرين الثاني .

استقال سليمان فيضي من عضوية محكمة الاستئناف في ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٢ وعاد الى البصرة لممارسة المحاماة . وعيّن معتمداً للشيخ خزعل خان أمير المحمرّة في حزيران ١٩٢٣ ، واستقال في لسنة التالية . وعارض المعاهدة العراقية - البريطانية لسنة ١٩٣٠ ، ثم اعتقل وأبعد الى عنة حيث امضى أربعة أشهر (١٩٣١) متهماً بالتحريض على الاضراب . وانتخب نائباً عن البصرة في آب ١٩٣٥ الى تشرين الأول ١٩٣٦ . وقد توفي في بغداد في ١٩ كانون الثاني ١٩٥١ .

وضع مؤلفات أدبية واجتماعية وحقوقية ، منها : مذكراته التي طبعت بعد وفاته بعنوان «في غمرة النضال» (١٩٥٢) . له ايضاً : التحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية (١٩١٣) ، ألف كلمة وكلمة في الأمثال (١٩١٨) ، الرواية الايقاظية (مسرحية ، ١٩١٩) ، الحقوق الدستورية (١٩٢٠) ، شرح قانون حكام الصلح (في جزءين ١٩٢١ - ١٩٢٢) ، الصكوك العدلية ، القانون الأساسي للحكومات المتحدة الأميركية (ترجمة ١٩٢٢) ، سرّ النبوغ (١٩٢٢) ، المنتخب من أشعار العرب (١٩٢٧) ، أصول التعبات وأحكامها في البصرة (١٩٤٦) ، البصرة العظمى (١٩٦٥) .

كانت حياة سليمان فيضي واسعة الآفاق ، فضفاضة الذيول : كان شاباً وطنياً متحمّساً متطلّعاً الى النهضة والتقدم في عهد ناء بالتواكل والخمول . وظل طول عمره مقداماً جريئاً . عمل في حقل الصحافة والمحاماة والقضاء والنيابة ، وأسهم في الحركات الوطنية والثقافية ، وألف في القانون والاجتماع والأدب .

اما عمله قصّاصاً فقد قال فيه جعفر الخليلي في كتابه «القصة العراقية قديماً وحديثاً» : «لعل سليمان فيضي أول قصاص عراقي حاول ان ينحو نحواً جديداً في القصة ويخرجها اخراجاً يجاري فيه القصص التركية والفارسية والقصص التي قرأ عنها الشيء الكثير» . ويعزو الخليلي ملكة سليمان فيضي الأدبية التي نمّاها وصقلها على مرّ السنين الى عوامل مختلفة منها اكبابه على المطالعة والتتبع في اللغات العربية والتركية والفارسية ، وسفراته المتعددة منذ عهد الصبا ورحلته الى تركية ومصر وسورية ولبنان وغيرها من الأقطار ، واضطلاعه بتبعات النيابة والعمل السياسي .

سليمان فيضي والمس بيل

زار المس جرترود بيل في ١٢ حزيران ١٩٢٠ . وقد كتبت تقول انه أخبرها : «منذ استيلائكم على بغداد ما زلتم تتكلمون عن حكومة عربية ، لكن مرت ثلاث سنوات وأكثر ولم يحصل شيء . تقولون انكم لا تستطيعون عمل شيء حتى يتم توقيع الصلح مع تركية . لكنني على ما أعلم لن يكون ذلك إلا بعد أشهر وحتى سنين . تقولون انكم لا تستطيعون عمل شيء حتى يمنح الانتداب لكم . غير ان هذا التفسير لا يصدّق لأننا رأينا انشاء حكومة عربية في سورية قبل ان تحصل أية دولة غربية على الانتداب . قلتم في تصريحكم انكم تشكلون حكومة محلية تستمد سلطتها من مبادرة الشعب المختص واختياره الحرّ ، ومع ذلك تقومون بعمل مشروع دون ان تستشيروا أحداً . يكون من السهل لكم ان تأخذوا شخصاً او شخصين مهمين في مجالسكم ، وذلك يرفع الانتقاد الموجّه الى مشروعكم» .

ثم قال ان المشروع البريطاني وصل الى يد كل فرد في بغداد ، ونحن لا نحبّذه . مثلاً إننا لا نوافق على ان يكون تعيين رئيس المجلس من قبل الحكومة ، بل نرى ان ينتخب من قبل المجلس . وختم سليمان فيضي كلامه مقترحاً ان يعطى العراقيون مجالاً واسعاً ، فإننا لا نستطيع حكم البلاد بدون مساعدتكم ومشورتكم ، ونأتي نحن اليكم لنحصل على ذلك إذا لم تحاولوا ارغامنا .

محمد أحمد بهادر

المحامي الكاتب الأديب محمد أحمد المعروف بخان بهادر ، وهو لقب شرف هندي منحته اياه الحكومة البريطانية بعيد الحرب العظمى الأولى . ولد في أبي شهر من ثغور الخليج العربي سنة ١٨٨٤ ودرس في المدارس الايرانية . والتحق بالقنصلية البريطانية في مسقط رأسه مترجماً سنة ١٩٠٠ . ولما نشبت الحرب العامة نقل الى الدائرة السياسية الملحقة بالحملة العسكرية في البصرة (١٩١٥) وعمل مع السر برسي كوكس .

عيّن حاكماً للصلح والجزاء بالبصرة سنة ١٩١٩ ، فمعاون الحاكم السياسي وحاكم الصلح في كربلاء (ايلول ١٩١٩) ، فرئيس محكمة بداءة الحلة (١٩٢٠) . وأعيد الى البصرة حاكماً للجزاء (١٩٢١) ، لكنه استقال من الخدمة في اوائل عام ١٩٢٢ وانصرف الى المحاماة . واختير بعد ذلك رئيساً للجنة نقابة المحامين في البصرة (١٩٣٩ - ١٩٤١) .

كان محمد احمد يحسن اللغات الثلاث العربية والفارسية والانكليزية ويكتب بها . فمن آثاره العربية : تأريخ الأندلس (ترجمه عن الانكليزية بالاشتراك مع محمد تقي الدين الهلالي) ، سيرة كرستوف كولومب ، سيرة ابراهام لنكولن الخ .

وألف بالفارسية : الانشاء الفارسي ، تأريخ المانية ، طلوع تمدّن ، محبّو البشر ، الخ . ونقل الى الفارسية رواية يوليوس قيصر وعطيل وهنري الثامن وتاجر البندقية والعاصفة وغيرها من مسرحيات شكسبير ، كما ترجم رواية شارل وعبد الرحمن (لجرجي زيدان) ، وفي سبيل التاج (للمنفلوطي) ، وفرياني (لطاغور) ، ودون كيخوتي (لسرفانتس) الخ .

ومن مؤلفاته باللغة الانكليزية : رسالة عن البابية ، رسالة في الأمثال الفارسية ، الفرار من الحجاب ، عدا مقالات عديدة نشرت في جريدة «الأوقات» البصرية وسائر الصحف والمجلات .

وقد توفي بالبصرة في ٢٧ شباط ١٩٧٤ عن ٩٠ عاماً .

قال فيه معروف الرصافي :

إذا البعد أنسى الودّ خلاً فإنني ... لودّك يا مرزا محمد ذاكر

أحدّث في بغداد عنك وإنني ... اليك لمشتاق وإني لشاكر

كشفت بنور العلم كلّ حقيقة ... دَجَا فوقها ليل من الجهل ساتر

ولم أرَ بين الناس مثلك عالماً ... يصارح تبيينها ويجاهر

ولم أر أقوى منك في القول حجّة ... يثوب الى الاذعان منها المكابر

وفيك ذكاء لو سبرت قلوبنا ... به برزت منها اليك الضمائر

خليل عزمي

من رجال الادارة والفكر خليل عزمي بن الحاج محمد ابراهيم ، ولد في كربلاء في ١١ آذار ١٨٩١ ، وكان أبوه معلماً في الكتاتيب ببغداد وبعد ذلك أصبح أميناً لصندوق بلدية كربلاء حيث أمضى في وظيفته نحواً من أربعين سنة . وأصل الأسرة من بلدة عانة على الفرات .

درس الفتى في دار المعلمين الليلية في بغداد على عهد مديرها التركي عادل بك ، وقرأ طرفاً من علوم العربية والتصوف على الشيخ طه الشيرواني مدرس جامع الازبك حينما كان الشيخ مدرساً في كربلاء ومدير اوقافها . وتوثقت صلته بعد ذلك بالسيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني وتأثر بمبادئه الاصلاحية .

عين خليل عزمي معلماً في المدارس الابتدائية سنة ١٩١٣ وتنقل في التعليم في كربلاء والنجف وبغداد . ولما نشبت الحرب العظمى في أواخر السنة التالية أدخل في دورة ضباط الاحتياط ، ومنح رتبة ملازم ثاني ، واشترك في معارك الساحة العراقية . وعيّن في نيسان ١٩١٧ كاتباً في مجلس بلدية كربلاء . وثار البلد على الانكليز سنة ١٩٢٠ ، فشارك في الثورة ونظم ابياتاً ألقيت عند الاحتفال برفع العلم العربي في تشرين الأول ١٩٢٠ ، منها :

بشراك ، يا كربلا ، قومي انظري العلما ... على ربوعك خفّاقاً ومبتسما
وكفكفي دمعك الهطّال وابتهجي ... فإنّ بند بني قحطان قد حكما
ظلم وجور أبت ارواحنا شمماً ... ان تستكين لمن لم يَرْعَهَا الذمما

وقد سجن على أثر اخفاق الثورة أمداً ، ثم أطلق سراحه وعاد الى وظيفته في المجلس البلدي . وأصبح رئيس كتاب محاسبة لواء كربلاء (شباط ١٩٢٢) فمدير تحريرات اللواء (تموز ١٩٢٣) . ونقل الى السلك الاداري مديراً لناحية كبيسة (ايلول ١٩٢٤) فالفلوجة (نيسان ١٩٢٥) . وتولى منصب القائممقام بالوكالة في قضاء خانقين (آب ١٩٢٥) ، ورفّع قائممقاماً أصيلاً فخدم في دلتاوة (ايار ١٩٢٦) فبدرة (تموز ١٩٢٨) وعانة (آب ١٩٢٩) . ونقل عضواً في لجنة تحديد أراضي المنتفق في نيسان ١٩٣٠ ، ثم أعيد قائممقاماً لقضاء سوق الشيوخ (ايار ١٩٣١) فمندلي (كانون الأول ١٩٣٢) فقضاء

الموصل (كانون الثاني ١٩٣٣) . وقام في ايلول ١٩٣٣ بوكالة المتصرف . ثم نقل قائممقاماً لقضاء الحيّ (كانون الأول ١٩٣٣) والنجف (حزيران ١٩٣٤) وخانقين . ورفّع متصرفاً للواء ديالى في كانون الأول ١٩٣٥ ، ونقل الى الديوانية (نيسان ١٩٣٦) ثم اعيد الى لواء ديالى (كانون الأول ١٩٣٦) . ولم يلبث ان نقل رئيساً لتسوية حقوق الأراضي في كانون الثاني ١٩٣٧ فعمل في تلكيف والهندية والكوت . وأعيد الى السلك الاداري متصرفاً للواء الموصل في نيسان ١٩٤٨ ، ونقل مفتشاً ادارياً في آب ١٩٤٩ .

اعتزل الخدمة بعد ذلك . وأصدر جريدة «الميزان» في آب ١٩٥٣ ، وكانت جريدة يومية استمرت الى آب ١٩٥٤ . ونشر في جريدته سلسلة بحوث بعنوان «الادارة : أمراضها ومشاكلها» . وكتب مقالات في جريدة «المفيد» و«المعرض» و«الزهور» و«النداء» و«اليوم» و«الزمان» و«الساعة» ومجلة «الغري» و«البيان» الخ . وأدركته الوفاة في بغداد في ٨ كانون الثاني ١٩٥٦ .

عرف خليل عزمي بالحزم والجدّ في أعماله الرسمية . وقد حدثني احمد حامد الصرّاف انه كان من أعلم الناس بفرق الغلاة والمتصوّفة وعقائدهم وشعائرهم وكتبهم . ألف قصة «دلال او الامرأة الصالحة» (١٩٢٨) . وصنّف كتباً طبع منها : الله والروح (١٩٤١) ، تأريخ بني اسرائيل القديم (١٩٤٧) ، بين الشيعة والسنّة (١٩٥٢) ، السراج الوهّاج في اعجاز القرآن (١٩٥٢) . ومن آثاره المخطوطة : حركة الآثوريين ، خطرات اجتماعية ، آراء سياسية الخ .

أصدر جريدة «الميزان» فكتب مقالاً افتتاحياً في عددها الأول بعنوان «الميدان الذي اخترناه» . قال : «هذا الميدان الذي اخترناه وآثرنا ان نعطيه من جهودنا الفكرية والبدنية ما هو حقيق به من اكرام . هو ميدان الصحافة التي أصبحت اليوم رسالة العصر وعنوانه ، فقد لا يستطيع المرء في هذا العصر المليء بالأحداث السياسية والتطورات الفكرية والتحوّلات الاجتماعية ان يتصوّر قطراً حيّاً بلا صحافة . وإذا أمكنه ان يتصور انساناً بلا رأس وداراً بلا نافذة وشجرة بلا أوراق . ولكن حقاً ان الصحافة هي الرأس والنافذة والورقة .

«لقد أصبحت الصحيفة لانسان العصر الحاضر غذاء شعبياً يتناوله في مطلع كل شمس وفي مغربها ، ولا يستطيع ان يعيش بدونه» .

ثم قال ان الصحافة لا يحسن بها ان تكون مجرّد «ساعي بريد» ، بل يجب ان تكون مشعل نور للقراء وأن تكتب بالصراحة التي يعهدها الناس في كل ميزان عادل ، وأن تحمل الفكرة النيّرة والسانحة اللطيفة والخبر الطريّ والمعالجة القيّمة والمقالة النزيهة

بالرغم من كل ما في ذلك من جهد ومشقة ورغم الصعاب في سبيلها المليء بالأشواك .

وقد رثاه عند وفاته الشعراء والكتاب ، منهم جميل احمد الكاظمي وذو النون الشهاب وعبد الحسين الحويزي وعبد الوهاب البياتي ومكي عزيز وحارث طه الراوي وخالد الدرّة ونجم الدين الواعظ وجعفر الخليلي ومحمود العبطة وغيرهم .

رثاه جميل احمد الكاظمي بقصيدة طويلة تعدّ نحو مائة بيت ، مطلعها :

سل من الروح لا عدمت جوابا كيف بالموت قد نزعت الاهابا

وجواب الأرواح ما قرر العقل صراحاً ولم يجبك كذابا

روى عبد العزيز القصاب في «ذكرياته» انه ، حينما كان متصرفاً للواء كربلاء سنة ١٩٢٢ ، جاءه الملا محمد كاتب البلدية وقال ان ولده خليل عزمي مدير ناحية شثاثة مريض ، وطلب اجازة للمجيء به الى كربلاء . ولم يكن في تلك المدينة المقدسة آنذاك أطباء ، بل كان يمارس المهنة رجال تعلموا الطب القديم وزاولوه بالتجربة ، وكثيراً ما كانت تحدث على يدهم الفواجع .

وعرض خليل عزمي على أحد هؤلاء الدجالين فوصف له ان يأكل عشرين بيضة في صباح كل يوم وأن يركب حصاناً شرساً يسير به نحواً من ساعة . وكان المريض مصاباً بالحمّى لا يستطيع ترك فراشه ، فنقل الى بغداد وعولج من مرض الملاريا ، وعاد بعد عشرة ايام سليماً معافى .

عيسى عبد القادر

الشاعر الكاتب الوطني عيسى عبد القادر احمد الريزلي ولد ببغداد في ضاحية الأعظمية سنة ١٨٩٨ ودرس في معاهدها ، وكان أبوه تركيّ النجار ، اما أمه فعربية بغدادية . ووظف في دائرة الأوقاف في آب ١٩١٩ . واشترك في حركة التحرير الوطنية ، وأنشد قصيدة حماسية في أحد اجتماعات جامع الحيدرخانة في ايار ١٩٢٠ ، فألقي القبض عليه وأبعد الى البصرة . وعلى أثر ذلك نظمت المظاهرات والاحتجاجات على السلطة البريطانية ، ونشبت بعد شهر واحد ثورة العشرين .

وقد أعيد عيسى عبد القادر الى وظيفته بدائرة الأوقاف ، وتدرّج في مناصبها حتى أصبح مديراً للادارة والمؤسسات (حزيران ١٩٤٩) فمفتش الأوقاف العام (تموز ١٩٥٣) . واعتزل الخدمة سنة ١٩٥٨ .

نشر مقالات وقصائد وطنية كثيرة في جريدة «العراق» وسواها من الجرائد العراقية ، وكان يوقع بعض مقالاته برقم (٥٦٢) ، وهو حساب اسمه بالجمّل . واختصّ بتأريخ الحركة الوطنية العربية منذ أوائل القرن العشرين والجمعيات السرية في العهد التركي وثورة الحجاز سنة ١٩١٦ والثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ، وكتب في تلك المواضيع بحوثاً ذات قيمة بقي اكثرها مخطوطاً .

وله من الآثار المطبوعة : تقرير عن أوقاف العراق وموضوع اصلاحها (١٩٣٧) ، بين موظف ورئيس الوزراء (١٩٤٧) .

وقد ادركته الوفاة ببغداد في ١١ نسيان ١٩٧٤ .

قال عبد القادر البرّاك ان حياة عيسى عبد القادر قد اتصفت بالنزاهة والصلابة في الحق والالتزام بالقيم الأخلاقية والدرس المتواصل . وقال انه كتب ما جريات الأمور التي سبقت الثورة العراقية ودوّن أحداث الثورة ، وكان حريصاً على الروح الموضوعية والتجرّد في كتاباته . ولعلّ من أظهر دلائل حرصه على كتابة تأريخ الثورة مجرداً من التأثرات والانفعالات الشخصية احتفاظه بما كتب والامتناع عن نشره في حياته .

من قصيدة ألقاها في حفلة المولد النبوي ببغداد في ايار ١٩٢٠ :

بني النهـــرين ، نسل الطيـــبـــينا   أفـــيـــقـــوا واســـمـــعـــوا الحقّ اليـــقـــينا
تفـــــرّقنا طوائف واخـــــتلفنا   فـــأصـــبـــحنا جـــمـــيـــعـــاً صـــاغـــرينا
بني النهـــرين ، لم يجـــد التـــواني   لنا نفـــعـــاً فـــهـــبّـــوا مـــســـرعـــينا
فـــإمّـــا ان نفـــوز بمـــبـــتـــغـــانا   وإمـــا ان نمـــوت مـــجـــاهدينا

جمال الدين الألوسي

الكاتب المربي جمال الدين الألوسي ولد في تكريت سنة ١٩٠٢ ودرس في دار المعلمين ببغداد . وتولى التدريس منذ ايلول ١٩٢١ في المدارس الثانوية ودار المعلمين الابتدائية اكثر من ثلث قرن حتى اعتزل الخدمة .

وضع كتباً مدرسية في النحو والبلاغة والأدب . وله عدا ذلك : محمد كرد علي (١٩٦٦) ، اسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية (١٩٦٧) ، احمد حسن الزيات (١٩٦٨) ، الجزائر بلد المليون شهيد (١٩٦٩) ، طه حسين بين أنصاره وخصومه (١٩٧٣) ، ساطع الحصري رائد القومية العربية (١٩٨٦) . واشترك في تحقيق كتاب الدرّ المنتثر لعلي علاء الدين الألوسي (١٩٦٧) .

عرف جمال الدين الألوسي ، الذي تخرج عليه آلاف الطلاب خلال خدمته الطويلة في التدريس ، بالتحقيق والتدقيق في مؤلفاته التي وضعها بعد اعتزاله العمل . ويمكن القول ان كتابه عن طه حسن جامع مانع ، فقد فصّل سيرة أديب مصر الكبير وحلل مؤلفاته وأدبه ، وشرح بصورة خاصة المحنة التي تعرّض لها سنة ١٩٢٦ عند صدور كتابه «في الشعر الجاهلي» ، وهي من معارك حرية الفكر اشترك في تأجيجها التعصب والسياسة . سافر الألوسي الى مصر سنة ١٩٥٨ وزار طه حسين وتصور معه ونشر الصورة في كتابه . وقد حياه الشاعر خالد الشواف فقال :

جمال الدين ، حسبك ان يقالا ... تخيّرت المواقف والرجالا

نظرت الى الشبيبة حين ضلّت ... فسقت لهديها سيراً توالى

وهذا أنت في سفر جديد ... يجلّي العبقرية والخصالا

توفي جمال الدين الألوسي في بغداد سنة ١٩٩٤ .

الدكتور محمد بديع شريف

ولد محمد بديع شريف في عانة سنة ١٩٠٥ ، وهو أخو محمد شفيق العاني . وكان ابوهما الحاج شريف بن عبد اللطيف العاني مفتي عانة ، وتوفي سنة ١٩٤٥ .

درس محمد بديع في بغداد وعيّن مدرساً في تشرين الأول ١٩٣١ . وأوفد بعد ذلك لاتمام دراسته العالية في ألمانيا ثم انتقل الى جامعة بازل في سويسرة فنال الدكتوراه باطروحته عن الموالي (١٩٤٢) .

عاد الى بغداد وعين بعد ذلك مديراً للترجمة والنشر بوزارة المعارف (ايلول ١٩٤٦) فسكرتير الوزارة (تشرين الأول ١٩٤٦) . وكان ملحقاً ثقافياً في القاهرة (١٩٥٠) فمديراً عاماً للمعارف في تشرين الثاني ١٩٥٤ وملحقاً ثقافياً في لندن في آب ١٩٥٧ . وكان رئيس ديوان رئاسة الجمهورية في عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف وعبد الرحمن محمد عارف (١٩٦٣ - ١٩٦٨) . انتقل بعد ذلك للاقامة في القاهرة وحقق ديوان أشعار المعتزّ (صدر في جزءين سنة ١٩٧٧ - ١٩٧٨) . ولا يزال يقيم في القاهرة (١٩٩٥) .

مؤلفاته : بحث في نقد الأدب العربي (١٩٣٤) ، الفيدرال : بحث في نظام الاتحاد السويسري (١٩٤٩) ، أصول تدريس اللغة العربية للصفوف الثانوية (١٩٤٨) ، في ظلال الحرية (١٩٥٢) ، مناهج التعليم في الأقطار العربية (١٩٥٣) ، الصراع بين الموالي والعرب (١٩٥٤) ، حوار العباقرة (مترجم عن باول ارنست ، ١٩٥٥) ، القومية : عرض وتحليل (مترجم عن بويد شيفر) ، نشيد الصحراء او لامية العرب (١٩٦٤) ، في مهبط الوحي (١٩٦٥) ، دراسات تأريخية في النهضة العربية الحديثة (١٩٥٨) . واشترك في ترجمة «أقاصيص مترجمة» (١٩٥٧) .

الدكتور خالد الهاشمي

خالد محمود هاشم الهاشمي ولد في بغداد سنة ١٩٠٦ . أنهى دارسته الثانوية سنة ١٩٢٤ فمضى الى بيروت ودرس في الجامعة الأميركية وتخرج سنة ١٩٢٨ .

عاد الى بغداد فعين مدرساً في دار المعلمين الابتدائية في ايلول ١٩٢٨ . وعين مديراً لمعارف لواءي العمارة والكوت في نيسان ١٩٣٣ ، وكان بعد ذلك مدير المدرسة الثانوية في البصرة فمدير دار المعلمين الريفية في بغداد (١٩٣٦) . وأوفد للدراسة في جامعة كولمبية في نيويورك فحصل على شهادة استاذ في التربية (١٩٤٠) . وعين مساعد استاذ في دار المعلمين العالية (حزيران ١٩٤٢) . ونال شهادة الدكتوراه فأصبح استاذاً في الدار (تموز ١٩٤٥) ، فعميداً لها (حزيران ١٩٤٦) . وعاد استاذاً فعميداً للدار مرة أخرى (كانون الأول ١٩٥٣) . وعين سنة ١٩٦٦ رئيساً لجامعة بغداد ، فسفيراً في ديوان وزارة الخارجية .

ألف : تأريخ الشرق الأدنى الحديث (١٩٣٨) . ووضع اطروحته الجامعية بالانكليزية «تجديد مناهج اعداد المعلمين في العراق مع نظرة خاصة الى الثقافة العربية الاسلامية» ، وقد نقلها الى العربية الدكتور عبد العزيز البسام وطبعت في بيروت (١٩٤٦) .

توفي خالد الهاشمي في بغداد في ٢١ ايلول ١٩٨٥ .

كمال ابراهيم

الاستاذ الاختصاصي باللغة والصرف كمال ابراهيم ، ولد في الأعظمية من ضواحي بغداد سنة ١٩١٠ وعيّن مدرساً في ايلول ١٩٢٨ ، ثم اوفد الى مصر فنال الدبلوم من كلية العلوم العليا في القاهرة سنة ١٩٣٢ . عاد الى التدريس ، ونقل مديراً للمطبوعات فمدير الاذاعة الى سنة ١٩٤١ . عين استاذاً في دار المعلمين العالية في ايار ١٩٤٧ فمدير الدعاية العام (نيسان ١٩٥٠) . وفي شباط ١٩٥١ عاد للتدريس في دار المعلمين العالية وكان رئيس قسم اللغة العربية بها . عيّن وكيل عميد كلية التربية سنة ١٩٥٨ وأصبح عميداً أصيلاً بعد أمد وجيز .

ألف : أغلاط الكتّاب (١٩٣٥) ، عمدة الصرف (الطبعة الثانية ١٩٥٧) . واشترك في تأليف «الأساس في تأريخ الأدب العربي» .

وقد انتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي في تشرين الأول ١٩٧١ . وتوفي في بغداد في ٢١ حزيران ١٩٧٣ .

الدكتور مجيد خدّوري

المؤرخ المربّي الدكتور مجيد خدّوري ولد بالموصل في ٢٧ ايلول سنة ١٩٠٩ ودرس في الجامعة الأميركية في بيروت . عيّن مدرساً في تشرين الأول ١٩٣٢ ، وأوفد بعد ذلك لاتمام دراسته في الجامعات الأميركية فنال شهادة الدكتوراه في الفلسفة . وعيّن استاذاً في دار المعلمين العالية في كانون الأول ١٩٣٩ ، فواصل التدريس في ذلك المعهد أعواماً طويلة . وانتدب بعد ذلك للتدريس في جامعات الولايات المتحدة ، فوضع كتباً كثيرة عن العراق والشرق الاسلامي .

انتدبه نادي القلم العراقي لحضور اجتماع نوادي القلم العلمية المعقود في بونس آيرس عاصمة الارجنتين في ايلول ١٩٣٦ . ألف باللغة العربية : نظام الانتداب (١٩٣٣) ، أسباب الاحتلال الريطاني للعراق (١٩٣٣) ، تحرّر العراق من الانتداب (١٩٣٥) ، الصلات الدبلوماطيقية بين هرون الرشيد وشارلمان (١٩٣٩) ، مؤسسات العراق الدستورية والادارية والقضائية (١٩٣٩) ، المسألة السورية (١٩٥٣) ، الشرق الأوسط في مؤلفات الامريكيين (١٩٥٣) ، العراق وعصبة الأمم ، قضية الاسكندرونة (١٩٥٣) ، نظام الحكم في العراق (١٩٤٦) .

ومن مؤلفاته باللغة الانكليزية : قانون الحرب والسلم في الاسلام (١٩٤٠) ، حكومة العراق (١٩٤٤) ، انقلاب ١٩٣٦ (١٩٤٨) ، العراق المستقل ١٩٣٢ - ١٩٥٨ (١٩٦٠) ، دعوى ايران بسيادة البحرين (١٩٥١) ، النظرية القانونية في الدولة الاسلامية (١٩٥١) ، الانقلاب والانقلاب المضادّ في اليمن سنة ١٩٤٨ (١٩٥٢) ، القانون في الشرق الأوسط (١٩٥٥) ، ليبية الحديثة (١٩٦٣) ، قانون الاسلام الدولي (١٩٦٦) ، العراق الجمهوري (١٩٦٩) ، العراق الاشتراكي : دراسة في السياسة العراقية منذ ١٩٦٨ (١٩٧٨) ، حرب الخليج : الأصول والمضامين للصراع العراقي - الايراني (نيويورك ، ١٩٨٨) .

لا يزال مجيد خدوري يواصل التدريس في جامعة جونز هوبكنس في واشنطن بالولايات المتحدة .

جعفر خياط

جعفر مهدي الخياط ، الكاتب المترجم ، وهو أخو أحمد زكي الخياط مدير البريد والبرق العام ومدير الدعاية العام . ولد في بغداد سنة ١٩٠٧ ودرس في الجامعة الأميركية في بيروت . وأوفد بعد ذلك الى جامعة كالفورنية لدراسة الزراعة فنال شهادة استاذ علوم .

عيّن مدرساً في دار المعلمين الابتدائية ببغداد في تشرين الأول ١٩٣١ وتولّى وكالة مدير الدار . ثم نقل مديراً لمعارف الحلة وكربلاء (ايلول ١٩٣٤) فمدير معارف كركوك . وعيّن مديراً لدار المعلمين الريفية في ايلول ١٩٣٧ ، فمدير التعليم الثانوي بوزارة المعارف (حزيران ١٩٤٠) فمفتشاً اختصاصياً . وانتدب معاوناً لمدير جمعية التمور في البصرة (شباط ١٩٤٣) ، فمعاون مدير التموين العام (آب ١٩٤٤) . وأعيد تعيينه مفتشاً بوزارة المعارف في تموز ١٩٥٤ ، وترك الخدمة بعد سنوات لينصرف الى الترجمة والتأليف . ثم أعيد في العهد الجمهوري مديراً عاماً للتعليم المهني .

ألف كتاباً في «القرية العراقية : دراسة في أحوالها واصلاحها» (١٩٥٠) مبادئ الزراعة العامة ، واشترك في كتابة «مقالات في التعليم والتربية» (١٩٦٤) . وترجم «طباع الحيوان في نظر العلم الحديث» ، نباتات شافية (١٩٦٢) ، التعليم الصناعي في العراق (١٩٥٤) ، التعليم المهني في العراق (١٩٥٤) .

اشتهر جعفر خياط بترجمته لكتب انكليزية مهمّة في تأريخ العراق الحديث ، منها : أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث ، تأليف ستيفن لونكريك (١٩٤١) ، فصول من تأريخ العراق القريب ، للمس جرترود بلّ (١٩٤٩) ، العراق : دراسة في تطوّره السياسي ، لفيليب آيرلند (١٩٤٩) ، أيام فلبي في العراق ، لهاري سنت جون فلبي (١٩٥٠) ، حوادث العراق في سنة ١٩٤١ كما ترويها وزارة الحرب البريطانية والمستر ونستن شرشل في مذكراته (١٩٥٤ ، رحلة فريزر الى بغداد سنة ١٨٣٤ (١٩٦٤) ، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية ، لجورج لنشوفسكي (جزآن ١٩٦٤ - ١٩٦٥) ، الثورة العراقية ، لأرنولد ولسن (١٩٧١) الخ .

توفي جعفر خياط في بغداد سنة ١٩٧٣ .

عبّود الشالجي

الأديب المحقق عبود بن مهدي الشالجي ينتمي الى أسرة تجارية معروفة . ولد ببغداد في ٢ آذار ١٩١١ وتخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٣٠ . عيّن حاكماً للصلح في ابو صخير والشامية سنة ١٩٣٦ ، وبعد ذلك في النجف والموصل ، ثم انصرف الى المحاماة . غادر العراق بعد ذلك وأقام في لبنان ١٨ سنة (١٩٦٩ - ١٩٨٧) ثم جاء الى لندن . وعاد الى بغداد بعد سنوات ، وقفل آئباً الى لندن للاستشفاء سنة ١٩٩٢ ، وتوفي بها في ١٤ نيسان ١٩٩٦ ونقل جثمانه الى النجف حيث دفن .

ترجم عبود الشالجي كتاب «أحوال بغداد في القرن التاسع عشر» (١٩٦٠) . وألف : الكنايات العامية البغدادية (١٩٧٩) ، موسوعة العذاب (٧ أجزاء) ، جمهرة الأمثال العامية البغدادية (٤ أجزاء) ، موسوعة الكنايات العامية البغدادية (٣ اجزاء) . وحقق من كتب التراث : الفرج بعد الشدّة للقاضي المحسّن التنوخي (٥ أجزاء ، ١٩٧٨) ، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ايضاً (٨ اجزاء) ، الرسالة البغدادية لأبي حيّان التوحيدي (١٩٨٠) .

أحبّ عبود الشالجي مسقط رأسه بغداد وإن اضطرّ على مزايلتها أعواماً طويلة . أحبها فأحيى كناياتها وأمثالها ، وحفظ لنا الحكم والامثال الشعبية التي عفّت عليها الثقافة الحديثة ونسيها الناس بعد ان بقيت في ذاكرتهم أجيالاً .

ولئن نشر كتابي المحسّن التنوخي لروعة حكاياتها فقد أخذ الشالجي بسحر بيان التوحيدي وجمال وشيه ووصفه ، لكن لم يفته ان التوحيدي هذا كان كذاباً أشراً خسيس النفس فاسد الطبع شحاذاً ملحاحاً لا يسلم من لسانه رجل او بلد . وقد نفذ الشالجي في مقدمته للرسالة البغدادية الى قرارة نفس المؤلف فتناولها بالنقد والتجريح . واننا لنعجب لأبي حيّان كيف استطاع ان يجمع في مصنّفه كل تعابير البذاءة والرقاعة والشناعة ليخلق منها عالماً عجيباً في أسفل السافلين .

الدكتور مهدي المخزومي

العالم النحوي الدكتور مهدي صالح المخزومي ولد في النجف سنة ١٩١٧ . تخرج في كلية الآداب بجامعة القاهرة وعاد الى بغداد فعين مدرساً للنحو وفقه اللغة في كلية الآداب والعلوم (تشرين الثاني ١٩٤٣) ، ثم أصبح استاذاً للنحو والصرف وعميد كلية الآداب بجامعة بغداد (١٩٥٨) ، ورئس تحرير مجلة «الأديب العراقي» التي أصدرها اتحاد الأدباء العراقيين سنة ١٩٦١ . وذهب بعد ذلك الى المملكة العربية السعودية فدرّس في جامعة الرياض وأصبح رئيساً لقسم اللغة العربية في كلية الآداب بالجامعة .

عاد بعد ذلك الى بغداد وكان رئيس قسم اللغة العربية بجامعتها ، وتوفي في بغداد في ايار ١٩٩٣ . من مؤلفاته : مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو (١٩٥٥) ، الخليل بن أحمد الفراهيدي : أعماله ومنهجه (١٩٦٠) ، في النحو العربي : نقد وتوجيه (١٩٦٤) ، في النحو العربي : قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث (١٩٦٦) ، عبقري من البصرة (١٩٧٣) ، الأصوات اللغوية عند العرب .

حصل على درجة الدكتوراه من القاهرة بأطروحته عن «مدرسة الكوفة ومنهجها» . قيّم دراسته الدكتور مصطفى السقّا الاستاذ في كلية الآداب القاهرية فقال : «تمتاز كتب الدكتور مهدي المخزومي عامة ، نظرية او تطبيقية ، بعمق البحث ووضوح المنهج وسهولة الترتيب والاعتماد على آراء أئمّة النحو واستخلاص أهم العناصر والآراء التي تصلح لاقامة صرح النحو الحديث على أصول علمية واضحة ، خالية من التأثر بالفلسفة والمنطق...» . وقال ان كتابه في النحو العربي : قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث خطة ومنهج حديث لتطوير النحو وتوجيهه وجهة أخرى غير وجهته التقليدية ، استصفى فيه خير ما أبدعته قرائح النحاة واللغويين من علماء البصرة والكوفة والأندلس .

وقال الدكتور المخزومي انه حاول تبرئة النحو مما علق به طوال عشرة قرون من شوائب ليست من طبيعته ولا من منهجه . وقد ألغى فكرة العامل وأبطل جميع التعليلات التي لا تستند الى استعمال ، وحذف الفصول التي ابتدعها النحاة شغفاً بالجدل العقلي ، ونهج ، كما قال ، في معالجة المسائل النحوية نهجاً أقرب الى طبيعة النحو ، متخذاً من آراء الدارسين الأولين أساساً لدراسة النحو قبل ان يتخذ منه النحاة المناطقة

أداة جدل وتحليل منطقي وفلسفة كلامية . وانتقد المخزومي أساليب تدريس النحو العربي التي التزمت بالمادة القديمة دون مراعاة الفارق الحضاري وتطوّر اللغة ، ممّا يؤدي الى نفور الطالب من الروحية القديمة التي جعلت من كتب النحو مادة عسيرة معقدة .

الدكتور صفاء خلوصي

الاستاذ الجامعي الأديب القصاص الدكتور صفاء خلوصي ولد ببغداد في ١٧ آب ١٩١٧ ، وكان أبوه عبد العزيز خلوصي من رجال القضاء خدمه أعواماً طويلة وكان حاكم صلح سامراء وحاكم السليمانية المنفرد . اما عمّ صفاء فهو الأديب المعروف عبد المجيد لطفي .

درس صفاء في مسقط رأسه . وأوفد سنة ١٩٣٥ للدراسة في جامعة لندن فنال شهادة البكالوريوس ، وعاد الى بغداد فعين مدرساً في تشرين الثاني ١٩٤١ . وأعيد ايفاده الى جامعة لندن سنة ١٩٤٥ ، فحاز على شهادة الدكتوراه في الآداب (١٩٤٧) ، وتولى في الوقت نفسه التدريس في مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية . وعيّن على اثر عودته الى بغداد استاذاً في دار المعلمين العالية في كانون الأول ١٩٥٢ ، وقد اصبحت الدار بعد تأسيس جامعة بغداد تعرف بكلية التربية . ورحل سنة ١٩٥٣ الى الولايات المتحدة للتدريس والبحث في جامعة ييل وجامعة شيكاغو .

اصبح صفاء خلوصي استاذاً متفرغاً في جامعة بغداد (١٩٧٢) . ثم مضى الى انكلترة واتخذ مقامه في مدينة اكسفورد .

وضع مجموعات قصصية : نفوس مريضة (١٩٤١) ، بنت السراج ، او رحلة الى اسبانية (١٩٥٢) ، ابو نؤاس في امريكا (١٩٥٦) ، احببت اميرة عباسية (بالانكليزية) .

ومن مؤلفاته الكثيرة الأخرى : معروف الرصافي (١٩٥٣) ، الترجمة التحليلية (١٩٥٧) ، دراسات في الأدب المقارن والمذاهب الأدبية (١٩٥٨) ، شواعر العراق المعاصرات ، فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة (١٩٥٦) ، النافذة المفتوحة : صور من الشرق والغرب (١٩٥٨) ، فن التقطيع الشعري والقافية جزآن (١٩٦٣) الخ . وقد حقق ونشر : تاريخ بغداد او حديقة الزوراء في سيرة الخلفاء لعبد الرحمن السويدي (١٩٦٢) . ومن مترجماته الى العربية : البحث عن السعادة من تأليف ر م مايك آيفر (١٩٦٠) ، تاريخ الأدب العباسي من تأليف رينولد أ نيكولسن (١٩٦٧) ، الساعة العجيبة قصة من تأليف هاورد بايل - القسم الثاني (١٩٦٣) ، صورة امرأة لهنري جيمس .

نشر بحوثاً في المجلة الاسلامية (اسلاميك ريفيو) ومجلة الجمعية الآسيوية الملكية في لندن . ومن مؤلفاته بالانكليزية : الاسلام والخيار (١٩٦١) ، الأدب العربي المعاصر ، تحليل وتقييم لنهج البلاغة ، رحلة الى الشرق الأوسط ، القصة العربية الحديثة ، معروف الرصافي (١٩٥٠) ، نادر شاه في مخطوطات القرن الثامن عشر العربية .

عمل صفاء كثيراً في تعريف الأدب العراقي الحديث الى الانكليز . وكان من رواد القصة العراقية ، وتوسع في اختيار ابطال قصصه من المجتمع الأوربي ، وعني بالتحليل النفسي . قال ان القصة لم تعد في العصر الحاضر مجرد اثبات وقائع وسرد مفاجآت ، بل هي أداة لمعالجة الأمراض والمشاكل الاجتماعية . وقد اصبح الارتباط بين فن القصة والسايكولوجية وثيقاً محكماً . فالقصة العظيمة هي التي يحلل الكاتب فيها نفسيات ابطالها تحليلاً سايكولوجياً (نفسانياً) دقيقاً .

قال خليل ابراهيم عبد اللطيف في كتابه «أدباء العراق المعاصرون» ان «نفوس مريضة» تضم صوراً لأناس عاشوا ولا زالوا يعيشون على نمط غريب شاذ بعقولهم ونفسياتهم ورغباتهم لأنهم مرضى ، مرضى بنفوسهم ، ومرضى بأفكارهم ومبادئهم . واختار خليل ابراهيم عبد اللطيف انموذجاً قصة «تلك كانت خطيئتي» من مجموعة «نفوس مريضة» ، وهي قصة غريبة في بابها .

هي قصة فتاة تتألم وتبكي . يسألها صاحبها عن سبب بكائها فتجيب : لأنك لم تعد تحبني . ذكرت سعيها للحصول على رضاه وما ضحت به في سبيله ، فلم تجد فيه سوى رجل يسطو على قلوب العذارى ويسرقها ويحنث بوعوده في الزواج . لكن الفتى يقول لها انه اصبح بين نارين : التضحية بها او التضحية بوطنه ، فحار فيما يختاره لأنه ملزم بحكم قانون بلاده بعدم الزواج بأجنبية .

فكرت الفتاة بنفسها بعد هجرة حبيبها فارتأت ان وقت النزق والطيش قد فات ، وقررت ان توقف بقية حياتها لخدمة البشر . وعادت الى دارها فوجدت رسالة من صديقها الذي عاد الى بلده يسألها ان تصفح عنه ، ويعرب عن حبه الشديد لها ، ذلك الحب الذي لم يستطع الوفاء به . ولذلك قرر ان يختتم سفر حياته بطلقة مسدس واحدة .

فماذا فعلت الفتاة؟ لقد ابتسمت مرة أخرى للحياة وتأبطت كتبها وعادت الى الجامعة لمواصلة الدرس .

وفي قصة أخرى لصفاء خلوصي «مسودة رسالة» يروي حكاية حب لصاحب له شغف باسبانية حسناء «احبها بعقله وروحه وقلبه معاً» . فتاة لم يرها انسان إلا اعجب

بصوتها الموسيقي العذب ، تعلوها امارات البراءة ، براءة الطفولة . وكان من الصعب جداً ان يصدق الانسان ان مثل هذه المرأة تستطيع ان ترتكب اصغر الآثام وأقلها شأناً . لكن كانت مجرمة حقاً ، فما من إثم إلا ارتكبته ، وما من خطيئة إلا اجترمتها . فقد كانت لها شخصية مزدوجة : شخصية بريئة تحب الخير ، وأخرى شريرة مدمرة . وأنت لا تعلم متى تظهر الواحدة وتختفي الأخرى . وبعد ان يروي الكاتب قصة الحب الطويلة المثيرة يجد المحب لصاحبته احبة كثيرين فينبذها ويقول : ان الانسان ليستطيع ان يشارك غيره في كل شيء إلا المرأة !

اختير خلوصي سنة ١٩٧٨ رئيساً للمجلس الاسلامي الأعلى للتربية والتعليم في المملكة المتحدة وارلندة . ودعي لالقاء محاضرات في الرباط والدار البيضاء وطنجة ، وألف كتباً باللغة الانكليزية عن النبي محمد والخلفاء الراشدين . وهو لا يدخن ولا يشرب الخمرة ، وقد قال : سكرة الشعر اروع من سكرة الخمر . وقال مؤتسياً بالفيلسوف الفرنسي فولتير : التفكير محنتي . واتخذ شعاراً له قول فولتير : انا لا أوافق على رأيك ، لكنني ابذل آخر قطرة من دمي للدفاع عن حرية رأيك . وهو ينتمي الى عشيرة البيات وهي عشيرة ذات جذور عربية وكردية وتركمانية ، وينسب الى ذلك تسامحه وتآلفه مع مختلف الأقوام والفئات .

لقد اهتم بالشعر ودرس العروض وألف في ذلك كتابه عن فن التقطيع الشعري والقافية . ووجد الفرصة بين مشاغلة الكثيرة المتشعبة لنظم الشعر ، فقال يخاطب صلاح الدين الأيوبي :

يا قاهر الغرب جبّار السلاطين ... توّجتَ تأريخنا في يوم حطّين
مزّقت خارطة كانت مزيّفة ... حققت نصرك في شتى الميادين
خضدت شوكة أوربا وقادتها ... مرّغت تيجانها في حمأة الطين
خلعت عاتق أرناط لقالته : ... هاتوا محمدكم إن شاء يفنيني
وجاء جيُّ مليك القدس منخذلاً ... من ذا رأى ملكاً في زيّ مسكين؟

وقال في شهيد برقة عمر المختار :

أكالإعصار ام شُعَل اللهيب ... يمرّ معانق الفرس النجيب؟
عن المختار يسأل كلّ ركب ... صبيحة يومه او في الغروب
بعزم الفاتح الجبّار جئنا ... نحيّي ذكر ذيّاك الحبيب
شهيد شقّ للعليا دروباً ... ولقّن بأسه خصم الشعوب
مضى صوب المطامح باتّئاد ... وما هدف المطامح بالقريب

وجـاهد مـا اسـتطاع فـمـا توانى ... وناضل في الجبـال وفي السـهـوب
وكـرّ مـصـاولاً شـرقـاً وغـربـاً ... ومـا عـزم الأشـاوس بالكذوب

وقال :

ولا خـيـر في حلم إذا لم يكن به ... بـوادر تحـمي صـفـوه ان يكدّرا
ولا خـيـر في جـهـل إذا لم يكن له ... حليم إذا مـا أورد الأمـر أصـدرا

* * *

أقول : ربطتني بالدكتـور صفاء خلوصي روابط ودّ وأدب تزيد على نصف قرن . وقد أخذ مآخذ على كتابي «اعلام الأدب في العراق الحديث» وقـدّر شعـري تقديـراً طيباً فـي مـقـالات لـه فـي جريدة «العرب» اللندنية في كانون الثاني وشباط ١٩٩٥ . وقد انتقـدت رأيـه في عروبـة وليـم شكسبير التـي دعـا اليها وقال انه «الشيخ زبير» ، ولم اقتنع بالأدلة التي سردها من مسرحيات كبير أدباء المسرح الانكليزي ومقطّعاته الشعرية .

اتصلت المراسلة بيننا في الأمد الأخير بين اكسفورد ولندن . وقد قلت فيه :

لـي صـديـق ألـمـعـيّ ... كـاسـمـه صـافي الصـفـاء
لـه في العـلـم سُـمـوق ... وسـمـوّ في الـوفـاء
وهو بـالفـضـل سَـبُـوق ... لجـمـوع الشـرفـاء
مـجـدّ الاسـلام ديناً ... واقـتـدى بالأتقـيـاء
في اكـسـفـرد مـقـيم ... مـوقـر لـلأدبـاء
نشـر الآداب فـيـضـاً ... فـي جـلاء ورواء
نـظم الشـعـر بديعـاً ... رافـعـاً فـيـه اللـواء
فـي مـعـان بـاهـرات ... كـالدراري فـي البـهـاء
وبحـور الشـعـر وفّى ... حـقـهـا في الازدهـاء
فـبـه أنـعـم وأكـرم ... جـلّ بـيـن القـرنـاء
ولـه مـنـي سـلام ... زانـه صـدق الـولاء
دام في صـفـو وعـزّ ... وأمـان وهـنـاء

أرسلت اليه بهذه الأدبيات فأجابني في ٢٧ نيسان ١٩٩٥ قائلاً : « وشكراً للرسالة الكريمـة والقـصـيدة العصـمـاء التى ارجـو ان أوفّق لمعـارضتهـا يومـاً بعـد ان أتحرر من الشواغل المتراكمة التي لا أكاد أجد مخرجاً منها» .

كانت تلك آخر رسائله اليّ من اكسفورد ، فقد أصابه مرض شديد فنقل الى المستشفى في لندن للعلاج ، وأدركته الوفاة في العاصمة البريطانية في ٨ ايلول ١٩٩٥ . خسرناه استاذاً عالماً وأديباً ألمعياً متشعب النشاطات والهوايات ، وخسره أصدقاؤه الكثيرون أخاً كريماً وفياً .

نجدة فتحي صفوة

الدبلوماسي البحاثة المحقق نجدة فتحي صفوة ينتمي الى الأسرة الكركوكية المعروفة آل قيردار ، وقد ولد في بغداد ١٩٢٣ . كان أبوه فتحي صفوة من خريجي دار المعلمين التركية في استانبول التي كان مديرها ساطع الحصري وتولى التدريس في العاصمة التركية في العهد العثماني ، فلما جاء الى بغداد أقنعه الحصري مدير المعارف العام بالعودة الى سلك التعليم ، فبدأ سيرة تدريسية مجيدة في دار المعلمين والمدارس الثانوية دامت نحواً من أربعين سنة وتخرج عليه آلاف الطلاب .

درس الفتى نجدة في المدارس ثم انتمى الى كلية الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٤٥ . وقد أفاد كثيراً من دروس الشيخ علي الطنطاوي في اللغة العربية في اثناء دراسته الثانوية . تولى نجدة التدريس ، ومال الى الأدب وهو شاب يافع ، فاتصل برفائيل بطي ولازم مجلس الأب انستاس ماري الكرملي . وأصدر سنة ١٩٤٣ كتاباً في «مذاهب الأدب الغربي» وشفعه بعد سنتين بكتاب «ايليا ابو ماضي والحركة الأدبية في المهجر» .

أدّى امتحان السلك الخارجي فالتحق به في آب ١٩٤٥ ، وعيّن ملحقاً في سفارة لندن (١٩٤٦) . وانتهز فرصة وجوده في العاصمة البريطانية فداوم في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن . وفي سنة ١٩٤٩ نقل الى عمّان فالقاهرة (١٩٥٠ - ١٩٥٤) . وانتدب مرتين خلال هذه المدة في سنة ١٩٥٢ و١٩٥٣ قائماً بأعمال السفارة العراقية في عمّان . ثم خدم في جدة (١٩٥٥) وباريس (١٩٥٥) وأنقرة (١٩٥٦ - ١٩٥٨) . وعاد الى ديوان وزارة الخارجية معاوناً لوكيل الوزارة ووكيل الوزارة بالنيابة ، ثم انتدب وزيراً مفوضاً في سفارة واشنطن (١٩٦٠) فموسكو (١٩٦٣ - ١٩٦٦) . وتولى حيناً منصب القائم بأعمال السفارتين بالوكالة .

عاد الى بغداد سنة ١٩٦٦ مديراً عاماً للدائرة السياسية في وزارة الخارجية حتى اعتزل الخدمة في السنة التالية ، ومارس المحاماة حيناً .

يحسن نجدة فتحي صفوة اللغتين التركية والانكليزية ويلمّ بالفرنسية والروسية ، وقد تعلم هذه اللغة الأخيرة في اثناء عمله في موسكو . وأفاد من عمله في الأقطار الأوربية والعربية المختلفة للبحث والتتبع . فلما ترك الخدمة تفرغ للتحقيق والكتابة . انصرف الى

استخراج الوثائق البريطانية المتعلقة بالعراق والشرق العربي منذ بدء القرن العشرين وتدقيقها وترجمتها ونشرها ، فهيأ بذلك للمؤرخين مصادر بحث تكشف عن الأسرار السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة . ولا يخفى ما في ذلك من جهود تعصى على غير الخبير المتمرس الذي عايش السياسة الدولية نحواً من نصف قرن .

من مؤلفاته : العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب (١٩٦٩) ، التفرغ ومشكلات الأدب (١٩٦٩) ، حكايات دبلوماسية (١٩٧٠) ، بيروبيجان : التجربة السوفييتية لانشاء وطن قومي يهودي (١٩٧٣) ، الماسونية في الوطن العربي (١٩٨٠) ، العراق في الوثائق البريطانية سنة ١٩٣٦ (١٩٨٣) ، خواطر وأحاديث في التأريخ (١٩٨٣) ، من نافذة السفارة : العرب في ضوء الوثائق البريطانية (١٩٩٢) ، العرب في الاتحاد السوفييتي (١٩٨٤) ، معروف الرصافي (١٩٨٨) ، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز - ١٩١٦) الخ .

عمل منذ عدة سنوات في وضع موسوعة عن الجزيرة العربية (الحجاز ونجد) في الوثائق البريطانية في ١٢ جزءاً ضخماً خلال السنوات ١٩١٤ - ١٩٣٢ . وقد صدر من هذه الموسوعة حتى الآن خمسة أجزاء . ودأب خلال عدة سنوات على نشر حقله اليومي « هذا اليوم في التأريخ» في جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية .

كان نجدة فتحي صفوة من ألمع موظفي السلك الخارجي بلغ فيه القمة او ما يقارب القمة . انتهز فرصة وجوده في لندن وواشنطن وموسكو وغيرها من العواصم فاستفاد وأفاد . فلما اعتزل الخدمة هيّئ له ان يبدأ سيرة جديدة وافرة العطاء من البحث والتحقيق والتدقيق ، فأخرج أسفاراً قيمة في التأريخ الحديث للعراق والبلاد العربية . وقد قدّر اتحاد المؤرخين العرب جهوده فمنحه وسام المؤرخ العربي الذهبي في سنة ١٩٩٥ ، وذلك تثميناً «للابداعات الفكرية والتأريخية والثقافية التي حققها في الحقول العلمية والوثائقية والتراثية ، ورفده المكتبة العربية انتاجاته الأصيلة والمبتكرة...» .

* * *

ربطتني بنجدة صداقة وثيقة منذ أكثر من خمسين سنة نشأت في بغداد وجدّدت في لندن . وقد حييّته بهذه الأبيات تأكيداً للمودة الصافية :

التـقـينا بعـد أعـوام طويلة	بأخ لم أرَ من قبلُ مثيلَه
ألمعيّ جاب أنحاء الدُّنى ،	دبلوماسيٌّ غدا الفضلُ دليلَه
كان وجهاً لعراقٍ ناهض	مُشبهٍ في رفعة العزّ تخيلَه
نال فوزاً في ميادين العُلى ،	سابقاً في حَلْبة النُّجح الأصيلة

بعد عمر حافل في نهجه ... تَخذَ الأقلام في البحث وسيلة

سهر الليل ولم يشكُ الضنى ... طاَعناً في فكَر الوهم الهزيلة

حررّ التاريخ من أوهامه ... سالكاً فيَ منهَج العلم سبيله

ولكم فنّد رأياً زائفاً ... وشفى من خاطل الرأي غليله

كم كتاب نمّقت أنمُلُهُ ... ومقالات عطاياها جليلة

قد ذكرت الودّ من خدْن الوفا ... والتفاتات منً اللطف جزيلة

فاليهِ اليوم حمَدٌ وافرٌ ... وتحيّاتٌ من القلب جميلة

عبد الرحمن التكريتي

الزعيم (العميد) عبد الرحمن عبد الجبار التكريتي صاحب «الأمثال» ولد في الموصل سنة ١٩١٤ . أتم دراسته وانتمى الى الكلية العسكرية في بغداد وتخرّج ملازماً . وتدرج في مراتب الجيش حتى أصبح آمراً لحامية البصرة برتبة زعيم (عميد) . وعيّن على أثر انقلاب رمضان (شباط ١٩٦٣) رئيساً للمحكمة العسكرية الخاصة التي حاكمت رجال العهد القاسمي السابق ، وأحيل على التقاعد في السنة التالية .

مال الى جمع الأمثال وتحقيقها منذ شبابه . فلما اعتزل العمل تفرّغ لهذه المهمة وأصدر كتابه الجامع «الامثال البغدادية المقارنة» في أربعة أجزاء (١٩٦٦ - ١٩٦٩) ، وقد بلغت الأمثال الواردة فيه ٢٧٤٩ مثلاً . ثم شفعها بـ «جمهرة الأمثال البغدادية» (١٩٧١) ، وقد دوّن فيه ما فاته في الأجزاء السابقة . كتبت لكتابه ، حسب طلبه ، مقدمة باللغتين الانكليزية والفرنسية ، وقد ترجمت ايضاً الى الالمانية . وقيّمت الجزء الأول من كتابه بمقال نشرته جريدة «البلد» لصاحبها عبد القادر البرّاك في عددها الصادر في ٥/١٢/١٩٦٦ ، فقلت :

« . . . ومن علماء العراق وفضلائه الذين اهتموا بالأمثال المحلية وعنوا بجمعها وتدوينها محمود شكري الألوسي ومحمد سعيد آل مصطفى الخليل وعبد اللطيف ثنيّان وانستاس ماري الكرملي ومعروف الرصافي وجلال الحنفي وغيرهم من الذين عملوا على احياء التراث والحفاظ عليه . وكان ممن تصدى لهذه المهمة الجليلة صديقنا الكريم العميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي الذي خسره الجيش ليكسبه البحث والتحقيق والأدب . فلقد دأب سنين طويلة على جمع الأمثال البغدادية وتمحيصها وتدوين قصصها وحكاياتها . ثم اقتنى مكتبة ضخمة تحتوي على نوادر أمثال الأقطار العربية وتفرغ لمقارنتها ومطابقتها . . .

«مهّد الاستاذ التكريتي لأمثاله بمقدمة وافية تناولت تعريف الأمثال ومصادرها قديماً وحديثاً ونشوئها وتدوينها وأنواعها . ثم استقصى ما كتب عن الأمثال البغدادية وما صدر من كتب الأمثال العامية في سائر بلاد الضاد . اما الطريقة التي انتهجها المؤلف في كتابه فتتلخص في ايراد المثل البغدادي بحسب حروف الهجاء وذكر أصله ووجه استعماله

ومعناه ومقارنته بما يماثله في الأقطار العربية الأخرى ، مع الاشارة الى المصادر في الحاشية . وقد تضمن الجزء الأول ٥٨٢ مثلاً معارضة بأشباهها في مصر والسودان وسورية ولبنان وفلسطين والمملكة العربية السعودية والكويت وليبية وتونس والجزائر والمغرب الخ . ولم يخل الكتاب من ارجاع الأمثال العامية الى أصولها الفصحى حيثما وجدت ، والاشارة الى تلك التي تستمد جذورها من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر الفصيح .

«لقد كتب أناتول فرانس أديب فرنسة الخالد :

«ان مطالعة الأمثال وانعام النظر في مبانيها ومعانيها ليثير في النفس ايضاً مشاعر وأحاسيس شتى ويوحي بأفكار وآراء وصور متقاربة حيناً ومتباعدة أحياناً . ان قراءة الأمثال في الحقيقة جولة رائعة في أحقاب الزمن وعقول الشعوب . وحسبنا ان نطلق العنان لخيالنا لنرى في المثل حكمة سانحة او فكاهة خافية او تهكماً لاذعاً او حكاية مركزة في كلمات قليلة !» .

هذا ولم يقصر عبد الرحمن التكريتي همه على جمع الأمثال ودراستها ، بل عمد ايضاً الى تقصّي أخبار الظرفاء البغداديين وتسجيل لطائفهم ونوادرهم ، وفي مقدمتهم عبد المجيد الشاوي والملا عبد الله الخياط وعبد الغفار الأخرس الشاعر وأضرابهم ، كما درس نوادر جحا الرومي المعروف باسم الملا نصر الدين وضريبه جحا العربي .

وكتب جعفر الخليلي يقول : «ماذا نقول لو ان مدنياً تصدى لتأليف كتاب عسكري في التعبئة مثلاً وقد بلغ في تأليفه المرحلة التي تجعل من كتابه هذا مصدراً عسكرياً ممتازاً ، أفلا نكبره ونعجب به؟ ... هكذا والله شعرت وأنا أقرأ كتاب «الأمثال البغدادية المقارنة» للعميد المتقاعد عبد الرحمن التكريتي ، فقد اكبرته وأعجبت به» .

وقال سليم طه التكريتي ان العميد المتقاعد نحا منحى جديداً في هذا البحث الشاق ، فلم يكتف بتدوين الأمثال البغدادية وشرح معانيها وايضاح مقاصدها ، وانما قام – وهذا مما لم يسبقه اليه باحث – بايجاد مقارنة بين كل مثل من الأمثال العراقية بما ينظر اليه في بلدان عربية أخرى . وأضاف قائلاً : «ولقد كان من عمق هذا البحث واستقصائه انه راح يطارد هذه الأمثال في اكثرية البلاد العربية ويسجل طرائف التلفظ بها وما يقصد من ورائها» .

توفي عبد الرحمن التكريتي في بغداد في ٣٠ ايار ١٩٨٧ .

الدكتور ابراهيم السامرائي

البحاثة المحقق والعالم اللغوي ابراهيم احمد السامرائي ولد في العمارة سنة ١٩٢٠ وأتمّ دراسته الثانوية في بغداد . ثم انتمى الى دار المعلمين العالية سنة ١٩٤٥ وعيّن بعد تخرجه مدرساً على الملاك الثانوي . وأوفد الى باريس فالتحق بجامعة السوربون ونال شهادة الدكتوراه في اللغات السامية وفقه اللغة العربية ، وكان موضوع اطروحته التي كتبها بالفرنسية «الجمع واسم الجماعة في القرآن» .

عاد الى بغداد فكان مدرساً في كلية التربية فأستاذاً فيها . وغادر العراق في أول سنة ١٩٧٨ فمضى الى الأردن ، ثم انتقل الى صنعاء وعاد منها الى عمان حيث يقيم الآن . وقد انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية الأردني .

قال خليل ابراهيم عبداللطيف في كتابه «أدباء العراق المعاصرون» المطبوع في بغداد سنة ١٩٧٢ ان الدكتور ابراهيم السامرائي قد اهتم باللغة العربية أشد الاهتمام ، وخاصة بفقه اللغة . وحفلت كتبه بآرائه وملاحظاته حول المناحي اللغوية والأدبية وشدد على وجوب استعمال الفصحى في كلامنا اليومي دون العامية .

وقال الدكتور داود سلوم ان السامرائي مدرس لغة ، وصناعته المفردات يقلبها ويرجعها الى أصولها العربية القديمة او اللغات السامية البائدة . وهو كاتب يتبع الأساليب الحديثة ليضعها في مكانها وينسبها الى أصولها الأجنبية في اللغات الأوروبية الحديثة .

والسامرائي الى ذلك شاعر مجيد طويل النفس . وفي شعره أصالة وأثر واضح من تزمّت عالم اللغة . ومن شعره قصيدته «الى بغداد» نظمها في باريس سنة ١٩٥٢ ، قال :

تحنّ ويصبيك تذكارها ... ربوع تهزّكَ أخبارها
تمرّ بقلبك لفح الهجير ... حراراً يؤجّج مسعارها
كأن لم تكن وسيم الرياض ... رحاباً تضوّع معطارها
تردّد بالسعد أصداؤها ... وتعمر بالطير أوكارها
تمرّ بها النسمات العذاب ... ويحفظ باليمن خطّارها
وإذ هي تبعث لون الحياة ... تقايض بالأمن آثارها

ولاحت تردي مسوح النعيم رطاباً وصفّق تيّارها
إذا هي تخلع ما تزدهي بهنّ وقد أوحشت دارها
وألوت فلا نغم مفرح وقد هجر الحيّ سمّارها

ومن شعره الأخير قصيدته «مع الرحيل والأخريات» مطلعها :

الى أين أسري ، وهل من حِمَى وأنّى أصيب بهيّ الضّحى؟
ومن أين أبدأ وحش السَبيل أراني وقد نال منّي العنا؟
أأدرك درب السلام الرحيب ، وكيف وقد حال دوني العَشَا
تمرّست بالأبعدين الكرام فألفيت فيهم رحيب الحمى
رعوا لك حقاً ، فهل كان من أشقّائك الصيد بعض الوفا؟
وُهِبْتَ الحجى ، هل أصاب الحجى وهلا انتهيتَ لدرك النهى؟
وأين النهى ، هل أتى أتْيهُ؟ لقد طالما كان مُرَّ الجنى

مؤلفاته :

نظرة في التنوين (١٩٥٩) ، تعابير أوروبية في العربية الحديثة (١٩٥٩) ، الجمع في العربية (١٩٦٠) ، في تأريخ المشكلة اللغوية (جزآن ١٩٦٠ - ١٩٦٤) ، الأب انستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية (١٩٦٠) ، الاعلام : بحث تأريخي في اللغة واللهجات (١٩٦١) ، الاعلام في الشمال الأفريقي (١٩٦٣) ، الاعلام العربية : دراسة لغوية اجتماعية (١٩٦٤) ، بداية الفكر الجغرافي عند العرب (١٩٦٤) ، دراسات في اللغة (١٩٦١) ، مبدأ التطور في اللغة (١٩٦٤) ، من الأدب التونسي الحديث (١٩٦٤) ، أصول اللغة العامية البغدادية (١٩٦٥) ، التصغير في أصوله ودلالته (١٩٦٥) ، الجديد في اللغة والمعجم الحديث (١٩٦٥) ، رحلة الخياري (١٩٦٥) ، لغة الشعر بين جيلين (١٩٦٥) ، ابو سعيد السيراني وكتاب سيبويه (١٩٦٦) ، التطور اللغوي التأريخي (١٩٦٦) ، الفعل : زمانه وأبنيته (١٩٦٦) ، في الجديد اللغوي (١٩٦٦) ، في اللهجات المغربية والأندلسية (١٩٦٧) ، اللغة التونسية (١٩٦٧) ، في النحو العربي : نقد وبناء (١٩٦٨) ، نظرة مقارنة في التذكير والتأنيث (١٩٦٨)... الخ .

حقق السامرائي كتباً كثيرة ، منها : خلق الانسان لأبي اسحق الزجّاج (١٩٦٢) ، رسائل في اللغة (١٩٦٤) ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء لابن الأنباري (١٩٥٩) ، الجبال والأمكنة والمياه لمحمود بن عمر الزمخشري (١٩٦٨) ، رسالة في السمسرة والسمسار وأحكامه لأبي العباس الابياني التونسي (١٩٦٥) ، شعر الأحوص (١٩٦٩) ،

فوائد لغوية من شمس الأدب لأبي سعيد السمناني (١٩٦٨) ، المتشابه لأبي منصور الثعالبي (١٩٦٧) ، التذكير والتأنيث للسجستاني (١٩٦٩)... الخ . وشارك في تحقيق ديوان القطامي وديوان قيس بن الخطيم وشعر عروة بن حزام .

وقد أخبرني الدكتور ابراهيم في رسالة وردتني منه من عمان ان ديوان شعره ينشر الآن في السعودية في ٧٠٠ صفحة .

سليم طه التكريتي

الكاتب المترجم سليم طه التكريتي ولد في تكريت سنة ١٩١٥ . قدم الى بغداد وانتمى الى كلية الحقوق ونال شهادتها ومارس المحاماة . وقد عمل في الوقت نفسه محرّراً في جريدة «الرأي العام» لصاحبها محمد مهدي الجواهري ، وكان معلماً في مدرسة التفيض ومحرراً لمجلتها «التفيض» . وتولى بعد سنوات عديدة رئاسة تحرير جريدة «أخبار اليوم» لصاحبها محمد البريفكاني (١٩٦٤) .

درس الانكليزية على نفسه ودأب على التأليف والترجمة ، لكن ترجماته لم تتّسم بالدقة لافتقاده المعرفة الصحيحة باللغة الانكليزية . واعتقل سنة ١٩٦٨ أمداً قصيراً ، ثم عمل في وكالة الأنباء العراقية حتى اعتزل العمل في سنوات الثمانين . وأنشأ دار العصور للنشر فأصدر بعض الروايات .

من مؤلفاته : أعلام الأدب الحديث (١٩٤٠) ، في الاتحاد السوفييتي (١٩٤٢) ، القضية البولونية (١٩٤٥) ، مكسيم غوركي (١٩٤٦) ، الملك الأسير : قصة ليوبولد ملك البلجيك (١٩٥٠) ، أسرار الانقلاب العسكري الأخير في سورية (١٩٤٩) ، تأريخ الحرب العظمى الثانية (١٩٥٠) ، الحرب في كوريا (١٩٥٠) ، فرموزا آخر معارك الصين (١٩٥٠) ، فيتنام من مراكز الكفاح الوطني في الشرق (١٩٥٠) ، مراحل الكفاح الوطني في فيتنام (١٩٥١) ، معركة النفط في ايران (١٩٥١) ، معركة النفط في العراق (١٩٥١) ، مهرجان السلام في برلين (١٩٥١) ، الحلف التركي - الباكستاني (١٩٥٢) ، مشكلة الشرق الأوسط (١٩٥٦) ، أزمة الشرق الأوسط (١٩٥٧) ، فرنسا في طريق الدكتاتورية (١٩٥٨) ، أبطال السلام (١٩٥٩) ، الصراع على الخليج العربي (١٩٦٦) .

ومن مترجماته : كيف انشئ الاتحاد السوفييتي (١٩٤٤) ، مشاريع السنوات الخمس في روسيا (١٩٤٢) ، مشكلة المستعمرات (١٩٤٦) ، حياة لويس باستور (١٩٥٧) ، أسباب الخلاف بين مصر والعراق (١٩٥٩) ، حزب الطبقة العاملة (١٩٥٩) ، حكومة كيرالا في الهند (١٩٥٩) ، المارشال رومل (١٩٥١) ، جولة في الخليج العربي للحاج عبدالله وليمسن (١٩٦٢) ، ثورة العراق مايس ١٩٤١ (عن ونستن شرشل وفريّا ستارك ، ١٩٦٣) ، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٦٧ (للرحالة جاكسون ، ١٩٦٢) ،

الحركة الفكرية في عصر الخلفاء الراشدين (عن كمال الدين فريق ، ١٩٦٨) ، رحلتي الى العراق سنة ١٨١٦ (تأليف جيمس بكنكهام (١٩٦٨) ، مرحلة ما بعد الاستقلال (١٩٥٩) ، الخ .

ومن الكتب التي أصدرها عن دار العصور : أسمهان والمخابرات البريطانية ، حكاية قبلة (رواية) ياسمينة الغجرية (رواية) .

قال الدكتور جليل العطية : «للتكريتي أسلوب قويّ ، وله قدرات هائلة حتى انه في بعض الفترات كان يكتب افتتاحيات لثلاث صحف يومية مختلفة الآراء والاتجاهات» .

توفي سليم طه التكريتي في بغداد في تموز ١٩٩٦ .

غائب طعمة فرمان

من الروائيين العراقيين المرموقين غائب طعمة فرمان ، اشتهر بروايته «النخلة والجيران» ، التي قدمت مسرحية من قبل فرقة المسرح الفني الحديث ، مثلتها : زينب ، ناهدة الرماح ، خليل شوقي وآخرين ثم عرضت في التلفزيون . ولد في كربلاء سنة ١٩٢٧ ، وأتم دراسته في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وتخرّج فيها سنة ١٩٥٤ .

عاد الى العراق لكن الحكومة العراقية رفضت تعيينه لما عرف عنه من ميول يسارية ، فمضى الى سورية ولبنان . وقد عاد الى بغداد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ وبقي فيها نحو السنة ، ثم غادرها الى موسكو وبكين . وأقام في موسكو منذ عام ١٩٧٠ وعمل مترجماً في دار التقدم للنشر وغيرها . وتوفي فيها في ١٨ آب ١٩٩٠ .

مال الى الأدب منذ صباه وبدأ بنظم الشعر . ثم نشر أول قصة له في مجلة «الجزيرة» (١٩٤٩) بعنوان «مصرية في العراق» . وتعرّف خلال وجوده في مصر بكبار أدبائها ومنهم احمد حسن الزيات ونجيب محفوظ ، وبدأ بنشر قصصه في مجلة «الرسالة» ، ونشر بعد ذلك قصصاً في جريدة «الأهالي» ومجلة «المثقف» ومجلة «١٤ تموز» .

مؤلفاته : حصيد الرحى (قصص ، ١٩٥٤) ، مولود آخر (قصص ، ١٩٥٩) ، النخلة والجيران (رواية ، بيروت ١٩٦٦) ، خمسة أصوات (رواية ، ١٩٦٧) ، المخاض (رواية ، ١٩٧٤) ، القربان (رواية ، ١٩٧٥) ، ظلال على النافذة (رواية ، ١٩٧٩) ، آلام السيد معروف (رواية قصيرة وقصص ، ١٩٨٦) ، المرتجى المؤجل (قصة طويلة ، ١٩٨٦) ، المركب (رواية ، ١٩٨٩) . وترجم مجموعة من القصص والروايات عن الروسية .

قال الدكتور داود سلوم ان قصص غائب طعمة فرمان واقعية تتصل بحياة الطبقة العاملة في المجتمع .

وقد قال غائب نفسه ، في مقالة له في مجلة «الطريق» البيروتية في عدد آب ١٩٨١ – كما أخبرني الدكتور جليل العطية – قال :

«علاقة الروائي بالواقع علاقة كائن حيّ بكائن حيّ . والروائي في ظني لا يصور

الواقع بقدر ما يصور اسقاطاته على ذهنه ومخيلته وحواسّه . الروائي مطالب دائماً في ان يوسّع لنفسه ، ومن خلال ممارسته لفنّه الروائي بصدق وأمانة ، الأرض التي يترك فيها وزوايا الواقع ودهاليزه التي يكتشفها من خلال عملية المعايشة والملاحظة والتقصّي والتفاعل مع الأحداث والأشخاص والمواقف واللحظات الانسانية والمصائر الانسانية التي تكون لحمة فنه الروائي وعموده الفقري . انها عملية اقتحام من واقعنا العربي المليء بالأسوار والحرمات والمعوّقات . وليس من شك في انه ، من خلال بحثه الدائب ، سيجد المزيد والمزيد من أشكال العلاقة بالواقع مايزيد فنّه الروائي غنى وأصالة» .

علي الخاقاني

علي الشيخ عبد علي الخاقاني البحاثة ولد في النجف في ٣١ تموز ١٩١٢ ودرس العلوم العربية على علمائها . أصدر مجلة أدبية اسبوعية باسم «البيان» في تموز ١٩٤٦ ووالى اصدارها الى سنة ١٩٥٢ . ثم انتقل الى بغداد وأسس فيها مكتبة دار البيان وأصدر كتباً عديدة من تأليفه ، وحقق كتباً منها : استقصاء النظر في القضاء والقدر لنجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي (١٩٣٥) ، ديوان التميمي (١٩٤٨) ، ديوان السيد حيدر الحلي (في جزءين ، ١٩٥٠ - ١٩٦٤) ،ديوان الشيخ محمد رضا النحوي (١٩٥٤) ، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب للقلقشندي (١٩٥٨) ، الهاشميات للكميت الأسدي ، أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي (١٩٦٦) ، تنفيس الشدة في تخميس البردة لابراهيم حقي الحسيني (١٩٦٨) ، مشاهداتي في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ لمحمد علي كمال الدين (١٩٦٩) الخ .

من تآليفه : شعراء الحلة او البابليات (٥ أجزاء ١٩٥١ - ١٩٥٣) ، شعراء الغري او النجفيات (١٢ جزءاً ١٩٥٤ - ١٩٥٦) مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة (جزآن ١٩٦١ - ١٩٦٢) ، تأريخ الصحافة في النجف (١٩٦٩) ، شاعر الشعب محمد صالح بحر العلوم (١٩٥٨) ، شعراء بغداد (جزآن ١٩٦٢) ، فنون الأدب الشعبي (١٢ حلقة ١٩٦٢ - ١٩٦٣) ، الخ . وله مجموعات مخطوطة لم يهيأ له نشرها : شعراء بغداد (بقية الأجزاء) ، شعراء الموصل والبصرة وكربلاء وواسط والكوفة .

زار علي الخاقاني في سنواته الأخيرة البحرين وسائر أقطار الخليج . وأدركته الوفاة سنة ١٩٧٨ .

أخبرني الدكتور جودت القزويني ان علي الخاقاني من آل فتلة النازلين في أطراف الهندية ، لكنه ترعرع في ظل أخواله آل خاقان فلحقه لقبهم . وقد شبّ في بيئة فقيرة ، وكان أبوه الشيخ عبد علي يعتاش من نسخ المخطوطات ، فورث الابن عنه هذه المهنة ومارسها .

قال القزويني ان الخاقاني استفاد من المجاميع المخطوطة ، خصوصاً مجاميع آل كاشف الغطاء ، فحوّل بعضها الى مادة لكتابيه عن شعراء الغريّ والحلة . وقال انه

تحامل على أشخاص لهم مكانة علمية وأدبية ، منهم محمد مهدي البصير ومحمد علي اليعقوبي وجعفر الخليلي وغيرهم . فتصدّى له اليعقوبي صاحب «البابليات» واتهمه بالسرقة الأدبية ، ووضع كتيباً أحصى فيه سقطات الخاقاني وتجاوزاته .

وأضاف القزويني قائلاً ان شخصية الخاقاني تمثل الفرد النجفي المتمرّد الذي عاش تناقض البيئة وسجّله في كتبه . وقد بقي على تمرّده حتى نهاية عمره . اما في مؤلفاته فكان مؤرخاً على طريقته الخاصة ، وبالرغم عن المنحى الذي اتخذه فإن مؤلفاته أصبحت من المصادر التي يرجع اليها في تأريخ الأدب العراقي ورجاله .

وقال جعفر الخليلي في الجزءين الثاني والثالث من كتابه «هكذا عرفتهم» ان توفيق الفكيكي استعار مسودة «البابليات» من مؤلفها محمد علي اليعقوبي قبل طبعها . وقد استعارها منه علي الخاقاني فنقل عنها تراجم طائفة من الشعراء بدأ بنشرها كما لو كان هو جامعها ومحققها والعاثر عليها في الخبايا والزوايا . وألف الخاقاني بعد ذلك كتابه «شعراء الحلة» متضمناً ما نقله عن «بابليات» اليعقوبي . ولما اطلع هذا الأخير على هذه السرقة الأدبية اغتاظ وجرى بينه وبين الفكيكي عتاب وملام .

خالد القشطيني

الأديب الكاتب الجادّ الساخر خالد شاكر القشطيني ولد في بغداد سنة ١٩٢٩ ، وكان أبوه معلماً للغة العربية . تخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٥٣ ودرس في معهد الفنون الجميلة (فرع الرسم) ، ثم ذهب الى انكلترة لمواصلة الدراسة في الرسم والتصميم المسرحي .

عاد الى بغداد سنة ١٩٥٨ وعمل مدرساً في معهد الفنون الجميلة ، ثم رحل ثانية الى لندن سنة ١٩٥٩ واشتغل في القسم العربي من الاذاعة البريطانية الى سنة ١٩٦٤ حين استقال وتفرغ للكتابة والترجمة . وقد تولى عدة مهمات ووظائف في ميدان الاعلام والصحافة ، آخرها عمل كاتب عمود في صحيفة «الشرق الأوسط» .

كتب اليّ يقول : «أصبحت شخصاً متعدد الجوانب ، اكتب في عدة مواضيع باللغتين العربية والانكليزية . تارة يجدني القراء انشر كتاباً سياسياً او أدبياً بأسلوب علمي موضوعي هادئ ، وتارة يجدونني انشر كتاباً من نوع آخر تماماً كل مادته هزل وخفة وسخرية . انشغلت منذ أيام المدرسة بالمواضيع السياسية ، ولا سيما ما تعلق منها بالعدالة ، وجرّني ذلك الى الانخراط في الحركة اليسارية في العراق ، وفيما بعد بموضوع النزاع العربي - الاسرائيلي حيث نشرت لي عدة كتب بالعربية والانكليزية ، منها «فلسطين عبر العصور» و«الحكم غياباً» .

ثم قال : «انني من المؤمنين باللاعنف والحركات السلمية ، ولي كتاب في هذا الصدد يعتبر الكتاب الوحيد في موضوعه باللغة العربية هو «نحو اللاعنف» . وشاركت في عدة ندوات عالمية في هذا الموضوع» .

وأشار الى انهماكه ، من الجانب الآخر ، في الكتابات الفكاهية الساخرة ، خاصة في العمود اليومي «صباح الخير» في جريدة «الشرق الأوسط» . ونشرت له مجموعات من المقالات في هذا الباب مثل «هموم مغترب» ، «عالم ضاحك» ، «صباح الخير» . وله كتاب بالعربية والانكليزية يعالج موضوع «السخرية السياسية عند العرب» .

وضع مسرحيات بالعربية والانكليزية مثّل بعضها في بغداد ونشر البعض الآخر في لندن . من مصنفاته عدا ذلك : الماركسية والشعر (مترجم عن جورج تومسن ، ١٩٥٩) ، البغي في الأدب التقدمي ، سيرة الشيخ سلمان بن حمد الخليفة (ترجمة) الخ .

ناجي جواد

الأديب المحامي ناجي جواد الساعاتي ولد في بغداد سنة ١٩٢٢ ودرس في مدارسها ، وتخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٥٤ . تعلم في صباه صناعة تصليح الساعات ومارس المهنة سنوات طويلة ، ثم عمل في التجارة وحصل على وكالات للساعات السويسرية .

مال منذ نعومة أظفاره الى الأدب ، وكتب في القصة فأصدر مجموعة قصصية «مع الأيام» (١٩٦٧) . لكنه أولع بالسفر فزار الهند والأقطار الأوربية ودوّن رحلاته في كتب مقوّمة جميلة الأسلوب : رسائل من الهند (١٩٥٦) ، من وحي السفر (١٩٦٦) ، رحلة الى الأندلس (١٩٦٩) . وقد كتب يقول عن السفر : «أمنية مجنّحة تحلّق دوماً في سماء نفسي ، فينبعث من رفيف اجنحتها الناعمة نغم رقيق يطرب آمالي ويرقص أحلامي» . واستشهد بأبيات للامام الشافعي :

سافر تجد عوضاً عمّن تفارقه وانصب فإنّ لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

له ايضاً : قصة الوقت (١٩٥٧) ترجم الى الانكليزية ونشر سنة ١٩٦٢ ، كتب قرأتها (١٩٦٤) . وقد اشتهر بمجالسه الأدبية فكانت داره منتدى للأدباء والفضلاء .

كتب اليّ ناجي جواد من اوكلاند في زيلندة الجديدة في ٣ آذار ١٩٩٨ يقول ذاكراً اغتراب الادباء ومستشهداً بقول امام البلاغة علي بن أبي طالب : «فراق الأحبّة غربة» .

قال انه غادر بغداد في آب ١٩٩٦ ويعتزم البقاء في زيلندة الجديدة سنة أخرى ثم يعود إلى بغداد . وهو يعتزم تأليف كتاب عن رحلته الأخيرة ، كما يروم طبع مجموعة مصورة (البوم) يضم الصور التراثية للادباء والعلماء والاعلام الذي عاصروه ، وكلها محفوظة لديه في مكتبته ومخزونة في ذاكرته .

خالص عزمي

خالص خليل عزمي أديب وحقوقي ورسام ولد في بغداد في ٢٣ كانون الأول ١٩٣٠ ونشأ في كنف أبيه خليل عزمي رجل الادارة والفكر . وانتمى الى كلية الحقوق فتخرج فيها ، وأخذ يتردد في الوقت نفسه على معهد الفنون الجميلة ويطلع على فنون الرسم والمسرح .

بدأ في الكتابة في الصحف والمجلات وعمره لا يتجاوز السادسة عشرة ، ونشر المقالات في جريدة «اليوم» و«المجالي» و«المناهل» وغيرها . وأصدر في سنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ، وهو لا يزال طالباً في كلية الحقوق جريدة «الأسبوع» ، وألف هيئة تحرير لها من حارث طه الراوي وحقي الشبلي وعبد القادر رشيد الناصري و عبد الله نيازي وكاظم جواد . وواصل نشر مقالاته في امهات الصحف العراقية والعربية كـ «الزمان» و«الحارس» «والنديم» و«البلاد» و«العراق» و«الانقاذ» ، وكذلك في مجلة «الرسالة» و«الثقافة» المصريتين و«الأديب» و«الورود» اللبنانيتين .

التحق بعد بعد حصوله على شهادة القانون بجامعة لندن لنيل الدبلوم الاكاديمي العالي ، وكان موضوع رسالته «الرقابة البرلمانية على الحكم في العراق وانكلترة» .

كتب خالص عزمي في مختلف الفنون الأدبية من شعر وقصة ومسرحية والتمثيليات الاذاعية ، وبرع في رسم الشخصيات البارزة كما رسم لوحات كثيرة وشارك في بعض المعارض . ومن لوحاته : على ساحل جبل طارق (مائية) مائدة شراب (زيتية) زهرة عبّاد الشمس الخ .

والتحق بخدمة الحكومة فكان ملحقاً صحفياً في سفارة لندن ومديرالملحقيات الصحفية ومديراً عاماً في وزارة الثقافة والاعلام ومدوناً قانونياً في وزارة العدل . وكان رئيس تحرير مجلة «الأسبوع» وجريدة «بغداد نيوز» ثم «بغداد اوبزرفر» .

من مؤلفاته : الأدب العربي المعاصر ، من تأريخ الصحافة العراقية (١٩٦٩) ، مهمة يارنغ (١٩٦٩) ، الصحافة الصهيونية (بالانكليزية ، ١٩٦٩) . وله ايضاً : صفحات مطوية من أدب السياب ، الواقعية في الشعر ، قطار الشعر العربي (مسرحية) ، نزار سليم رساماً ،

كاظم جواد حياته وشعره ، القضاء في الفقه والقانون ، محمد الشرفي رائد المسرح اليمني ، عبدالوهاب البياتي في مدن الحلم والحقيقة الخ .

وقد غادر العراق أخيراً واستقر في فينة عاصمة النمسة .

نظم خالص عزمي الشعر . من شعره :

الشفاه الصائمة

جئت فيا للنظرة الساهمة — والبسمة اللمّاحة الناعمة
خطوتكَ الأولى تُرى بالضيا — واجفة خائفة نادمة
شوق وعطر ونسيم الصبا — وليلة مقمرة حالمة
إذا دنا الحبّ ، فهيّا ارحمي — قلباً براه الشوق ، يا ظالمة

من شعره الأخير في فينّا :

تحاصرني الثلوج بكل يوم — فلا نار تفيد ولا وقود
ولا دفء الفؤاد يعين ساقاً — يمزّقها نزول او صعود
يكاد العظم ينكسر انجماداً — فتخجل صفرةً منه الخدود
على ان الفراق أشدّ هولاً — على نفس تباعدها حدود
فيا حزني على يوم غريب — يصير به اللقاء هو الصدود
ويا حزني على زمن تقضّى — تهاوى خلفه قلب ودود

الدكتور جليل العطيّة

الأديب الباحث المحقق جليل ابراهيم العطية ينتمي الى زبيد العشيرة المعروفة . ولد في بلدة الكوت (واسط) في ٢٣ تشرين الثاني ١٩٤٠ ودرس في مدارسها . ثم أمّ بغداد وانتمى الى كلية الآداب بجامعة بغداد (قسم الاعلام) ونال شهادة البكالوريوس سنة ١٩٧٢ . وانتهز فرصة انتقاله الى باريس سنة ١٩٧٨ فتابع دراسته العليا ونال شهادة الماجستير من مدرسة الدراسات العليا للعلوم التطبيقية (١٩٨٠) ، ثم حاز على دكتوراه الدولة من جامعة السوربون الثالثة سنة ١٩٨٧ . وكانت رسالته الجامعية في موضوع «التطور السياسي والاجتماعي للعراق بين الحربين العالميتين ١٩١٩ - ١٩٣٩» .

انخرط في سلك موظفي الدولة سنة ١٩٦٠ ، فعيّن موظفاً في وزارة الاصلاح الزراعي ، ونقل بعد ذلك الى وكالة الأنباء العراقية فوزارة الثقافة والاعلام . ثم كان مستشاراً اعلامياً في السفارة العراقية بالكويت (١٩٧٢ - ١٩٧٧) . وترك الوظيفة بعد أمد قصير للتفرغ للبحث والكتابة .

شغف بالأدب ومال الى الصحافة منذ نعومة أظفاره . وشرع بنشر قصص قصيرة في جريدة «الشعب» البغدادية سنة ١٩٥٥ . ونشر بعد ذلك قصصاً في الصحف ، وكان يميل الى الأدب الواقعي تأثراً بالكتاب الروس والفرنسيين وبنجيب محفوظ وذنّون ايوب وعبد الملك نوري وغيرهم . وقد ذكر له عبد الاله احمد في كتابه «فهرست القصة العراقية» اسماء ٦ قصص نشرها سنة ١٩٥٥ - ١٩٦٠ في جريدة «الشعب» و«المجتمع» و«الحرية» و«فتى العراق» و«الثورة» . ثم كتب في مجلة «الوادي» الأسبوعية لصاحبها خالد ابراهيم الدرّة (١٩٥٩) ، ونشر «العمود الصحفي الساخر» بتوقيع «جهين» ، وما جهين الا جهينة التي عندها الخبر اليقين . وقد اصابه الاذى الكثير بسبب الصحافة لكنه ظل متمسكاً بها . وأخذ في السنوات الأخيرة ينشر حقلاً اسبوعياً في جريدة «الوفاق» الصادرة في لندن . وجمع بعض ما كتبه في هذا الباب في كتابين : حكايات جهين (بغداد ، ١٩٦٩) ، وفندق السعادة (لندن ١٩٩٣) .

وانصرف بعد ذلك الى العناية بالتراث ، فحقق ونشر كتباً منها : ديوان ليلى الأخيلية (بالاشتراك مع أخيه خليل ، ١٩٦٧) ، لن تراني الضفاف (بالاشتراك ايضاً ١٩٦٧) ،

الرسائل المتبادلة بين الكرملي وأحمد تيمور (بمشاركة كوركيس وميخائيل عوّاد ، ١٩٧٤) ، الاماء الشواعر لأبي الفرج الاصبهاني (١٩٨٤) ، ديوان الميكالي (١٩٨٥) ، دَرْج الدرر للمطوّعي (١٩٨٦) ، الحنين الى الأوطان لابن المرزبان الكرخي (١٩٨٧) ، الشوق والفراق لابن المرزبان ايضاً (١٩٨٨) ، الوحوش للأصمعي (١٩٨٩) ، القيان لأبي الفرج الاصبهاني (١٩٨٩) ، الديارات لأبي الفرج الاصبهاني (١٩٩١) ، تحفة العروس للتجاني (١٩٩٢) .

واهتم بالفهرسة (البيبليوغرافية) فجمع مقالات كوركيس عواد التي نشرها في المجلات والدوريّات بين سنة ١٩٣٥ و١٩٨٩ في كتاب يحمل عنوان «الذخائر الشرقية» ظهر في ٧ مجلدات مزوّداً بتعليقاته .

انتقل جليل العطية للاقامة في فرنسة منذ سنة ١٩٧٨ . وقد شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الأدبية والثقافية في العراق وخارجه ، وكان عضواً في منظمات واتحادات مهنية وعلمية عربية وأوربية .

ولا بد من القول ان الدكتور جليل العطية تأثر كثيراً بأخيه الكبير خليل ابراهيم العطية المولود في الكوت سنة ١٩٣٦ . وقد عني هذا البحاثة بالتراث ، فنشر ديوان ليلى الأخيلية بالاشتراك مع أخيه ، وحقق ونشر ديوان المزرّد بن ضرار الغطفاني الفارس الشاعر الجاهلي المتوفى في نحو سنة ٦٣١م (١٩٦٢) ، وديوان توبة بن الحميّر الخفاجي صاحب ليلى الأخيلية المتوفى سنة ٧٠٤م (١٩٦٨) ، وديوان عمرو بن قميئة الوائلي النزاري الشاعر الجاهلي المتوفى سنة ٥٤٠م ، صاحب أمرؤ القيس (١٩٦٩) . واشترك خليل العطية في تحقيق ونشر ديوان مسكين الدارمي ، وهو ربيعة بن عامر التميمي الشاعر العراقي المتوفى سنة ٧٠٨م (١٩٦٩) . وتقدم برسالة الماجستير الى كلية الآداب بجامعة عين شمس في مصر سنة ١٩٦٩ وعنوانها «التعدي واللزوم في العربية» مع تحقيق «فعلت وأفعلت» لأبي حاتم السجستاني .

درس الدكتور خليل العطيّة في جامعة عين شمس بالقاهرة . ومارس التدريس في محافظة واسط وجامعة البصرة والجامعة المستنصرية في بغداد وفي المعاهد الجزائرية . وتوفي في بغداد في آب ١٩٩٨ .



الصحافة



محمد فائق الكيلاني

محمد فائق بن محمود بن عبد القادر بن مراد الكيلاني من رجال القانون والصحافة ، تتلمذ على يوسف العطا وعبد الوهاب النائب ، ثم درس في مدرسة الحقوق ببغداد على العهد العثماني .

نشر كتابات أدبية في مجلة لغة العرب قبيل الحرب العظمى الأولى ، منها قصة «رؤيا العربية» (١٩١٣) . وأصدر في نيسان ١٩٢٩ جريدة اسبوعية باسم «الناظرة» ، وقد احتجبت بعد أمد قصير . ثم كان مديراً مسؤولاً لجريدة «الرصافة» التي أنشأها كمال نصرت في حزيران ١٩٣٠ .

توفي في بغداد سنة ١٩٥١ .

عمر فوزي

محامٍ وصحفي نشأ في البصر .

اشترك مع سليمان فيضي في تأسيس مدرسة مسائية في الثغر لتدريس اللغة التركية في شباط ١٩١٠ . وعمل مع السيد طالب النقيب في معارضة حزب الاتحاد والترقي .

أصدر في البصرة جريدة الآتِيّ في آب ١٩١١ ، وقد استمر صدورها الى كانون الاول ١٩١٢ .

عارض انفصال البصرة عن العراق حين قدّم بعض الأهالي طلباً لإلحاق البصرة بالحكم البريطاني في حزيران ١٩٢١ .

عبد الهادي الأعظمي

من قدماء رجال الصحافة ، ولد عبد الهادي محمود العبيدي الأعظمي بضاحية الأعظمية المجاورة لبغداد سنة ١٨٨٤ ودرس في مدرستها ثم انتمى الى دار المعلمين .

زاول التعليم في الصيرة والأعظمية وبغداد على العهد العثماني . وأصدر مع الحاج نعمان الأعظمي مجلة «تنوير الأفكار» (آب ١٩١٠) فدامت أقلّ من سنة واحدة ، وكانت تعنى بالشؤون الدينية والأدبية والسياسية . ووضع كتاباً في «دروس الجغرافية» (١٩١٢) .

خاض غمار الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ في أنحاء الخالص والنجف . وعيّن في السنة التالية مدرساً بكلية الشريعة . ثم درس الحقوق وعين مديراً لناحية الزبير (ايار ١٩٣٦) وكان بعد ذلك قائممقاماً لقضاء شهربان والشيخان .

توفي في شباط ١٩٤٢ . وهو والد المحامي النائب اسماعيل الغانم والمدوّن القانوني الدكتور غازي عبد الهادي المتوفي في لندن في ١٩ ايلول ١٩٩٨ .

ابراهيم صالح شكر

الكاتب الصحفي والأديب الحر ذو القلم الناري والأسلوب اللاذع الرشيق والديباجة المفوّفة الأنيقة . ولد ابراهيم بن أحمد صالح شكر في حيّ شعبي من أحياء جنوبيّ بغداد ، وكان لأبيه ، ولجدّه من قبله ، مقهى يؤمّه أبناء المحلة ، وقد عرف الحيّ كما عرف المقهى باسم «قهوة شكر» .

ترجمت له ترجمة وافية في كتابي «اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث» ، ونشرت جانباً من رسائله وكتاباته .

ولد ابراهيم في ٢٤ ايار ١٨٩٣ في بغداد لأسرة تنتسب الى عشيرة الكروية من عشائر قيس . درس في بعض الكتاتيب ، ثم حضر حلقات الشيوخ عبد الوهاب النائب ومحمود شكري الآلوسي وعبد الجليل آل جميل وعبد المجيد آل جميل ونجم الدين الواعظ . وانصرف الى مطالعة آثار الأدباء من قدماء ومحدثين كالجاحظ وشارح نهج البلاغة وطه حسين وجبران خليل جبران ومعروف الأرناؤوط وغيرهم . ولم يلبث ان جرّب قلمه في الكتابة واختطّ لنفسه أسلوباً بيانياً خاصاً .

أعلن الدستور التركي سنة ١٩٠٨ وأطلقت حرية الفكر والصحافة . وبدأ فتانا ينشر كتاباته في الصحف الجديدة التي صدرت في بغداد ، وفي مقدمتها جريدة «بين النهرين» التي برزت في ٦ كانون الأول ١٩٠٩ بالعربية والتركية ، وكان صاحبها التاجر يعقوب العاني ، ثم تولى أمرها محمود نديم الطبقجلي الذي عهد بتحرير قسمها العربي الى كامل الطبقجلي . ثم كتب في جريدة «النوادر» التي أصدرها محمود الوهيّب في ٦ ايلول ١٩١١ ، ولم يطل بها العهد .

وأصدر ابراهيم صالح شكر مجلة اسبوعية باسم «شمس المعارف» في ٢٥ نيسان ١٩١٣ ، وقد احتجبت بعد فترة قصيرة . واشترك مع ابراهيم منيب الباجه جي الشاعر في اصدار مجلة «الرياحين» في ٢٧ آذار ١٩١٤ ، ولم تدم طويلاً . وكانت تلك سمة عامة لأكثر الصحف والمجلات التي انشئت بعد الدستور والى حين نشوب الحرب العامة وانصرم عقد حياتها بعد أمد وجيز لضعف ماليّتها وقلة القراء والمعاضدين .

نشبت الحرب في أواخر سنة ١٩١٤ فجنّد ابراهيم فيمن جنّد من شباب بغداد . ولم يلبث الطاعون الجارف ان دهم بيت أبيه فقضى على والديه وجدته . وخلت الدار ، كما قال ، إلا من طفلة في السابعة هي اخته وهي الميراث الحزين المقدس . وهو جنديّ يتملكه البؤس وليس معه ما يكفي لأكفان الموتى وحفر القبور . ثم نكّل الاتحاديون برجال الصحافة والقلم ، فحكم عليه بالنفي الى درسم في الأناضول وسيق مع رفاقه في تشرين الثاني ١٩١٥ الى الموصل وأودعوا السجن . وصدر العفو عنهم بعد أربعة أشهر فعادوا الى بغداد .

انزوى ابراهيم في عقر داره ورحى الحرب تدور بأهوالها وويلاتها ، وتولى ادارة مقهى أبيه في الحيّ الذي شهد مولده . واحتل الجيش البريطاني بغداد وشرع كهول العراق وشبابه يطالبون بالحرية والاستقلال ، فترك معتكفه ونزل الى ميدان الجهاد الصحفي عوداً على بدء . أصدر مجلة «الناشئة» الأدبية في ٢ كانون الأول ١٩٢١ ، وأعقبها بصحيفة «الناشئة الجديدة» في ٢٧ كانون الأول ١٩٢٢ التي عطلت في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٣ ، ثم عادت الى الصدور حتى أوقفها هو نفسه في ٢٥ حزيران من تلك السنة بسبب الاعتداء الذي تعرّض له بتحريض أحد الذين غمزهم بقلمه . وعاد الى اصدار جريدته في ٢٦ تشرين الأول ١٩٢٣ ، ولما أغلقت قدّم له «ولده بالروح» رفائيل بطّي صحيفته «الربيع» فأصدرها في ٢ ايار ١٩٢٤ ولم تلبث ان عطلتها وزارة الداخلية . وأعاد اصدار «الناشئة الجديدة» في ٤ تموز ١٩٢٤ ، فأخرج منها ثلاثة أعداد ثم ارتضى تطليق الصحافة إذ عيّن مدير تحرير لواء الحلة . ونقل بعد أشهر الى لواء ديالى ، لكنه واصل الكتابة في الصحف فاضطر على الاستقالة . وأعاد اصدار «الناشئة الجديدة» في حزيران ١٩٢٥ . وعيّن في آب ١٩٢٥ مديراً لناحية شهربان (جلولاء) ، ونقل في كانون الأول ١٩٢٥ مديراً لناحية قزلرباط فمديراً للتحرير في متصرفية لواء ديالى (ايار ١٩٢٦) . واستقال من الوظيفة فأصدر جريدة «الزمان» (١١ تموز ١٩٢٧) . وقد عطلت في ٢١ تشرين الأول ١٩٢٧ ثم سمح له باعادة اصدارها . وعطلت مرة أخرى وصودر عددها الأربعون الصادر في ١٨ ايار ١٩٢٨ . وعاود اصدار الجريدة في ٢٦ آب وحمل فيها على الوزارة السعدونية القائمة فعطلت في ١٦ ايلول ١٩٢٨ .

قال رفائيل بطّي : «وابراهيم صالح شكر انسان قويّ الاحساس متّقد العاطفة سليم الطويّة ذو طموح دفين تشغل الجانب الأعظم من دماغه أخيلة المجد ووساوس المثل العليا مع بعد عن اقتناص المادة» . ثم قال انه ولج باب السياسة في حياة الصحافة والكتابة وخاض عباب الجدل ، فمدح من لا يستحقّ المدح وأسرف في النقد والتجريح لآخرين .

وارتأى ان يغادر بغداد في ٨ تشرين الأول ١٩٢٨ فأمّ الشام وتعرّف على أدبائها وفضلائها ، ومنهم فخري البارودي وعبد القادر المغربي ومحمد كرد علي ونجيب الريّس وفائز الخوري . ثم مضى الى بيروت واجتمع بالأخطل الصغير بشارة الخوري وأمين نخلة . وزار صيدا وصور وحيفا ، واستقل القطار الى مصر فقابل شيخ العروبة احمد زكي باشا وعزيز علي المصري ومحمد علي الطاهر صاحب «الشورى» وغيرهم . وعاد الى بغداد في ٩ شباط ١٩٢٩ عن طريق الأردن ودمشق .

عاد صاحبنا الى ميدان الصحافة فأصدر في ٢٩ كانون الأول ١٩٢٩ جريدة «المستقبل» مع عبد القادر اسماعيل . وعطلت في ٢٧ حزيران ١٩٣٠ فانتقل الى جريدة «اليقظة» لصاحبها سلمان ابراهيم الصفواني (١٤ تموز ١٩٣٠) ، حتى إذا ما عطّلت تولى رئاسة تحرير جريدة «التجدّد» لصاحبها الشاعر محمود الملاح (٢٤ تموز ١٩٣٠) ولم يصدر منها سوى عدد واحد . وعاد الى الوظيفة مديراً للتحرير في متصرفية لواء بغداد (ايلول ١٩٣٠) ولم يلبث ان استقال بعد أربعة أشهر .

قام بتحرير جريدة «الأماني» القومية لصاحبها عبد الوهاب محمود ومديرها المسؤول عبد الرزاق شبيب (٣٠ تشرين الأول ١٩٣١) فعطّلت لمهاجمته الوزير مزاحم الأمين الباجه جي . وسيق الى ساحة القضاء فحكم عليه بالسجن أربعة أشهر ، ولكن أطلق سراحه بعد شهرين لسوء حالته الصحيّة . وخرج من محبسه فقرر تطليق الصحافة التي عمل فيها نحواً من ربع قرن ورضي بقية عمره باكليل الوظيفة المضفور من الشوك والقتاد .

عيّن مديراً لناحية تكريت في آب ١٩٣٢ ونقل بعد ثلاثة أشهر الى ناحية شهربان . ورفع قائممقاماً لشهربان في ايلول ١٩٣٣ ، ثم تنقل في أقضية قلعة صالح والهاشمية والصويرة . وأصبح في تموز ١٩٣٥ سكرتيراً للمكتب الخاص بوزارة الداخلية ، ثم عاد الى الادارة قامقاماً لقضاء سامراء فخانقين فالمحمودية فالفلوجة فالكاظمية فخانقين ثانية . وقامت حركة رشيد عالي الكيلاني الوطنية في ايار ١٩٤١ فأيدها ، ونقل على اثر ذلك الى قلعة صالح ثم فصل من الخدمة في تشرين الثاني ١٩٤١ . وعيّن في ٢٣ شباط ١٩٤٣ مديراً لمكتبة الأوقاف . وابتلي بداء السكّري والسلّ ، فأدركته الوفاة في بغداد في ١٥ ايار ١٩٤٤ .

* * *

كان ابراهيم صالح شكر ، شأن الكثيرين من أقرانه الأدباء ورجال القلم في عهده ، يكتب البحوث والمقالات من وحي الساعة وليس له الجلد على الكتابة المتواصلة لتأليف كتاب برأسه او استكمال الموضوع ، كما فعل أحمد عزت الأعظمي ، مثلاً ، في

«تأريخ القضية العربية» . فقد شرع في كتابة «قلم وزير» او «تأريخ ما أهمله التأريخ من حوادث المسألة العربية في الحجاز وسورية والعراق» ، فوقف عند عزيز علي المصري ولم يتمّ بحثه الطريف . وبدأ بتصنيف كتب أخرى ، كحياة المتوكل العباسي ، ومذكرات حتروش ، وترجمة والي بغداد تقي الدين باشا ، وأهملها جميعاً قبل ان ينجز منها سوى صفحات قليلة . ولعلّ مرجع ذلك الى الحياة المضطربة القلقة التي كان يعانيها والتي لم تسمح له بالتفرّغ لبحث متتابع طويل النفس .

وكثيراً ما ضاق ابراهيم ذرعاً بالأدب وهمّ بتحطيم قلمه . ومن قبله رثى الأديب الوطني المصري الشيخ عبد العزيز جاويش (١٨٧٦ - ١٩٢٩) قلمه فقال :

«أيها القلم ، لو كنت سيفاً لأغمدتك في صدور من يحاربونك ، او سهماً لأنفذتك الى أعماق قلوبهم . ولو كنت جواداً لوجدت لك في ميادين النزال مجالاً للكرّ والفرّ . ولكنك ذلك العود الذي أيسر ما ينال من عدوّه ان يعالجه بالمبراة فيشقّه او بأصابعه فيكسره . فليكن ، أيها القلم ، ما شاؤوا لك : إما نائماً الى حين او ميّتاً أبد الآبدين . فقد تركت عيوناً لا يغذوها النوم ، وقلوباً لا يملكها اليأس ، وأيدياً لا تخاف السلاسل والأغلال ، وأرواحاً تفدي الحرية والاستقلال...» .

وقد جمع خالد محسن اسماعيل مقالات لابراهيم صالح شكر نشرها سنة ١٩٣١ في مجلة «الأماني» وجريدة «الأخبار» وأصدرها في كتاب «قلم وزير» (١٩٧٠) . ووضع عبد الحميد الرشودي وخالد محسن اسماعيل وجميل الجبوري كتاب «ابراهيم صالح شكر حياته وآثاره» ، طبع في بغداد سنة ١٩٧٨ .

* * *

استقالة

عين ابراهيم صالح شكر مديراً للتحرير في متصرفية لواء بغداد ، لكنه استقال في ٢٣ كانون الثاني ١٩٣١ ، وجاء في كتاب استقالته :

«لست أملك مالاً ولست أملك نشباً . وقد ترك لي أبي دارين اثنتين ملك الأولى بكدّ يمينه وورث الثانية عن أبيه ، فبعتهما وعشت بالثمن . فأنا الآن أسكن بالأجرة داراً صغيرة متهدمة هي خير عندي من «القصور» التي أقامها السّحت وأشادتها الخيانة وسكن اليها الفجّار .

«وقد ألفت العيش الشريف من الخدمة الشريفة في الصحافة الشريفة ، ولكن

حكومة «الوضع الشاذّ» عطلت جريدة «الناشئة» منذ سبع سنين ولمّا تزل معطّلة ، ثم عطلت جريدة «الزمان» سنتين اثنتين كاملتين ، ثم عطلت «المستقبل» و«اليقظة» و«التجدّد» . ثم علمت انها واقفة بالمرصاد لأية صحيفة أصدرها ما لم أجنح الى مهادنة السياسة الاستعمارية الغاشمة او السكوت عن مطاياها من المحسوبين على هذه الديار وهم ألدّ الخصوم .

«ولما عطّلت صحفي الواحدة بعد الأخرى ، ولما سدّوا في وجهي سبيل الارتزاق النبيل ، ولما لم يبقَ في يدي من أوراق الحياة إلا ورقة واحدة هي «ورقة التوظيف» ، مسكتها لأمسح بها جبين الطفل المعصوم ودمعة الصبيّة البريئة والزوجة المخلصة الصّبور .

«لا يكفي الانسان لأن يكون غنياً صاحب مال وعقار او وزيراً يتمتع بألقاب الفخامة والمعالي ، وانما ينبغي له ان يضمّ الى الثروة والألقاب نفساً أبية ورأياً فاضلاً وخلقاً شريفاً ، لا ينحطّ الى المساوئ السّاقطة ولا يتخبّط في البؤر الآسنة .

«ان أوكار المجد انما وجدت لتحتضن نسور البؤس وأفراخ الفقر . وإن أعواد الكرامة النّابتة في حقل الشمم لا تحصد بمناجل الصنائع السّفل ولا تشذّب بآلات الأنذال الأخسّة ، وإن صوت الحق لن يتبدّد في الهواء .

«اما اللهفة الأليمة فتعود في قرارة النفس سخطاً متململاً . والسخط يخفر الحقد ، والحقد يثير الشرّ ويدفع الى الانتقام ، ومسفوح الدم خير من مسفوح ماء الوجه» .

* * *

من أقوال ابراهيم صالح شكر :

- العقيدة لا المعرفة هي أساس الأخلاق .
- من يدافع عن الحق انما يدافع عن قدس الرحمن .
- ليس من العدل ان نلطم شخصاً وتمنعه من لذّة الصياح والعويل .
- الوطنية عاطفة إذا تعدت دائرتها الى الألفاظ والكلمات فقدت قوتها وتلاشى الرائع من جمالها .
- الأسد الجريح ينشد العزلة والانفراد ، وهكذا اعتزلت عن الناس في هذه المدة الطويلة .
- كلمة الحق مرة ويزيد في مرارتها أنها يجب ان تقال .

– لست متشائماً ينظر الى الدنيا بالعبوسة والتقطيب ، ولكن قد يكون مبعث هذا الشعور تفتّح الربيع . والشمعة قبل ان تذوب ترسل شعاعاً ساطعاً .

– ان الزهرة التي تحجبها الأشواك تملأ الجو بالعبير ولا تراها العيون ، فمعاني الأزهار انما هي العطر المنعش . وكذلك الخشبة التي قطعتها الفأس وعمل فيها المنشار ، فإنها تستحيل الى قيثارة صافية النغم رائعة اللحون .

***

قال ناجي شوكت في كتابه «سيرة وذكريات ثمانين عاماً» انه كان معجباً بأسلوب ابراهيم صالح شكر التهكمي وبيانه الساحر فضلاً عن عزة نفسه . فقد كلفه مراراً ، وهو وزير الداخلية ، ان يتقبّل شيئاً من النفقات المستورة الموضوعة تحت تصرّفه فكان يرفض باباء على الرغم من حاجته الماسة الى المال . وأقنعه بقبول وظيفة في الدولة فرضي مضطراً .

وقد كتب ابراهيم صالح شكر في نيسان ١٩٣٩ رسالة من الفلوجة الى ناجي شوكت يقول في ضمنها : «وبعد فهذه الصفحة من كتاب تناثرت منه رائحة وردة نسيت فيه فجفّت ، ولكنها ما زالت عطرة فيّاحة . لست سعيداً عندما أرى الأقدار تضطرني الى ان أزاحم «بعض الناس» على كهف أحاول السكون اليه لئلا تحطمني العاصفة او يجرفني التيّار ، وهناك غيري... ليس من واجبي ان أحلّق في جوّ يحتاج التحليق فيه الى جناحين كبيرين ، فإنيّ ، على الرغم من تجارب الأيام وتعاقب السنين ، ما زلت في زغب الفراخ . ولكني استغرب ، ولي ان استغرب ، متى رأيت البعض طائراً بأجنحة الدجاج .

«ان الحاجة قد تطفو على سطح الفضيلة . وقد كنت انساناً قبل ان تصيّرني الظروف موظفاً . ولكن هل تستطيع حبّة الحنطة ان تفهم لماذا صيّرتها الأقدار بين شقّي الطاحونة؟ وهكذا الأسرار الرائعة ، فإنها وديعة الله في طيّات الغيب وجوف المجهول .

«لم يخلق الانسان لينام على الورود الناعمة والأزهار الغضّة ، وانما خلق للحياة ، وهي تعب مستمرّ وسعي متواصل . ولكن الجياد المشتركة في السباق تستعرض أمام الجمهور ليكوّن عنها فكرة ، ومن الحيف ان يرى خنصر اليد الواحدة أقوى من ابهامها .

«ان الذكاء قوة جبّارة ، إذا لم يُقْض عليه قضى على صاحبه . وقد كان لي بعض الذكاء فقضيتُ عليه ، وتقوّضت أسبابه ، ولكني لم أهلك تحت الأنقاض .

«لم أفكر حتى الآن في الدور الذي يلعبه الحظ في حياة الانسان . ولكني أفهم ان

السجين ينظر الى العالم من نافذة سجنه . وهكذا أعيش في الفلوجة ، أجامل وأتلطّف وأساير ، ثم تمضي بقية الحياة موتاً صامتاً .

«لست متشائماً ينظر الى الدنيا بالعبوسة والتقطيب ، ولكن قد يكون مبعث هذا الشعور تفتّح الربيع . والشمعة قبل ان تذوب ترسل شعاعاً ساطعاً» .

* * *

كان ابراهيم صالح شكر قائممقام خانقين المجاورة للحدود الايرانية في أثناء حركة ايار ١٩٤١ ، فرأى رشيد عالي الكيلاني والوزراء وقوّاد الجيش يمرّون به هاربين الى ايران بعد اخفاق حركتهم . وكان بعضهم لا يحمل جواز سفر ، فكان ابراهيم يأمر ضابط السفر في قضائه بمنحهم الجواز .

حدثني ثقة ان يونس السبعاوي كان آخر من جاء الى خانقين في طريق الفرار . وقال لابراهيم صالح شكر انه حلم في الليلة الماضية انه كان يصعد سلماً عالياً معلقاً في الفضاء ، فلم يكن من ابراهيم إلا ان أجابه : ذلك سلّم المشنقة الذي سوف تصعده في المستقبل !

هل يمكن مقايسة ابراهيم صالح شكر بالخطيب الشاعر المصري عبد الله نديم (١٨٤٥ - ١٨٩٦)؟ كان النديم ممّن هللوا وكبّروا للثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، فطلبته السلطة وهو متخفٍ نحواً من تسع سنين . ثم نفي الى خارج القطر ، وعاد فأصدرمجلة «الاستاذ» سنة ١٨٩٢ حاملاً على الحكومة المصرية والاحتلال الانكليزي من ورائها . أغلقت صحيفته في السنة التالية فودّعها قائلاً :

«ما خلقت الرجال إلا لمصابرة الأهوال ومصادمة النوائب . والعاقل يتلذّذ بما يراه في فصول تأريخه من العظمة والجلال ، وإن كان المبدأ صعوبة وكدراً في أعين الواقفين عند الظواهر . وعلى هذا فإني أودّع اخواني قائلاً :

أودّعكم ، والله يعلم أنني   أحبّ لقاكم والخلود اليكمُ
وما عن قلىً كان الرحيل ، وإنّما   دواعٍ تبدّت فالسلام عليكم» .

وقد نفي من مصر مرة أخرى فمضى الى استانبول وتوفي بها .

عبد الغفور البدري

من رواد الصحافة الوطنية في العراق ، كان ضابطاً في الجيش التركي . أصدر جريدة «الاستقلال» سنة ١٩٢٠ فظلت تصدر سنوات طويلة . ولد عبد الغفور البدري في بغداد سنة ١٨٩٠ وتوفي بها في ٧ آب ١٩٤٣ . وقد ترجمت له في «اعلام اليقظة الفكرية» .

ينتمي البدري الى فرقة البوعسّاف من عشيرة البوبدري السامرائية . وقد آمن بالفكرة العربية منذ شبابه وكان أحد مؤسسي جمعية العلم الأخضر في استانبول سنة ١٩١٢ .

اتهم في حزيران ١٩٣٠ بالقذف في الذات الملكية . وحكم عليه بالسجن لتصدّيه لنزاهة الوزير مصطفى العمري في جريدته «الاستقلال» ، وعفي عنه بعد ذلك (أوائل ١٩٣٩) .

وفاتح مع فريق من أصحابه الدكتور فريتز غروبّا وزير المانية المفوض في بغداد لتأليف حزب عراقي يتبنّى المبادئ النازية (حزيران ١٩٣٣) ، لكن غروبّا رفض التأييد حسب تعليمات وزارة الخارجية في برلين التي لم ترغب في المداخلة في شؤون البلاد العربية التابعة للسيطرة البريطانية .

شاكر محمود النعمة

الصحفي الأديب شاكر بن محمود المعتوق النعمة ينتمي الى أسرة بصرية معروفة أصلها من عشائر عربستان المضرية ، وقد هاجر جدّها الى البصرة في نحو سنة ١٧٥٠ . وعرف من ابنائها عبد الرزاق النعمة نائب البصرة في مجلس المبعوثان التركي سنة ١٩١٤ . وكان محمود (ابو شاكر) قائممقاماً لقضاء ابي الخصيب والمسيب والسيبة ورئيس بلدية البصرة ونائبها في مجلس النواب سنة ١٩٤٣ .

ولد شاكر النعمة في البصرة سنة ١٨٩٧ ودرس في الجامعة الأميركية ببيروت (١٩١٢ - ١٦) . عيّن على اثر الاحتلال البريطاني مساعداً للحاكم السياسي في علي الغربي (١٩١٨) . ثم ولج ميدان الصحافة وكان محرراً للقسم العربي لجريدة «الأوقات العراقية» (١٩٢٥) . ثم أصدر جريدة «الثغر» في البصرة في آذار ١٩٣٣ ، فواظب على اصدارها ، باستثناء بعض الفترات ، الى كانون الثاني ١٩٦٩ . وأعاد صدارها بعد ذلك الى سنة ١٩٧٣ .

وقد انتخب نائباً عن البصرة خلفاً لأبيه في كانون الثاني ١٩٤٦ . وتوفي في مسقط رأسه في تموز ١٩٧٨ .

يحيى قاسم

الصحفي المحامي يحيى قاسم ولد في الموصل سنة ١٩١٣ ودرس في كلية الحقوق ببغداد ، ووظف معاوناً لسكرتير مجلس الوزراء في حزيران ١٩٣٧ فمميزاً في ادارة السكك الحديد العراقية ، لكنه استقال من الوظيفة سنة ١٩٤٤ لينصرف الى المحاماة والصحافة . وأصدر في تلك السنة جريدة «الشعب» اليومية في بغداد (٣ ايلول ١٩٤٤) وواظب على اصدارها حتى ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ .

عرف في شبابه بميوله اليسارية ، وترجم كتاب «العمل بأجرة ورأس المال» (١٩٤٤) من تأليف كارل ماركس . لكنه اتجه بعد ذلك الى اليمين ، وكان في جريدته ممالئاً لنوري السعيد وصالح جبر .

انتخب نائباً عن تلعفر (الموصل) في حزيران ١٩٥٤ ، لكن المجلس حلّ بعد عقد جلسة واحدة فقط . وفي انتخابات نيسان ١٩٥٨ انتخب نائباً عن ناحية الشورة (الموصل) ، وانحلّ المجلس بقيام ثورة تموز . واعتقل يحيى قاسم أمداً ثم أخلي سبيله .

اتخذ مقرّه بعد ذلك في لندن ، واتهم في شباط ١٩٧٢ في حادث محاولة اغتيال عبد الرزاق النايف (رئيس وزراء العراق لمدة ١٣ يوماً بعد ١٧ تموز ١٩٦٨) ، لكن برّئت ساحته في حزيران من تلك السنة بعد المحاكمة التي جرت أمام محكمة جزاء لندن المركزية . وغادر انكلترة منذ ذلك الحين الى البرازيل وأقام في بلدة ريو دي جانيرو .

قيل لي انه توفي في البرازيل قبل سنة ١٩٩٠ (؟) .

سليم البصّون

الصحفي المناضل والأديب اللامع سليم خضوري البصّون ولد في بغداد سنة ١٩٢٧ ، وتوفي والده وعمره لا يزيد على ثماني سنوات . درس في المدارس الأهلية ونال الشهادة الثانوية . مال الى الصحافة منذ نعومة أظفاره ، فدرسها بالمراسلة في معهد الجوهري بمصر .

أخذ بالكتابة في جريدة «الشهاب» لصاحبها شفيق نوري السعيدي سنة ١٩٤٣ . وتولى ادارة مكتبة الاحرار التي أسستها عناصر دمقراطية لبث الوعي السياسي ومكافحة النازية والفاشية . ونشر المقالات الأدبية والشعر والقصص في الصحف والمجلات كمجلة «المجلة» و«الرابطة» و«الزهراء» .

كانت حياته الصحفية مليئة بالنضال ، فاعتقل وشرّد مراراً . وانضم سنة ١٩٤٦ الى الحزب الوطني الدمقراطي الذي يرأسه كامل الجادرجي ، وحرر في جريدة «الشعب» . وانتمى بعد ذلك الى حزب الاتحاد الوطني برئاسة عبد الفتاح ابراهيم ، وعمل سكرتيراً للتحرير في جريدة «السياسة» وثم في «صوت السياسة» . وسحبت اجازة الحزب فعمل مديراً للتحرير في جريدة «الرقيب» لصاحبها حسن أحمد الأسدي ، وحرر في مجلة «قرندل» التي أصدرها صادق الأزدي سنة ١٩٤٧ .

تولى سنة ١٩٤٨ اصدار جريدة «الاستقلال» التي آلت الى طه لطفي البدري . وكتب المقالات الجريئة في مهاجمة الحكم القائم والتنديد بمهازل الانتخابات النيابية ، فاعتقل وأبعد الى قضاء بدرة على الحدود الايرانية (ايار ١٩٤٨) . وعاد بعد اطلاق سراحه الى الميدان الصحفي ، فحرر في جريدة «الشعب» لصابحها يحيى قاسم . وانتقل الى التحرير في جريدة «البلاد» لصاحبها رفائيل بطي سنة ١٩٥٤ .

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ اتصل بمحمد مهدي الجواهري وقام بتحرير جريدته «الرأي العام» . واعتقل بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم سنة ١٩٥٩ بتهمة التحريض على الفتنة وأبعد الى بلدة السماوة ، لكن أخلي سبيله بعد شهر ونصف . وتعرّض بعد سقوط الحكم القاسمي سنة ١٩٦٣ لمحاولة اغتيال .

حرر جريدة «الراصد» سنة ١٩٧٠ . واحتجز مرة أخرى سنة ١٩٧٣ ، فاضطرّ على مغادرة العراق والهجرة الى اسرائيل ، حيث عمل في الصحافة والاذاعة العربية .

أصيب بمرض نفسي سنة ١٩٨١ ، فبقي قعيد داره ورهين المصحّ أعواماً طويلة ، حتى أدركته الوفاة في بلدة الحضيرة القريبة من حيفا في ١٨ آب ١٩٩٥ .

لم يلهه عمله الصحفي ونشاطه السياسي عن الأدب ، فنشر المقالات والقصص في المجلات العربية كالأديب والألواح والعلوم اللبنانية والصباح والثقافة المصريتين . وشارك في اصدار سلسلة رسائل الثقافة الحديثة مع فاضل الطائي . وألف «على مسرح الحياة : مقالات وصور من الأدب الواقعي» (١٩٤٥) . ووضع كتاباً عن الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري الذي لازمه سنوات عديدة لا يزال مخطوطاً .

صبيح الغافقي

الصحفي الألمعي صبيح بن أنور ابراهيم معاون شرطة كربلاء ولد في بغداد سنة ١٩٢١ . انتمى الى الكلية العسكرية ، واتخذ لقب الغافقي لاعجابه بالقائد العربي الشهير . لكنه ترك الجندية وانصرف الى الصحافة وأصبح مراسلاً لجريدة «الزمان» لصاحبها توفيق السمعاني سنة ١٩٤٤ . وقد ظل يراسل هذه الجريدة أعواماً طويلة ، وعمل في الوقت نفسه في صحف أخرى كجريدة «بريد الجمعة» لصابحها سلمان الشيخ داود (١٩٤٧) ، وكان مراساً لوكالة الأنباء العراقية الى سنة ١٩٥٨ .

أصدر جريدة «الحارس» سنة ١٩٥٢ وجريدة «المستقبل» سنة ١٩٥٤ ، وعمل ايضاً محرراً في جريدة «البلد» لصاحبها عبد القادر البرّاك (١٩٦٣) .

زار لندن في صيف ١٩٨١ وجاء الينا مراراً ، وحيّيته بقصيدة مطلعها :

الغافقيّ صبيح يقول دوماً : مليح !

وتوفي في بغداد في ٢١ آب ١٩٨٤ .

كان مراسلاً صحفياً قديراً زار مصر وبعض الأقطار العربية الأخرى في مهامّ صحفية . وقد دأب على زيارتي ، وزيارة الكثيرين غيري ، مرة او مرتين كل أسبوع خلال ثلاين سنة لاقتناص الأخبار والآراء الاقتصادية والأدبية والتأريخية . وابتدع لنفسه أسلوباً في تحرّي الأخبار وكتابتها قلّما جاراه احد في عهده .

قال جعفر الخليلي ان صبيح الغافقي من ألمع الصحفيين ، وقد قرّبته ملكته الصحافية من أهم الشخصيات في جميع الأقطار العربية ، وصارت له مراسلات واتصالات بينه وبينها .

الى الأخ صبيح الغافقي

ذكرى زيارته للندن

الغافقيُّ صبيح ... يقول دوماً : مليح !
أولى الصحافة فضلاً ... إذ الزمانُ شحيح
ففي «الزمان» سَبُوقٌ ... وفي «البريد» صريح
و«حارس» له جلّى ... بالحقّ كان يبوح
ثم استكان ، ولأياً ... ما يستكين الطّموح
جهاده ليس يُنْسى ... والرأي رأي صحيح
والوجه منه بسيم ... والقول عذب فصيح
قد جاء لندن كيما ... من العَنَا يستريح
بالأمس قد كان يغدو ، ... واليوم أين يروح؟
مضى الزمان المؤاتي ، ... ففي القلوب جروح
وفي النفوس هموم ... وفي الوجوه كُلُوح
وفي العيون رسوم ... كم تختفي وتلوح
أين الغَبُوق مساءاً ... وأين أين الصّبُوح؟
والورد أين شذاه ... بين الرّياض يفوح؟
والليل داجٍ طويل ... والذّكريات تنوح
ترى صديقك يغضي ... بوجهه ويُشيح
هل اللّسان كليل ... أم الفؤاد جَمُوح؟
والدهر عات جَهُول ... ما لا يُبَاح يُبيح
فأسدل السّتّر صفحاً ، ... إنّ الكريم صَفُوح
واغفَر لدهرك ذنباً ، ... فقد يفوز السّميح
هذا قريضي اليكم ، ... وليس فيه مديح

عبد القادر البرّاك

عبد القادر البرّاك الصحفي الممتاز ولد ببغداد سنة ١٩٢٣ ودرس بها . مال الى الصحافة منذ مطلع شبابه فحرر في صحف مختلفة . وأصدر سنة ١٩٤٦ جريدة اسبوعية باسم «الأمالي» ولم تدم طويلاً . ثم رئس تحرير مجلة «المصور» التي أصدرها المحامي مهدي الصفار في تشرين الثاني ١٩٥٠ . وأصدر جريدة «الميثاق» اليومية ، وقد ألغي امتيازها في كانون الأول ١٩٥٤ . وفي نفس ذلك الشهر رئس تحرير جريدة «الحياد» لصاحبها المحامي جلال الأورفه لي .

واصل البراك جهاده الصحفي فأصدر بعد ذلك جريدتين يوميتين كان لهما شأن كبير في الصحافة العراقية ، اولاهما جريدة «الأيام» التي واصل اصدارها من ١٩٥٩ الى ١٩٦٣ ، والثانية جريدة «البلد» التي صدرت في آب ١٩٦٣ واستمرت الى ١٩٦٧ . وأصدر حيناً سنة ١٩٦٣ ممجلة اسبوعية باسم «البلد» ايضاً . تفنّن البراك تفنناً جميلاً في جريدتيه «الايام» و«البلد» وكتب فيهما المقالات السياسية والأدبية ، ودعا كبار الأدباء الى الكتابة فيهما بصورة متصّلة . وتعتبر مجلداتهما لثماني سنوات سجلاً حافلاً للحياة العراقية في مختلف وجوهها .

كتب البراك تراجم أدبية جمعها في كتابه «أعلام من الشرق» (١٩٥٠) . وذكر له عبد الاله أحمد في فهرسته قصة عنوانها «في بوعدك» نشرها وهو شاب يافع في جريدة «بغداد» سنة ١٩٣٨ .

اضطر على التقاعد عن عمله الصحفي بعد سنة ١٩٦٧ . وأدركته الوفاة في بغداد في كانون الأول ١٩٩٤ .

مجيب حسّون

الصحفي مجيب سليم حسون ولد في الموصل سنة ١٩١٨ ودرس في بغداد . مال الى الصحافة منذ نعومة أظفاره فحرّر في جريدة «العالم العربي» التي كان يصدرها أبوه سليم حسون . ثم أصدر سنة ١٩٤٨ جريدة باسم «الحسون» .

رئس بعد ذلك تحرير جريدة «عالم اليوم» لصاحبها حسين حسني الخطاب التي صدرت في شباط ١٩٥٤ ، وجريدة «الديار» المسائية لصاحبها حسين عبد الكريم (حزيران ١٩٥٤) ، وقد أغلقت الصحيفتان في كانون الأول من تلك السنة .

لكنه اشتهر بعد ذلك بمجلته الفكاهية الأسبوعية «المتفرّج» التي أصدرها في كانون الثاني ١٩٦٥ واستمر على اصدارها حتى ألغي امتيازها في نيسان ١٩٧٣ .

توفي في بغداد في كانون الأول ١٩٩٣ .



العلوم السياسية
والقانونية والطبية



الدكتور سامي شوكت

هو ابن شوكت باشا وأخو ناجي شوكت رئيس الوزارة العراقية ، ولد سامي في بغداد سنة ١٨٩٣ ، وتخرج في المدرسة الاعدادية الملكية في سنة ١٩١١ فقصد الاستانة ودرس في كلية الطب العسكرية في حيدر باشا وتخرج طبيباً (١٩١٦) . وعيّن طبيباً عسكرياً في جناق قلعة ، فرئيس صحة لواء المشاة الـ ١٧١ (١٩١٧) .

وانضم بعد الهدنة الى الجيش العربي السوري برتبة رئيس طبيب (١٩١٩) وعيّن طبيباً للفوج الثاني . ثم عاد الى العراق ، فعيّن كحّالاً في المستشفى الملكي في بغداد (١٩٢١) فمعاوناً لرئيس صحة لواء بغداد (١٨ نيسان ١٩٢٢) فمديراً لصحة العاصمة (أول ايار ١٩٢٤) . ونقل مديراً عاماً للمعارف (١٥ تشرين الأول ١٩٣١) فمديراً عاماً للصحة (حزيران ١٩٣٤) فمفتشاً عاماً لها (ايلول ١٩٣٤) فمدير الصحة العام للمرة الثانية (١٥ آذار ١٩٣٦) . وأعيد مديراً عاماً للمعارف (آذار ١٩٣٩) ، ثم أصبح وزيراً للشؤون الاجتماعية (٢٠ ايلول ١٩٣٩) الى ١٨ شباط ١٩٤٠ في الوزارة السعيدية الرابعة . وانتخب نائباً عن الديوانية (تشرين الأول ١٩٣٩) . ثم تولى وزارة المعارف في الوزارة السعيدية الخامسة (٢٢ شباط ١٩٤٠ الى ٣١ آذار ١٩٤٠) .

أعيد تعيينه مديراً عاماً للمعارف (٦ نيسان ١٩٤٠) فمديراً عاماً للشؤون الصحية والاجتماعية (١٤ كانون الثاني ١٩٤٣) حتى استقال في أواخر كانون الأول ١٩٤٥ ليتفرّغ للعمل السياسي . وقد أصدر جريدة يومية في بغداد باسم «البعث القومي» (١٧ شباط ١٩٤٦) ثم جعل اسمها «البعث» (حزيران ١٩٤٦) . وأسس حزب الاصلاح وتولى رئاسته (تشرين الثاني ١٩٤٩) وأصدر جريدة باسم «الاصلاح» . وقام بعد ذلك بادماج حزبه بحزب الأمة الاشتراكي بزعامة صالح جبر (تموز ١٩٥١) . وانتخب نائباً عن الكوت في مجلس النواب (حزيران ١٩٥٠ الى تشرين الأول ١٩٥٢) .

كان الدكتور سامي شوكت من المؤمنين بالفكرة العربية منذ عهد شبابه وعمل لها طول حياته . من مؤلفاته : فنّ القبالة (١٩٢٣) ، فذلكة في الطب (١٩٢٦) ، هذه أهدافنا (١٩٣٩) . وكتب بحوثاً طبية وعلمية وقومية كثيرة ، منها بحثه في منشأة الانسان او نظرية

لامارك وداروين نشره في العدد الممتاز لجريدة «العراق» الصادر في أول سنة ١٩٢٣ . وقال في مقدمته : «... وإن كانت يدي قد خلقت لجسّ النبض اكثر منها لامساك الريشة ، وعيناي تعوّدت على مطالعة أشكال الموتى والمرضى أكثر من الحسن والجمال» .

توفي الدكتور سامي شوكت في بغداد في ١٢ كانون الاول ١٩٨٦ .

* * *

حين اشتدت معركة السفور والحجاب سنة ١٩٢٤/ ٢٥ انبرى الدكتور سامي شوكت ينتصر لدعاة السفور بتوقيع «فتاة غسّان» ويردّ على الحجابيين بأسلوب تشيع فيه القسوة والمرارة ويغلب عليه طابع الحقّ والوجدان - كما قالت صبيحة الشيخ داود في كتابها «أول الطريق» .

نعت «فتاة غسان» على الحجابيين رغبتهم في بقاء المرأة على حالها متذرعين بالدين والعادات ، بينما هم يجيزون لأنفسهم اتيان الكبائر من ميسر وخمر دون خشية من الدين او العرف . وضربت مثلاً بالمرأة القروية والبدوية ، فهي سافرة تشارك الرجل في عمله . ودعت أخيراً الى مساواة المرأة بالرجل وفسح المجال أمامها لتتعلم وتتثقف دون أن تطلق لها الحرية في ان تفعل ما تشاء .

وألقى سامي شوكت في خريف ١٩٣٣ كلمة بعنوان «صناعة الموت» دعا فيها الى احراز القوة لدعم استقلال البلاد ، ونادى بنبذ الترف والتمسك بشعار «اخشوشنوا فإن الترف يزيل النعم» . فقال رزق الله اوغسطين : «صناعة الموت يتقنها الطبيب الجاهل» !

وأنشأ سامي شوكت ، وهو مدير المعارف العام ، نظام الفتوّة واتخذ لقب «حامي الفتوة» وأدخل التدريب العسكري في المدارس . ومما يذكر ان حركة مماثلة نشأت في مصر سنة ١٩٣٣ ايضاً ، إذ انشأ حزب مصر الفتاة تنظيمات شبه عسكرية باسم «القمصان الخضر» ، وانشأ الوفد القمصان الزرق ، والاخوان المسلمون الجوّالة والكتائب . وابتدع حسن البنّا زعيم هؤلاء شعار «فنّ الموت» .

دعا سامي شوكت الى «صناعة الموت» و«الغرور القومي» وشعارات مماثلة وقال : «تلك مبادئنا فمن آمن بها فهو منّا» ، يريد بذلك انه لا يميّز بين القوميات والأديان والمذاهب المختلفة في العراق وسائر أقطار العروبة ماداموا يؤمنون بمبادئه . وقد رددتُ عليه ضمناً بحديث عنوانه «القومية بين الشعور والغرور» أذيع من دار الاذاعة العراقية في ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٣ ، قلت فيه ان الشعور القومي يعمر القلوب بالعزم والايمان ويسدّد النفوس الى غاية سامية رفيعة . وهو الشعور بالفكرة التي حملت الى العالم

والانسانية في العصور الخالية رسالة الخير والمدنية والسعادة . وهو شعور يحدو بصاحبه الى الاعتداد بنفسه والاعتماد عليها دون ازدراء غيره او الحطّ من شأن سواه . وهو شعور يثير في حامله ذكريات الماضي العربي المجيد ليقتدي به ولينسج على منواله دون ان يتخذ منه ذريعة للتبجّح الفارغ والتفاخر و الادعاء . ثم قلت : والغرور من الكلمات التي لا تحمل الى الفكر معنى خليقاً بالاستحسان والاكبار ولو نعت بالقومية وذكر بالخير والاطراء . فحبّذا الشعور ولا حبّذا الغرور!

وكان سامي شوكت من أصدقاء رزوق غنام صاحب جريدة «العراق» ، فإذا انتهى الدوام الرسمي عصراً كان كثيراً ما يحضر الى ادارة الجريدة ويشترك في الندوة التي يؤمّها غير قليل من الأدباء والشعراء ورجال السياسة والفكر . وكان يشرح آراءه القومية وخططه في تحقيق الوحدة العربية ، ويتمنّى ان يحصل التعاون بين العرب واليهود في فلسطين (كان ذلك في سنوات الثلاثين قبل الحرب العالمية الثانية) ، فيقول ان اليهود يملكون الفكر والفنون الصناعية والمال ، وللعرب الأرض والنفوس . وهم ساميون ابناء عمّ ، فإذا تضافرت جهودهم أسفرت عن أطيب الثمرات .

أصدر جريدة «البعث القومي» في شباط ١٩٤٦ فكتبت جريدة «صوت الأهالي» في احدى المناسبات في ٤ حزيران ١٩٤٦ تنعت هذه الصحيفة بالفاشية ، وقالت : «ان الجريدة المذكورة لا تزال في نظرنا جريدة بعث الفاشية في العراق . ان ما تقوم به جريدة البعث القومي هو محاولة واضحة للدسّ على الحياة الحزبية والحريات الديموقراطية في العراق ، وهذا ما يعرفه الرأي العام في العراق حق المعرفة عن تلك الجريدة الفاشية التي تعبّر عن رأي فئة في هذه البلاد تضمر أشدّ العداء للحياة الديموقراطية» .

ولا حاجة للقول ان «بعث» سامي شوكت لا علاقة له بحزب البعث العربي الذي أنشئ بعد ذلك .

أصدر سامي شوكت جريدته «البعث القومي» في شباط ١٩٤٦ وطلب تأسيس حزب بنفس الاسم بمساندة الشيخ فريق ا لمزهر الفرعون والشيخ تكليف المبدر الفرعون وغيرهما ، لكن وزارة الداخلية رفضت اجازة الحزب لأن اكثرية هيئته المؤسسة تصطبغ بصبغة عشائرية . وأغلقت جريدة «البعث القومي» في ٥ حزيران ١٩٤٦ ، فصدر بدلاً عنها جريدة «البعث» التي أغلقت هي الأخرى في ٢٦ تموز ١٩٤٦ . وقوبلت مساعي سامي شوكت الصحفية والسياسية بمعارضة باعتبارها محاولة لبعث النازية والفاشية .

ثم تولىّ سامي شوكت تأسيس حزب الاصلاح وأصدر جريدة باسم «الاصلاح»

(٢٦ آذار ١٩٥٠) . واستمرت الجريدة على الصدور حتى حلّ الحزب سنة ١٩٥١ ، وانضم اعضاؤه الى حزب الأمة الاشتراكي .

أقام الدكتور سامي في أعوامه الأخيرة معتزلاً في بلدة بعقوبا ، ثم عاد الى بغداد وتوفي بها .

ذكره الدكتور هاري سندرسن الطبيب الانكليزي الذي خدم في العراق ٢٨ سنة في كتابه «عشرة آلاف ليلة وليلة» ، فقال ان الدكتور سامي مشرب بروح الخدمة العامة ، لكن مشاريعه في معظم الأحيان غير عملية وإن اتّسمت بالطموح . قام بتنظيم الفتوّة (وهو مدير المعارف العام) وعمّمها في المدارس واتخذ من نفسه حامياً لها وجعل شعارها «اخشوشنوا فإن الترف يزيل النعم» . ولم يطل بها العهد فاندثرت بعد نشوب الحرب العالمية الثانية . وقد اقترح الدكتور سندرسن على سامي شوكت ان تتاح الفرصة لفتيانه الوطنيين لخدمة بلادهم عن طريق التبرّع بالدم ، فأجاب ان الفتوة تبذل آخر قطرة من دمائها في الدفاع عن الوطن ، لكن التبرع بالدم لا يدخل ضمن واجباتها .

وقال الدكتور سندرسن ان الدكتور سامي حين أصبح وزيراً للشؤون الاجتماعية حاول الغاء البغاء وانشاء دور اصلاحية للبغايا واقترح تشييد مساكن للعمال ، لكن مشاريعه عورضت او أهملت ، فلم يتسنّ لها التنفيذ .

ذكر ناجي شوكت في «سيرته وذكرياته» ان شقيقه الدكتور سامي شوكت نشر مقالاً في بعض الصحف اليومية يتزلف به الى عبد الاله الوصي على العرش ويتملّق الانكليز - وكان ناجي آنذاك معتقلاً في سجن ابو غريب . ولمح الدكتور سامي في مقاله انه ، كلما مرّ من أمام البلاط الملكي ، تعتريه رجفة من الخجل ويأسف لأن في دمه الدم الذي يجري في عروق أحد أقاربه (أي ناجي) . وقال ناجي ان أخاه سامي ندّد به في الحفلات العامة بعد الحكم عليه سنة ١٩٤٢ ، بينما أخوه الآخر الدكتور صائب أبدى نحوه كل عطف وحنان وساعده في أيام نكبته .

سعد صالح

شهاب تألّق في سماء السياسة العراقية لحظة قصيرة ثم هوى وغاب .

وسعد بن محمد صالح آل جريْو من أسرة هاشمية رفيعة النسب ، رقيقة الحال . ولد في النجف في ٢٤ تشرين الثاني ١٨٩٨ ، ودرس العلوم العربية في معاهدها على الطريقة القديمة . وكان له مع شباب بلده مواقف وطنية محمودة إبّان الغليان التحرّري سنة ١٩١٨ والثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وقد حلّ في بغداد سنة ١٩١٩ وانتمى الى دار المعلمين الابتدائية ، وبعد عودة الى النجف ونشاط وطني قام به في عام الثورة ، اضطرّ على اللجوء الى الكويت عن طريق البصرة . لكنه لم يلبث ان قدم الى بغداد وواصل دراسته في دار المعلمين وتخرّج فيها سنة ١٩٢١ . وولج مدرسة الحقوق في العام نفسه فنال شهادتها سنة ١٩٢٥ .

عمل في الوقت نفسه معلماً في المدرسة الجعفرية ببغداد (نيسان ١٩٢٣ - تشرين الأول ١٩٢٣) فمدققاً في مديرية المحاسبات العامة (آذار ١٩٢٤ - تشرين الأول ١٩٢٥) ، حتى إذا ما أتمّ دراسته القانونية عيّن مديراً لناحية الجربوعية (وهي قضاء الهاشمية بعد ذلك) في ٦ كانون الثاني ١٩٢٦ ، فمدير ناحية عكيكة (٥ ايلول ١٩٢٦) فالرميثة (١٠ آب ١٩٢٧) . وقام بوكالة قائممقامية قضاء ابي صخير ، ثم استقال في ٢٤ شباط ١٩٢٨ .

انتخب نائباً عن الديوانية (تشرين الثاني ١٩٣٠) ، فكربلاء (آذار ١٩٣٣ وشباط ١٩٣٤ وآب ١٩٣٥) . ثم عيّن مفتشاً ادارياً (٢٩ نيسان ١٩٣٦) فمتصرفاً للواء الحلة (١٤ شباط ١٩٣٩) ، فالكوت (١١ تموز ١٩٤٠) ، فالحلة ثانية (٢٠ تشرين الثاني ١٩٤١) ، فالمنتفك (٣ كانون الثاني ١٩٤٣) ، فالعمارة (٢٦ تشرين الأول ١٩٤٣ الى ٣٠ تشرين الثاني ١٩٤٤) .

وانتخب نائباً عن لواء الديوانية (أول كانون الأول ١٩٤٤) . وعين وزيراً للداخلية في وزارة توفيق السويدي الثانية من ٢٣ شباط ١٩٤٦ الى أول حزيران ١٩٤٦ . وقد اشترك في تأسيس حزب الأحرار سنة ١٩٤٦ وتولى رئاسته في السنة التالية . وأعيد

انتخابه نائباً عن كربلاء (حزيران ١٩٤٨) ، لكنه أصيب بداء وبيل وتوفي في بغداد في ١٧ شباط ١,٩٤٩

السياسي والاداري والخطيب

بدأ سعد صالح حياته شاباً وطنياً متحمساً اشترك في الحركات التحررية ونظم شعراً وطنياً وأناشيد مدرسية . ثم كان في الادارة متصرفاً حازماً مصلحاً يدرس مشاكل الألوية (المحافظات) التي تنقل فيها ويحاول ايجاد الحلول العادلة والملائمة لها . وبرز معارضاً حرّ الرأي في مجلس النواب سنة ١٩٤٤ - ١٩٤٦ ، فكان خطيباً برلمانياً مفوّهاً ، صلب العقيدة ، ثابت المبدأ ، صريح القول ، مؤمناً بالتقدم والاصلاح . وكانت خطبه مثالاً يحتذى في أدبها وعفتها ، على ما فيها من حجّة واضحة واشارات لاذعة ، ناصعة الأسلوب العربي ، مطعّمة بالشواهد الشعرية والأمثال والحكايات الشعبية .

كان سعد صالح مؤمناً بالوحدة الوطنية ، مناوئاً للطائفية ، داعياً الى العدل الاجتماعي ، معتقداً ان طريق الاصلاح انما هو طريق الحرية ، وأن الحرية لا يمكن ان يخشاها الأقوياء . فمن خطبه في مجلس النواب التي تمثل أسلوبه ومبادئه ، قوله في القضية الكردية :

«انني لا أريد للألوية العربية اكثر مما أريده للألوية الكردية ، لا أريد إلا حالة واحدة :

فلا مطرت عليّ ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا» !

وقال في موضوع العشائر المشرّدة من أرضها :

«جيء برؤساء عشيرة الدريع الى قائممقام الحيّ ، وكان قسم كبير منهم يقطن في أراضي ميّاح ، فأمرهم القائممقام بتقديم أفراد عشيرتهم الى التجنيد ، فقالوا له : ما هي واجبات الجندي ، يا صاحب السعادة؟ فأجاب : هي الدفاع عن الوطن . قالوا : ليس للدريع وطن حتى يدافعوا عنه ، فقد اخرجتنا الحكومة من أراضينا في لواء العمارة منذ سنة ١٩٢١ وبقينا طوال هذه المدة تائهين في الصحراء بين ألوية العمارة والمنتفك والكوت ، فكيف نقنع العشيرة بوجوب الدفاع عن وطن لا يملكون فيه أرضاً يزرعونها او يرعون مواشيهم فيها؟

«ومع ان كلامهم كان مليئاً بالصدق والحقّ ، إلا ان منطق القائممقام كان ضرباً مبرّحاً وشتماً وتوقيفاً . اني ، أيها السادة ، كلما تذكرت حالة هذه العشيرة البائسة

وتصوّرتها وهي تضرب في التيه منذ أربع وعشرين سنة ، تتطلب الماء فلا تقع إلا على سراب الصحراء الملتهبة ، وتنتجع الكلأ فلا تجد إلا الرمل والحصى . ثم يلجئها المحل الى مزارع الكوت او المنتفك فتذاد عنها ذود غرائب الإبل وتطرد طرد الكلاب الكلبة...» .

وقال في معرض الردّ على رئيس الوزراء : «لقد سمعت بالأمس القريب بمناقشة في قضية البارزانيين وردّ فخامة الرئيس ، ذلك الردّ الذي كان مشوباً بالغضب مع انه لم يسمع مني إلا النزر اليسير مما يقوله الناس عن تلك القضية وعن الأموال العظيمة التي صرفت لاطفاء هذه الثائرة . فلقد عملت بقاعدة «ما كل ما يعلم يقال» ، ومع ذلك وصفني بالتجرّؤ على اتهام الحكومة ، وقال انه يردّ ذلك بكل قوة عليّ . وفخامة الرئيس - حفظه الله وهداه - إذا غضب استعمل من التعابير ما لا يرضاه له صديق ، فقد ذكرّني موقفه هذا بكلمة الشاعر اللاتيني جوفنيان(*) إذ قال : ما أكثر ما يخلع على النزاهة من برود الثناء ، ولكنها على ذلك ترتعد من البرد» !

وقال في مناسبة أخرى : «انهم يريدون ان يلبسوا الرذيلة أثواباً من الدمقس والحرير لتبدو جميلة فتانة ، وهم مع ذلك يتشكون من سوء الوضع وتدهور الأخلاق وفساد الجهاز الحكومي وانصراف الكثيرين الى النهب والسلب ، مستعملين في سبيل ذلك نفوذ مناصبهم ووظائفهم .

«ايها السادة ، نريد حرية نحارب بها الرذيلة ، نحتاج الى أحزاب سياسية ومنظمات اجتماعية تتسابق لبعث الفضيلة وتشجّع الكرامة الوطنية . فالبلاد التي تنمو بها الموبقات والآثام لا تعيش فيها الفضائل والأمجاد . والأمة التي تتعوّد على احتمال الهوان تموت ميتة الجبناء ، فيدوس التأريخ جثتها بأقدامه احتقاراً وازدراءاً .

من يهن يسهل الهوان عليه ، ما لجرح بميّت ايلام .

«ولكن ليس في وسعنا بعث الكرامة الاجتماعية وكرامات الأفراد موضوعة بالمناقصة . وكيف نبثّ الشعور بالكرامة القومية؟ أبإسدال الستار على الآثام والموبقات ونجاة مقترفيها من الحساب والعقاب؟» .

ومن أمثلة تهكمه اللاذع :

«ليست فلسطين قارة أميركة ولا أهلها من الهنود الحمر ، وليس الرئيس ترومان إله بني اسرائيل يريد ان يحقق لهم وعده» .

(*) أظن المقصود الشاعر اللاتيني جوڤنال الذي عاش بين سنة ٦٠ و١٤٠ للميلاد وكان نقاداً لاذع الأسلوب .

- «ان حمدي باشا (رئيس الوزراء حمدي الباجه جي) نزيه ، ولكنه لم يسمع مثلاً بأن هناك من يتعاطون المحاماة بعد ان لفظتهم الوظائف يقاولون أصحاب المصالح على تصدير بيانات من بعض أصحاب المعالي . وأعتقد بأن حمدي نزيه ، ولكنه لم يسمع خبر مثل هذا المحامي الذي استطاع ان يعطل قراراً . وأنا اعتقد بأن حمدي باشا نزيه ، ولكنه لم يسمع ان بعض الموظفين والمستخدمين أقصوا لأن علاقاتهم مع الوزراء غير متينة . وأعتقد ان حمدي نزيه ، ولكنه لم يسمع . . .

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة ،

وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم» !

- «نحن لا نريد المناقشة في المنهاج سواء كان طويلاً ام قصيراً ، يضمّ أعمال مائة سنة او مائة يوم . ولا أنه فقط يحتوي على «س التسويف» وقد التحقيقيّة ولام التوكيد ، انما كانت خلاصة أقوال المعارضة من ان الحاضر مرآة للمستقبل ، وقد تطلّع الناس في هذه المرآة فلم يجدوا سوى الفشل» .

ومن أقواله في بعض خطبه بمجلس النواب :

«ان صوت الحق يعلو على أبواق القوة ، انه يسمع في كل زمان ومكان ، انه يلج القلوب قبل الآذان فيبعث الايمان في قلوب الضعفاء ، ويبعث الأمل في نفوس المظلومين ، ويهزّ أعصاب الظالمين ويهدّ كيانهم ويوقظ ضمائرهم فينهشهم نهش الأفاعي» .

- «أأترك أولادي فقراء اورثهم الاستقامة التي ربّما أنكرها الناس عليّ وربما قالوا : انه أحمق ، انه عاجز؟ استولت هذه الفكرة الملعونة على رؤوس الموظفين فعمل بها عدد كبير منهم حتى صار القابض على دينه كالقابض على الجمر ، كما جاء في الحديث الشريف» .

- «ان معارضتي لم تكن مشروطة بانهيار الوزارة وليست متوقفة على رضى فلان وفلان . ولا يعيقني عن قول الحق سخط فلان وفلان ولا حبّ موسى وكره فرعون» .

- قالوا : «ولم كل هذه الصراحة ، ونحن في بلد اتخذ سياسة اسدال الستار شعاراً له؟ قلت لهم : من هاهنا أتينا . علام تسدلون الستار ، أيها السادة؟ أعلى الفضائل والمناقب؟ لا بل انهم يسدلونه على الجرائم والآثام لينجو المجرمون والآثمون» .

* * *

تقلد سعد صالح الوزارة ثلاثة أشهر لا غير في حكومة توفيق السويدي ، فتمكن في هذا الأمد القصير ان يطلق حرية الصحافة ويلغي الادارة العرفية والقوانين والمراسيم

الاستثنائية ويقوم بتشريع قانون الانتخاب الجديد والاذن بفتح الأحزاب واخلاء سبيل المعتقلين السياسيين وغير ذلك من الأعمال التي أشاعت جوّ الحرية والفرج بعد قسوة أيام الحرب وغلظتها .

الشاعر الأديب

كان سعد صالح شاعراً بالفطرة ، فلو لم ينصرف الى الادارة والسياسة لكان له في عالم الأدب شأن مرموق .

قرض الشعر في مطلع شبابه . تألم لحال وطنه فقال :

سئمت العيش في وطن ... يُضام يذلّ يضطهد
محته يد القضاء فراح ... لا روح ولا جسد
عفت تلك الربوع ، فلا ... قديمات ولا جدد
رياض صوّحت ومهاً ... ذعرت ومجمع بدد

وبكى على أطلال المجد فقال :

وقفت بطامس آثارها ... فهاج الجوى نوح أطيارها
بروع قد اغبّر منها الأديم ... حداداً على فقد أقمارها
سلام عليك ، هضاب العراق ، ... منار العلى برج أنوارها
فوالهف نفسي ، كفّ الخطوب ... تشقّ حشاك ببتّارها
وتهجر أرضك تلك العلوم ... وقد كنت كعبة زوّارها
عزيز على الحرّ تلك البلاد ... يراها رهينةَ قهّارها

وخاطب القمر في محاقه منشداً :

أفلت فأظلمت الكائنات ... عليك وقطّب وجه الغَسَقْ
لفقدك أُلبست النيّران ... ثياب الحداد وساد القلق
فللورق نَوْحَ على دوحها ... يردّده بالحفيف الورق
وللرعد لاطمة في السّحاب ... ذكا الحزن في قلبها فاحترق
مآتم ، يا بدر ، معقودة ... وقد عمّ فيها البكا والأرق
بكتك الدراري ، وذا دمعها ... يريك المجرّة نهراً دفق
بكتك الشقائق محمرّة ... بدمع لها خدّ وخدّاً وشق
بكاك النسيم ، وذا جيبه ... بليل أدمعه قد غرق

وقد كان سعد ذا حسّ مرهف ونفس شجيّة ، فلا عجب ان نطق شعره بالحزن والأسى . داعب الأمل مقتليه ذات يوم ، فخاطبه قائلاً :

كنت قد فضت شعاعاً في السّما فبدت منك بدور وشموس
وكسوت الأرض بالنور فما هي في بهجتها إلا عروس
ذاك عهد فيه دهري ابتسما ثم أضحى اليوم غضبان عبوس
كيف قد قطّب ذاك الابتسام وأقام البؤس من بعد الهنا
واستحال النور بحراً من ظلام غرقت في لجّه بيض المنى؟

لقد كان الأمل قيثارة تنشد له نغم الحبّ وألحان الشباب ، وكان نبراساً تجلى في الحياة فشق حجاب الظلمات وأبرز آيات الجمال . لكن يد القدر القاسية أخرست القيثارة وأطفأت وهج الضرام ، فتمنّى الشاعر لو عاد عهد النعيم فأزهر الروض وصدحت العنادل وهبّ النسيم العليل وصفقت أمواج الفرات تقبّلها أضواء الأصيل .

ذكر شبابه الذاهب فحنّ الى أفيائه الظليلة وأمواهه العذبة وقال في لهفة :

الصبا والهوى وبيض الأماني ذهبت كلها كأمس الذاهب
حدثوني عن الشباب ، فكل العيش في ذكره وذكرى الحبائب
وأذكروا لي عهد الشباب وما فيه من اللهو والمها والملاعب
صاح ، إنّي لأشترى عمر يوم من شبابي بحكمتي والتجارب
إن نقصاً مع الشباب لأبهى من كمال مع المشيب الشاحب
وضلالاً مع الشباب لأجدى من مشيب يهدي الطريق اللاحب
ان ليلاً يوحي الحياة دجاه لهو خير من ألف فجر كاذب

وقبل سعد صالح قال لورد بيرون شاعر الانكليز :

لا تحدّثني عن اسم مشتهر ، انما عهد الشباب المفتخر
وربيع العمر في أحلامه لهو خير من أكاليل الظفر

لكن هيهات ، لا يرجع الشباب ولا تغني التجربة والحكمة . ان الشاعر الذي هجر الشعر ليخدم أمته عن طريق الوظيفة والسياسة ، ونال الزعامة الشعبية فالتف حوله الشباب يتعلّمون منه دروس العمل الوطني الصامت ومناهج القصد والاعتدال ، ان هذا الشاعر القديم قد اعتصر روحه المرض وتنازعته الهموم والهواجس ، فعاوده الالهام . وكانت قصيدته «الأشباح» الشاحبة في وهجها كالشفق ، الكئيبة كمغيب الشمس في اليوم القرير :

أبــوارق الآمـــــــــــــــال والآلام ، لوحي لعلّك تكشـــفـــين ظلامي
فلقـد بدا شـبح الهــموم على الدجى حلكاً ركـــامـــاً قـــام فـــوق ركـــام
يوحي الى نفس المـــريض كـــآبة خـــرســاء تهلع مــهـجـة الضـرغـام
مــتـوسّطاً شــبــحـين : ذاك لمــحنة الوطن الأســيــر وذا لفــرط ســقـام
فلعلّتي شـــبـح رهيب كـــالرّدى ، ولـمـــوطني شـــبح جـــريح دامي

ثم يقول :

طال الصـــراع ، فـــهل هناك نهـــاية للكرّ والاقــــدام والاحــــجــــام؟
أتخـاف من طعم الردى فـتـعـافـه؟ لا تخش فــــهـــو ألذّ كلّ طعـــام
أم انت تسـتـبـقي الحـيـاة لطيـبـهـا وبحـــسنهــا قــد همت شــرّ هيـام؟
أأنت تذكــر كلّ مـــا قـــد جـدّ في خـــمـــســين قــد مــرّت من الأعــوام؟
مــرّت بهـا صـور الحـيـاة سـريعـة وكـــــأنهـــــا فلْـم من الأفـــلام
ام انت تكره ان تفـــارق صـبـيــة ربيـــــتـــهم بالعـــز والاكــــرام
عــودتهم رغـد الحـيـاة وطيـبــهـا عــيــشــاً حــلالاً لم يشب بحـــرام
فـتـخـاف من صـرف الزمـان يذيقـهم من بعـــــد يومك ذلّة الأيتـــــام؟
لا تبـتـئس ، ان الحـيـاة وطيـبـهـا وشــــقـــــاءها ضــــرب من الأوهام
أفـــهل يفــرق من يمــوت إذا قــضى خـــمــســين او ألفـــاً من الأعــوام؟
فـــهل ادّخــــرت من اللذاذات التي حــصّلتــهـــا في ســـالف الأيام؟
أم هل تفــرّق ثمَّ بين حــقــيــقــة حــصلت وبين حـــوادث الأحـــلام؟

ثمّ قضى الشاعر الكهل ، وكان صمت الدهور .

مكي الأورفه لي

من رجال القضاء محمد مكي بن عبد الرحمن بن عثمان آغا بن محمد سليم الاورفه لي ، وأصل أسرته من بلدة اورفه (الرها) . ولد في بغداد سنة ١٨٨٧ وتخرّج في مدرسة الحقوق . ولما نشبت الحرب العامة جنّد ضابطاً احتياطياً في الجيش التركي . واحتلّ الانكليز بغداد سنة ١٩١٧ فنفي الى بلاري من أعمال الهند . وأطلق سراحه سنة ١٩١٩ .

انتمى الى سلك القضاء في ايار ١٩٢١ وعيّن حاكماً لصلح بغداد في كانون الأول ١٩٢٢ . وكان بعد ذلك رئيس محاكم ديالى (حزيران ١٩٣١) فنائب رئيس محاكم بغداد (آب ١٩٣٢) فنائب رئيس المنطقة العدلية في بعقوبا . وعيّن عضواً في محكمة تمييز العراق في ايلول ١٩٣٧ ، فمدوناً قانونياً (تشرين الثاني ١٩٤٢) . وأعيد عضواً بمحكمة التمييز في حزيران ١٩٤٥ . وقد جدّد تعيينه في أول تموز ١٩٥٠ حتى اعتزل الخدمة بعد سنتين ، بعد ان قضى في مناصب القضاء اكثر من ثلاثين سنة امتازت بالنزاهة والحرص على أداء الواجب .

ألقى مكي الأورفه لي محاضرات في كلية الحقوق جمعت في كتبه : «شرح قانون اراءة الأموال غير المنقولة توثيقاً للدين» (١٩٣١) ، «التطبيقات القضائية» (١٩٤٣) ، «محاضرات في القضاء العراقي» .

توفي في بغداد سنة ١٩٥٧ .

علي محمود الشيخ علي

ينتسب علي محمود الى فخذ البوهيازع من قبيلة العبيد (بطن البوعلقة) وأمه مزيجة من الدم التركي والكردي . وأبوه محمود الملا احمد الشيخ علي من موظفي دائرة الأملاك السنيّة التي صارت تعرف بعد اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ بـ «الأملاك المدوّرة» .

ولد علي في ناحية أبي غريب في ٤ تموز ١٩٠١ ، وهي مجاورة لبغداد وكان أبوه موظفاً فيها ، ثم نقل سنة ١٩٠٧ مأموراً للأملاك السنيّة في كربلاء ، فالحلة (١٩١١) فبغداد . وانتمى الفتى الى المدرسة السلطانية ، ثم دخل مدرسة الحقوق عند اعادة فتحها سنة ١٩١٩ وتخرّج فيها سنة ١٩٢٣ . ووظّف في الوقت نفسه في دائرة الريّ (١٩٢١) فمترجماً بدائرة البيطرة الى آذار ١٩٢٢ . وانتسب الى حزب حرس الاستقلال السرّي الذي رئسه السيد محمد الصدر سنة ١٩١٩ ، وأخذ يدبّج المقالات الوطنية في جريدة «الاستقلال» وجريدة «الرافدين» ممّا أدت الى سجنه سنة ١٩٢١ .

مارس المحاماة . وعارض تصديق المعاهدة مع بريطانية سنة ١٩٢٤ فألقي القبض عليه مع داود السعدي ونصرة الفارسي وقاسم العلوي ومحمد عبد الحسين صاحب جريدة «الشعب» وغيرهم ، وأفرج عنه بعد أمد قصير . وفي آب من تلك السنة ألف حزب الأمة للدعوة الى تأييد الاستقلال التام ونشر الروح الدستورية والاحتفاظ بالوحدة العراقية . وقد انتخب الشيخ أحمد الداود رئيساً للحزب وزعيم الشرطة اسماعيل الصفار نائباً للرئيس وداود السعدي معتمداً ، وكان من أعضائه الى جانب علي محمود : قاسم العلوي وشفيق نوري السعيدي وعبد الهادي الظاهر ومحمود خالص وناجي السويدي وعبد الغفور البدري وجعفر الشبيبي . ولم يدم الحزب طويلاً إذ اضمحل بعد قيام عبدالمحسن السعدون بانشاء حزب التقدم وتأسيس حزب الشعب برئاسة ياسين الهاشمي (كانون الأول ١٩٢٥) . واختير علي محمود لادارة جريدة «نداء الشعب» لسان حال حزب الشعب ، لكنه لم يلبث ان استقال .

انتمى بعد ذلك الى الحزب الوطني الذي استأنف نشاطه في حزيران ١٩٢٨ برئاسة محمد جعفر ابو التمّن . ولما عطّلت جريدة «الاستقلال» التي كان وثيق الصلة بها أصدر

سلسلة من الجرائد المعارضة لم تكد تبرز الى الوجود حتى تناولها التعطيل ، منها : جريدة «صوت العراق» (٨ ايلول ١٩٢٩) ، وجريدة «صديق الشعب» (١٦ نيسان ١٩٣٠) ، و«صوت العراق» ثانية (١٠ ايار ١٩٣٠) ، و«صدى الاستقلال» (١٥ ايلول ١٩٣٠) ، وقد احتجبت في تشرين الثاني من نفس السنة . واعتقل أمداً قصيراً في تلك السنة لمعارضته المعاهدة العراقية - البريطانية .

انتخب نائباً عن الكوت (آذار ١٩٣٣ - ايلول ١٩٣٤) فعن بغداد (آب ١٩٣٥) ، وعيّن حاكماً بمحكمة التمييز (تموز ١٩٣٦) . وأصبح وزيراً للعدلية في وزارة حكمت سليمان عند تعديلها في ٢٤ حزيران ١٩٣٧ . وعهد اليه بوكالة وزارة الدفاع على أثر مقتل الفريق بكر صدقي واسناد رئاسة أركان الجيش الى الوزير الفريق عبد اللطيف نوري (١١ آب ١٩٣٧) حتى استقالة الوزارة في ١٧ منه .

وواصل نشاطه السياسي فأبعد الى بدرة في كانون الأول ١٩٣٨ ، ثم عين متصرفاً للواء البصرة (شباط ١٩٣٩) فمديراً عاماً للكمارك والمكوس (آذار ١٩٤٠) فوزيراً للعدلية ثلاثة أيام من ٢٨ الى ٣١ كانون الثاني ١٩٤١ . وتقلد وزارة العدلية للمرة الثالثة في حكومة الدفاع الوطني (١٢ نيسان ١٩٤١) وتولى وكالة وزارة الدفاع ايضاً اثر سفر وزيرها ناجي شوكت . وقد غادر بغداد الى ايران في ٣٠ ايار ١٩٤١ ، واعتقل في تشرين الأول فنقل الى الأهواز ومنها الى دربان في جنوب افريقية ، وقد وصلها في ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٢ مع الفريق أمين زكي سليمان والعقيدين محمود سلمان ومحمد فهمي سعيد ومحمد يونس السبعاوي وصدّيق شنشل . وأعيدوا الى العراق فوصلوا البصرة في ١٣ آذار ١٩٤٢ وتم تسليمهم الى الحكومة العراقية . وكان المجلس العرفي قد حكم على علي محمود بالاعدام ، لكن أعيدت محاكمته بعد عودته الى العراق فحكم عليه بالحبس الشديد لمدة ٧ سنوات . وأودع السجن في ٤ ايار ١٩٤٢ ، وأفرج عنه في ١٦ حزيران ١٩٤٧ .

عيّن في تموز ١٩٥٢ مديراً عاماً للكمارك والمكوس ، فوزيراً للمالية (١٥ تشرين الثاني ١٩٥٢) في آخر عهد وزارة مصطفى العمري ووزارة نورالدين محمود التي تلتها (٢٣ تشرين الثاني ١٩٥٢) . وأضيفت الى عهدته وكالة وزارة الخارجية (٢٦ كانون الثاني ١٩٥٣) حتى استقالة الوزارة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣ . ثم عيّن نائباً لرئيس محكمة التمييز (آب ١٩٥٣) الى تشرين الثاني ١٩٥٨ . وانتخب في تلك الأثناء نائب رئيس مجلس ادارة المصرف الوطني العراقي (آذار ١٩٥٥) .

أدركته الوفاة في بغداد في ٢٨ كانون الأول ١٩٦٧ .

مؤلفاته : «آراء في القضية العربية وذكريات عنها» (الجزء الأول ، ١٩٥٠) ، «محاكمتنا الوجاهية» (١٩٦٦) ، «مذكرات وتعليقات» (الجزء الأول ، ١٩٦٦) ، «المعاهدات غير المتكافئة» (١٩٥٢) ، «مذكرات علي محمود الشيخ علي» (تحقيق وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي ، طبع بغداد ١٩٨٥) .

* * *

رشح علي محمود نفسه في الانتخابات النيابية التي جرت في أواخر سنة ١٩٣٤ فلم يفز بالنيابة . وقد كتب في رسالة له مؤرخة في ٩/ ١٢/ ١٩٣٤ الى ناجي شوكت الوزير المفوض في انقرة (نشرها هذا الأخير في كتابه «سيرة وذكريات ثمانين عاماً») يقول : «... انتهت الانتخابات فجاءت بشرّ ما تمنى به الأوطان . ففي هذا المجلس انحشر ذوو العاهات حشراً ، فمن أعمى الى أعور الى أعرج الى أقرع الى مسلول لا يرجى شفاؤه . وفي هذا انحشر ايضاً المعروفون بسلوكهم الشائن وسوابقهم المفضوحة ، وفي رؤوس أغلبية المنتخبين الجدد تجمعه الجهالة والغباوة . فانك إذا فتشت عن الثقافة والفهم بينهم ، واهتديت بسراج ديوجينس ، لما استطعت ان تجد لها أثراً إلا في بعض الرجال الذين قرروا الاستقالة عندما يلتئم المجلس ويستقيم أمره .

«كنت يوم الجمعة الماضية ، وهو اليوم الذي تلا يوم الانتخابات ، جالساً في مكتبي إذ زارني صديق شاعر . فبعد ان أوضح رأيه في المجلس وأعضائه ، قال لي : اسمع هذين البيتين :

لفّق في بغداد مجلس باطل　　　كما لفّق الثوب العتيق المرقّع
تجمّعت العاهات فيه ، فأعور　　　وعيّ وأعمى ثم آخر أقرع» .

وكتب علي محمود في رسالة أخرى الى ناجي شوكت مشيراً الى الثورات والانتفاضات المتوالية التي تقوم بها العشائر وقال :

«اني اعتقد من المستحسن ان تؤلف الحكومة لجنة من الخبراء للتحقيق في أسباب الثورات وعواملها وتبحث عن كيفية معالجة الوضع في المستقبل ، واتخاذ ما يلزم اتخاذه من التدابير لمنع وقوع أمثالها في الأيام المقبلة . لأن مثل هذه اللجنة ضرورية إذا أريد استتباب الأمن والسلام وإذا رغب في معرفة النواقص والموجبات الموجبة للتذمر والتشكي . غير ان ظاهر الحال لا يدلّ على ان المسؤولين آخذون بهذه الفكرة» .

محمد شفيق العاني

محمد شفيق بن محمد شريف بن عبد اللطيف العاني ولد ببلدة عنة على الفرات سنة ١٩٠٧ ، ونشأ في بيت علم اذ كان أبوه مفتياً للبوكمال وعنة .

قدم الى بغداد سنة ١٩٢٣ فانتمى الى مدرسة الامام الاعظم . وأتم دراسته الثانوية فالتحق بكلية الحقوق ونال اجازتها سنة ١٩٣١ . ودرس العربية والفقه في الوقت نفسه على كبار الاساتذة كعبد الوهاب النائب ويوسف العطا وقاسم القيسي وعبد الملك الشواف وحمدي الأعظمي وأمجد الزهاوي وطه الراوي ومنير القاضي .

مارس المحاماة امداً قصيراً ، وعيّن مديراً للأيتام (١٩٣٢) ، ثم انتمى الى سلك القضاء فعيّن حاكماً لصلح الحلة (٢٣ تشرين الثاني ١٩٣٣) فالقرنة (حزيران ١٩٣٥) فالبصرة فالنجف (تموز ١٩٣٧) فحاكم كربلاء المنفرد (آب ١٩٤١) فحاكم صلح الكاظمية (نيسان ١٩٤٣) فحاكم بداءة بغداد (١٩٤٤) فحاكم جزائها (حزيران ١٩٤٥) فحاكماً للبداءة ايضاً (تموز ١٩٤٦) . وعهد اليه برئاسة مجلس التمييز الشرعي السنيّ في ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٧ ، ثم نقل مديراً عاماً للأوقاف (آب ١٩٥٢) .

وعيّن وزيراً بلا وزارة في ١٧ ايلول ١٩٥٣ ، ووكيلاً لوزير الشؤون الاجتماعية (٩ كانون الثاني ١٩٥٤) الى ٨ آذار ١٩٥٤ . وعيّن عضواً بمحكمة التمييز (نيسان ١٩٥٤) وكلف بالقيام في الوقت نفسه برئاسة محكمة استئناف منطقة بغداد . ونقل مديراً عاماً للأوقاف للمرة الثانية في ٤ تشرين الثاني ١٩٥٤ .

أعيد عضواً بمحكمة التمييز (تشرين الثاني ١٩٥٥) وأصبح نائباً لرئيسها (٢ كانون الأول ١٩٥٨) فرئيساً لتلك المحكمة من أول تموز ١٩٦٢ الى ٨ ايلول ١٩٦٩ .

وقد حاضر في كلية الحقوق وكلية الشريعة ومعهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة . وعيّن عضواً بالمجمع العلمي العراقي في آب ١٩٦٣ ، وانتخب عضواً مراسلاً في مجمع اللغة العربية في مصر (نيسان ١٩٦٧) .

مؤلفاته

وضع مؤلفات عديدة منها : أصول المرافعات الشرعية (١٩٥٠) ، أحكام الأوقاف

(١٩٥٥) ، الفقه الاسلامي ومشروع القانون المدني العربي الموحد (١٩٦٥) ، حول توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية (١٩٦٦) ، أحكام الأحوال الشخصية في العراق (وهو محاضراته في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة ، ١٩٧٠) .

وقد توفي محمد شفيق العاني في لندن ، حيث كان مستشفياً ، في ٢٩ آب ١٩٧١ .

كان عالماً قانونياً فقيهاً ينظم الشعر . اما عمله في القضاء فقد ذكره ضياء شيت خطاب ، فقال : «... وكان الفقيد مثالاً للحاكم المصلح : دقة في التفكير ، وحياد في الرأي ، وعدالة في الحكم ، وعلم في الشريعة والقانون ، لا يكل من العمل ولا يسأم تكاليفه . وكان الفقيد ذا شخصية قضائية من عناصرها قوة الحجة وبراعة الاقناع والحرص على تطبيق العدالة ، يساعده في ذلك اطلاع واسع في الشريعة والقانون . وكان أسلوب كتابته للأحكام القضائية من السهل الممتنع ، فهو يختار من الألفاظ أقربها الى الاذهان وأوضحها في البيان وأحسنها جرساً في الآذان» .

ثم قال :

«وكان الفقيد حجة في أصول الفقه ، وكثيراً ما كان يتحدث معنا عن طريق التفسير في الفقه الاسلامي ، وكان يسمي الحكام والقضاة الذين يعملون بظاهر النص القانوني بأهل الظاهر في القانون ، ويقابلون أهل الظاهر في الفقه الاسلامي وهم أتباع الامام داود بن علي الظاهري الذي ولد بالكوفة سنة ٢٠٢ هـ ونشأ ببغداد . فقد ذهبوا الى وجوب العمل بظواهر النصوص وسدّوا باب التأويل ، فكل النصوص عندهم في حكم الصريحة يجب العمل بما ظهر فيها ، وأنكروا الاجتهاد بالقياس . وكانوا يقفون عند الاحكام التي دلّت عليها ظواهر النصوص فقط ، وعلى عكسهم في ذلك أهل التأويل ، وهم الذين يحكمون بالنص الشرعي بما يفهم من عبارته او اشارته او دلالته او اقتضائه . ولهذا كان الفقيد قديراً في تفسير النص القانوني ومدى انطباقه على واقعة الدعوى . فإن كان النص واضحاً فلا محل لتفسيره ما دام اللفظ الذي استعمله القانون لا سبيل الى الاختلاف في معناه . اما إذا كان النص القانوني غير واضح لوجود عيب فيه كالغموض او التناقض او النقص ، فكان يقوم بتفسيره بطرق التفسير المختلفة ، ومنها الاستنتاج بطريق القياس ، والاستنتاج من باب أولى ، والاستنتاج من مفهوم المخالفة ، او الرجوع الى حكمة التشريع او الأسباب الموجبة للقانون ، الى غير ذلك من طرق التفسير . ومن أجل ذلك كان حكم القانون عنده ليس نصاً جامداً بل منطلقاً حراً يتحرك ليواجه مناحي الحياة . فالقانون عنده روح قبل ان يكون حرفاً ، ومعنى قبل ان يكون لفظاً» .

ووصف ضياء شيت خطّاب أخلاق العاني فقال انه كان سمح النفس ، كريم الخلق ، عفّ اللسان ، لا يجد المتحدث اليه غلظة ولا خشونة ، فلم يكن مستكبراً ولا مستعلياً . وكان عذب الحديث ، حلو الفكاهة ، باسماً دائماً حتى في أوقات الحرج والشدّة . وكان عميق الايمان وفيه نزعة صوفية .

رثاه خالد الشواف فقال :

كان يقيم العدل في مجلس ... إن عثر العدل بجلبابه
وكان أهل الرأي في مجمع ... مفتقد جامع أقطابه
وكان مهوى السمع في منتدى ... يضمّه ما بين أصحابه
وكان من نعرف في خلقه ... وعلمه الجمّ وآدابه
وفي تقى شاهده ما قضى ... به من الحق لطلابه
يا أيها المرثيّ ، كم سامع ... يرثيك بالدمع وتسكابه

وقال خاشع الراوي :

هو الموت ، كم أبكى عيوناً وكم أدمى ... قلوباً فلم يرحم أباً كان او أمّا
أيا راحلاً أبكى العلى برحيله ... فأوهن منّا ، حين بارحنا ، العزما
رحلت ولم تملك حطاماً ، وانّما ... ملكت السّجايا الغر والأدب الجمّا
وكنت الأبيّ الألمعيّ حقيقة ... وكنت الفتى المحبوب والفاضل الشّهما
وكان ، وللأيّام زهو وبهجة ، ... لك المنصب المرموق والموقع الأسمى

عزيز شريف

ولد عزيز شريف في بلدة عنة على الفرات سنة ١٩٠٥ ، وكان أبوه الحاج شريف مفتي البلدة وعالمها ، وتخرج في دار المعلمين الابتدائية ببغداد ، فانخرط في سلك التعليم في ايلول ١٩٢٥ . ثم انتمى الى كلية الحقوق فنال اجازتها سنة ١٩٣١ . واشترك في اصدار جريدة «الأهالي» وأصبح صاحبها ورئيس تحريرها في نيسان ١٩٣٣ .

عيّن في تشرين الثاني ١٩٣٣ حاكماً للتحقيق في البصرة ونقل الى الناصرية (ايلول ١٩٣٤) . لكنه سرعان ما ترك القضاء وزاول المحاماة . وانتخب نائباً عن البصرة في مجلس النواب في شباط ١٩٣٧ . وعاد الى السلك القضائي في كانون الثاني ١٩٤٢ إذ عيّن حاكماً لجزاء بغداد ، فعضواً بمحكمة بداءتها (تموز ١٩٤٣) . واستقال في نهاية الحرب العالمية ليخوض غمار السياسة ، فألف حزب الشعب (نيسان ١٩٤٦) وتولّى رئاسته ، وكان قد أصدر جريدة «الوطن» في تموز ١٩٤٥ فجعلها تنطق بلسان الحزب الجديد . لكن الحزب حلّ في ايلول ١٩٤٧ لميوله اليسارية بعد ان عطّلت جريدة «الوطن» في آذار من تلك السنة .

أعاد اصدار جريدة «الوطن» في شباط ١٩٤٨ الى تشرين الثاني من تلك السنة . وعمد عزيز شريف الى العمل السري وأصدر جريدة سرية باسم «النضال» (١٩٤٩) استمرت تصدر متقطعة الى ١٩٥٦ . واضطر على الفرار الى سورية ، واختفى عن الأنظار ، وجرّد من جنسيته العراقية .

وقد عاد الى بغداد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ واستأنف جهاده السياسي والصحفي بعد ان أعيدت اليه جنسيته العراقية . وأصدر جريدة «وطننا» (١٩٥٩) وجعل اسمها في السنة التالية «السلم» . واختير رئيساً لأنصار السلم في العراق وعضواً في مجلس السلم العالمي ، ومنح جائزة لنين للسلام في ايار ١٩٦٠ . ولما أنهي العهد القاسمي في ٨ شباط ١٩٦٣ هرب عزيز شريف من العراق والتجأ الى أقطار مختلفة .

وتقلب الجوّ السياسي فعين عزيز شريف في ٣١ كانون الأول ١٩٦٩ وزيراً للعدل في حكومة رئيس الجمهورية المهيب احمد حسن البكر . ونقل وزيراً للدولة في اول آب

١٩٧١ فاستمر في منصبه الى ١١ ايار ١٩٧٦ . وقد احتفظ بمنصبه سكرتيراً عاماً للمجلس الوطني للسلم والتضامن ونائب رئيس منظمة الشعوب الأفروآسيوية . وحضر مؤتمرات واجتماعات عديدة للسلم العالمي في مختلف أنحاء العالم . واختير رئيساً للدورة الحادية عشرة لمجلس منظمة تضامن الشعوب الأفريقية الآسيوية التي عقدت في بغداد في آذار ١٩٧٤ .

وضع مؤلفات ونشرات سياسية متعددة ، منها : تعريف العدوان في القانون الدولي ، النفط والحرب (١٩٤٣) ، الحركة الوطنية في سورية ولبنان (١٩٤٤) ، السياسة البريطانية في الشرق الأوسط (١٩٤٧) ، السياسة الصحيحة لحلّ القضية الفلسطينية (١٩٤٨) ، موقفنا من بريطانية وألمانية والاتحاد السوفيتي (١٩٤٨) ، من حلف بغداد الى تحرير القنال (١٩٥٦) ، شعوب آسية وافريقية ضدّ حلف بغداد ومبدأ ايزنهاور (١٩٥٨) .

وقد توفي عزيز في موسكو في ٢٦ نيسان ١٩٩٠ ونقل جثمانه الى بغداد ووري التراب فيها .

كان عزيز شريف رجلاً صلب العقيدة ، متمسكاً بمبدأه ، لا يبالي بالتضحية والجهاد في سبيل معتقده ، لا يهن ولا يلين في كفاحه الذي استمر أكثر من خمسين عاماً . كان سياسياً دمقراطياً يساريّ النزعة يدعو الى العدل الاجتماعي ورعاية حقوق الانسان . وقد ظنّ ان مجلس السلم العالمي يحقق تلك الأهداف على نطاق واسع ، فانضمّ اليه وعمل في صفوفه وانتخب نائباً لرئيسه . فاته ان هذا المجلس لم يكن سوى أداة شيوعية طيّعة تدافع عن كوبا وأمثالها ، وتثير الفتن في الدول المتأخرة في أميركة اللاتينية وافريقية خصوصاً ، وتشجّع الثورات والقتل والارهاب باسم الانسانية والسلام . عرفته في أيام تقلده وزارة العدل ووزارة الدولة سنة ١٩٧٠ وما بعدها فوجدته رجلاً حراً شريفاً يحاول تأمين الأمن والعدالة والتخفيف من حدة اندفاع الحكومة البعثية التي حكمت العراق منذ سنة ١٩٦٨ والتجائها الى وسائل العنف والارهاب والقتل والاعتقال . كان يبذل جهوده في هذا السبيل ، لكن مساعيه منيت بالخيبة في معظم الأحيان .

عبد القادر اسماعيل

عبد القادر اسماعيل أخو وزير المالية خليل اسماعيل ، جاء جدّه الحاج مستان من الأفغان وجاور في الحضرة الكيلانية واقترن بفتاة بغدادية من محلة باب الشيخ .

ولد عبد القادر في بغداد سنة ١٩٠٨ وتخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٣١ . اشترك في المظاهرات عند زيارة السر ألفرد موند سنة ١٩٢٨ وبعد ذلك ضدّ معاهدة ١٩٣٠ ، وطرد من مدرسة الحقوق ثم سمح له باستئناف دراسته . وأصدر في ايار ١٩٢٩ صحيفة «المستقبل» وكان مديرها المسؤول ، وتولى تحريرها ابراهيم صالح شكر ، وصدر منها ٩ أعداد . وكان في آب ١٩٢٩ المدير المسؤول لصحيفة «الشباب» ، وكتب قصصاً منها : ظلم الحياة ، المنضد ، الزوجة ، ضحية السباق ، بؤساء ، الشهيدة ، نشرها سنة ١٩٢٩ - ١٩٣٠ في مجلة «الشباب» وجريدة «البلاد» و«المستقبل» .

اشترك في ٢ كانون الثاني ١٩٣٢ في اصدار جريدة «الأهالي» وكان حسين جميل صاحبها ومديرها المسؤول ، ثم أصبح عبد القادر صاحب الجريدة في حزيران من السنة نفسها . وقد أعاد اصدارها بعد توقيفها في تشرين الثاني ١٩٣٦ ، واشترك في تأسيس جمعية الاصلاح الشعبي . انتخب نائباً عن بغداد في شباط ١٩٣٧ .

تطرّف في مبادئه الاشتراكية حتى اعتنق الشيوعية . وقد شنّت وزارة ياسين الهاشمي حملة على الخلايا الشيوعية في كانون الأول ١٩٣٥ ، واعتقلت عبد القادر اسماعيل وصادق كمّونة . وقد عطّلت جريدة «الأهالي» في ٢٤ تموز ١٩٣٧ بعد استقالة كامل الجادرجي ومحمد جعفر ابو التمن ورفاقهما من وزارة حكمت سليمان . وفي ١١ آب من نفس السنة اسقطت الجنسية العراقية عنه وعن أخيه يوسف سكرتير المفوضية في باريس ، فغادر عبد القادر العراق الى سورية ومضى بعد ذلك الى موسكو . وعاد الى بغداد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، فأصدر جريدة يومية سياسية باسم «اتحاد الشعب» في ١٠ كانون الثاني ١٩٥٩ وجعلها لسان حال الحزب الشيوعي . وقد احتجبت في السنة التالية .

نسب اليه عبد الاله احمد رواية «من بنات الناس» المطبوعة في دمشق سنة ١٩٣٩ باسم «عربي عراقي» .

كتب عنه المحامي الشاعر انور شاؤل الذي زامله في مدرسة الحقوق فقال انه «الشاب الهادئ الذي اختار له الشيوعية سبيلاً وظلّ أميناً لها ، عاملاً من أجلها في السر والعلن ، في العراق وخارجه ، وقضى سنوات في سراديب لا ينفذ اليها النور ، فتعرّض للمخاطر وحوكم مراراً . ولمع نجمه وظهر للأنظار زعيماً شيوعياً يشار اليه بالبنان على عهد ثورة عبد الكريم قاسم ، ثم تعرّض لصعود المشنقة اثر الاطاحة بالحكم القاسمي . ولكنه نجا بأعجوبة ما وانزوى متخفياً عن الأنظار» .

اتخذ عبد القادر اسماعيل لقب «البستاني» . وأرغم على الظهور على شاشة التلفزيون في بغداد في شباط ١٩٦٣ ، بعد مقتل عبد الكريم قاسم ، متنصلاً من الشيوعية ، نادماً على اعتناق مبادئها .

وقد توفيّ في نحو سنة ١٩٨١ .

عبد الرزاق الظاهر

الكاتب السياسي عبد الرزاق الظاهر ، وهو ابن الشيخ احمد الظاهر وأخو عبد الهادي الظاهر .

ولد عبد الرزاق ببغداد سنة ١٩٠٨ ، ودرس في الجامعة الأميركية ببيروت . ثم انتمى الى كلية الحقوق العراقية ونال اجازة المحاماة . وعيّن ملاحظاً لوزارة الاقتصاد والمواصلات (تشرين الثاني ١٩٣٣) فملاحظاً لوزارة العدلية ، وعاد الى مزاولة المحاماة (١٩٣٦) . ثم عيّن سكرتيراً لوزارة العدلية سنة ١٩٤٠ .

انتخب نائباً عن بغداد في حزيران ١٩٤٨ ، لكنه استقال من النيابة (آذار ١٩٥٠) . وعيّن وزيراً للاقتصاد (١٠ كانون الأول ١٩٤٩ - ٥ شباط ١٩٥٠) .

نشر مقالات سياسية واجتماعية في الصحف العراقية ، وألف : الاقطاع والديوان في العراق (١٩٤٦) ، صور من العراق (١٩٤٧) ، عذارى بابل (١٩٤٧) ، في الاصلاح الزراعي والسياسي (١٩٥٩) .

وقد عيّن عضواً في لجنة الاصلاح الزراعي التي الفت عقب ثورة ١٩٥٨ . وواصل ممارسة المحاماة الى نيسان ١٩٧٠ حين أحال نفسه على التقاعد .

انتمى عبد الرزاق الظاهر الى حزب الاستقلال ، فأوفده الحزب سنة ١٩٤٦ الى مصر وسورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين ، فاجتمع الى بعض رجال السياسة والرأي في تلك الأقطار وتباحث معهم في معالجة قضايا الوطن العربي .

أصدر مجموعة قصص عنوانها «عذارى بابل» (١٩٤٧) . قال الدكتور عبد الاله احمد في كتابه «الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية» (١٩٧٧) ان هذه القصص قد اتجهت وجهة تعليمية واضحة وحاولت ان تقول آراء معينة في قضايا قائمة سياسية واجتماعية . وقد اثقلت معظمها بالشروح والتعليقات التي يمكن ان نجد نموذجها البارز في المحاضرة التي اوردها على لسان أحد أبطال قصة «عذراء بابل» التي تناولت تأريخ العراق الحديث .

جاء عبد الرزاق الظاهر الى لندن سنة ١٩٧٥ فأقام فيها ردحاً من الزمن ، ثم عاد الى بغداد وظلّ يتردد على العاصمة البريطانية . وقد اخبرني في زيارة له في شباط ١٩٨١ انه فرغ من تدوين مذكراته منذ عهد صباه خلال الحرب العظمى الأولى ، وفيها لمحات عن الرجال الذين عرفهم وعمل معهم في العهد الوطني . ووضع أيضاً خلاصات كتب تأريخية وأدبية من طرائف التراث العالمي .

هاشم جواد

خبير العراق الأول في شؤون العمل والعمال ، ولد هاشم جواد في بغداد في ١٥ كانون الثاني ١٩١١ ، وكان أبوه محمد جواد محمود الأوقاتي معلماً ، ثم درس الحقوق وأصبح قائممقاماً ومفتشاً ادارياً .

أتم دراسته في الجامعة الأميركية ببيروت سنة ١٩٣٢ ودرس بعد ذلك الاقتصاد والسياسة في جامعة لندن . وقد عين مدرساً في تشرين الأول ١٩٣٢ ، ثم التحق بوزارة الخارجية بعد سنتين وعين ملحقاً بمفوضية لندن . ونقل بعد ذلك للعمل مع الوفد العراقي لدى عصبة الأمم في جنيف . وأعيد الى بغداد سنة ١٩٣٧ معاوناً للشؤون الخارجية في ديوان مجلس الوزراء ، لكنه أعيد في أواخر تلك السنة الى الممثلية الدائمة في عصبة الأمم . وأعيرت خدماته في كانون الثاني ١٩٣٨ الى مكتب العمل الدولي في جنيف .

انتدبه المكتب خلال الحرب العالمية الثانية ليعمل خبيراً في شؤون العمل والعمال بوزارة الشؤون الاجتماعية ، فعاد الى بغداد وقام بتلك المهمة . ثم عيّن مديراً لشؤون العمل في تلك الوزارة في ايار ١٩٤٦ . وعاد الى مقرّ مكتب العمل الدولي في جنيف في السنة التالية . وفي تموز ١٩٥٦ عين ممثلاً دائماً للعراق لدى الأمم المتحدة في نيويورك برتبة وزير مفوض ، وعاد الى بغداد في بداية سنة ١٩٥٨ مديراً عاماً في ديوان وزارة الخارجية .

أعيد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مندوباً دائماً لدى الأمم المتحدة . وعيّن في ٧ شباط ١٩٥٩ وزيراً للخارجية في حكومة عبد الكريم قاسم فظلّ في منصبه الى ٨ شباط ١٩٦٣ . وكان في الوقت نفسه وكيلاً لوزير المالية من ٣ ايار ١٩٦٠ الى ١٥ تشرين الثاني ١٩٦٠ . واعتزل العمل بعد ثورة ١٤ رمضان واعتقل أمداً قصيراً .

قال نجدة فتحي صفوة ان عبد الكريم قاسم اختاره وزيراً للخارجية دون ان تسبق له معرفة شخصية به ، بل قرر استيزاره استناداً الى سمعته . وقال : «وربما كان من سوء

حظ هاشم جواد ان يولّى وزارة الخارجية في ذلك العهد ، إذ كان المنصب من أصعب المناصب وأكثرها حساسية وخطراً بسبب تقلبات عبد الكريم المفاجئة بين اليمين واليسار ، وغموض أهدافه ومواقفه ، وصعوبة التكهن بما سيفاجئ الناس به . ولكن استيزاره ربما كان ، من جهة أخرى ، من حسن حظ تلك الوزارة وموظفيها . إذ وقف هاشم جواد سداً منيعاً دون تغلغل المدّ الشيوعي فيها ، ونجح في حماية موظفيها المسلكيين من التيارات الحزبية . وربما كان هاشم جواد مع محمد حديد الوزيرين الوحيدين اللذين كانت لديهما الجرأة لمناقشة عبد الكريم قاسم وتقديم المشورة الصادقة الصريحة له . وكان هاشم جواد في هذا الشأن أقوى من معظم الوزراء العسكريين في حكومة ذات طابع عسكري بسبب ما نشأ عليه اولئك من اطاعة أوامر رؤسائهم بدون مناقشة ، كما كان هاشم جواد عنصر الاعتدال الذي حدّ من اندفاعات عبد الكريم قاسم بقدر الامكان ، واستطاع ان يكسب احترام الساسة العرب ويحافظ على مكانة العراق وعلاقاته العربية . ونجح في عقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب للمرة الأولى في بغداد . وكان المرحوم احمد الشقيري يسميه «حكيم العرب» لآرائه الناضجة وحسن تقديره للأمور» .

حاول هاشم جواد ان يخفف من حدّة الزعيم عبد الكريم قاسم ، على قدر امكانه ، في سياسته الخارجية النابعة عن العاطفة والمتسمة بالفورية والتسرع . وقد سعى الى اقامة التوازن بين علاقات العراق بموسكو والصين والدول الشرقية من الجهة الواحدة وبريطانية والولايات المتحدة وسائر الدول الغربية من الجهة الاخرى ، فنجح في ذلك حيناً وخاب حيناً آخر . وقد فاجأه عبد الكريم قاسم بتصريحه القائل بأن الكويت جزء من العراق دون استشارته ، فقرر الاستقالة ثم آثر البقاء في منصبه على مضض .

غادر هاشم جواد العراق بعد اطلاق سراحه فالتحق بخدمة هيئة الامم المتحدة ، وعين مندوباً مقيماً لها في برمة (١٩٦٤) فبيروت (آب ١٩٦٦) . واغتاله سائق سيارته في العاصمة اللبنانية في ١٢ تشرين الأول ١٩٧٢ ، وكان قد فصله لسوء سلوكه . أقدم هذا السائق على جريمته النكراء ثم اطلق النار على نفسه ومات .

مؤلفاته

وضع هاشم جواد مؤلفاته باللغتين العربية والانكليزية ، منها : احوال العمل والعمال في العراق (١٩٤٢) ، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي (١٩٤٦) ، عوامل نشوء وتطور تشريع العمل الحديث (١٩٥٤) ، القضية الجزائرية (١٩٦٠) ، حول إنهاء الاستعمار

(١٩٦٠) سياسة عدم الانحياز (١٩٦١) الخ .

كان السيد جواد محمود ، والد هاشم ، يعلمنا العربية في مدرسة التعاون الابتدائية الأهلية . وكان يرتدي الجبّة والعمامة ثم تركهما الى الزيّ الافرنجي حين انتمى الى مدرسة الحقوق . وقد ربطتني بهاشم صداقة وثيقة عند عودته الى بغداد خلال الحرب العالمية الثانية ، فدعوته الى الكتابة في مجلة غرفة تجارة بغداد التي كنت أتولى تحريرها . وقد رشحني ، وهو وزير الخارجية سنة ١٩٦٠ ، عضواً في الوفد العراقي الى جمعية الأمم المتحدة في نيويورك .

كتب في مجلة الغرفة سنة ١٩٤١ - ٤٥ ١٩بحوثاً مقوّمة في مواضيع ذات شأن لم يسبق معالجتها باللغة العربية بطريقة علمية ، منها مقالات عن مستوى المعيشة والاسعاف الاجتماعي واقتصاد تشييد البيوت والتصميم الاجتماعي وتشريع العمل وحماية الطفولة واتجاهات المجتمع الجديد والضمان الاجتماعي والعمال ومستقبل العراق والصناعة الحديثة والصنائع اليدوية في الأقطار العربية الخ . ولخّص في المجلة تقرير بيفريج للضمان الاجماعي عند صدوره في انكلترة سنة ١٩٤٢ ، وقد أصبح هذا التقرير الخطير الذي وضعه السر وليم بيفريج أساساً للرعاية الاجتماعية والصحة الوطنية التي شرّعت في بريطانية في نهاية الحرب العالمية .

كان لكتابات هاشم جواد ، بالاضافة الى عمله في وزارة الشؤون الاجتماعية ، اثر بالغ في وضع قوانين العمل وانتهاج سياسة اجتماعية جديدة في العراق بعد الحرب .

عبد الوهاب محمود

عبد الوهاب بن الحاج محمود البُرَيْدي ، أخو محمد زكي رئيس مجلس النواب لأمّه ، وأصل أسرته من بلدة بُرَيْدة في نجد ، اما والدته فمن عشيرة الكروية القيسيّة .

ولد في قرية مهيجران بين أبي الخصيب والبصرة سنة ١٩١٠ ، ودرس في مدينة البصرة ، ثم أتمّ دراسته الثانوية في بغداد . وانتمى الى كلية الحقوق (١٩٢٩) فتخرّج فيها سنة ١٩٣٢ ، ومارس المحاماة متمرّناً في مكتب أخيه محمد زكي . وأصدر مجلة اسبوعية باسم «الأماني القومية» (٤ ايلول ١٩٣١) ، فلم تلبث ان احتجبت بعد أمد وجيز .

وقد انتخب نائباً عن العمارة في مجلس النواب (كانون الأول ١٩٣٧) فنائباً عن البصرة (حزيران ١٩٣٩) ، وجدّد انتخابه في تشرين الأول ١٩٤٣ الى تشرين الثاني ١٩٤٦ . وأبعد الى تلّعفر في حوادث كانون الأول ١٩٣٨ ، وأفرج عنه بعد أيام قليلة . واختير مقرراً للجنة المالية في مجلس النواب (شباط ١٩٤٠) ، وعرف في المجلس بخطبه الهادفة ومناقشاته الجريئة .

عيّن وزيراً للمالية في وزارة توفيق السويدي (٢٣ شباط ١٩٤٦) ، وأضيفت الى عهدته وكالة وزارة التموين (٢٢ ايار ١٩٤٦) الى استقالة الوزارة في ٣١ ايار ١٩٤٦ . واشترك في تلك السنة في تأسيس حزب الأحرار ، ثم انتخب نائباً لرئيسه .

انتخب نقيباً للمحامين في ١١ آب ١٩٥٠ الى ٢٨ آب ١٩٥٣ ، ثم في ٢٧ آب ١٩٥٤ حتى استقال في تشرين الأول ١٩٥٤ . واعتقل في احداث تشرين الثاني ١٩٥٢ وظلّ موقوفاً في أبي غريب نحواً من شهرين . وانتخب نقيباً للمحامين مرة أخرى في ٨ آب ١٩٥٨ ، فرئس النقابة الى كانون الثاني ١٩٥٩ حين عيّن سفيراً للعراق في موسكو . وانفصل عن السفارة في آب ١٩٦١ ، ثم انتخب نقيباً للمحامين في ٢٣ شباط ١٩٦٨ . وجدّد انتخابه في ٩ كانون الثاني ١٩٧٠ الى ٥ كانون الثاني ١٩٧٢ . وتوفي ببغداد بعد اسبوع واحد في ١٢ كانون الثاني ١٩٧٢ .

كان عبد الوهاب محمود كاتباً سياسياً ومفكراً اجتماعياً يدعو الى ترسيخ المبادئ الدمقراطية ورفع مستوى الطبقات العاملة وتحقيق العدالة الاجتماعية . وقد دافع بحماسة عن القضايا العربية في المحافل الدولية ومؤتمرات المحامين . وشرع في ايامه الأخيرة بتدوين مذكرات عن الأحداث التي شهدها وواكبها .

زاول المحاماة أعواماً طويلة وسعى الى رفع مستوى المهنة والترفيه عن المحامين ، إذ كان يرى فيها أداء واجب مقدّس لاحقاق الحقّ وتثبيت أركان العدالة . وقد وفّق ، وهو نقيب المحامين ، الى عقد المؤتمر الأول للمحامين العرب في بغداد في أواخر سنة ١٩٥٨ .

قال حامد علوان الجبوري وزير الاعلام : «... فلقد اسهم الفقيد الكبير مساهمة بارزة في الحركة الوطنية ، وكان في الطليعة من الرواد الذين قارعوا الاستعمار والنظام الملكي وما يمثلانه من صور التبعية والتخلف والرجعية والاستغلال ، وكانوا دائماً وأبداً الى جانب الشعب وفي مركز القيادة من حركته الوطنية والتقدمية...» .

وقال شفيق ارشيدات الأمين العام لاتحاد المحامين العرب انه عرف عبد الوهاب محمود انساناً مؤمناً بانسانيّته وعربياً يفخر بعروبته ويؤمن بقوميّته ووطنياً عراقياً صادقاً يحبّ بلده العراق ويثق بطاقات شعبه وقدراته .

وقال عامر عبد الله (وزير الدولة) : «...وكان عبد الوهاب محمود داعية مرموقاً للديموقراطية والنظام الديموقراطي ، للحرية والعدالة واستقلال القضاء وسيادة القانون ، للتآلف الوطني ، للاخوة العربية - الكردية . وقد عرف بنزعته القوية نحو التقدم الاجتماعي والاشتراكي وبنضاله من أجل الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الأخرى...» . ثم قال : «لم يكن عبد الوهاب محمود رجل القانون والسياسة فقط ، بل كان أيضاً رجل الثقافة والمعرفة . وكان من بين الساسة الذين لا يشغلهم أيّ واجب عن إغناء ثقافته بالدراسة المتواصلة والفكر المتفتّح على أرقى النظريات والمعارف» .

الدكتور عبد المجيد عبّاس

عبد المجيد عباس الحيدري ولد في قلعة سكر من أعمال لواء المنتفك سنة ١٩١١ ، ودرس في دار المعلمين الابتدائية ببغداد فعمل معلماً في أول سنة ١٩٣٢ . ثم أرسل للدراسة في كلية صفد ومدرسة برمّانا والجامعة الأميركية في بيروت ، وانتمى بعد ذلك الى جامعة شيكاغو فنال شهادة بكالوريوس في العلوم السياسية واستاذ في القانون الدولي والدكتوراه في العلاقات الدولية سنة ١٩٣٩ .

وعاد الى بغداد فعيّن استاذاً مساعداً في كلية الحقوق (١٩ شباط ١٩٣٩) فأستاذاً فيها ، وحاضر في الوقت نفسه في دار المعلمين العالية والكلية العسكرية وكلية الأركان وكلية الشرطة . وقد مثل العراق في اللجنة الحقوقية لوضع نظام محكمة العدل الدولية في واشنطن ، وكان عضواً في الوفد العراقي لمؤتمر سان فرنسيسكو لتأسيس الأمم المتحدة (١٩٤٥) ، ثم كان مندوباً في اجتماعات هيئة الأمم في لندن وليك سكسيس ونيويورك وباريس .

انتخب نائباً عن قلعة صالح (العمارة) في آذار ١٩٤٧ وجدّد انتخابه عن الشطرة في حزيران سنة ١٩٤٨ وكانون الثاني ١٩٥٣ وحزيران ١٩٥٤ . وعيّن وزيراً للمواصلات والاشغال في وزارة الجمالي الأولى (١٧ ايلول ١٩٥٣) واحتفظ بمنصبه في وزارة الجمالي الثانية (٨ آذار ١٩٥٤) الى ٢٩ نيسان ١٩٥٤ . وتولّى وزارة الزراعة في وزارة أرشد العمري الثانية من ١٦ حزيران ١٩٥٤ الى ٣ آب ١٩٥٤ . ثم عيّن عضواً بمجلس ادارة مصلحة مصافي النفط (٦ حزيران ١٩٥٥) فسفيراً ومندوباً دائماً في هيئة الأمم المتحدة (ايار ١٩٥٨) الى ثورة تموز ١٩٥٨ .

وعيّن استاذاً في جامعة الينوي الجنوبية الأميركية سنة ١٩٦٥ . ثم أعيد تعيينه استاذاً بجامعة بغداد (ايلول ١٩٦٩) .

وقد مثل العراق في مؤتمرات مختلفة كمؤتمر الجمعية المصرية للقانون الدولي والمؤتمر البرلماني الدولي في القاهرة واستانبول ومؤتمر باندونغ . وانتخب عضواً في الجمعية المصرية للقانون الدولي والجمعية الأميركية للقانون الدولي ايضاً .

مؤلفاته

للدكتور عبد المجيد عبّاس مؤلفات مدرسية كالواجبات المدنية والواجبات الوطنية للمدارس الابتدائية والمتوسطة . ووضع كتباً وبحوثاً قانونية منها أصول القانون (١٩٤٧) ، القانون الدولي العام (١٩٤٧) ميثاق سان فرانسيسكو ونظام المحكمة الدولية ، القومية والدمقراطية والاشتراكية (١٩٤٦) ، دروس في الشؤون الدبلوماسية (١٩٤٤) ، مثلنا الأعلى (١٩٣٤) ، الميثاق القومي (١٩٤٦) الخ . وترجم كتاباً عنوانه «المجتمع» لمكفايفر استاذ علم الاجتماع في جامعة كولمبية (١٩٤٦) . وكتب أطروحته باللغة الانكليزية في موضوع «دبلوماسية النفط في الشرق الأدنى» (١٩٣٩) .

توفي ببغداد في ١٥ ايار ١٩٧١ .

عبد الرحمن البزّاز

ولد عبد الرحمن عبد اللطيف البزّاز في بغداد في ٢٠ شباط ١٩١٣ وتخرّج في كلية الحقوق (١٩٣٥) . ودرس بعد ذلك في كلية الملك بجامعة لندن ونال اجازة المحاماة الانكليزية سنة ١٩٣٩ .

عاد الى بغداد فعيّن استاذاً مساعداً في كلية الحقوق (١٩٤٠) . واعتقل في تشرين الأول ١٩٤١ وأبعد الى الفاو والعمارة خلال أحداث الحرب العالمية الثانية ، فلم يطلق سراحه إلا سنة ١٩٤٤ .

عيّن مدوّناً قانونياً في وزارة العدلية (حزيران ١٩٤٥) فحاكماً بمحكمة بداءة بغداد (آب ١٩٤٦) . وأعيد الى دائرة التدوين القانوني في آب ١٩٥٢ ، ثم أصبح عميداً لكلية الحقوق (١٩٥٥) . وفصل واعتقل في أواخر سنة ١٩٥٦ وأبعد الى بنجوين ، ثم أعيد الى منصبه بعد ثورة تموز ١٩٥٨ . وعيّن عضواً بمحكمة التمييز سنة ١٩٥٩ ، ولم يلبث ان اعتقل في السنة نفسها . ومضى الى مصر فعيّن عميداً لمعهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الدول العربية (كانون الأول ١٩٦١) . واختير بعد ذلك سفيراً للعراق في القاهرة (شباط ١٩٦٣) فسفيراً في لندن (آب ١٩٦٣) ، وتولّى سكرتيرية منظمة الأقطار المصدرة للنفط علاوة على منصبه .

وأصبح نائباً لرئيس الوزراء ووزير الخارجية ووكيل وزير النفط في وزارة عارف عبد الرزاق (٦ ايلول ١٩٦٥) ، فرئيس الوزراء ووزير الخارجية (٢١ ايلول ١٩٦٥) . وألف وزارته الثانية في ١٨ نيسان ١٩٦٦ متقلداً الرئاسة ووزارة الداخلية الى ٨ آب ١٩٦٦ .

واعتقل في أواخر سنة ١٩٦٨ ، وأهين وعذّب في سجنه ثم أفرج عنه في تشرين الثاني ١٩٧٠ . وذهب الى انكلترة للاستشفاء . وعاد الى بغداد فأدركه الحمام بها في ٢٧ حزيران ١٩٧٣ .

يعدّ عبد الرحمن البزاز من رجال الفكر والقانون في البلاد العربية . وقد وضع مؤلفات عديدة ، منها : مذكرات عن احكام الأراضي في العراق (١٩٤٠) ، الموجز في

تأريخ القانون (١٩٤٩) ، الاسلام والقومية العربية (١٩٥٢) ، مبادئ أصول القانون (١٩٥٤) ، محاضرات عن العراق من الاحتلال حتى الاستقلال (١٩٥٤) ، هذه قوميتنا (١٩٥٥) ، التربية القومية (١٩٥٦) أبحاث وأحاديث في الفقه والقانون (١٩٥٨) ، الدولة الموحدة والدولة الاتحادية (١٩٥٨) ، من روح الاسلام (١٩٥٩) ، صفحات من الأمس القريب (١٩٦٠) ، من وحي العروبة (١٩٦٠) ، بحوث في القومية العربية (١٩٦٢) ، مصير القومية العربية في العراق ، مبادئ القانون المقارن (١٩٦٧) ، نظرات في التربية والاجتماع والقومية (١٩٦٧) . وألف باللغة الانكليزية كتاباً في «القومية العربية» (لندن ، ١٩٦٥) .

كان عبد الرحمن البزاز مؤمناً بالقومية العربية منذ فجر شبابه ، وكانت قوميّته تدعو الى التعاضد والتسامح وترسيخ أسس الديمقراطية والتحرّر من الاستعمار الاقتصادي والفكري ، وتنشد محاربة الجهل والتخلف والاضطراب الاجتماعي والانحطاط الخلقي والثقافي . وقد قال : «لقد كنت ثائراً يفهم الثورة على انها - قبل كلّ شيء آخر - اجتثاث أسباب الفساد من ذوات نفوسنا ، لنستطيع بعد ذلك اقامة صرح وجودنا على أسس راسخة قويمة ، وبناء أجيالنا الصاعدة مزوّدة بالمثل العليا ومدركة لروح المواطنة الصادقة ومشبعة بمعاني العدل والخير والجمال...» .

وقال البزاز :

«ان نظرية العلم للعلم والثقافة للثقافة والفن للفن وما الى ذلك من أقوال اشاعها بعض أحرار الغرب ومفكريه ، ان كانت تصلح لبعض الأمم الراقية والمجتمعات الخاصة ، فإنها دون ادنى شك لا تصلح اليوم لنا . ان مستقبل أمتنا يتطلب منا ان نؤمن بالتعليم الموجه قدر ايماننا بالاقتصاد المنظم . ولست ادري أأنا بحاجة الى تكرار الحقيقة البديهية : بأن ما يصلح لأمة من الأمم ليس من المحتم ان يصلح لأمة أخرى ، بل ان في حين من الزمن قد لا يصلح لها في حين آخر . والتقليد في الأزياء والأشكال والحاجات المادية قد يكون نافعاً ، وهو أول مراحل التقدم ، ولكن استيراد الآراء والفلسفات دون تمحيص ودون نظر لحاجة الأمة وطبيعة ظروفها وموقعها في سلم الرقيّ الانساني خطر عظيم» .

ألحّ البزاز على تثقيف الشعب ، وقال ان التعليم حقّ وواجب ، هو حق لكل فرد وواجب على كلّ حكومة . ولكن هناك واجباً ألزم من التعليم وأكثر منه أهمية ، وهو «التثقيف» . وقال انه يجوز ان نطلق لفظ المتعلم او المتعلمة على من يقرأ ويكتب

ويعرف أوليات الحساب والرياضيات ويدرك طرفاً من مبادئ العلوم الطبيعية ويلمّ بقسط معقول من العلوم الاجتماعية ويساهم بالقدر المشترك في المعارف العامة الأساسية التي لا بد منها لكل فرد . ولكن هذا كله لا يكفي لعدّ ذلك الفرد مثقفاً . إذ تتطلب الثقافة ، في رأيه ، بالاضافة الى هذا كله ، بل وقبل هذا كله ، سلوكاً معيناً ومبادئ خلقية خاصة وآداباً اجتماعية ومعاني حضارية تميّز الفرد الانساني عن باقي الكائنات الحيّة .

وقال ان متطلبات التعليم عامة ومشتركة بين الشعوب وذات طابع عالمي ، بينما متطلّبات الثقافة خاصة وذات طابع قومي او اقليمي يميّز كل مجمع حضاري عن سواه . وإذا فقدت أمة ثقافتها انعدم كيانها الحقيقي على الرغم من وجودها الشكلي ، فلا بد ان تحرص كل أمة حية على الاحتفاظ بثقافتها لأنها عنوان حياتها ودليل قوتها .

اما في حقل القومية فكان عبد الرحمن البزاز تمليذاً من تلاميذ ساطع الحصري ، التزم بآرائه وسار على نهجه . وقد شبهه بالفيلسوف المعلّم فيخته Fichte الذي دعا الى تحرير شعبه وتوحيده وتثقيفه في أشد الظروف حراجة ، ظروف حروب نابوليون التي دوخت أوربة في مطلع القرن التاسع عشر .

وقد خرج البزاز من اعتقاله وتجاربه المريرة في الحرب العالمية الثانية بآلام نفسية انعكست على آرائه ، وهو المفكر المثقف ، فكتب يقول :

«كفرت الأمة العربية بسياسة الغرب ومبادئه ، كفرت بالديمقراطية التي تنادي بها انكلترة وفرنسة والولايات المتحدة الأميركية وهولندة ، كما كفرت بالشيوعية التي تنادي بها روسية والبلاد الخاضعة لها . كفرت بديمقراطية هؤلاء لأنها تبيّنت ، بعد تجارب مريرة متعددة ، ان الديمقراطية في واقع الحال ليست اكثر من كلمات معسولة وآراء مجرّدة وخطب رنّانة... ولكنها عند التطبيق الفعلي – بالنسبة للبلاد العربية خاصة – ليست إلا الاستغلال والاستعباد والاستعمار . وكفرت بالشيوعية لأنها تعلم يقيناً بأن دعاتها لا يؤمنون بمساواة الشعوب ونصفة المظلوم . ويعتقدون كلّ وسيلة مبرّرة لتحقيق غاياتهم ، وينكرون القيم الروحية والاعتقادات الدينية وهم بعد ذلك ليسوا أقلّ جشعاً وحبّاً للسيطرة من أعرق الدول في الاستعمار» .

ولذلك ارتأى ان لا تركن الأمة العربية الى اولئك ولا الى هؤلاء ، بل تحتفظ بكيانها ومقوّماتها واستقلالها . ولها بعد ذلك ان تتعامل مع الجميع على قدم المساواة وبوحي من مثلها ومصالحها .

ومع انه قد غيّر آراءه بعد ذلك بتطور الظروف والأحداث العالمية والعربية ، ولا

سيّما فيما يتعلق بقضية فلسطين ، فقد ظل يؤمن ان الوجهة الصحيحة التي ينبغي للعرب ان يتوجهوا اليها هو اتحادهم وتوحيد جهودهم في سبيل خلق كيانهم الخاص بهم ، والاحتفاظ باستقلال هذا الكيان سياسياً واقتصادياً وثقافياً وروحياً ، وأن يعملوا لخلق الابداع ونشر الروح السامية في هذا الكيان ليعيشوا كرماء اعزاء سعداء .

ويعزو البزاز انحطاط الأمة العربية وتأخرها الى اهمال الدين وضعف الوازع الذاتي الذي يؤدي الى التخاذل والانحلال . فهو يدعو لذلك الى نشر التربية الدينية ، وجعل «التقوى» معياراً للتفاضل وأساساً للتآخي ، والتمسك باهداب الدين الذي يربّي الضمائر ويسمو بالنفوس ، ويجعل الأعمال بالنيّات ، ويخلف في كل انسان رقيباً ذاتياً ورادعاً خلقياً هو أبلغ مفعولاً وأعظم تأثيراً في صلاح الفرد وصيانته من عشرات الحرّاس اليقظين الذين يراقبون الحركات والسكنات . ويرى ان هذا هو الدين القويم ، لا الطقوس الشكلية التي ليست من دين الله الفطري في شيء . وليس من الدين التعصب المقيت الذي يفرق الأمة شيعاً ، ولا التزمت المصطنع البغيض الذي يدعو اليه فريق من المتهافتين على المادة ، المتكالبين على الحياة ، المتمرغين على اقدام ذوي السلطان .

وأسلوب البزاز الكتابي أسلوب علمي مبسط يرمي الى التعبير بلا تنميق ولا تزويق ، وغايته الابانة والافصاح دون الاثارة . وهو ينفذ الى قلب القارئ بوضوحه وصراحته ويحمله على التأمل والتفكير . وقد يستشهد البزاز احياناً بالشعر والكلمات المأثورة العربية منها والغربية تقريباً للمعنى الى الأفهام وايضاحاً للعميق من الآراء .

حسين جميل

حسين بن القاضي الفقيه عبد المجيد بن أحمد آل جميل ، ولد في كربلاء في ٨ شباط ١٩٠٨ ، وتنقل في الألوية مع والده حسب اقتضاء وظائفه . فدرس حسين دراسته الابتدائية في العمارة ، والثانوية في بغداد ، ثم درس القانون في معهد الحقوق بدمشق ونال الاجازة سنة ١٩٣١ .

عاد الى بغداد ، فزاول المحاماة واشترك في اصدار جريدة «الأهالي» (٢ كانون الثاني ١٩٣٢) . وعيّن حاكماً في المحاكم المدنية في تموز ١٩٣٣ ، فعمل في الحلة وعنة (كانون الثاني ١٩٣٦) ، ثم عيّن مديراً للدعاية والنشر في وزارة الداخلية (تشرين الثاني ١٩٣٦) . وعاد الى القضاء حاكماً في محكمة بداءة البصرة (تموز ١٩٣٧) ، فحاكم الديوانية المنفرد (تموز ١٩٤١) ، فحاكم صلح الكرخ (تموز ١٩٤٣) ، فنائب رئيس اجراء بغداد (آذار ١٩٤٤) ، فحاكم بداءة بغداد (حزيران ١٩٤٥) .

واستقال سنة ١٩٤٦ واشترك في تأسيس الحزب الوطني الديمقراطي وكان سكرتيراً له . وانتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب (آذار ١٩٤٧) ، لكنه استقال في نيسان ١٩٤٧ . وأعيد انتخابه نائباً عن بغداد في حزيران ١٩٤٨ ، واستقال من النيابة في آذار ١٩٥٠ .

عيّن وزيراً للعدلية في وزارة علي جودت الأيوبي من ١٠ كانون الأول ١٩٤٩ الى ٥ شباط ١٩٥٠ . ثم أصدر مجلة «المواطن» في بغداد مع محمود الدرّة (تشرين الثاني ١٩٥١) . واعتقل في تشرين الثاني ١٩٥٢ ، وبعد ذلك في تشرين الثاني ١٩٥٦ ، ولم تطل مدة اعتقاله . وانتخب نقيباً للمحامين في ٢٨ آب ١٩٥٣ الى ٢٧ آب ١٩٥٤ ، وأعيد انتخابه في ٢٩ تشرين الأول ١٩٥٤ . وجدّد انتخابه نقيباً في ٢٦ آب ١٩٥٥ و٣ آب ١٩٥٦ الى ٩ آب ١٩٥٧ . وقد انتخب نائباً عن بغداد للمرة الثالثة في حزيران ١٩٥٤ ، لكنّ المجلس حلّ اثر اجتماعه الأول في آب ١٩٥٤ .

نشبت ثورة تموز ١٩٥٨ فعيّن سفيراً للعراق في الهند (آب ١٩٥٨) ، فوزيراً

للارشاد (٧ شباط ١٩٥٩)، وقبل ان يتسلم منصب الوزارة اوفد سفيراً في طهران (نيسان ١٩٥٩). وقد استقال في كانون الأول من السنة نفسها.

كلّف حسين جميل بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بوضع لائحة دستور موقت، فقبلت اللائحة بعد اضافة طفيفة. وأعلن الدستور الموقت رسمياً في ٢٧ تموز ١٩٥٨. وقد اعتبر الاسلام دين الدولة، وأناط بالقوات المسلحة الحفاظ على سيادة البلاد وسلامة اراضيها. وجمع السلطتين التشريعية والتنفيذية في مجلس الوزراء. واعتبر العراق جزءاً من الأمة العربية.

وقد اشترك في تشرين الثاني ١٩٨٣ في الندوة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في ليماسول بقبرص، وكان موضوع محاضرته «الممارسة الديمقراطية في الوطن العربي».

مؤلفاته

وضع حسين جميل مؤلفات وبحوثاً قانونية، منها: دعوة الى اصلاح دستوري (محاضرة، ١٩٥١)، الحريات العامة والحركة الوطنية (١٩٥٢)، الاحكام العرفية (رسالة طبعت ١٩٥٣)، حقوق الدفاع للمتهم (١٩٥٥)، الأوضاع الاقتصادية في المجتمع، حق النقد (١٩٥٨)، العراق الجديد (١٩٥٨)، عراق ما قبل الثورة (١٩٥٩)، نحو قانون عقوبات موحّد (١٩٦٥)، انكلترة في جزيرة العرب (١٩٣٠)، بطلان الأسس التي أقيم عليها وجود اسرائيل على الأرض العربية (١٩٦٨)، فكرة توحيد القانون الجنائي للبلاد العربية (١٩٦٧)، قضاء محكمة التمييز (١٩٣٨)، نحو قانون عقابي موحّد للبلاد العربية (١٩٦٥)، حقوق الانسان والقانون الجنائي (محاضرات ألقاها في معهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة سنة ١٩٧١)، العراق: شهادة سياسية ١٩٠٨ - ١٩٣٠ (طبع في لندن، ١٩٨٧)، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥ - ١٩٤٦ (بغداد، ١٩٨٣).

وحسين جميل كاتب سياسي وقانوني متميّز، قال فيه خالد الدرّة في مجلة «الوادي» (١٥ آذار ١٩٤٧): «نزوع الى الاصلاح في قطر كلّ شيء فيه يحتاج الى الاصلاح، عراقي يؤمن بمساندة كل قطر عربي لتدعيم استقلاله، عربي يعتقد بأن العمل لاصلاح العراق خدمة للقضية العربية. قانوني ضليع قلما نقض له حكم».

عبد الرحمن خضر

من رجال القانون ، ولد عبد الرحمن خضر في بغداد سنة ١٨٩٨ ، وتخرج في المدرسة السلطانية سنة ١٩١٦ فجنّد ضابطاً احتياطياً في الجيش التركي وعهد اليه بوظيفة في مدرسة ضباط الاحتياط في استانبول .

وعاد الى العراق سنة ١٩١٩ فاشترك في الحركة الوطنية ، وأسهم في الثورة العراقية في جهات المنتفق . وانتمى الى مدرسة الحقوق ، ووظف في وزارة العدلية في الوقت نفسه (تشرين الثاني ١٩٢١) ، فلما نال شهادة القانون عيّن حاكماً في المحاكم المدنية (١٩٢٦) . وتنقل في هذه الوظيفة في الأقضية والألوية ، فكان حاكماً بمحكمة بداءة بغداد (كانون الثاني ١٩٣١) ، فحاكم جزاء البصرة (كانون الأول ١٩٣٢) ، فحاكم بداءة الموصل (تشرين الأول ١٩٣٣) ، . ونقل نائباً لرئيس دائرة اجراء بغداد ، ثم اعتزل القضاء وزاول المحاماة . واعتقل في تموز ١٩٤٢ خلال الحرب العالمية فاحتجز في العمارة .

وقد عيّن مديراً عاماً للأوقاف في ايلول ١٩٤٨ الى سنة ١٩٤٩ . وتوفي سنة ١٩٥٧ .

صنّف مؤلفات قانونية منها : تعديل مجلة الاحكام العدلية (١٩٢٤) ، الصكوك الجزائية ، مجموعة قوانين المطبوعات والمطابع وحق التأليف ، شرح قانون أصول المحاكمات الجزائية (ثلاثة اجزاء ١٩٣٢ - ١٩٤٩) ، شرح القانون المدني (١٩٥٣) ، الوقف الذرّي بين الالغاء والاصلاح (١٩٥٣) ، الخ . وألف ايضاً تفاسير لسور الاخلاص والفاتحة والفلق .

حرّر عبد الرحمن خضر مجلة «المحامي» التي صدرت في تشرين الأول ١٩٢٥ واستمرت سنة واحدة . وكان أبوه الملا خضر من قدماء أصحاب المكتبات في بغداد .

أحمد جمال الدين

ولد احمد جمال الدين في النجف سنة ١٩٠٠ ودرس في معاهدها . ثم قدم بغداد ، وانتمى الى جامعة آل البيت (١٩٢٤) ، وتخرج في مدرسة الحقوق . وشارك في الحركة الوطنية وكان محرراً في جريدة «الاستقلال» .

أصدر جريدة اسبوعية باسم «الحوادث» (آذار ١٩٣٠) ، فدامت ثلاثة أشهر . ثم كان مديراً مسؤولاً لمجلة «الاعتدال» النجفية التي صدرت في شباط ١٩٣٢ لصاحبها محمد علي البلاغي .

وعيّن حاكماً في المحاكم المدنية في ايار ١٩٣٦ ، فتدرج في مناصب القضاء حيث أمضى نحواً من ثلاثين عاماً حتى أصبح عضواً في محكمة التمييز العراقية .

توفي ببغداد في أول كانون الأول ١٩٧١ .

من مؤلفاته : الجريمة والعقاب (١٩٤٨) ، القضاء الشرعي (١٩٤٩) ، الوقف : مصطلحاته وقواعده (١٩٥٥) ، المصطلحات القانونية الجزائية ، نزع الملكية في احكام الشريعة ونصوص القانون (١٩٦٦) الخ .

حامد مصطفى

من رجال القانون المبرّزين والمؤلفين الحقوقيين ، ولد حامد مصطفى في عانة سنة ١٩٠٦ . وقدم الى بغداد فانتمى الى كلية الامام الأعظم وتخرج فيها ، فعيّن مدرساً للغة العربية في المدرسة الثانوية في تشرين الأول ١٩٢٩ . ودرس في الوقت نفسه في كلية الحقوق ، وأوفد بعد ذلك الى فرنسة لاتمام دراسته القانونية العالية .

عيّن عضواً في مجلس التمييز الشرعي السنّي في ايلول ١٩٤٦ ، ونقل مدوناً قانونياً في شباط ١٩٤٨ . وانتدب قاضياً في محكمة استئناف طرابلس في ليبية على عهد ملكها ادريس السنوسي . وعاد الى بغداد واستأنف عمله في التدوين القانوني ، وألقى محاضرات في القانون المدني في كلية الحقوق . وعيّن في العهد الجمهوري رئيساً للتدوين القانوني سنة ١٩٦١ ، ثم اعتزل الخدمة بعد امد قصير . وكان بعد ذلك رئيساً للجمعية العراقية للدفاع عن حقوق الانسان .

توفي ببغداد سنة ١٩٨٧ .

وضع مؤلفات قانونية عديدة منها : بيان حقوق الانسان (ترجمة ١٩٤٨) ، القانون الدولي الخاص (١٩٥٠) ، القانون المدني العراقي : الملكية وأسبابها (١٩٥٣) ، الجهاد في الاسلام ماضيه وحاضره ، دليل التشريع العراقي (١٩٥٥ - ١٩٦٧) ، الملكية العقارية في العراق (١٩٦٤) ، الالتزامات والعقود في الشريعة الاسلامية ، النظام القانوني للمؤسسات العامة والتأميم في القانون العراقي (١٩٦٥) ، القضاء الاداري في العراق ، مبادئ القانون الاداري العراقي (١٩٦٨) ، الخ . وقد نقل عن الفرنسية كتاب «فتح الجزائر» مذكرات المارشال ماكماهون رئيس الجمهورية الفرنسية . وكان موريس دي ماكماهون من كبار رجال الجيش الفرنسي ، خدم ضابطاً في الجزائر منذ سنة ١٨٣٠ وقضى فيها بعد ذلك سنوات عديدة . ثم عين حاكماً عاماً للجزائر سنة ١٨٦٤ ، وانتخب سنة ١٨٧٣ رئيساً للجمهورية الفرنسية الى ١٨٧٩ .

محمد أحمد العمر

من رجال القانون ولد محمد أحمد العمر في عانة على الفرات سنة ١٩١٠ ، وكان أبوه احمد العمر من وجوه بلده ، وكان له شأن في المنازعات بين العانيين والراويين سنة ١٩٢٠ ، فلما تفاقم الخلاف آثر السلامة ونزح الى بغداد فاستوطنها .

انتمى محمد أحمد العمر الى سلك الخدمة الحكومية في تشرين الأول ١٩٣٠ . ودرس في مدرسة الحقوق فعيّن حاكماً في المحاكم المدنية . وأصبح حاكم الصلح في الهندية (كانون الثاني ١٩٤١) ، فالشطرة (١٩٤٢) ، فبغداد (تشرين الثاني ١٩٤٣) ، فالأعظمية (حزيران ١٩٤٥) . ونقل مديراً للحقوق في دائرة الأوقاف (نيسان ١٩٤٦) ، ثم أعيد الى القضاء حاكماً لبداءة الأعظمية (آب ١٩٤٨) .

وانتخب نائباً عن الدليم في مجلس النواب (١٩٥٤ - ١٩٥٨) وانصرف الى المحاماة . وتوفي ببغداد في ١٩ ايلول ١٩٦٩ .

وضع مؤلفات قانونية عديدة منها : التطبيقات الشرعية والصكوك ، الدليل لاصلاح الأوقاف (١٩٤٨) ، قانون أصول المحاكمات الجزائية (١٩٤٨) ، المدد القانونية (١٩٤٩) ، المرشد الى الصكوك الجزائية (١٩٥١) ، الأحوال الشخصية (١٩٥٣) ، قانون جواز تصفية الوقف الذرّي (١٩٥٤) ، مبادئ قانونية أقرّتها محكمة التمييز العامة (١٩٥٢) الخ .

الدكتور فائق شاكر

إذا عدّ ظرفاء البغداديين في النصف الأول من القرن العشرين فلا شك ان فائق شاكر يأتي في الطليعة الى جانب عبد المجيد الشاوي ونوري ثابت (حبزبوز) وحمدي صدر الدين . كان طبيباً ، تقلد وظائف رفيعة متعددة الجوانب متباينة المسؤوليات ، لكن روح الفكاهة الأصيلة بقيت ملازمة له الى يوم وفاته . وكان هو نفسه الهدف الأول لهزئه وسخريته .

محمد فائق بن محمد شاكر بن محمود بن مصطفى الياسين من السادة البدرية في سامراء ، وأمه من أسرة بغدادية شعبية ، ولد في سنة ١٨٩٣ . ورحل الى استانبول سنة ١٩١٠ فانتمى الى كلية الطب العسكرية وتخرج فيها برتبة رئيس (نقيب) سنة ١٩١٦ .

اشترك في شبابه في الجمعيات العربية المؤلفة في العاصمة التركية لبث الروح القومي كجمعية العهد والمنتدى الأدبي . ولما نال شهادة الطب عين طبيباً عسكرياً في ديار بكر ، وألحق بعد ذلك بالفيلق التركي الرابع . ووضعت الحرب العامة اوزارها فعاد الى الموصل وعيّن طبيباً مركزياً في أربيل (آذار ١٩١٩) ، ثم نقل الى مستشفى بغداد (كانون الأول ١٩١٩) . وأوفد الى لندن سنة ١٩٢٣ فاختص بأمراض العين . وعيّن بعد عودته مديراً لمستشفى كربلاء (٢٨ تموز ١٩٢٤) . وانتخب نائباً عن الديوانية في تموز ١٩٢٥ ، لكنه آثر الاستقالة من النيابة فوراً .

مارس الطب في بغداد زمناً قصيراً ثم عيّن طبيباً للسجون سنة ١٩٢٦ . وانتخب نائباً عن الدليم في تشرين الثاني ١٩٣٠ ، وعيّن أميناً للعاصمة في ١٧ تشرين الأول ١٩٣١ فمديراً عاماً للبريد والبرق (٢٥ تشرين الثاني ١٩٣١) ، وقام في الوقت نفسه بأعمال مدير الطيران المدني (حزيران ١٩٣٤) . ثم نقل رئيساً لصحة لواء كركوك (ايلول ١٩٣٤) ، فسافر الى وينة بقصد التتبع الطبي . وعين بعد ذلك رئيساً لصحة لواء بغداد (حزيران ١٩٣٥) فالموصل (تموز ١٩٣٦) . وعهد اليه في ايلول ١٩٣٩ بمنصب متصرف لواء كركوك . وأعيد مديراً عاماً للبريد والبرق (حزيران ١٩٤١) فمديراً للأمور الطبية بوزارة الدفاع برتبة لواء (آب ١٩٤٢) . وعين أميناً للعاصمة للمرة الثانية في ايلول

١٩٤٦ فمفتشاً عاماً للصحة (آذار ١٩٤٨) فمديراً للأمور الطبية في وزارة الدفاع برتبة لواء أيضاً (حزيران ١٩٤٨) حتى أحيل على التقاعد في تموز ١٩٥٣ . وأعيد الى الخدمة في تشرين الثاني ١٩٥٣ وعهدت اليه مديرية الأمور الطبية للجيش العراقي ايضاً حتى اعتزل الخدمة في تموز ١٩٥٦ .

وقد توفي ببغداد في ٨ تشرين الأول ١٩٦٢ .

كان الدكتور فائق شاكر ظريفاً ، حلو الفكاهة ، سريع النكتة ، شعبياً في عاداته وأخلاقه ، انسانياً في طبّه ، حازماً في المناصب الكثيرة التي تسنّمها والتي اختلفت واجباتها من الطب الى الادارة والنيابة . وضع كتباً ورسائل ، منها : الوقاية من مرض التراخوما (١٩٣٢) ، صحة الأم والطفل (١٩٢٩) ، عالم الذباب (١٩٤٣) . وترجم كتاب «القواعد الأساسية في تربية الطفل» (١٩٣٩) بالاشتراك مع الدكتور عمانوئيل اللوس ، وكتاب «عرفت ثلاثة آلاف مجنون» (١٩٤٤) مع الشاعر حافظ جميل .

وقد حدثني مرة ان خاله كان بغدادياً أصيلاً ظريفاً حاضر البديهة ، وقال انه كان يرسل اليه بين الحين والحين برسائل في عهد دراسته في استانبول . فلما جاء الى بغداد في العطلة الدراسية وزار خاله للسلام عليه ، قال له : انتظر ، يا بني ، لحظة ، فلديّ أمر عاجل أريد عرضه عليك . ثم قام وجاءه بحزمة من الرسائل التي كان يرسل بها اليه من العاصمة التركية لم تفضّ اختامها وقال : افتحها فلعل فيها أمراً ذا بال !

وسئل الدكتور فائق لماذا ترجم كتاباً عن المجانين فقال : كانوا ثلاثة آلاف مجنون ، فلما ترجمنا الكتاب أصبحنا ثلاثة آلاف وثلاثة ، باضافة المؤلف والمترجمين .

وروى ذات مرّة انه حضر في العاصمة النمسوية في اثناء زيارته لها سنة ١٩٣٤ محاضرة علمية تدور حول ازدواج الشخصية وادعاء صاحبها بما ليس له . وكانت تجلس الى جانبه فتاة عرفته أجنبياً فسألته عن عمله ، ولم يكن منه الا ان قدم لها بطاقته التي كتب عليها : الدكتور . مدير البريد والبرق العام ، مدير الطيران المدني . قالت الفتاة : أنت طبيب؟ قال : أجل . قالت : وهل تشغل منصب مدير البريد والبرق العام ومدير الطيران المدني؟ قال : أجل . فقالت : لعلك من هؤلاء الذين تحدث عنهم المحاضر !

وكان فائق شاكر في سنوات الثلاثين ركناً من ثالوث الظرف والقومية مع زميليه الدكتور سامي شوكت وبهاء الدين سعيد النقشبندي . وكان هذا الثالوث موضوع فكاهة جميلة في الصحافة الهزلية في ذلك العهد .

* * *

حدثني محمود رامز انه كان ضابطاً في الجيش التركي ، والحرب العظمى تدنو الى نهايتها . وكان مقرّه في العمادية ، فإذا بالقائد التركي علي احسان باشا يزور القرية . وكان في حاشيته ضابط يبدو طورانياً متعصباً يتكلم بلهجة تركية أصيلة في محضر من القائد ، يذكّر الضباط بواجبهم في الانسحاب الى الاناضول ومواصلة الكفاح . والتفت فجأة الى محمود رامز فقال : «وأنت ، أيها الضابط الوطني الغيور ، ماذا تنوي ان تفعله؟» أخذ محمود رامز على غرّة وبادر مجيباً بأنه يفعل ما يفعله أي تركي محبّ لبلاده فيعود مع الجيش ويتفانى في الحرب .

ولم تمض أيام حتى أعلنت الهدنة (سنة ١٩١٨) وسلّمت الموصل وأنحاؤها الى الجيش الانكليزي . واستقال محمود رامز من الجيش التركي المنسحب من العراق وعاد الى بغداد ، فمن تظنون وجده فيها؟ لقد التقى بذلك الضابط الطوراني الشابّ المتعصب ، فتعرف به فإذا هو الطبيب فائق شاكر . ولم يكن ما تفوّه به أمام القائد علي احسان سوى دعابة أخرجها بمظهر الجدّ والصرامة لملاطفة الضباط العرب !

ومن لطائف فائق شاكر انه كان نائباً سنة ١٩٣١ حين قدمت الى مجلس النواب لائحة قانون العملة العراقية . كان في المجلس عدد قليل من رجال المال والاقتصاد احتكروا الكلام في مناقشة اللائحة ، فكانوا يعترضون على كل مادة من موادها ، فيجيبهم وزير المالية رستم حيدر شارحاً معللاً موضحاً . وضاق النائب فائق شاكر ذرعاً بالسكوت ، وهو البعيد عن العلوم المالية بعده عن المال نفسه ، فقال لأحد الماليين وكان يجلس الى جانبه : ألا تفسح لي مجال الكلام؟

ـ ومن يمنعك؟

ـ أرجو ان تشرح لي احدى النقاط التي تريد الاعتراض عليها في اثناء المناقشة لأطلب الكلام وأردها فتسجل باسمي في المحضر .

ـ ولماذا لا تعترض على هذه المادة التي تتلى الآن؟ ألا تسمع ان نسبة المعدن في المسكوكات النقدية لا تتجاوز ٥٠ في المائة من قيمة المسكوكة ، فأية ثقة تبقى للناس وهم يتداولون عملة جديدة تحتاج الى الرسوخ والثبات؟

وبادر فائق شاكر فرفع يده طالباً الكلام ، فلما أذن له الرئيس ، قال :

«ان الحكومة تسكّ عملة وطنية لأول مرة في تأريخ العراق الحديث ، ولا بدّ لهذه العملة ان تجمع كل مقومات الثقة ليقبل عليها أبناء الشعب ويطمئنوا اليها . فكيف

تريدون ان تحتوي المسكوكات على أقل من نصف قيمتها من الفضة او المعدن وتحوز على ثقة الجمهور؟ انني أطلب تعديل هذه المادة» .

ولم يكد يجلس مسروراً بما قال حتى نهض وزير المالية وقال : «أنني أسأل النائب المحترم كيف يثق الجمهور بالأوراق النقدية وليس فيها من الورق ما يوازي واحداً في العشرة آلاف او المئة ألف من قيمتها؟»

فغضّ فائق شاكر من بصره وهمس في أذن صاحبه : «أتفعل ذلك معي؟...» .

ويماثل هذه القصة ما روي عن أناتول فرانس الأديب الفرنسيّ الكبير : كان حاضراً في احدى جلسات الاكاديمية الفرنسية المخصصة لمناقشة قاموس اللغة ، وكان الى جانبه المؤلف المسرحي الشيخ هنري دي بورنييه . وكان أناتول فرانس يحفظ موجدة في نفسه على هذا الزميل الذي لم يمنحه صوته حينما رشح نفسه للمجمع العلمي . ودار البحث حول كلمة «حلقة» ، فقيل في تعريفها : قطعة مستديرة من المعدن ، خاتم . واقترح بعضهم تعريف حلقات الدخان وحلقات السيّار زحل .

والتفت اناتول فرانس الى دي بورنييه وقال له همساً : ولماذا يغفلون تعريف «حلقة هانس كارفيل»؟ ولم يتذكر الكاتب الشيخ معنى هذه الحلقة ، لكنه صاح قائلاً : أضيفوا تعريف حلقة هانس كارفيل . ولم يهتم بكلامه أحد . فلما واصلوا المذاكرة أعاد فرانس همسه في أذن زميله : ما لهم يضربون عن اقتراحك صفحاً؟ أصرّ على طلبك .

وضرب دي بورنييه على المنضدة وصرخ بصوته الجهوريّ : أصر على طلب اضافة تعريف حلقة كارفيل ! ولو لم يكن أئمة اللغة والأدب من الشيوخ الذين تغلب عليهم الرزانة والوقار لضجوا بالضحك . لكن الرئيس أسرع ففضّ الجلسة . وأفهم الكاتب الشيخ بعد ذلك ان «حلقة هانس كارفيل» كلمة بذيئة ذكرها الكاتب الساخر رابليه في قصة له ، وأنها أبعد ما تكون عن اللياقة للدخول في معجم الأكادمية .

* * *

قال ابراهيم الواعظ : ان فائق شاكر علم من أعلام الفكاهة ، سريع البديهة ، حاضر النكتة ، رقيق الحاشية ، يختلق النكتة إذا لم تحضره في الوقت المناسب . وروى انه زاره ذات يوم في داره فقدم اليه ولده الطفل «ليث» ليراه ، فقال فائق شاكر : لم تتغير الدنيا كثيراً . فقد كان الناس فيما مضى يطلقون على أبنائهم اسم «سبع» ويسمونهم الآن «ليثاً» . وكانوا يقولون «ابو سبع» فيقولون الآن «ابو ليث» والمعنى واحد . فضحك

الواعظ ، وذكر انه كان ببغداد رجل مخبول يدعى «ابو سبع» يدور في الطرقات حاملاً صفيحة من التنك اتخذها طبلاً يضرب بها ويرقص ويغنيّ .

* * *

كان فائق شاكر حريصاً على أداء واجباته لا ينسى مهنته الأصلية ، وهي الطب ، في اثناء الوظائف الادارية التي دعي الى تقلدها . وعندما عين مديراً عاماً للبريد والبرق ارسل النشرات الى موظفي دائرته الكثيرين مشيراً الى طرق العناية بصحة العين ومبدياً استعداده لفحص عيون الموظفين مجاناً . وذكر محمد صدّيق الجليلي انه عند توليه رئاسة صحة الموصل سنة ١٩٣٨ أمر بتحليل مياه حمّام العليل كيماوياً وجمع ما قيل في وصفه من الشعر العامي للملا عثمان الضرير الموصلي وغيره .

وقال الدكتور فائق شاكر ساخراً ذات يوم : كيف يستطيع الموظف الاداري أداء عمله؟ لقد كنت متصرفاً للواء كركوك ، فإذا قررت أمراً في الشؤون الادارية او امور العشائر ، اعترض مدير التحرير او مدير الشرطة واحتج على تنفيذ الأمر لمحاذير ادارية . واقترحت فتح الطرق وتجميل البلدة فانبرى رئيس البلدية او المهندس وقال : هذا لا يجوز لأسباب فنية . وكذلك فعل مدير المعارف في الشؤون الثقافية والحاكم والقاضي في الأمور العدلية . لكن رئيس الصحة المسكين لم يجد مجالاً للاعتراض والمناقشة ، فكلما احتج لأسباب طبية اجبته : انني مثلك طبيب ! وتلك حسنات الاختصاص .

ولعلّ هذه القصة مصداق لكلمة المفكر الفرنسي لا روشفوكو (١٦١٣ ــ ١٦٨٠) الذي قال : «من الأيسر ان يظهر الانسان أهلاً للوظائف التي لا يتقلدها اكثر من تلك التي يمارسها فعلاً» .

الدكتور شريف عسيران

ابن توفيق بن حسين عسيران ينتمي الى أسرة لبنانية معروفة ، ولد في صيدا سنة ١٨٩٢ ودرس الطبّ في الكلية الأميركية ببيروت ونال اجازتها سنة ١٩١٨ . جاء الى العراق سنة ١٩٢٤ فعيّن طبيباً لصحة الكاظمية (آب ١٩٢٤) ، فطبيباً لسجن بغداد (نيسان ١٩٣٣) .

وعين استاذاً في دار المعلمين العالية في تشرين الأول ١٩٣٩ فزاول التدريس أعواماً طويلة . وقد شارك في الحياة الثقافية ، فاختير عضواً بالمجمع العلمي العراقي في كانون الثاني ١٩٤٨ ، وأصبح نائباً أول لرئيسه في نيسان ١٩٤٩ الى تشرين الأول ١٩٥٣ .

توفيّ في صيدا في ١٥ كانون الثاني ١٩٥٤ . وقد وضع مؤلفات طبية وعلمية منها : اصلاح النسل ، الأحوال الصحية في العراق (١٩٤٢) ، علم الصحة (في جزءين ١٩٤٨ ـــ ٥٠) ، معجزة العلم الكبرى ، الوقاية من السلّ الرئوي (١٩٥٣) ، المرأة والرجل (١٩٥٤) الخ .

الدكتور هاشم الوتري

من أطباء العراق المعروفين هاشم بن يحيى المعروف بالوتري ابن قاسم بن جليل الهاشمي النسب . كان أبوه السيد يحيى الوتري من علماء بغداد البارزين .

ولد هاشم الوتري في بغداد سنة ١٨٩٣ ، ودرس الطب في جامعة استانبول وتخرج فيها في كانون الأول ١٩١٨ . مضى الى سورية ثم عاد الى مسقط رأسه فعين طبيباً في دائرة الصحة في ايلول ١٩٢١ . وتولى التدريس أعواماً طويلة في الكلية الطبية واختير عميداً لها في تشرين الثاني ١٩٣٧ ، وأعيد اختياره لهذا المنصب في حزيران ١٩٤١ وثم في كانون الثاني ١٩٤٧ . وأصبح عضواً في المجمع العلمي العراقي في كانون الثاني ١٩٤٨ .

توفي في بغداد في ١٨ كانون الثاني ١٩٦١ .

وضع مؤلفات وبحوثاً طبية ، منها : تأريخ الطب في العراق (١٩٣٩) مع الدكتور معمر خالد الشابندر ، الأمراض الكلوية (١٩٤٣) ، الأمراض العصبية (١٩٤٥) ، محاضرات في الطب السريري (١٩٤٥) ، مقالات في الطب العربي القديم (١٩٥٥) ، الخ .

قال فيه معروف الرصافي :

إذا الأطباء تستعلي مكانتهم ... في معرض الطب فالوتريّ سيدّهم
يزيد مرضاه آمالاً بصحتهم ... ويطلق الأمر فيهم لا يقيّدهم

وأقيم حفل تكريم للدكتور هاشم الوتري في حزيران ١٩٤٩ على اثر انتخابه عضواً فخرياً في الجمعية الطبية البريطانية ، فألقى محمد مهدي الجواهري قصيدة مطلعها :

مجّدت فيك مشاعراً ومواهبا ... وقضيت فرضاً للنوابغ واجبا
شرفاً ، عميد الدار ، عليا رتبة ... بُوِّئتها في الخالدين مراتبا
جازتك عن تعب الفؤاد ، فلم يكن ... تعب الدماغ يهُمّ شهماً ناصبا

ثم قال :

لـلّـه دركَ ، أيّ آسٍ منقـذ ... يزجي الى الداء الدواء كتائبا
سبعون عاماً جُلت في جنباتها ... تبكي حريباً او تسامر واصبا
متحدّياً حكم الطباع ودافعاً ... غضب السماء وللقضاء مغالبا
تتلمّس النّبضات تجري اثرها ... خلجاتُ وجهك راغباً او راهبا...

* * *

ذهبت صباح احد الايام لزيارة الاب انستاس ماري الكرملي في ديره ، فوجدت لديه الدكتور هاشم الوتري . ولما خرج ودّعه الأب وعاد يطلق ضحكة طويلة عريضة وكأنها القهقهة بل الزمجرة .

فقلت : ما الذي يضحكم ، يا أبانا؟

قال : كانت دار آل الوتري في القرن الماضي مواجهة لهذا الدير وبابها ازاء بابنا في الزقاق الضيّق . وكان الشيخ يحيى الوتري ، والد الدكتور هاشم ، يتطير من رؤية الآباء بملابسهم القاتمة الفضفاضة ، فكلما خرج من داره صباحاً وقابل احدهم اتفاقاً ، تأفف وحوقل وتعوّذ واستغفر . فكيف لا أضحك ، وها انت ترى تبدل الأزمان واستحكام أسباب الألفة والمودة ، وتشهد ابنه يزورني في الدير زيارات متكررة؟

الدكتور معمّر الشابندر

الطبيب الأديب الدكتور معمّر خالد الشابندر ، ولد ببغداد سنة ١٩١٧ وتخرج في الكلية الطبية . وعيّن طبيباً في ادارة الصحة العراقية (تموز ١٩٣٩) . ثم اختص بالأمراض العصبية ، وأصبح مديراً لمستشفى الأمراض العقلية (تشرين الثاني ١٩٥٠) ، وكان استاذاً بكلية الطب وخبيراً في صحة الأحداث .

توفي ببغداد في ١٥ شباط ١٩٧٤ .

وكان خارق الذكاء ، ميّالاً الى الأدب ، وكاتباً لطيف الأسلوب ، علمي التفكير . اشترك مع استاذه الدكتور هاشم الوتري في تأليف كتاب «تأريخ الطب في العراق» (١٩٣٩) ، و«الأمراض العصبية» (١٩٤٥) . وألف «معجم المصطلحات الطبية» (١٩٤١) .

ونقل عن الانكليزية كتباً في التخلف العقلي وصحة الأطفال والجسم البشري الخ . وألفّ : العناية قبل الولادة بالحامل والجنين (١٩٥١) ، علم النفس في الحياة اليومية (١٩٦٧) ، الأمراض النفسية الشائعة (١٩٦٨) . ونشر في الصحف مقالات أدبية لطيفة .

الدكتور معمر الشابندر

الدكتور معمّر الشابندر في الوقت نفسه أديب ناصع البيان ساحر في أسلوبه العاطفي ، ربطته اواصر الصداقة بمؤلف هذا الكتاب . وقد نشر «أماليه» في جريدة «الأيام» لصاحبها عبد القادر البراك سنة ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، فكتبت اليه هذه الكلمة عن طريق الجريدة :

«أخي الكريم ، لا بدّ لي ، وأنا أطالع بلذة ولهفة حلقات «أماليك» في «الأيام» ، ان اهنئك على مذكراتك التي تهزّ النفوس . لا أدري ، وقد فقدت عطف الوالد الحنون مثلك وأنا في دور الصبا وعلى مقاعد الدراسة ، هل كان هذا القدر الجامع بيننا يثير في نفسي مزيداً من العاطفة الروحية . ولكنني أقول بلا مواربة ان أماليك من الأدب الانساني الصادق الذي تفتقر اليه لغتنا العربية لأنه يشعّ بحرارة تتوقد في أعماق القلب وتسري سريان الكهرباء .

«فلك مني التهنئة المكررة والتحية المفعمة بالتقدير» .



القصّة والرواية



عبد المجيد لطفي

الأديب القاصّ المجيد عبد المجيد لطفي ولد في خانقين سنة ١٩٠٨ وكان أبوه عمر بن عبد الرحمن محمد البياتي محامياً شرعياً بها . جاء الى بغداد ودرس في مدرسة الصناعة وأنهى دراسته بها سنة ١٩٣١ . وظف كاتباً في وزارة المالية فأمضى في وظيفته أعواماً طويلة .

شغف بالكتابة منذ نعومة أظفاره ، فكان كاتباً قصاصاً انساني النزعة صوّر آلام الشعب ونضال أبنائه في سبيل لقمة العيش وتعاطفهم بالرغم من البؤس والفاقة التي تلفّ حياتهم . وأفاد من معرفته للغة التركية في الاطلاع على الأدب التركي القديم والحديث . نظم الشعر مقلاً ، هنّأه ابن أخيه الدكتور صفاء خلوصي ببلوغه الثمانين بقصيدة ختمها بقوله :

فلا زلت في عزّ وسابغ نعمة ... ولا زالت الأيام تزجي تهانيا

فردّ عليه بنفس الوزن والقافية :

ومن عجب اني أعيش كما ترى ... وتعرف والدنيا تفيض مآسيا
على رجل جارى الحقيقة صادقاً ... فما عاش خدّاعاً وما كان جانيا
ولا عاش يرجو بغية دون عفّة ... ومن يكُ مثلي يستقلّ السواقيا
على مضض أمضي ، أقود بقية ... من العمر لم يسعد أديباً معانيا

من مؤلفاته : اصداء الزمن (١٩٣٨) ، قلب الأم (١٩٥٨) ، في الطريق (قصة طويلة ، ١٩٥٨) ، عفيفة : خواطر أدبية (١٩٥٣) ، أنشودة تموز : خواطر وعواطف (١٩٥٩) ، عيد في البيت (١٩٦١) ، الامام علي رجل الاسلام المخلّد (١٩٦٧) ، بعض الذكريات (١٩٦٨) ، واشترك في تأليف «نظرات في الأدب الكردي» (١٩٤٥) .

توفي ببغداد سنة ١٩٩٢ .

تكلم جعفر الخليلي عن عبد المجيد لطفي فقال : «كاتب وشاعر ، وهو من الكتاب المكثرين . وعلى كثرة ما يكتب فلا ترى لقلمه نبوة لأن مواضيعه مستمدة من الحياة الصادقة ، وإن الذي يستوحي مواضيعه من منابعها لا يجفّ له قلم . كتب في

مختلف المواضيع كما نظم في مختلف المواضيع ، ولكن كتابته للقصة والريبورتاج تكاد تطغى على ألوان أدبه الأخرى» . ثم قال : «ولعله احد القليلين في دنيا الأدب الذين تحكي آثارهم الأدبية اخلاقهم وصفاتهم بدون أي اختلاف ، فهو على جانب كبير من الأدب والدعة والوفاء والحميّة» .

من قصص عبد المجيد لطفي «بصقة على الشيطان» يروي فيها عن بطله انه واحد من عامة الناس لا يمتاز عنهم بشيء يذكر ، بل انه لينخفض عنهم في مستواه العقلي . ومع ذلك أصاب هذا الرجل ثروة عظيمة إذ آتاه الحظ في سنوات الحرب ، فكأن السماء قد انشقّت عن مطر زاخر من المال هبط على داره وحده .

تغيّرت سحنة الرجل فارتدى بدلة ثمينة وحمل سبحة من الكهرمان الفاخر وافتتح محلاً مرموقاً في الأسواق التجارية . واستيقظت عنده رغبة غريبة سيطرت على حواسه ، فأراد ان يكون ملاكاً كبيراً يمتلك العمارات والدور . وهيّئ له ان يكون كذلك ، فصار كل يوم يفتح صندوقه الحديدي ويستخرج سندات الاملاك ووثائق العقارات ويدقق اثمانها وأرباحها . وتطمئن نفسه الى ثروته المتزايدة فيبصق بصقة كبيرة على الحائط ويقول : هذه على الشيطان . وكان الرجل يحلم بسرقة سنداته وتبدّد أمواله فيأسى ويهوّل الأمر لزوجته وأولاده ، ثم يصطنع الرضا مقتنعاً ان ذلك لم يكن سوى أضغاث أحلام لا صدق فيها .

وأخيراً مضى صاحبنا الى محله التجاري وغمرت قلبه السعادة حين ألقى نظرة عميقة على السندات المبثوثة أمامه والأرقام المتضخمة لاثمانها على الورقة البيضاء بين يديه ، فأغمض عينيه حالماً حلماً لا نهاية له . وعلى حين غرة شعر بقلبه يخفق خفقاناً شديداً وبأنفاسه تضيق ، فسقط على الأريكة متخشب اليدين مربدّ الوجه . وجاء الطبيب فأعلن وفاته بالسكتة القلبية .

تلك صورة من صور الحرب التي أخلّت بالاقتصاد وخلقت طبقة كبيرة من المثرين الذين ينوؤون بحمل ثروتهم ويسقطون في الطريق . لكن عبد المجيد لطفي يضع نهاية غريبة لقصته ، فهو يسجل فرح الزوجة والأولاد بالنهاية التي انتهى اليها معيلهم البليد الحريص الذي لم يعرف سوى التكالب على جمع المال ، لا تنتدي له يد بمعروف ولا تنبثق في نفسه عاطفة من رحمة . «وكانت بصقة الأب الكبيرة لا تزال على عتبة الدار وقد تجمع حولها الذباب . وكان الشيطان يستهزئ من بعيد لأن الأب قد أخطأ لأول مرة في توجيه البصقة اليه باحكام !» .

ترجم عبد المجيد لطفي بعض القصص عن التركية . وألف أيضاً : الجذوة والريح

(١٩٦٩) ، الرجال تبكي بصمت (رواية ، ١٩٦٩) ، خاتمة موسيقار (مسرحية ، ١٩٤٥) ، ضجة النهار (مسرحية ، ١٩٧٠) .

وجدير بالذكر ان عبد المجيد لطفي من أغزر كتاب القصة العراقية انتاجاً ، فقد ذكر له عبد الاله أحمد في كتابه «فهرست القصة العراقية» نحواً من ٢٠٠ قصة نشرها خلال السنوات ١٩٣٥ ـ ١٩٦١ في الصحف ، ومنها «الطريق» و«صوت الشعب» و«العراق» و«الصباح» و«الانقلاب» و«الغد» و«الدفاع» و«بالك» و«العالم العربي» و«الاتحاد» و«بريد الجمعة» و«الأوقات البغدادية» و«البيان» و«الزمان» و«الاستقلال» و«صوت المبدأ» و«صدى الروافد» و«الجمهور» و«الحارس» ، ومن المجلات «الحاصد» و«المجلة» الموصلية و«الهاتف» و«الغريّ» و«الزهراء» و«الرابطة» و«الحضارة» و«المعلم الجديد» و«الدليل» و«البيان» و«صرخة الفن» و«أهل النفط» و«الاتحاد النسائي العراقي» «والمثقف» و«الوادي» و«الدنيا» الدمشقية و«الأديب» اللبنانية و«الثقافة» المصرية .

عبد المجيد لطفي : آراء وتصريحات

صرّح عبد المجيد لطفي لزكي الصراف ، في مقابلة أدبية نشرتها جريدة «الهاتف» سنة ١٩٥٣ قائلاً : «ان أهم ما يتعب القاصّ ضيق المحيط . وهذا الضيق يجرّ عليه ، ليس من المتاعب فحسب ، بل من المشاكل : فقد يرد في قصة ما وصف لبطل او بطلة ينطبق على واحد او واحدة في المجتمع ، وعندئذ يأتي دور اللوم والتعنيف وربما المحاكمة» .

وسأله الصراف عن تأثير المرأة في حياته فقال : «أي فنّان خلت حياته من تأثير المرأة؟ انني ، يا سيدي العزيز ، مدين لها بكل ما كتبت ونظمت . والحقيقة انني لولا خيبة عنيفة في غرام قديم لما كتبت شيئاً على الاطلاق ، ولما صرت أكثر من حدّاد !»

وقال عبد المجيد لطفي انه يعتقد ان الأدب كله يجب ان يخدم المجتمع ، ولكي يحقق ذلك يجب ان يكون طريفاً مشوّقاً . ويجب ان تكون القصة مجدية ، ولكن في الوقت نفسه حرة من القيود ، فإن للفنان سليقة سليمة يجب ان لا تحدد بقيود لأن القيود تميت مواهبه . والمهم ان يجوّد الفن ليحمل الجمال ورسالة التوجيه .

وقد كتب عبد المجيد لطفي في نفس جريدة «الهاتف» سنة ١٩٥٣ أيضاً مقالاً عن الكاتبة المبدعة الآنسة ميّ (ماري زيادة) ، فقال انه لم يعجب بشخصية نسوية في الأدب العربي اعجابه باثنتين ، اولاهما ولادة بنت المستكفي بالله صاحبة ابن زيدون وابن عبدوس وشاعرة الحب والحريّة . قال انها المرأة التي دخلت تأريخ الأدب العربي على جناحي شاعرين بينما تهاوت عشرات الأميرات في ظلمات النسيان الأبدي .

وأعجب بالآنسة مي التي جاءت متأخرة عنها أجيالاً عديدة، وكانت مع ذلك في عهد الحرية أقل تمتعاً بالحرية من ولادة الشاعرة المحبة المتقلبة والامرأة التي أحبت الحياة في الحب. ثم قال انه يرى ان ميّ كانت أنثى متدفقة الأنوثة، حآرة شديدة الحرارة، لكنها كانت ايضاً معتدة بنفسها الى درجة الأنانية البغيضة. وكانت تريد ان تبقى دوماً في هالة من الطهارة وعفة السمعة، وكانت تخضع رغبتها في الحب وفي الرجل لهذه الأنانية العمياء. وكانت توسع أفق حياتها في هذه الناحية بما يتجمع لديها من أصحاب الفكر والقلم والأدب.

أقول: ان هذا القول من عبد المجيد لطفي في مي فيه تعسف لأن هذه الأديبة كانت ابنة عصرها ومصرها، ولم تكن لها الشجاعة للخروج على آداب زمانها. ولذلك كانت تعقد مجلسها الأدبي بحضور أمها، فلما توفيت هذه لم تعد تجلس للناس. وقد أثر ذلك في نفسها حتى أصابها، كما قيل، شيء من اللوثة العقلية.

ولا يفوتنا القول ان ميّ كان لها سيّدة معاصرة اكثر حرية وانطلاقاً منها في حياتها ومجالسها الأدبية. تلك هي الكسندرة قسطنطين الخوري المعروفة باسم الأميرة الكسندره دي أفيرينوه (١٨٧٢ ـ ١٩٢٧). ولدت في بيروت وانتقلت الى مصر، فأنشأت في القاهرة مجلتين عربية وفرنسية. وكان لها مجلس عامر يحضره كبار أدباء مصر، ومنهم اسماعيل صبري باشا ووليّ الدين بك يكن ونجيب حداد وغيرهم. وقد ذكر خير الدين الزركلي في «اعلامه» انها أخبرته ان اسماعيل صبري كتب هذين البيتين على «ديوان شعرها»:

معذّبتي، أطفئي لواعج لا تنتهي مضت في هواك السنون وما نلت ما أشتهي

فأجابته:

زمانك قبلي انتهى ولا يرجع المنتهي فحسبي ان ازدهي وحسبك ان تشتهي

***

بين عبد المجيد لطفي وجودت القزويني

في أواخر القرن التاسع عشر كان شاعر مصر الكبير، ربّ السيف والقلم كما كان يعرف آنذاك، محمود سامي البارودي منفياً الى جزيرة سرنديب (وهي سيلان او شري لانكا كما تسمى الآن) لاشتراكه في الثورة العرابية سنة ١٨٨٢. كان شيخاً هرماً قبل ان يبلغ عجز الشيخوخة، قابعاً في عزلته حزيناً كئيباً، يناجي بشعره وطنه وأهله فيما وراء البحار. وإذا بالنسيم العليل يهبّ عليه بقصيدة ارسلها اليه الشاب شكيب ارسلان من

ربى لبنان يعزيه في وحدته القاسية ويرفع من مكانته في عالم الشعر والأدب . وتبودلت القصائد بين الشاعرين الشيخ والشاب ، ثم أذن للبارودي ان يعود الى بلاده ، وقد كفّ بصره ، ليقضي سنوات قليلة ناعماً قبل ان يصرعه الموت .

في سنة ١٩٧٥ كان الأديب الكبير عبد المجيد لطفي قابعاً في عزلته ، وقد بلغ من العمر عتيّاً . نطق في قصصه الانسانية بلوعة المحرومين والمستعبدين الذين قست عليهم الأيام والناس ، وآن له ان يستريح من وعثاء الجهاد الأدبي المرير . وتعرّف الى الشاعر الأديب الشاب السيد جودت القزويني فأهداه مجموعة من كتبه . فكتب له القزويني رسالة شكر ارفقها ببيت من الشعر :

أيا عبد المجيد ، حُبيتَ لطفاً ... من الرحمن إذ سمّاك لطفي .

ثم اتصلت المراسلة بين الأديبين . كتب اليه القزويني :

يهفُّ القلب ، يا عبد المجيد ، ... الى مرآك في شوق أكيد
فإن رام الأنام العيد يوماً ... ففي لقياك قد أحرزت عيدي

فأجاب عبد المجيد لطفي :

لمن طلب المزيد أقول : مهلاً ... مزيداً للحياة من الهباء
يحفّزنا المرام فلا نبالي ... بما بعد الكفاح من العناءَ
ونجمع للتراب تراب زهو ... ونجترح الذنوب بلا حياء
وإني والزمان كما تراه ... رياء في رياء في رياء
لأعجب للأنام تظلّ تحسو ... كؤوساً للحرام بلا ارتواء
«يدفّن بعضها بعضاً وتمشي» ... وتنسى في التراب أخا الوفاء
أخي ، يا جودة الانساب عذراً ... إذا ما كنت أعجز في الثناء
فإن القلب ممتلئ وفاءً ... لمن كان الوفيّ بلا مراء

فأجابه القزويني :

أتت تعدو بأبراد الهناء ... رسالة صاحب جمّ الإخاء
تذكرني ، وللذكرى شجون ... أحاديث المودّة والوفاء
لها في كل حرف معجزات ... وايحاء كايحاء السماء
وجدت بها الأماني وهي تحلو ... إذا ضاعت كأنداء الشذاء
فيسري بيتها بيتٌ وتبقى ... تسلسل مثل بعث الأنبياء
وقفت أقلّب الأبصار فيها ... وأرجوها تدوم بلا انتهاء

يـمـضّ الـداء فـي قـلـبـي ، ولـكـن وجـدت بشـعـرك الأسـمى دوائي
فـخلتُ كـأنني في الروض أعـدو مع الأطيـار بين كـلاً ومـاء
وصـوت العندليب يرنّ شـوقـاً فـيسـمعني بأنغـام الغناء
فـمـا اسـحـاق او زرياب يحكي ترانيم العـذوبة والصـفـاء
أيا عـبـد المـجـيـد ، اليك عـذراً إذا أبـديـت فـي الـجـلّـى نـدائـي
شـربت الذكـريات بكأس حبّ ولـكـن لـم أمـتّـع بـارتـواء
فـقـد هصـرتني الأفكار حـتـى وجـدت القـافـيـات على السـواء
نـصـبتُ (الهمّ) بعـد (سكون) نفس ورحت (بـرفـعـه) رغم العطاء
فـعـذراً ان أطلتُ عليك شكوى فـأنت بكل مـا أبغي رجـائي

أجاب عبد المجيد لطفي يقول : « ومع انني اعترف بأن شاعريتي بعد هجري الشعر منذ أعوام طويلة أقلّ استجابة لرغبتي حين أريد القول ، فقد اسعفتني بنفسٍ قصير بهذه الأبيات» :

القلب الوحيد

كـبـيـر في اللقـاء وفي التنائي كـبـيـر في الرجـاء وفي الشـقـاء
كـبـيـر حـين تنهـزم الأمـاني كـبـيـر في مكايدة العناء
كـبـيـر حـين تلقى المـوت فـرداً كـأنـك لا تخـاف يدَ الفناء
أبحـر انـت يا قلبـاً مـعنّى وصـخـر حـين تصـمـد للقـضـاء؟
تبـارى كـلّ ذي صـلـف بحـلـم وتضـحـك من ضـجـيج الأغـبـيـاء
وتصـعـد لا تكفّ عن المـعـالي «كـمـا النسر المـحلّق في السـمـاء»
وثيـق النبض دقّك في اللـيـالي يشـقّ الصـمـت درباً للـرجـاء
عـرفت الناس في فـرح وحـزن ، وأيّ النـاس أجـدر بـالوفـاء
مظاهرهم مـخـادعـة وزيف وشـرّ خـصـالهم تحت الرداء
عـرفت مـذاقـهـم حلواً ومـراً فلم تؤخـذ بقـول الأدعـيـاء
وفيّ للـذين مـضـوا سـراعـاً فـيـا للخُـسْـر خسـر الأصـدقـاء!
بلغت الشـأو في مـسـرى الليـالي فـحُطّ الرحل وارقـد في صـفـاء

وكتب اليه القزويني في الجواب بقصيدة طويلة ، مطلعها :

أرسلت أطيـافـاً بـلا عـدٍ وأبنت مـعنى الضـدّ للضـدّ

ثم يقول :

قلب تسامى في مدارجه		هيهات ان يخبو من الوقد
بحر خضمّ صار غائصه		في حومة الأتعاب والجهد
أترعتني كأساً معتّقة		من عهد عاد ، جُلَّ من عهد
ولقد وفيتُ بأحرف مزجت		بالمكرماتِ وآية الرشد

وأجاب لطفي :

قلامة قلم

يا أصدق الأبرار بالوعد		وأثبت الأحرار في الجدّ
بريدك الواصل في ودّ		قرّب مني شقّة البعد
ما حيلتي ، القلب في وَقْد		من الأسى ، والحرّ كالعبد
ترعت نفسي من يد الحقد		وبتّ لا أبدأ او أبدي
مواكب الاحلام في المهد		كمواكب الأقلام في اللحد
بقيت وحدي في يد النقد		كعملة زالت من العهد !
غلواء مجد سحقت مجدي		فأيّ حزنٍ في الردى يجدي
بسطت كفيّ ـ كلّ ما عندي		قلامة من قلم صلد
أحملها أبحث عن وِرْد		ملوّحاً مجعّد الجلد
أجوع أعرى أصطلي وحديَ		بشعلة يوقدها وجدي
تفوح للناس شدا رند		أعطيت ما أملك من جهد
من دون ان أطمع بالردّ		يا سيدي ، حصيلة العدّ
صفر وصفر آخر يُعْدي		صفراً وهذا حاصل الكدّ

وكان بعد ذلك ان سكت البلبلان عن الصداح ، فغادر القزويني العراق لمواصلة دراسته العالية ، وبقي عبد المجيد لطفي يعالج الأيام الى حيث مستقرّ الراحة الأبدية .

شالوم درويش

المحامي شالوم يعقوب درويش في مقدمة القصاصين العراقيين اشتهر بقصصه الشعبية الانسانية التي تصوّر ابن الشعب في مشاكله وكفاحه من أجل الحياة .

ولد في بلدة علي الغربي من أعمال العمارة سنة ١٩١٣ . وقدم الى بغداد بعد وفاة والده وعمره ٨ سنوات ، فدرس في المدارس الأهلية والمدرسة الثانوية المركزية ، ثم التحق بكلية الحقوق ونال اجازتها سنة ١٩٣٨ ، ومارس المحاماة . وقد شارك في الحياة الأدبية والسياسية ونشر المقالات والقصائد والقصص والمسرحيات في جريدة «الأهالي» و«مجلة «الحاصد» وغيرهما من الصحف والمجلات . وقد ترك العراق سنة ١٩٥٠ وذهب الى اسرائيل حيث زاول المحاماة .

نشر مجموعتين قصصيتين : احرار وعبيد (١٩٤١) ، بعض الناس (١٩٤٨) . وشفعهما سنة ١٩٧٦ بمجموعة ثالثة «بيضة الديك» . قال الدكتور سهيل ادريس في مجلة «الآداب» البيروتية (نيسان ١٩٥٣) : «... ثم نأتي الى أثر من أنضج آثار الأدب القصصي في العراق ، ونقصد به أثر شالوم درويش المحامي . فإن مجموعتيه «احرار وعبيد» (١٩٤١) و«بعض الناس» (١٩٤٨) تنّمان عن موهبة ممتازة . وبوسعنا ان نعتبر قصته «قافلة من الريف» احدى روائع الأدب القصصي العربي . وموضوع هذه القصة الذي يتناول حكاية عنزة وأسرة قد يبدو تافهاً ، ولكنه يحمل في الحقيقة معنى انسانياً عميقاً ، وتصوير الطبقة الفقيرة فيه مؤثر جداً . هذه القصة البسيطة الانسانية المؤثرة تذكرنا بأروع الأقاصيص الروسية ، وهي ترسم لنا لوحة حية لهذه الأسرة الشريفة ذات العواطف المخلصة...» . وقال الدكتور سهيل ان شالوم درويش يبدو ، بالرغم من آثاره القصصية المحدودة ، وجهاً من ألمع وجوه كتاب القصة القصيرة في الأدب العراقي الحديث .

وقال الدكتور داود سلوم في كتابه «تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي» : «ان شالوم (درويش) اسم مهم بين كتاب القصة في العراق لقابليته الكبيرة على التصوير والتركيز ووضح الصورة الحسية التي وصفها» . وأشار الى قصص «أحرار وعبيد» فقال انها تميّز قدرة الكاتب على تحليل نفوس أبطاله .

وقد كتبت مقالاً في جريدة «الأخبار» في ٧ كانون الأول ١٩٤١ عند صدور مجموعة «أحرار وعبيد» فقلت :

« وأول ما يشعر به قارئ هذه الأقاصيص ان صاحب المجموعة يمتاز بدقة الملاحظة وبراعة الوصف : فالأشخاص الذين يراهم او يحادثهم لا يمرون بباصرته مرّاً وانما ينعكسون على بصيرته وينطبعون في ذهنه حتى تتبلور منهم في مخيّلته شخصيات مثالية يرسمها في قصصه رسماً . فهذا الشرطي مبروك «ابو الشوارب» الشاعر بسلطته كل الشعور ، المعتزّ برجولته التي ترمز اليها شواربه الضخمة ، هذا الشرطي ألا تراه واقفاً يهيمن على حركة المرور ، ناهضاً بواجبه بشعور «أطلس» الذي كان — على ما ترويه الأساطير اليونانية — يحمل على عاتقه أركان السماء؟ بلى ، وإنك لتراه كذلك في غير مفارق الطرق وقوارع الشوارع ، جالساً الى مكتبه او واقفاً على منبره ، خالقاً لنفسه من دائرته الضيقة عالماً مستقلاً يأمر فيه فيطاع وينهي فيهاب .

«وفي المجموعة قصص بديعة كقصة «ابو شوارب» التي حدثتك عن بطلها وقصة «في سنة ٢٥٤١» و«المظلوم» . ولا تخلو هذه الأقاصيص وسواها من وصف رائع لشخص او جماعة او مكان» .

وفي مجموعة «بعض الناس» قصص كثيرة تدعو الى الاعجاب . وأولاها قصة «قافلة في الريف» التي استرعت انظار الناقد اللبناني سهيل ادريس . وهي قصة صبيّ جاء من الريف الهادئ الى العاصمة التي تعج بالحياة . جلبت أسرته البائسة معها عنزة ، ولما حل أفرادها ضيوفاً على أقارب لهم في بغداد اضطروا الى بيع عنزتهم التي كانت صديقة الصبي وأنيسته ورفيقة طفولته ، فكان فراقها عليه صعباً أثار لواعج صدره وهموم نفسه الصغيرة البريئة . وقد وفق الكاتب لتصوير هذه اللواعج والهموم مما يترك في نفس القارئ شعوراً عاطفياً عميقاً . وتتناول القصص الأخرى حياة أبناء الشعب الكادحين وكفاحهم في سبيل تدبير المعيشة والحب والزواج ومعالجة المرض والمشاكل الشخصية والاجتماعية . ومن أبطالها اللص والمجرم والثرثار والشحاذ والأعمى والعروس والشاب الذي حلم بالعبقرية والعظمة فينتهي به الأمر الى الانتحار . وقصة الحاج سعيد الذي أثرى بعد فقر وانتقل من مقر سكناه في بغداد القديمة الى قصره الجديد في الضواحي تصور الرجل المتقدم في العمر ذي المنزلة المرموقة في محلته الشعبية فإذا به في ضاحيته البعيدة يصبح رجلاً مغموراً غريباً يفتقد رفقة أصحابه واحترام جلساء مقهاه وعرفان الجميل من أبناء الأسر الفقيرة التي يساعدها ويرعاها . لقد أصبح غريباً حتى عن أولاده الذين درسوا وبدّلوا أفكارهم ونهج حياتهم كما بدلوا ثيابهم . «ويظل الحاج

يتدهور من سيئ الى أسوأ . وقد كانت الزيارات المتقطعة التي يؤديها لمقهى الحارة بين وقت وآخر بلسماً لجراحه العميقة تعطيه بعض الزاد في وحشته ووحدته . ولكن عقرب الساعة يدور بسرعة وبهمة ، فتستملك البلدية داره القديمة والدور المجاورة والمقهى ، وتأتي على الحارة كلها هدماً بالمعاول حتى تصبح جميعاً ساحة كبيرة يخطط فيها المهندسون حدائق وممرات وشوارع . ويتفرق سكان الحارة أيدي سبأ بعد ان انتظموا وآباءهم في عقد واحد لأجيال طويلة . ويظلّ الحاج بعد ذلك قعيد البيت ، ويزداد سقمه وتعجل الشيخوخة على بدنه المتهالك...» . وأخيراً يصبح الرجل شيخاً خرفاً يضجّ بالأنين والشكوى فيتفق ابناؤه على نقله الى غرفة صغيرة فوق الكراج ليكون بعيداً عن الضوضاء .

وقد كتب عبد الحق فاضل قنصل العراق في انقرة الى صديقة شالوم درويش عند صدور كتابه «بعض الناس» يبدي اعجابه بقصصه . ومما قاله : «ومما أعجبني ، فيما اعجبني ، وجود عنصر المرأة في قصصك على أحوال مختلفة . وقد كان القصاصون من المخضرمين ــ على قلتهم ــ يشكون انزواء المرأة عن الحياة الاجتماعية ، ويزعمون من أجل ذلك ان ذلك يسدّ على القاص باب الكتابة ، لأنهم فيما يبدو يحسبون ان المرأة في القصة لا مناص من ان تكون عذراء ، عاشقة ، معشوقة ، دعجاء العينين ، لعساء الشفتين ، سمهرية القدّ ، وردية الخدّ... ولم يدر في أخلادهم انها تستطيع كذلك ان تكون أماً او خادمة او ارملة معنية بتنشئة صغارها ، او بغياً مدلهة بثوب زفاف ، كأنما قصص الغرام في شرعتهم هو كل ما يمكن ان يكتب الكاتب ويقرأ القارئ» .

وأضاف عبد الحق قائلاً : «ولقد وجدت على قصصك الطريفة مسحة لك خاصة بك تختلف في أسلوبها ونوعها عن قصص سواك . ولعلّ اجمل ما في الأمر انها صور متقطعة من الواقع ــ المعتدل ــ من الحياة العراقية ، فيها صدق وفيها وضوح» .

وتحدث جعفر الخليلي عن شالوم درويش فقال انه «من أبرع القصاصين الموهوبين الذين يتقنون سبك القصة في قالبها الفني ويحسنون التحدث عن أبطال قصصهم كما لو كانوا هم الأبطال حقاً . وقد صدر له كتابان في القصة آخرها كتاب «بعض الناس» صوّر فيه جانباً كبيراً من حياتنا العامة والخاصة . وفوق هذا فهو شاعر لا تقل روعة شعره عن نثره ومحام ناجح» .

توفي شالوم درويش في حيفا في ١٥ حزيران ١٩٩٧ .

عبد الوهاب الأمين

الكاتب القصصي عبد الوهاب الأمين ولد في العمارة سنة ١٩١٢ وعمل أخيراً محرراً في جريدة «الجمهورية» ببغداد . كتب قصصاً كثيرة وترجم قصصاً عن الكتّاب الأنكليز والفرنسيين والروس .

من المجموعات التي نشرها : من الأدب الحديث (١٩٣٤) ، مع الكتب وعليها (١٩٦٨) . ومن مترجماته : ٢٤ ساعة في حياة امرأة ، ذباب وقصص أخرى (١٩٥٢) ، الزاد المردود (١٩٧٠) ، اوسكار وايلد : دراسة . وله رواية لم تنشر : مأساة الشاعر ماجد سليم .

وقد نشر عبد الوهاب الأمين منذ سنة ١٩٣١ قصصاً مختلفة في الصحف والمجلات منها «نداء الشعب» و«السياسة» و«البلاد» و«الاخاء الوطني» و«الهاتف» و«الحاصد» و«الرسالة» المصرية .

وجاء في جدول كبار موظفي الدولة لسنة ١٩٥٤ اسم عبد الوهاب الأمين ، ذكر انه ولد سنة ١٩٠٩ ودخل في خدمة الحكومة في ١٣/ ١٠/ ١٩٣٣ ، عيّن سكرتيراً لمجلس ادارة مصلحة مصافي النفط الحكومية في ٥ شباط ١٩٥٣ . ولم استطع التحقق أهو نفس اديبنا القصاص ام شخص آخر يحمل اسمه .

اخبرني الدكتور جليل العطية ان عبد الوهاب الأمين ترجم فصولاً من رحلة جيمس فليكس جونز الى العالم العربي نشرتها مجلة «المورد» سنة ١٩٧٤ . وتوفي في بغداد في ١٨ كانون الأول ١٩٧٦ .

صلاح الدين الناهي

صلاح الدين الناهي من كتاب القصة المعروفين ، لكنه اشتهر رجلاً قانونياً تولى عمادة كلية الحقوق .

ولد ببغداد سنة ١٩١٤ ، ودرس في كلية الحقوق بالقاهرة فنال شهادة الدكتوراه في القانون . وأصبح استاذاً في كلية الحقوق البغدادية في آذار ١٩٤٦ واختير عميداً لها سنة ١٩٦٠ . وانشأ سنة ١٩٥٣ دار المعرفة وقال انها مؤسسة ثقافية هدفها ترقية الأدب العراقي والأخذ بيد الأدباء . وأصدر في نفس السنة مجلة «الاحكام القضائية» (شهرية) مع مصطفى كامل ياسين وعبد الله اسماعيل البستاني .

وضع مؤلفات قانونية منها : الوسيط في شرح القانون التجاري العراقي (في ٥ اجزاء) ، الوجيز في النظرية العامة للالتزامات ، الوجيز في التأمينات العينية والشخصية (في جزءين) ، دراسات في تأريخ النظم والقوانين في الشرق الأدنى ، المبسوط في الأوراق التجارية ، محاضرات عن القانون المدني العراقي ، النظرية العامة في القانون الموازن وعلم الخلاف ، الوجيز في المرافعات المدنية والتجارية (جزآن) الخ .

اما في مجال الأدب القصصي فقد نشر أول قصة له في مجلة «التفيض» سنة ١٩٣٩ . ثم نشر مجموعات قصصية : أقاصيص شتى (١٩٤٩) ، تثنية الأقاصيص (١٩٥٢) ، مجموعتان وملاحق (١٩٦٨) . وله عدا ذلك : الأسرة والمرأة (١٩٥٨) ، مقدمة في الاقطاع ونظام الأراضي في العراق (١٩٥٥) ، كوخ على الفرات ، نصوص قانونية وشرعية (١٩٦٩) ، ومؤلفات قانونية كثيرة أخرى . ترجم قصة : بكالوريوس في الآداب (١٩٥٣) من الأدب الهندي . وحقق ونشر : خزانة الفقه وعيون المسائل لأبي الليث السمرقندي (في جزءين ١٩٦٥ ــ ٦٧) ، التعريف بكتاب روضة القضاة وطريق النجاة لعلي بن محمد بن احمد الرحبي السمناني المتوفى سنة ١١٠٦ م (١٩٦٧) .

وقد مارس المحاماة بعد ذلك . وانتقل الى الأردن حيث يعيش منذ سنوات طويلة .

عبد الملك نوري

من كتّاب القصة المجيدين عبد الملك نوري ، وهو نجل الفريق عبد اللطيف نوري زميل بكر صدقي في انقلاب سنة ١٩٣٦ . ولد في بغداد سنة ١٩٢٠ وأتم دراسته الثانوية في بيروت ، ثم عاد الى بغداد وانتمى الى كلية الحقوق . اعتقل خلال الحرب (تشرين الأول ١٩٤١) وحجر في معتقل الفاو . وأطلق سراحه فأكمل دراسته القانونية ونال شهادة الحقوق سنة ١٩٤٤ . وكان سنة ١٩٥٣ ملاحظ محكمة استئناف التسوية في بغداد . وظف بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ سكتيراً أول في ديوان وزارة الخارجية ، لكنه لم يداوم في منصبه سوى سنة او سنتين . وقد توفي في بغداد في أوائل آب ١٩٩٨ .

ذكر عبد الاله احمد في كتابه «فهرست القصة العراقية» انه نشر اول قصة له «بدرية» في مجلة «المجلة» الموصلة سنة ١٩٤١ ، ثم تابع نشر قصصه في تلك المجلة ومجلة «الرابطة » و«الأديب» اللبنانية و«البيان» النجفية و«الآداب» و«الرسالة» اللبنانيتين و«الثقافة الجديدة» و«الفنون» الخ . ونشر مجموعتين : رسل الانسانية (١٩٤٦) ، نشيد الأرض (١٩٥٤) . وله ايضاً : شعبنا ينتفض (١٩٤٨) ، دمقس وارجوان (مسرحية) .

ذكره الدكتور داود سلوم في كتابه «تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي» فقال ان كتابي عبد الملك نوري «رسل الانسانية» و«نشيد الأرض» يعتبران في مقدمة آثار القصة العراقية . «ففي كتابه الأول يصرف الكاتب انتباهه الى العالم الخارجي ووصف محيط أبطاله . اما في كتابه الثاني فقد صرف انتباهه الى الحديث الباطني لأبطاله...» . ويهتم قصاصنا بوصف الطبقة البائسة في بلده ويكثر من الاستعانة باللغة العامية لتقريب موضوعه الى الأذهان .

زاره زكي الصرّاف مندوباً عن جريدة «الهاتف» سنة ١٩٥٣ وسأله عن متاعب القاصّ في العراق ، فافتر ثغره عن ابتسامة وقال ان أهم ما يتعب القاص حرمانه من نعمة حرية التعبير . وقال عبد الملك انه من الكتّاب الملتزمين ولا يكتب القصة للتلذّذ الشخصي او لتزجية الوقت ، بل يلتزم التعبير عن الحياة التي يتأثر بها بصورة فنية . وقال انه قبل البدء بالكتابة لا بد ان يجد في نفسه استعداداً نفسياً ولا بدّ ان ينغمر في جوّ القصة شهراً او شهرين .

فؤاد التكرلي

الأسرة التكرلية (بفتح التاء والكاف وسكون الراء) من أسر بغداد العريقة تنتسب الى الشيخ عبدالقادر الكيلاني . وقد تولى عميدها محمد سعيد نقابة الاشراف لمدة اسبوع واحد سنة ١٨٤٢ ثم عزل بالسيد علي الكيلاني والد النقيبين سلمان وعبدالرحمن .

واشتهر من رجال الأسرة في العهد الاخير عبد القادر رشيد وزير الخارجية (١٩٣٢) ، وعبدالجبار بن عبد الرحمن بن محمد سعيد التكرلي عضو محكمة التمييز العراقية (١٩٤٥) ووزير العدلية (١٩٥٥) . واشتهر ايضاً اخوة عبد الجبار : مصطفى التكرلي (١٨٨٩ ـ نحو ١٩٦٠) عضو محكمة التمييز (١٩٣٧) ، ونهاد (ولد ١٩٢٢) القاضي الأديب الذي أصبح حاكم جزاء بغداد (١٩٥٤) ، وأخيراً فؤاد القاضي القصاص .

ولد فؤاد بن عبدالرحمن بن محمد سعيد التكرلي في بغداد سنة ١٩٢٧ ، ودرس في المدرسة الاعدادية المركزية . وانتمى الى كلية الحقوق فتخرج فيها سنة ١٩٤٩ . وعين كاتباً أول في محكمة براءة بعقوبا ، ونقل الى محكمة الكاظمية . وعين حاكماً لبداءة بغداد في ايار ١٩٥٤ ، وتنقل في مناصب القضاء . وسافر الى باريس سنة ١٩٦٤ للتمتع بإجازة دراسية لمدة سنتين . وعاد الى بغداد لممارسة وظائفه القضائية .

مال منذ صدر شبابه الى الادب مشتركاً في تطلعاته الادبية مع أخيه نهاد وعبدالملك نوري والشاعر عبدالوهاب البياتي . ونشر قصته الاولى «همس مبهم» في مجلة الاديب البيروتية في كانون الاول ١٩٥١ . ووالى نشر قصصه في تلك المجلة ومجلة الاسبوع والثقافة الجديدة والاديب العراقي والمجلة المصرية ومجلة ادب اللبنانية . ونشر مجموعته القصصية سنة ١٩٦١ بعنوان «الوجه الآخر» ، وألف عدا ذلك رواية «الرجع البعيد» (طبع بيروت ١٩٨٠) ، ومجموعة حواريات بعنوان «الصخرة» (١٩٨٦) ، ومجموعة قصص «موعد النار» (تونس ١٩٩١) .

قال الناقد الدكتور علي جواد الطاهر ان فؤاد التكرلي ليس قصاصاً فحسب بل هو ايضاً من المثقفين في فن القصة وقواعدها .

ادمون صبري

القصصي الذي نشر اكثر من ١٤ مجموعة قصصية ومسرحيات متعددة وقلما نال كلمة اطراء من مقرّظ او ناقد ادمون صبري رزوق ، ولد في بغداد سنة ١٩٢١ ، وكان موظفاً صغيراً في الحكومة ، بائساً كأكثر أبطال قصصه التي غلبت عليها النزعة الانسانية الخيّرة .

توفي في نيسان ١٩٧٥ بحادث سيارة قرب كركوك .

مجموعاته القصصية : حصاد الدموع (١٩٥٢) ، المأمور العجوز وقصص أخرى (١٩٥٣) ، قافلة الأحياء (١٩٥٤) ، كاتب واردة (١٩٥٥) ، الهارب من المقهى (١٩٥٥) ، خيبة أمل (١٩٥٦) ، شجار (وقد اقتبست منها قصة فيلم سعيد أفندي وكان بطله يوسف العاني ، ومثلت دور البطلة الممثلة زينب ــ فخرية عبد الكريم ــ ، ١٩٥٧) ، الخالة عطية (١٩٥٨) ، في خضمّ المصائب (١٩٥٩) ، هارب من الظلم (١٩٦٠) ، ليلة مزعجة (١٩٦١) ، خبز الحكومة (١٩٦١) ، زوجة المرحوم (١٩٦٢) ، عندما تكون الحياة رخيصة (١٩٦٨) ، أقاصيص من الحياة (١٩٧٠) ، يوميات الناس (١٩٧١) ، .

ووضع مسرحيات : الستّ حسيبة (١٩٥٩) ، أديب من بغداد (١٩٦٢) ، محكوم بالاعدام (١٩٦٣) ، أيام العطالة (١٩٦٧) .

استوحى ادمون صبري مسرحيته «محكوم بالاعدام» من رواية فكتور هوغو «آخر أيام المحكوم عليه بالاعدام» . تبدأ مسرحية الأديب العراقي بالسجان يحيى مصطفى يشخر في نومه بينما ابنته سلوى تواصل دارستها الموسيقية وهي تستبشع وظيفة ابيها ، في حين ان أمها تقول : ماذا بوسعه ان يفعل؟ ثم تقول الأم : كلما وجدت أباك نائماً في المساء وأنا أعد له فطوراً فاعلمي ان في فجر الغد انسان يشنق . ثم يأتي شاب مع أبيه لخطبة الفتاة ، ويظهر ان عم الفتى الخاطب قد شنق قبل سنوات وكان يحيى السجان هو الذي تولى شنقه . لكن المحكوم عليه بالاعدام الذي تقرر شنقه في فجر اليوم التالي يعفى من الموت ويخفف الحكم عليه الى السجن .

تنتهي المسرحية بتمام خطبة الفتاة والمناقشة في الغاء حكم الاعدام . لكن الفتى الخاطب ، وهو رجل درس الحقوق ، يرى الاحتفاظ بهذه العقوبة الزاجرة للمجرمين . ولئن كانت ألغيت في البلاد الراقية انها يجب ان تبقى في البلد المتأخر : «لا يمكن ان نفرش السجاد فوق الوحل . الاعدام أسلوب وقائي احتياطي ليس ثمة منه بدّ في الوقت الحاضر» .

جبرا ابراهيم جبرا

الكاتب الروائي الناقد جبرا ابراهيم جبرا ولد في بيت لحم بفلسطين سنة ١٩١٩ ودرس في الكلية العربية في القدس. تخرج سنة ١٩٣٨ فتابع دراسته في جامعة اكسيتر وهارفارد، ثم نال درجة بكالوريوس في الأدب من جامعة كمبريدج (١٩٤٣). عاد الى بلده وتولى تدريس الأدب الانكليزي في الكلية الرشيدية بالقدس.

جاء الى العراق في سنوات الخمسين فاتخذه وطناً وارتضى الاسلام ديناً، وكان مدرساً حيناً وعمل كثيراً في سبيل الفن والنقد الفني.

من مؤلفاته: صراخ في ليل طويل (١٩٥٥)، قصص من الأدب الانكليزي المعاصر (١٩٥٥)، تموز في المدينة (١٩٦٠)، الحرية والطوفان (١٩٦٠)، عرق وقصص أخرى (١٩٥٦)، المدار المغلق (١٩٦٤)، الرحلة الثامنة (١٩٦٧)، ثلاثة قرون من الأدب (٤ أجزاء ١٩٦٥)، الفن المعاصر في العراق: حركة الرسم (١٩٦٩)، البئر الأولى، السفينة، البحث عن وليد مسعود، تأملات في بنيان مرمري، شارع الأميرات، النار والجوهر (١٩٧٥)، ينابيع الرؤيا (١٩٧٩)، الفن والحلم والفعل (١٩٨٨)، معايشة النمرة وأوراق أخرى (١٩٩٢).

ترجم من مسرحيات شكسبير: هامليت، الملك لير، كريولانس، عطيل، العاصفة، مكبث. ومن الكتب الأخرى التي نقلها الى العربية: أدونيس من تأليف السر جيمس فريزر (عن كتابه الموسع: الغصن الذهبي، ١٩٥٧)، روبرت فروست (١٩٦١)، ما قبل الفلسفة: الانسان في مغامراته الفكرية الأولى (١٩٦٠)، وليم فوكنر (١٩٦١)، الأديب ومناعته (١٩٦٢)، الصخب والعنف لوليم فوكنر (١٩٦٣)، آفاق الفن (١٩٦٤)، البير كامو (١٩٦٧). وألف بالانكليزية: الفن في العراق اليوم (١٩٦١)، صيادون في شارع ضيّق (١٩٦٠)، واشترك في ترجمة قصص عربية حديثة (١٩٦٧).

قال جبرا: «انتمائي الفلسطيني هو انتماء الفلاح الى ترابه، انتماء المزارع الى شجرته، انتماء ساكن الشارع الى شارعه. هكذا احببت القدس، وهكذا احببت فلسطين كلها وأحببت أرضي، فيها سرحت وهمت وعشقت وحلمت، مع انني لم أملك شبراً

من الأرض . ولكنني أذكر التراب في القدس والصخور في القدس وكأنني اذكر جواهر الدنيا . فالانتماء هو انتماء العشق والتداخل : إذا لم أكن فلسطينياً فأنا لست شيئاً» .

توفي جبرا في بغداد في ١٢ كانون الأول ١,٩٩٤

صراخ في ليل طويل

أعارتني السيدة سلمى الخضرا الجيوسي رواية جبرا ابراهيم جبرا «صراخ في ليل طويل» سنة ١٩٥٦ فقرأتها ، وكتبت اليها كلمة جاء فيها :

لقد طالعت هذا الكتاب بلذة وخرجت منه معجباً بالمؤلف ، مقدراً لأسلوبه وفنّه احسن التقدير . ان الناقد يستطيع ان ينصب من نفسه جرّاحاً فيحمل المبضع ليحزّ القلب ويتأكد انه ينبض بالحياة . اما القارئ فحسبه ان يتذوّق ويتلذّذ ليعرف القصة الجيدة ، دونما حاجة الى تحليل مداخلها ومخارجها وتدقيق مستهلها وخاتمتها . والحقيقة ان جبرا قد استطاع ان يخلق الجو القلق الذي يمرّ به الفتى العربي في اعقاب الحرب العالمية الثانية ، وأن يرمز الى النزاعات المختلفة التي تعتلج في صدره ، وإن يكن الاطار بعيداً في جزئياته عن المجتمع العربي الحاضر .

«صراخ في ليل طويل» ، ألم يكن «همس في ليل طويل» أخلق بالكتاب عنواناً؟ فالذكريات الحالمة والمشاعر الواخزة والأطياف الهامسة اكثر في هذا الليل الطويل من الصراخ والزفير والنحيب . لكن المؤلف أدرى بموضوعه وعنوان كتابه .

لقد التزم ابو العلاء في «لزومياته» بما لا يلزم ، وتقيّد الكلاسيكيون الأقدمون في رواياتهم بالوحدة المثلثة ــ وحدة الزمان والمكان والفكرة . ومن حقّ جبرا ان يخصص لروايته البديعة ليلة واحدة ــ ليلة طويلة حافلة بالذكريات والأمطار الوقائع . وقد وفّق لسرد حادث هذه الليلة بغير ما ارهاق ولا عنت فاستحق الثناء والاطراء .

ولكن ما لصديقنا المؤلف يحسّ بـ «الجسد» كثيراً؟ لا ريب ان القصص والروايات الحديثة تطفح بأخبار الجسد وأوضاره . بيد انني شخصياً ما زلت من الفريق القديم المحافظ الذي لا يتجاهل الجسد ولكنه لا يحتاج الى ترديد ذكره في كل فكرة وصفحة . اننا نعيش بالجسد بطبيعة الحال ، اما ان يكون شعورنا به شديداً الى حدّ الافراط وأن نتخذ منه محوراً لأدبنا وثقافتنا فذلك ، على ما أعتقد ، يمنعنا من متعة التسامي والتحليق في الحياة كالطائر الذي نربط برجليه حجراً يقعد به عن الانطلاق .

ان الفصل الطويل الذي يجمع بطل القصة بأصحابه في المقهى ليتبادلوا الآراء

والأحاديث يذكرني بفصل «المأدبة» في رواية «تاييس» على ما بين فحوى الفصلين من تباعد وتباين : فأناتول فرانس قد جاء بأفانين الفلسفة القديمة والحكمة والدين ، اما جبرا فقد شرح ما يختلج في نفوس طائفة من الشباب من نوازع وأفكار . ولقد يقول المتزمتون الذين لا يؤمنون بالقصة ميداناً للآراء والخواطر انه حشو . نعم ، انه لكذلك ، ولكن من يرضى بترك حشو الدجاج من أكلة شطائر الساندويج؟

والخاتمة؟ انني اراها رمزية اكثر منها حقيقية ، ولعلّ المؤلف أرادها كذلك فوفّق لما أراد .

عبد الله نيازي

الأديب القصاص عبد الله نيازي ولد في قلعة صالح سنة ١٩٢٦ . أتم دراسته الابتدائية وأوائل المتوسطة ، ولم تتح له الفرصة لمواصلة التعلم ، بل تابع دراسة اللغة العربية وشيء من الانكليزية على نفسه . واكبّ على مطالعة الآثار الأدبية قديمها وحديثها .

بدأ حياته العملية مستخدماً في مطبعة الحكومة . ومال الى الأدب فأخذ يدبّج المقالات والقصص وينشرها في الصحف المحلية . شرع ينشر قصصه منذ سنة ١٩٤٨ في جريدة «الأوقات» البغدادية وواصل النشر في «الهاتف» و«الانقاذ» و«العراق اليوم» ومجلة «الرسالة» المصرية و«القلم الجديد» الأردنية و«الأديب» و«الآداب» اللبنانيتين وغيرها .

أصدر مجموعات قصصية وروايات : نهاية حبّ (١٩٤٨) ، همس الأيام (١٩٤٩) ، شجن طائر (١٩٥٠) ، بقايا ضباب (١٩٥١) ، أناهيد (١٩٥٣) ، أعياد (١٩٦٣) ، الهمس المذعور (١٩٧١) . وله ايضاً : الأدب والثورة (١٩٦٩) ، السجود للشمس (قصص مترجمة عن الانكليزية) .

تولى اصدار مجلة «الأقلام» لوزارة الاعلام مع عامر رشيد السامرائي وواصل العمل فيها ست سنوات (١٩٦٤ ــ ٧٠) . وقد غادر العراق بعد ذلك ، وهو يقيم الآن في السويد .

قال الدكتور داود سلّوم في كتابه «تطوّر الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي» ان عبد الله نيازي يبدو اكثر نجاحاً في كتابة القصة القصيرة منه في القصة الطويلة . وذكر مثالاً لقصصه القصيرة الناجحة قصة «قلق» و«خيبة» . وقال ان الكاتب يعتني في هذه القصص بالحديث الباطني اكثر من محيط البطل وحياته الخارجية . وقال ان قصة أناهيد رومانتيكية طويلة لحبّ فاشل قدّرها الأديب المصري أحمد زكي كثيراً ، لكن الدكتور سهيل ادريس لم يرها تستحق الاهتمام .

وقال عبد الله نيازي عن نفسه في مقال كتبه لمجلة «الأقلام» (عدد آب ١٩٨٨) انه لا يجلس للكتابة إلا بعد ان تكون الفكرة قد اختمرت في ذهنه وأن احداثها تتمطّى فيه وشخوصها ترافقه اينما ذهب ، وغالباً ما تكون البداية مهيّأة بألفاظها . وتابع كلامه قائلاً : «فليس لي إلا ان اجلس واكتب ، وعندها تكون المعاناة . ذلك ان الفكرة وحدها لا تؤلف قصة متكاملة بأبعاد فنية مقبولة ، فلا بدّ من استنباط احداث جديدة وشخصيات جديدة لم تكن مهيأة من قبل . ثم ان مراقبة مشاعر الشخصية الرئيسة في القصة والشخصيات التي تستجدّ اثناء الكتابة ومتابعة نموها وتناقضاتها الذهنية والنفسية والسلوكية حتى النهاية ليس بالأمر الهيّن . فكثيراً ما كنت أمام حالة معينة او موقف معيّن ارمي بالقلم وأقوم أدور في الغرفة كما لو ان امعائي تتقطع . وليس في هذا القول اية مبالغة . وحين أحسّ انني قد اهتديت الى ما ينبغي عمله أعاود الكتابة من جديد ، وكأن قوة خفية تمسك بالقلم وتكتب بدلاً عني...» . وقال انه يهتم باللغة اهتماماً كبيراً ، فلا بدّ ان تكون جميلة ومتماسكة وذات رنين شعري .

قال عبد الله نيازي انه في مطلع شبابه قرأ روايات المنفلوطي وأعجب بأسلوبه كثيراً . وتأثّر بعد ذلك بما طالع في الصحف من قصص ذنون أيوب وعبد المجيد لطفي وعبد الملك نوري وأنور شاؤول وجعفر الخليلي الذي احتضنه وفتح له صدر مجلته «الهاتف» . وتأثر ايضاً بكتابات رفائيل بطّي وشعر الرصافي والشبيبي والجواهري .

يوسف العاني

الممثل المؤلف الناقد والمحامي يوسف العاني من روّاد المسرح العراقي والعربي، صوّر الحياة الشعبية العراقية أروع تصوير في مسرحياته وأفلامه السينمائية.

ولد في بغداد سنة ١٩٢٧، واختار يوم ٢٤ شباط عيداً لميلاده الذي لا يعرفه لأنه ذكرى أول ظهوره على المسرح سنة ١٩٤٤، وهو آنذاك طالب بالمدرسة الثانوية المركزية في بغداد. تخرّج في كلية الحقوق سنة ١٩٥٠، لكنه آثر العمل في التمثيل والنقد السينمائي والمسرحي. وعيّن بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ مديراً عامة لمصلحة السينما والمسرح.

كان أول فيلم كتبه ومثّل فيه الدور الأول «سعيد أفندي» (١٩٥٧)، وهو يتناول حياة الطبقة الكادحة في أزقة بغداد الشعبية وهموم معيشتها. وقد عمل في فرقة المسرح الفني الحديث التي أسست في بغداد سنمة ١٩٥٢، وقدّم مسرحيتين «الانسان الطيب» و«الرهن». وأسس سنة ١٩٦٢ شركة السينما الحديثة، وأعدّ من مسرحيته «ماكو شغل» (لا يوجد عمل) فيلماً باسم «ابو هيلة» اشترك في تمثيله. واعتقل سنة ١٩٦٣ أمداً، ثم مضى الى لبنان وعاد بعد ذلك الى بغداد.

من مسرحياته: الخان، رأس الشليلة (١٩٥٤)، المفتاح، ستة دراهم، أنا أمك يا شاكر، مسرحياتي (في جزءين ١٩٥٥ ــ ١٩٥٩)، أهلاً بالحياة (١٩٦٠)، شعبنا (١٩٦١)، الغذاء لا الدواء (١٩٦٦)، بين المسرح والسينما (١٩٦٧)، أفلام العالم... من أجل سلام العالم (١٩٦٨)، التجربة المسرحية.

من أفلامه: عبّود يغني، البيك والسائق، النخلة والجيران، وداعاً يا لبنان (١٩٦٧)، المنعطف (١٩٧٥). وقد اشترك في التمثيل في «اليوم السادس» الذي يخرجه يوسف شاهين في القاهرة (١٩٨٦). وقد اختير يوسف العاني كأحد روّاد المسرح العربي والأفريقي في مهرجان قرطاج المسرحي المقام في تونس سنة ١٩٨٥.

من تآليفه الأخيرة: على مسرح الحياة (بيروت ١٩٩٤)، مسرحية المكّوك، المسرح الحلم والوجود (مصر ١٩٩٤).

الشعر



عبد المطّلب الحلّي

الشاعر الحلي السيد عبد المطلب بن داود بن مهدي آل سليمان الحسيني من بيوت الأدب المعروفة في الحلة ، وقد ولد في تلك الحاضرة في سنة ١٨٦٥ . وأخذ الشعر عن عمّه السيد حيدر بن سليمان بن داود الحلي الحسيني (١٨٣١ ــ ١٨٨٦) شاعر أهل البيت في عصره ، وتولّى بعد ذلك جمع شعر عمه المومأ اليه وطبعه في بمبي بالهند باسم «الدرّ اليتيم والعقد النظيم» (١٨٩٤) .

كانت للسيد عبد المطلب في بادئ أمره زراعة تدرّ عليه رزقاً وفيراً ، لكنها بارت فاضطر على التكسّب بشعره ومدح أرباب الوجاهة والزعامة ورجال العلم . وقصد السيد طالب النقيب في البصرة فاستعمله داعية لزعامته لدى آل فتلة وعشائر الفرات الأوسط .

ونشبت الحرب العظمى فكان السيد عبد المطلب داعية لنصرة العثمانيين بشعره الفصيح والعامي ، وقد زار مضارب العشائر ومواقع القتال يدعو الى شدّ أزر الحكومة التركية وجيشها . وانزوى بعد الاحتلال البريطاني في قرية لآله اسمها بيرمانة قريبة من الحلة ، وتوفي بها في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

وصفه الدكتور محمد مهدي البصير فقال : «كان فصيح اللسان ، حسن الحديث ، غزير الحفظ ، سريع الخاطر ، كثير الانصاف ، يجمع الفكاهة الى الصرامة وشدة الوقيعة الى الدعابة . يحدّثك فيخيّل لك انه يقرأ في كتاب ، وتحاوره في الأدب فيدهشك بكثرة حفظه وسعة اطلاعه ، ويسمعك الشعر المرتجل كأنما أعدّه ونظر فيه . وتسأله عن الناس فلا يبخس لأديب أدباً ولا ينكر لفاضل فضلاً... إلا انه سليط اللسان ، مرّ الهجاء...» .

تناول شعره الفخر والمديح والغزل والرثاء والهجاء وسائر أغراض الشعر القديم .

قال يرثي الشيخ محمد كاظم الخراساني :

قضى ليله شطرين : شطراً محارباً ... وشطراً به بانت تضيء المحارب

فما أبيضّ وجه الصبح إلا وسُوِّدَتْ ... مآتم في فقدانه ومنادب

وأضحت ركاب السير وهي مناخة ، ... وهل ثائر فيه تثار الركائب؟

وقال ايضاً يخاطبه :

نصرت ، وداعي الجور خزيان غاشم ، فما ذلّ مظلوم ولا عزّ ظالم
غداة غشيت المستبد بلطمة على تاجه منها غدا وهو لاطم
فولّى وقد اعطاك للطعن كتفه فما أنت إلا العدل للجور هازم
ولا أصبحت بالقيد ترسف أرجل برتها فأدمتها القيود الأداهم

وقال يفخر بالعرب مخاطباً الايطاليين في حرب طرابلس :

أجهلتم بأننا ، مذ خلقنا ، عرب ليس ينزل الضيم فينا؟
لا ندي الوتر للعدى ان وترنا وعلى الوتر لا نغضّ الجفونا
قد قفونا آباءنا للمعالي ، واليها أبناؤنا تقتفينا
ولنا نبعة من العزّ يأبى عودها ان يلين للغامزينا
نحن قوم إذا الوغى ضرّستنا لم نبدّل بشدّة البأس لينَا

شرح ديوان مهيار الديلمي الذي طبع ببغداد (١٩١٢) ، ونشرت نخبة من شعره في الجزء الثالث من بابليات محمد علي اليعقوبي (١٩٥٥) والجزء الثالث من شعراء الحلة لعلي الخاقاني (١٩٥٢) .

وقال يمدح مصطفى نور الدين الواعظ مفتي الحلّة :

ألا أبلغا فرعاً نمته الى العلى مصابيح رشد من لؤيّ بن غالب
لعمرك ما أخشى النوائب كلها اذا كنت يوماً عدّتي بالنوائب
فما البيض أمضى منك إن نكبة عرت حدوداً وإن كانت رقاق المضارب
فتى هاشم لازلت حصناً لهاشم اذا دهمت احدى الخطوب الصعائب

من لطيف الاتفاق أنه كان لعبد المطلب الحلي العراقي سميّ بين الشعراء المصريين ، وهو الشاعر محمد عبد المطلب (١٨٧٠ ـ ١٩٣١) الذي نعته المؤرخ عبدالرحمن الرافعي بـ «الشاعر البدويّ البليغ والمجاهد الوطني الصميم» . كان محمد عبد المطلب هذا من سلالة قبيلة جهينة العربية ، درس في الأزهر ودار العلوم وتولى التدريس في المدارس الرسمية . وانطلق لسانه يؤيد الثورة المصرية التي اندلع نارها سنة ١٩١٩ شعراً ونثراً . قال الرافعي : «وشعره يجمع بين البلاغة والجزالة وروعة الاسلوب ، وبلغ في مكانته الشعرية منزلة فطاحل الشعراء المتقدمين ،وكانت الروح الوطنية الدفاقة تتجلىّ في معظم أشعاره وقصائده .» وقد قال :

جزى الله مصراً ما جزى أهل نعمة على الناس يعيا دونها العدّ والحصرُ
فكم كشفت من ظلمة عين شمسها فما ثمّ سهل لايضيء ولا وعر
لنا في الورى حقّ المعلم لو رعوا ، لنا ذمّة والدهر شيمته الغدر

خيري الهنداوي

في يوم صافي الأديم من سنة ١٩٤٧ شددت الرحال الى الحلة مع الصديقين عباس العزاوي وعبد الله مظفر آل عبد الجليل لزيارة الشاعر خيري الهنداوي الذي كنت قد سمعت باسمه وتذوّقت شعره فوددت التعرف على شخصه . وكان الشاعر آنذاك رئيساً للتسوية ، فزرناه في مكتبه المطلّ على نهر الفرات وقضينا معه سويعة هنيئة تمتعنا خلالها بحديثه الطليّ وفكاهته العذبة وذكرياته الناصعة المبينة .

كان خيري الهنداوي من شعراء الطبعة الثانية الذين نبغوا في عهد الدستور العثماني وحملوا لواء الشعر في العراق في مطالع عهد الحرية والاستقلال . ولما أسست المملكة العراقية العتيدة في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، كان الشعراء والأدباء لسان الأمة الناطق وعنصر ثقافتها السامق ، تقدموا الى الصفوف الأمامية ونالوا المراكز والمناصب ، فاستوزرمنهم من استوزر ووظف من وظف وناب في المجالس النيابية من ناب . وقد واصلت طائفة منهم أداء رسالتها الأدبية الى جانب العمل الحكومي او الخدمة العامة ، أما الفريق الآخر فتربع على الكراسي الوثيرة وودّع الشعر والنثر ، حتى انطبق عليه قول الشاعر عبد الحسين الأزري :

غنىّ فأطعمه السّقاة وعجّلوا بسباته
كالعود تملأ جوفه فيكفّ عن نغماته !

أما شاعرنا الهنداوي فلم ينقطع عن قرض الشعر ، وكان نصيبه الانخراط في سلك الادارة فأمضى فيه نحواً من ثلاثين سنة .

* * *

ولد السيد خيري الهنداوي لأب عربي علوي وأم تركية مستعربة في سنة ١٨٨٥ بقرية باصيدا من قرى لواء ديالى . وهو خير الدين بن محمد صالح بن عبد القادر بن خضر بن محمد الحسيني ، شغل أبوه وظائف مختلفة وكان مديراً للأملاك السنيّة في العمارة . أما جده عبد القادرفمن أهل محلة باب الشيخ في بغداد وكان وكيلاً للسيد سلمان النقيب في الاوقاف القادرية بقرى بعقوبا ، وقد اشتهر بقول الموال والزهيري ، وكان له مطارحات شعرية مع عبد الغفار الأخرس ، الذي داعبه في بعض قصائده قائلاً

(وقدّوري تصغير اسمه عبد القادر) :

وقـــالوا : انّ قـــدّوري تـردّى ... رداء الـناسـك البـــرّ الـصـــدوق

فـــآونـةً يصلـي في فـــريـق ... وآونـة يـســـبّح فـي فـــريـق

وأخـــبـــرني ثقـــات الـناس عنه ... بـأن لازال في كـــرب وضـــيـق

فكاد الشـــوق يحـــملني اليـــه ... فـيـســتـشـفي مـشـوق من مـشـوق

قضى خيري طفولته في قرية باصيدا . وجاء به أبوه ، وهو في الخامسة من عمره ، الى بغداد فقرأ القرآن وشدا شيئاً من العربية . وانتقل ذووه بعد ذاك الى أنحاء العراق الجنوبي ، فمن العمارة الى قلعة صالح ، ومن باصيدا الى الديوانية ، ومن عفك الى الشنافية ، والفتى خيري يدرس ما وجد الى الدرس سبيلاً ويلازم العلماء والشعراء . وأتيح له أن يدرس على علي علاء الدين الألوسي قاضي الديوانية ومصطفى الواعظ المفتي ، ثم على نعمان الألوسي في جامع مرجان ببغداد .

ولم يكد يبلغ مبلغ الشباب حتى عيّن وكيلاً لشركة عرق السوس في الصويرة سنة ١٩٠٦ وقضى في ذلك العمل عدة سنين . وأخذ يعالج النظم ، حتى إذا ما عاد الى بغداد اتصل بشاعري النهضة الحديثة جميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي ، فأخذ عنهما ونهل من معينهما . واطلع على آثار اليقظة الفكرية في تركية والشام ومصر ، فاتسعت مداركه ونمت ثقافته وتفتحت قريحته الشعرية ، وسلك في عداد شعراء الشباب المبرّزين الذين ملأوا تلك الحقبة بصداحهم ونواحهم .

وألف وقتئذ حزب «الاتحاد والترقي» فأرهف الشاعر قلمه في الدعوة الى مبادئه نظماً ونثراً . ثم اتصل بالسيد طالب النقيب زعيم الحركة الاصلاحية في البصرة ومدحه بقصيدة مطلعها :

الى المجد قدها ، فهي للمجد تنزع ... فـقـد طال مـا ترجـو ومـا تتـوقع

وهزّته حادثة ضياع سلانيك في حرب البلقان ، فقال يخاطبها :

أمّ البـــلاد ، أضـــاعك الأقـــوام ... فـبكى مـرابع مـجـدك الاسـلام

ان البـــلاد إذا تخـــاصم أهلهـــا ... فـــالأبعـــدون بهـــا هم الحكام

نشبت الحرب العظمى وامتدّ أوارها الى ربوع العراق وشطآنه ، فخاض الهنداوي غمارها جندياً وذاق مرارة السجن والتشريد ، ثم لم يجد مناصاً من الفرار والاختباء فى دار بعض أصحابه ببغداد حتى انجلى عنها حكم الأتراك . وقد اضطر قبل ذلك على ممالأة الحكم التركي ، فكتب المقالات لجريدة «صدى الاسلام» التي أصدرتها الحكومة سنة ١٩١٥ . ولم يلبث ان انضوى الى خدمة حكومة الاحتلال في أول ايار ١٩١٧ ،

فعيّن مساعداً مالياً في العزيزية ، ونقل في السنة التالية الى الجربوعيّة فالحلة ، وكان فيها حين نشبت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ .

حدثني المرحوم السيد محمد علي كمال الدين ، قال : كان خيري الهنداوي معاوناً للحاكم السياسي الانكليزي في الحلة . وبلغ الحاكم ذات يوم ان اجتماعاً قد عقد في الجامع الكبير حضره الأشراف والشباب ، فدعا معاونه خيري وأرسله لفضّ الاجتماع . وذهب شاعرنا فوجد الخطباء يتدفقون وطنية وحماسة ، فبدلاً من دعوتهم الى التفرّق ، ارتقى المنبر وشارك الحضور مشاعرهم الملتهبة . وعلى أثر ذلك فصل من وظيفته ونفي مع من نفي من الأحرار الحليين كمحمد الباقر ورؤوف الأمين الى جزيرة هنجام في الخليج العربي (حزيران ١٩٢٠) .

قضى الهنداوي في منفاه تسعة أشهر ، وقال في ذلك :

مرحباً بالخطوب إن هي كانت	سبباً موصلاً الينا الحقوقا
لا أبالي إذا خدمت بلادي	أأسيراً رأيتني أم طليقا
أين هنجام من مرابع أنس	رنّق القوم صفوها ترنيقا

ولم يلبث ان أعيد الى الوظيفة فعيّن مديراً لناحية الجربوعية (نيسان ١٩٢١) فوكيل قائممقام الهندية ، فقائممقام الشامية (أول ايار ١٩٢٢ الى آب ١٩٢٢) . وأعيد تعيينه قائممقاماً لمندلي فالشامية للمرة الثانية (كانون الثاني ١٩٢٤) فدلتاوة (١٦ حزيران ١٩٢٤) فعلي الغربي (١٧ كانون الأول ١٩٢٥) فالمحمودية (١٧ كانون الأول ١٩٢٨) فمندلي (كانون الأول ١٩٢٩) . ونقل معاوناً لمدير الواردات العام (نيسان ١٩٣٠) فمتصرفاً للواء المنتفك (نيسان ١٩٣١) فالكوت (نيسان ١٩٣٢) فمعاون رئيس تسوية حقوق الأراضي (ايلول ١٩٣٤) فرئيس تسوية (تموز ١٩٣٥) .

وقد قضى في أعمال التسوية سنوات أرهقته في خيمته المقامة وسط البراري في حرّ الصيف وبرد الشتاء ، فقال من قصيدة يخاطب بها رشيد عالي الكيلاني وزير الداخلية ووكيل وزير العدلية :

أمل ضاع ، وقد خاب الرجاء	أين منّي الصبر ، قد عزّ العزاء
فعل الشانئ ما شاء ، وقد	كنت أرجو من صديقي ما يشاء
كنت أرجو من صديقي غضبة	ليَ ، منها الودّ يرضى والاخاء
فإذا بي واهماً (كذا) في محنتي	دون ان أعلم ما ذنبي سواء
لو تراني ، وأنا في خيمتي	قابع يثقل جنبيّ العناء
لرأيت الليث قصّوا ظفره	فله من شدّة الغيظ التواء

بحّ منه الصـــوت لا تســمــعــه انمـــا يعلو حـــواليـــه العـــواء
كـلـمـــا رام وثـوبـاً خـــانـه ظُفُـــرٌ قلّم حـــدّيه العـــداء

ثم عين مديراً عاماً للأملاك والأراضي الأميرية (تموز ١٩٣٧) فمدير التسوية العام (أول نيسان ١٩٣٩) حتى ألغيت وظيفته في تموز ١٩٤٠ . وأعيد تعيينه رئيساً للتسوية (آب ١٩٤١) فعمل في رئاسة لجان التسوية في الحلة وكركوك والديوانية وأخيراً في الحلة أيضاً حتى أحيل على التقاعد في شهر كانون الأول ١٩٤٩ .

وتوفي في بغداد في ٢٩ كانون الثاني ١,٩٥٧

شعـره

وصفه رفائيل بطي في الجزء الأول من «الأدب العصري» فقال : «شاعر في شعره أثر البداوة ورقة الحضارة ، ترى الطبيعة بادية على نظمه . يضمّن قصائده على الأكثر وصف نفسه ونزعته الى الحرية والانعتاق...» .

تميّز الهنداوي الشاعر بنزعته الاصلاحية فنعى على الشرق تخلفه وخموله وقال :

أيهـا الشـرق ، هل فـقـدت الشـروقـا فـــأضلّ الأقـــوام فـــيك الطريقـــا؟

وهو يتطلب المعالي لنفسه ولقومه فيضيق ذرعاً بالعوائق التي تثبط الهمم ويقول :

ســئـمـت بـبـغـــداد الـمـقـــام لأنني أرى لي فـيـهـا مـوقـعـاً غـيـر مـوقـعي

ويقول :

أيهـــا العـــين ، إن ذكـــرت بلادي فـــامطري لؤلـؤاً وسـيلي عـقـيـقـا
واسـتـثـيـري ، يا نفس ، أنت زفـيـراً واضـــرمـــيـــه بين الضلوع حـــريقـا

وهذان البيتان من قصيدة اوحاها اليه المنفى في هنجام ، فذكر قول الامام الشافعي :

أمطري لؤلؤاً ، جـبـــال ســرنديب ، وفـــيـــضي ، آبار تكرور ، تبـــرا
انا إن عـــشت لست أعـــدم قـــوتاً وإذا متّ لست أعـــدم قـــبـــرا
همـــتي همـــة الملوك ونفـــسي نفس حـــرّ ترى المـــذلّة كـــفـــرا

وهو سامي النفس ، شديد الإباء ، يقول :

أسلس الدهر من قيـادي ، وقـد كنتُ جـــمـــوحـــاً آبى لدهري انقـــيـــادا
وارتضـيت القـفـار أسكنهـا مـا عـشت داراً وقـــــد تـركـت البـــــلادا
وتـركت الفـرات ، بل كـوثر الخلد ، لأهليـــه وارتشـــفت الثِّـمـــادا

عفت جسري بغدادَ والنهر يجري ... باطّراد والحسن يجري اطّرادا
عفت كلّ النعيم والعيش في تلك ... المغاني طريفه والتلادا
لست بالزاهد المقيم على الزهد ... ولا الحانق المصرّ عنادا
انما الدهر قد قضى ان يحطّ ... الحرّ قدراً ويرفع الأوغادا

ولقد نزع الهنداوي الى الشعر القصصي ، فانظر اليه في قصيدته «فتاة سلانيك» التي يندب فيها ضياع هذه المدينة يصوّر مأساة الفتى «نجيب» وصاحبته «أسماء» :

كم روّعت في ساحتيك لدى الوغى ... خود وكم لفظ الحياة غلام
عاشا زماناً في بلهنية الصّبا ... غرّين لم يزعجهما النمّام
لم يسمعا غير المدافع ضحوة ... فتسارعا فإذا هناك زحام

مضى نجيب الى الحرب فلقي حتفه ، ووقعت فتاته في الأسر ولا «معتصم» يستجيب لاستغاثتها ويلبي نداءها .

لكن آية الهنداوي القصصية انما هي قصيدته «زينب وخالد» او «فتاة بغداد وفتاها» ، نظمها في نيّف ومائتي بيت وروى فيها مأساة الفتاة زينب الجميلة المهذّبة . جمعتها النزهة بالشاب خالد ، فالتقى النظران وتعاطف القلبان وبرّح بهما السّقم والوله . ثم أذن الدهر للمحبّين بهدنة ، فعقد للفتى على محبوبته ، لكنه فوجئ بالجند يسوقونه الى السجن والمنفى قبل ان يحظى باجتماع شمله . وماذا جنت يداه ليصبّ عليه جام النقمة؟

أتعلم ما كانت جناية خالد ... وفيمَ عليه القوم صاحوا وأجلبوا؟
لقد كان صباً بالعراق وأهله ... يثور إذا سيموا الهوان ويشغب
يدافع عن أحسابهم وحقوقهم ... ويطعن في صدر العدوّ ويضرب
إذا كان في حبّ الديار جريرة ... فكل فتى فوق البسيطة مذنب

عاد خالد الى الوطن بعد أعوام فوجد أمه قد ماتت ، ثم زفّت اليه خطيبته وأنجبت له طفلاً . غير انه يعود الى جهاده الوطني فيقاسي النفي والتشريد عوداً على بدء ويموت بعيداً عن وطنه وآله . ولا يرضى الشاعر إلا ان يتمّ المأساة ، فتقضي زينب حزناً ويسقط الطفل في دجلة ، وتنتهي الصورة المفجعة القاتمة في ندب ونواح .

ان قصة «زينب وخالد» نفثة من النفثات التي جاشت في صدر الشباب العراقي الحائر العاثر الجدّ بعد أهوال الحرب العظمى الأولى ، فلا عجب ان فاضت بالحزن والأسى وزخرت بالمآسي والفواجع .

وقد ظل الهنداوي وثيق الصلة بالرصافي ورثاه عند موته جازعاً :

ما أنت في حفرة قبرت بها وحدك ، كلا ، بل أنت والأدب
لقد عصاني الكلام في جزع فرحت أبكيكما وأنتحب

روى عبد العزيز القصاب في «ذكرياته» انه ، حينما كان قائممقاماً لقضاء الصويرة ، أسّس دائرة للبريد فيها ومدّ خط البرق سنة ١٩١١ ، فأرخ ذلك خيري الهنداوي بأبيات مطلعها :

أنشأ خطّ البرق في قطرنا من هو حصن للمعالي حريز

وقد جمع ديوان خيري الهنداوي وطبعه ببغداد الدكتور يوسف عز الدين (١٩٧٣ ـ ٧٤) .

* * *

من شعر خيري الهنداوي

قال من قصيدة في منفاه بجزيرة هنجام :

أيها الشرق ، هل فقدت الشروقا فأضلّ الأقوام فيك الطريقا؟
لا مجالٌ للعين مهما أطالت في دجاك الامعان والتحديقا
ظلمات من فوقها ظلمات طبقت كلّ بقعة تطبيقا
بيّتوا أمرهم بليل وجاؤوك جميعاً يتلو فريق فريقا
شتّتوا الشمل منك وهو جميع وأقاموا مقامه التفريقا
حاولوا لا أبالهم ان يكون الشرق كالعبد مستضاماً رقيقا
فنهضنا كالأسد في أوجه القوم لنجتثّ بغيهم والفسوقا
نمتطي غارب العزائم أحراراً زَكَوْا منبتاً وطابوا عروقا
وخشينا على السلام فلا رمحاً حملنا ولا حساماً ذليقا
شاوروا ظلمهم ومدّوا من البغي يداً أحرزوا بها التوفيقا
قذفونا خلف البحار بأرض عندها يأمن الصّبوح الغبوقا
قيعة في جزيرة لا ترى فيها أنيساً الا الصدى والنعيقا
أيّها الضفدع الكبير ، خلا الجوّ فأكثر كما تشاء النقيقا
مرحباً بالخطوب إن هي كانت سبباً موصلاً الينا الحقوقا
لا أبالي إذا خدمت بلادي أأسيراً رأيتني أم طليقا
وإذا كان باغترابي نجاح لا عدمت التغريب والتشريقا

وهي طويلة .

وقال يرثي ممحمد تقي الشيرازي ، نظمها وهو في منفاه :

صرخ النعيّ مبكّراً بظلام : الله ، مات مجدّد الاسلام
أودى التقيّ محمّد فتعطّلت دور الهدى ومنابر الأحكام
وتكوّرت شمس الهداية وانطوى علم الدراية بعد طول قيام

ومنها :

كم هدّدتك ، أبا الرضا ، بجيوشها فهززت عطفي هازئ بسّام
عرضت عليك جميع أعراض الدُّنى فنفضت كفّك خشية الآثام
نزّهت نفسك ان تمدّ اليهُمُ كفّاً بغير تكافح وخصام
كنّا بذكرك نستخفّ قيودنا في السّجن إن ثقلت على الأقدام
عدنا وكلٌّ ذاهل عن نفسه لم يدرِ في ألم ولا إيلام

محمد باقر الشبيبي

وأخيراً آن للنفس القلقة المضطربة ان تستكين وللجسم النحيل المعذب ان يستريح ، فسكنت نأمة شاعر آخر من رواد النهضة الأدبية الحديثة في العراق .

انجبته النجف موطن القريض واللغة والدين ، فتفتحت شاعريته ونظم ـ كما قال صاحب «ماضي النجف وحاضرها» ـ في المدح والتهنئة والتعزية والرثاء . ثم احتضنته بغداد فصقلت مواهبه ووسعت آفاق فكره وأوحت اليه شعراً رائعاً في الوصف والخيال والسياسة والوطنية .

ولقد عرفته في سني حياته الأخيرة وقد علت به السنّ وهدّ كيانه المرض ، فإذا هو صوت هادئ رقيق ، وعينان حالمتان تستشفان ما وراء المنظور ، وابتسامة كئيبة تحمل كل معاني الألم الصابر ، وجسم ضئيل ينوء بأوصاب الحياة ، فعجبت لحماسة الشباب وجذوة العاطفة التي تنبعث من شعره الوطني الملتهب كيف أخمدتها الأيام الدابرة والداء العياء . لكن روحه بقيت أبداً فتية متوثبة ، فإمّا تحدث بحديث الأدب والوطن تهدج صوته ولمعت باصرتاه واستيقظ ذلك الشاعر الثائر القديم الذي كانت قصائده وخطبه تهزّ وتحمس وتثير .

زرته يوماً قبيل وفاته برفقة الصديق الدكتور مصطفى جواد ، فتحامل نفسه وهو نضو المرض والهزال وجاء يستقبلنا في بهو داره على شاطئ دجلة . وتشعبت أطراف الحديث ، والحديث ذو شجون ، فقال مصطفى جواد ، متكلماً على سجيّته وسلامة طويته : حذار ، حذار من شهر جمادى ، فلقد استقريت وفيات الأعيان وغيره من كتب السير والأخبار وتفحّصت التواريخ والآثار ، فوجدت ان مرضى القلاب يموت اكثرهم في هذا الشهر ، ولعلّ لهلاله سراً في ذلك خفي على الأنام وأكّدته الأحداث الجسام . ورأيت باقراً الشبيبي ، وكان يحمل في جسمه المرهق مجموعة من الأسقام ، ممتقع اللون يكتم اضطرابه وذكرت ان الشهر كان جمادى حقاً ، فتكلفت الابتسام وقلت لمصطفى جواد : لقد ابتدعت نظريّة تقوم على الوهم والخيال ، وليس لجمادى او غيره من الشهور ذلك التأثير الذي تقوله ، والوفيات موزّعة على أيام السنة بالعدل

والقسطاس ! . ثم غيّرنا موضوع الحديث وخرجنا ندعو لصاحب الدار بالعافية والسلامة .

* * *

ولد محمد باقر الشبيبي في النجف سنة ١٨٩١ في أسرة نبغ فيها غير واحد من الشعراء المجيدين : فأبوه الشيخ جواد من شعراء المدرسة القديمة النابهين ، وأخوه الكبير محمد رضا من أساطين الشعر العربيّ الحديث . وشبّ شاعرنا في هذه البيئة الخصبة ، فنهل من علوم اللغة والدين ، وشارك في حلبات الشعر وندوات الأدب . ونشر نتاج قريحته ، وهو يرفل في برود الشباب ، في مجلة «العرفان» الصيداويّة و«المنهل »المقدسية و«المقتبس» الدمشقية و«لغة العرب» البغدادية وغيرها من الصحف والمجلات . وتنقل بين النجف والشطرة وبغداد ، فلما نشبت ثورة النجف خاض غمارها وأصدر جريدة «الفرات» الأسبوعية لتنطق بلسانها (١٥ ايلول ١٩٢٠) . وقد صدر من هذه الجريدة أربعة أعداد وتوقفت ثم صدر عددها الخامس وكان الأخير .

وأنشأ بعد ذلك في النجف جريدة يومية باسم «المبدأ» (آذار ١٩٢٢) . ثم جاء الى بغداد ، فعرفته محافلها الوطنية والأدبية شاعراً وخطيباً ، كما عرفته صحفها السياسية كاتباً يدافع عن استقلال بلده بقلمه ولسانه ويدبّج المقالات العنيفة في مصاولة العسف والطغيان والذبّ عن حقوق الوطن وأبنائه . وانتخب نائباً عن لواء المنتفق في سنة ١٩٢٥ ــ ٢٨ ، وجدّد انتخابه سنة ١٩٣٥ وشباط ١٩٣٧ وكانون الأول ١٩٣٧ الى شباط ١٩٣٩ . وقد اختير نائباً ثانياً لرئيس مجلس النواب في ٨ آب ١٩٣٥ . ورشّح نفسه للنيابة عن بغداد خلفاً لأخيه محمد رضا في شباط ١٩٥٤ فلم يفز في الانتخاب .

وخبر قيود الوظيفة فكان مفتشاً للغة العربية في وزارة المعارف من ٤ كانون الثاني ١٩٣٣ الى آخر تموز ١٩٣٤ .

ثم طلق النيابة والعمل السياسي واعتكف في داره . وأصيب بالربو ، كما أصيب به من قبله الشاعر المصري وليّ الدين يكن ، الذي وصف حاله أبلغ وصف فقال : «إذا دجا الليل تكاثرت مخاوفي فلا يغمض جفناي فرقاً ، لأني لا أغفي اغفاءة إلا وأنتبه صارخاً مذعوراً ، إذ تنقطع أنفاسي ويشتدّ اضطراب قلبي وتبرد يداي ورجلاي ، فأختلج مكاني وأتلوّى تلوّي الأفعى ألقيت في النار . أريد تنفساً استعيد به ما يوشك ان يذهب عنّي من الحياة فلا أجده ، حتى إذا بلّلني العرق وأنهكني التعب عاودتني انفاسي شيئاً فشيئاً وذهبت النوبة على ان تعود بعد ساعة او ساعتين...» .

واشتدّت وطأة المرض على باقر الشبيبي فناء باعبائه سنين طوالاً حتى وافته المنيّة في بغداد في ٧ حزيران ١٩٦٠ . وشيّع جثمانه الى النجف مسقط رأسه ليرقد في وادي

السلام هانئاً مطمئناً بعد جهاد متّصل عنيف وصمت فرضه الداء العضال ثقيل .

* * *

ان في سيرة الشيخ محمد باقر الشبيبي جوانب مشرقة كثيرة . فلقد صدح بالشعر بعد اعلان الدستور العثماني وكان من الشباب الذي رفع لواء التجديد بعد طبقة الزهاوي والرصافي والشبيبي محمد رضا . ولم يجمع شعر محمد باقر في ديوان ، بل بقي متفرقاً في ثنايا الصحف والمجلات . ونشرت نماذج طيّبة منه في الجزء الثاني من كتاب الأدب العصريّ في العراق العربي لرفائيل بطّي (١٩٢٣) والجزء الثاني من شعراء العراق المعاصرين لغازي الكنين (١٩٥٨) .

تفوّق شاعرنا في الشعر السياسي : رأى استقلال بلاده الخديج المبتور في عقد العشرين فتألم وتمرّد ورفع عقيرته بالويل والثبور . ومن أشهر قصائده في هذا الباب قصيدته «تحيّة المستر كراين» ، وشارلس كرين من الساسة الأميركيين الذين كان لهم شأن في العراق وسائر أقطار الشرق الأدنى بعد الحرب العظمى الأولى . زار بغداد في سنة ١٩٢٩ فأقام له الحزب الوطني حفلة تكريم ، وخاطبه معروف الرصافي قائلاً :

يا محبّ الشرق أهلاً ... بك يا مستر كراين

حتى إذا فرغ من الترحيب به ، دعاه الى تفحص حال الشرق ، فهو أسير الغرب أسر مديون لدائن وهو مغبون الحق ، منكر الفضل مغصوب الثروة مغلوب على أمره . أما الحكم في بغداد فوطني الاسم انكليزي الشناشن .

ويطلق باقر الشبيبي صرخة مدوية يبدأها بتحية الضيف ، ثم يقول :

كل البلاد من القيود تحررت ... إلا العراق الحرّ فهو مقيد

ويخاطب عصبة الأمم المندثرة :

يا عصبة الأمم التي قد أوكلت ... أمر العراق الى الذي يستعبد
ما كان عهدك ــ وهو عهد جائر ــ ... إلا لمنفعة الذين تعهدوا
الطائرات تروع شعباً آمناً ... والدارعات تخيفه وتهدد
هتفوا لتحرير الشعوب ولم يكن ... لهتافهم إلا صدى يتردد
وعدوا بأنّا نستقل نظيرهم ، ... أرأيت كيف تراجعوا وتوعدوا؟
وعدوا على الشرق المهيض وشأنهم ... في كل مطلع نهضة ان يعتدوا
جرحوا القلوب ومن مهازل حالنا ... ان الذي جرح القلوب يضمدّ

ومنها :

الرق أبطله التمدن عندكم أمن التمدن أننا نستعبد؟
اما العراق فإنّ في تأريخه شرفاً يضيء كما يضيء الفرقد
ليس السكوت من الخضوع وانما هذا السكوت تجمع وتحشد
قالوا : استقلت في البلاد حكومة فضحكت ان قالوا ولم يتأكدوا
أحكومة والاستشارة ربّها وحكومة فيها المشاور يعبد؟
الحكم حكمهم بغير منازع والأمر مصدره هم والمورد
المستشار هو الذي شرب الطلا ، فعلام يا هذا الوزير تعربد؟
الحلف بين حكومة وحكومة معناه كل منهما هو سيّد
أعلى أساس الرقّ يعقد حلفنا وعلى أساس الانتداب يشيّد؟
هذي يدي للمنقذين أمدّها ان كان ينفع منقذاً هذي اليد

ان هذه القصيدة بحق من عيون الشعر السياسي فلا عجب ان سارت أبياتها مسير الأمثال وترددت عهداً طويلاً على كل شفة ولسان .

وله من قصيدة أخرى يخاطب المندوب السامي البريطاني السر فرنسيس همفريز حين قدم العراق :

هل في حقيبته شيء من الأمل ام المزيجان من سمّ ومن عسل؟
تساءل الناس عن قول يفوه به وقد تمر شهور وهو لم يقل

الى ان يقول :

تنقلت بأمانينا سياستهم تنقل الجسم بين السقم والأجل
فازوا فعادت أمانينا بفوزهم طيفاً وصارت مساعينا الى الفشل
سياسة القوم عند الناس واضحة مطوية في مناحيها على دخل
ما قيمة الحلف منقوضاً يراد به ان يصبح الحكم مقصوراً على رجل
هل حقق الحلف ما كنا نؤمله؟ استغفر الله بل غطّى على الأمل
شلّت يد وقعت عمداً معاهدة صيغت من الظلم واشتقّت من الحيل
صيغت بلندن أطواقاً وأسورة من الحديد وإن كانت من الجمل
قالوا عشيّة خطتها أناملهم هذي هي الخطوة الكبرى الى العمل

وقال :

هذي البلاد وهذا حكمها الذاتي فلا يغرنكمُ لطف العبارات
ليت البلاد التي ثارت مجاهدة قامت على الهيكل البالي بثورات

وباقر الشبيبي ثائر حتى في شعره الاجتماعي، ففي موشحه «آلام الاجتماع» يندب حظ الكون:

يا شــقــاء الكون في أوضــاعــه ... واعــتــلال النوع في المــجــتــمع
أين من يشــفــيــه من أوجــاعــه؟ ... انهــا تعــيي الطبــيب الألمــعي

انه يسأل الانسان: أين أنصاره المصلحون الغيارى، فلقد أزرى بالبشرية خصام الدول وأوردها موارد الهلاك.

وباقر الشبيبي من دعاة الاصلاح والاخلاق الفاضلة، وقصيدته «هي النفس» دعوة الى تهذيب النفس والتخلق بالاخلاق الكريمة:

هي النفس هذبها بمــا تستطيعــه ... فليس ســواها بين جنبــيك من نفس
وصــبِّحْ بهــا الأخــلاق فــهي غنائم ... فــإنك لا تدري أتصــبح أم تمــسي

ولا يفوته في هذا المقام ان يذكر وطنه وحرصه على تقدمه:

ومــا أنست نفــسي بلهــو وإنمــا ... رقــيك يا أرض العــراق به أنسي

وشاعرنا بعد ذلك شاعر وجداني رقيق حسن الوصف واسع الخيال. ففي قصيدته «دواء الربيع» يصف الطبيعة المتحررة من عقال الشقاء ويقول:

نفض الربيع جــمــاله ونضــاره ... وكــســا الأديم المكفــهــرّ بهــاره
وشّى مطارفــه الحــيــا مــتــهللاً ... فــمــه وطرزّ بالـزهور إطاره

ثم يرسم صورة جميلة للطبيعة الضاحكة بنهرها وظلها وغيثها ووردها وشمسها وبدرها، الى ان يقول:

بشــرى الربيع المــســتــقل فــإنه ... قــد فكّ من شــرك الشــتــاء أســاره
حــرّ تبــسم للعــراق بوجــهــه ... كي يســتــفــزّ ببــشــره أحــراره
حــملت عــواصــفــه رســالة ثائر ... للمــعــرقــين فــهــيــجّت ثوّاره

وفي قصيدته «أغرودة مستلذة» صبابة وحنين وشكوى وأنين:

حــمــامــة هذا الغــصن باللّه رجــعي ... فــقــد سكنت نفسي اليك ومــســمــعي
خــذيني الى الدوح الذي تعــتــلينه ... وإلا فــخــيــر العــيش ان تنزلي مــعي
حمامة هذا الدوح، في الدوح مهجتي ... وفي المــشــرف العــالي فؤادي وأضلعي
كــلانا مــحبّ مــســتــهــام مــودع ... حــبــيبــاً فــمــا وجــد المــحب المــودّع
تعلمت منك الشعــر، والشعــر نغــمــة ... تحــــرك أوتار الفــــؤاد المـــقــطع
تعلمـــتـــه أغـــرودة مـــســـتلذة ... تذاب بأنفــاسي وتجــري بأدمــعي

تذكرنا قصيدة باقر الشبيبي في استقبال السير فرنسيس همفريز المندوب السامي البريطاني سنة ١٩٢٩ بقصيدة شاعر النيل محمد حافظ ابراهيم الذي نظمها سنة ١٩٠٧ في استقبال المعتمد البريطاني السير الدون غورست الذي خلف اللورد كرومر الشهير، ذلك الذي حكم مصر باسم بريطانية خمساً وعشرين سنة. قال حافظ:

أذيقونا الرجاء فقد ظمئنا ... بعهد المصلحين الى الورود
ومنّوا بالوجود فقد جهلنا ... بفضل وجودكم معنى الوجود
إذا اعْلَوْلَى الصياح فلا تلمنا، ... فإنّ الناس في جهد جهيد
على قدر الأذى والظلم يعلو ... صياح المشفقين من المزيد
فما جئنا نطاولكم بجاه ... يطولُكُم ولا ركن شديد
ولكنّا نطالبكم بحقّ ... أضرّ بأهله نقضً العهود

وباقر الشبيبي بعد كل ذلك شاعر مشبوب العاطفة، مرهف الحسّ، سريع التأثّر والانفعال. فأين تظهر هذه الصفات إن لم تظهر في مراثيه؟ وأين تظهر إن لم تظهر على الوجه الأخصّ في رثائه لوالديه؟

ان رثاء شاعرنا لأمّه، وقد توفيت وهو يناهز الخمسين من عمره، خير مثال للّوعة الصادقة والحرقة والأسى، وخير مثال للعاطفة الحرّى تجيش في صدر رجل كهل فقد أماً حنوناً يكنّ لها الحبّ والاجلال.

ولقد رثى كثير من الشعراء أمهاتهم اللواتي وهبنهم الحياة، فقلّما ادركوا شأو الشاعر الأمير أبي فراس الحمداني الذي تفجّع على أمه بقصيدة بلغت الغاية في الحزن والأسى. توفيت هذه الأم ملتاعة متلهفة الى ابنها الأسير في بلاد الروم، فماذا يقول الأسير المفجوع في رثائها وهو في سجنه البعيد؟

أيا أمّ الأسير، سقاك غيث، ... بكره منك ما لقي الأسير!
أيا أم الأسير، سقاك غيث، ... الى مَن بالفدا يأتي البشير؟
إذا ابنك سار في برّ وبحر ... فمن يدعو له او يستجير؟
حرام ان يبيت قرير عين ... ولؤم ان يلمّ به السرور
وقد ذقت المنايا والرزايا ... ولا ولد لديك ولا عشير
وغاب حبيب قلبك عن مكان ... ملائكة السماء به حضور

وتوفيت والدة الشاعر احمد شوقي وهو في منفاه بالأندلس. وقد أعلنت الهدنة، فعلّل النفس بالعودة الى الوطن ورؤية أمّه. لكنّ الناعي قضى على أحلامه العذبة، إذ وافاه البرق بخبر موتها، فنظم مرثيته واحتفظ بها، فلم تنشر إلا بعد مماته. قال شوقي:

الى اللّه أشكو من عوادي النّوى سهماً أصاب سويداء الفؤاد وما أحمى

من الهاتكات القلب أوّل وهلة وما دخلت لحماً ولا لامست عظما

توارد والنّاعي فأوجست رنّة كلاماً على سمعي وفي كبدي كَلْما

فما هتفا حتى نَزَا الجنب وأنزوى ، فيا ويح جنبي كم يسيل وكم يَدْمى !

لك الله من مطعونة بقَنا النوى شهيدة حرب لم تقارف لها إثما

مدلهة أزكى من النار زفرة وأنزه من دمع الحيا عبرةً سَحْما

ورثى ابو الطيّب المتنبي جدّته ، وكانت بمثابة الأمّ الرؤوم ، أحبّته وقلقت عليه ، وهو في ديار الغربة ، وبرّح بها الشوق الى مرآه . عاد الى العراق ليحظى برؤيتها فماتت قبل ان يبلغ سؤله . قال في رثائها :

ألا لا أُري الأحداث مدحاً ولا ذمّا فما بطشها جهلاً ولا كَفُّها حلْما

لك اللّه من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير مُلْحقها وَصْما

أحَنّ الى الكأس التي شربت بها وأهوى لمثوّاها الترابَ وما ضمّا

لكنّ المتنبي لا يصبر على الحزن ولا يمضي في اطلاق العنان للعاطفة ، فلا يلبث ان يعود الى نفسه العظيمة فيمّجدها ، لا قابلاً إلا لخالقه حكماً ولا ناشداً غير المكارم والمفاخر .

اما شاعرنا الشبيبي فتوفيّت أمه وهو قائم الى جانب سريرها ، فيرثي ويبكي وينوح :

هذا سريرك ، لكن أين مثواك ، وأين أنت وماذا في مصّلاك؟

مناحة شقّت الأجواء وانطلقت تبكيك لَلملأ الأعلى وتنعاك

ونكبة تركتنا في محافلنا ما بين باكية العينين او باك

أمّاه ، أينك عند الصبح مشرقة يفيض بشراً على الدنيا محيّاك

فلا الصباح صباح عند روعته ولا النسيم نسيم دون ريّاك

ما غاب مرآك عن قلبي وعن بصري ، ملء الفؤاد وملء العين مرآك !

الى ان يقول :

كانت حياتي كالأعياد ضاحكة فعاد ثغر حياتي غير ضحّاك

لست الحزين الذي تؤسي فجيعته ، أنا الحزين الذي هيهات أنساك

أنا فقدنا بك الدنيا مباركة ، للّه أيّة أمّ قد فقدناك !

ما انفكّ ثغرك عَند الموت مبتسماً كأنّما الموت عيد حين وافاك

يا شعلة النور ، والآفاق مظلمة ، من ألهب الحزن في الدنيا وأطفاك؟

ويختم الشاعر قصيدته بهذا الاعتذار الرائع :

من يستطيع جزاء الأمّ ، معذرةً ... أمّاه ، لو كان مقدوراً جزيناكِ

***

وأمّا رثاء الشاعر لأبيه فهو رثاء الشاعر للشاعر ورثاء التلميذ لاستاذه :

يقولون : أبّنْهُ بشعرك إنّه ... يلذّ له من فيك ان ينشد الشعر
سأنشده من مقلتيّ قصيدة ... برغم القوافي انها أدمع حمر
وأسكب أحشائي عليه من الأسى ... نشيداً ، وأحشائي إذا سكبت جمر
دعاني وأسماني فقبّلت ثغره ... وودّع بالايماء وابتسم الثغر
هنالك فاضت روحه في سكينة ... سلام عليها آيةً ، انّها سرّ
رويدكمُ ، يا حامليه ، فإنّه ... بقيّة عهد كلّ أيّامه فخر
طوى الموت من نهج البلاغة صفحة ... بها طوي الابداع والأدب البكر
طواه الردى جيلاً أغرّ وأمّة ، ... وميراث هذا الجيل آثاره الغرّ
تلاقت به كل العصور مدلّة ... ففي قلبه من كل ناحية عصر

ولا يفوته في هذا الموقف المشجي ان يذكر الوطن العربيّ الواسع وأن يتألم لحاله ، فيقول :

غدت هذه الأوطان ، وهي مهيضة ، ... تخبّط يعروها من اليأس ما يعرو
دعوت لها ان تستقلّ بأمرها ... وتصبح لا نهي عليها ولا أمر
وحذّرتها ان تستباح طليقة ... وأن يتولاها ليرهقها الأسر
منى لكَ شاءت ان تنال حقوقها ... دمشق وأن تحظى بآمالها مصر
وكنت إذا مرّت بلبنان هزّة ... هتفت : ليحي الأرز وليسلم الثغر
مواطن يؤذينا تفرّق شملها ... ويزعجنا شطر هنا وهنا شطر
تقرّبنا من بعضنا وتلفّنا ... وشائج من عمر الزمان لها عمر
وما فصلت بين القلوب حواجز ... أقيمت ولم يبدر على فصلها البحر
إذا بذروا البغضاء جاء حصادهم ... هشيماً فما أجدى ولا نفع البذر
وما كان سهلاً ان تسيل دماؤنا ... جداول ينمو بينها الخلق الوعر
بلاد جرت أنهارها وشطوطها ... لجيناً وغطّى سطحها الماس والتّبر
معادن أخفاها وقدّرها الثرى ... فكان لها شأن وكان لها قدر
حبانا بها الوادي ، فكان وفاؤه ... عميماً ، ولكنّ الوفاء له نزر

جرى اليسر دفّاقاً الى غير أهله | وحلّت بأهليه المجاعة والعسر
أفيقي ، بلاد الضاربين بيوتهم | على مفرق الدنيا وقولي : كفى السّكر

حتى يقول :

سلوا دجلة هل في الضفاف خميلة | وهل في شواطيها يرى غُصُن نضر؟
وقولوا لها : أين الزهور ضواحكاً | وأين المروج الفيح والسَّمَر الحرّ؟
وأين القلوب النابضات عواطفاً | إذا اندفعت دفّاقة أورق الصّخر؟

من شعر محمد باقر الشبيبي

بشرى الربيع المستقل فإنّه | قد فكّ من شرك الشتاء أساره
حرّ تبسّم للعراق بوجهه | كي يستفزّ ببشره أحراره
حملت عواصفه رسالة ثائر | للمعرقين فهيّجت ثوّاره
شتّان بينهما ، فذا مستسلم | للحادثات وذاك أدرك ثاره
هيهات ينتفض العراق من الكرى | حتّى يهزّ بسيفه بتّاره
ليت العراق ، وقد تطوّر أهله ، | يقضي ولو تحت الخفا أوطاره
سرّ النجاح إذا أراد نجاحه | ألا يبيح لغيره أسراره

* * *

أوقف محمد باقر الشبيبي مع السيد عبد المهدي في المنتفق في آب ١٩٢٢ بتهمة تدبير المظاهرات ضد السياسة البريطانية ، وأطلق سراحهما بعد أيام قليلة .

وقدّمت المعاهدة العراقية ــ البريطانية لسنة ١٩٢٦ الى مجلس النواب لتصديقها في ١٨ تشرين الثاني من تلك السنة . وقد اشتدت لمناقشة حولها وغادر المعارضون قاعة المجلس احتجاجاً على الاستعجال في المذاكرة . ورمى النائب باقر قبل خروجه نسخة المعاهدة في الفضاء صارخاً : لتسقط الأكثرية الغاشمة ! ثم صاح : صدّقوها ، يا خونة !

وقد عارض زعماء الشيعة ، ومنهم باقر الشبيبي والسيد عبد المهدي ، انشاء الجيش الالزامي في عهد الانتداب . فكتب باقر مقالاً في جريدة «العالم العربي» في ٢ تشرين الأول ١٩٢٧ جاء فيه : «ان الوزارة تهدف الى القاء الصبغة العسكرية على البلاد كما فعل الاتحاديون في تركية . فليس هناك إلا التجنيد الاجباري وإلا صلصلة السيوف وبريق الأوسمة على صدور الضباط . وفي كل يوم دعوة الى حمل السلاح . ومن المألوف

مشاهدة جماعات الفلاحين يسيرون كما تسير القطعان، يتركون ضياعهم ومزارعهم النضرة الى تلك الثكنات الجوفاء. ان هذه السياسة ستجلب الدمار على البلاد، وإنّ من الأفضل ان تتوجّه اهتمامات الحكومة الى المشاريع العمرانية بدلاً من الاهتمام بالجيش».

* * *

كان المحامون في ناديهم يثنون على الشاعر محمد باقر الشبيبي ويكبرون شعره، فقالوا: حسبه انه قال من قصيدته السياسية الشهيرة:

المستشار هو الذي شرب الطّلا، فعلامَ، يا هذا الوزير، تعربد؟

فقال المحامي الظريف علي غالب العزاوي: لا شك في ذلك. وحسب الشبيبي فخراً وفضلاً ان الشاعر الكبير عبد الغفار الأخرس ـ وهو من هو في ميدان البلاغة والأدب ـ قد سرق من الشبيبي هذا المعنى فقال:

هذه أغصانها قد شربت، فعلامَ الطير في الأفنان عربد؟

محمد مهدي البصير

رجلان في إهاب واحد لكل منهما جهاده وسيرته : فالشيخ محمد مهدي البصير ذو العباءة والعمامة شاعر الثورة العراقية الذي ذاق السجن والنفي والاعتقال والذي ردّد الشعب وراءه في سنة ١٩٢٠ :

إن ضـاق ، يا وطني ، عليّ فـضـاك	فلتّـتـسع بين للأمـام خطاك
و : يا علم عش وأعش فـعـصـرك راق	لتـعـيـد شـمس الشـرق للاشـراق
و : وطنـي والحقّ سـينجـده	مـا زلت بحـبّي أعـبـده

والدكتور محمد مهدي البصير ، الناقد الأديب العصريّ المتخرج من الجامعات الفرنسية والاستاذ في جامعة بغداد الذي تخرج عليه آلاف الطلبة ، كل منهما ترك آثاراً وأشعاراً ومصنّفات وكان حقيقاً بتكريم أبناء الوطن وأهل الأدب .

حاول بعض النقاد ان يصفوا البصير بطه حسين العراق وأن يحكموا عليه استاذاً وأديباً من هذه الزاوية ، وفاتهم ان البصير نسيج وحده شابهت ظروف حياته في نواحي معيّنة حياة طه حسين ووقفت المشابهة عند ذلك الحدّ لم تتجاوزه . وقد وصفه رفائيل بطي في «الأدب العصري» ، وهو بعد شاب لم يدرك الثلاثين ، فقال : «شعلة ذكاء وشعلة وطنية حرمته الطبيعة البصر الذي يكلّ ولم تحرمه البصيرة الوقادة التي لا تخبو ولا تكلّ» . وهيّئ له بعد ذلك ان أتم دراسته العصرية العالية في فرنسة وأن عاد الى العراق ، وهو الشاعر الأديب ، ليكون استاذ أجيال متعاقبة من رجال التربية وحملة رسالة التعليم ، فكان كما قال فيه صاحب «الأدب العصري» في سنة ١٩٢٣ وأكثر ممّا قال .

ولد محمد مهدي البصير في الحلة في ٢٤ حزيران ١٨٩٥ ، وهو ابن الشيخ محمد بن عبد الحسين بن شهاب الدين من اسرة تنتمي الى قبيلة كلاب توارث أفرادها خطابة المنبر الحسيني خلفاً عن سلف . وقد أصيب بالجدري ، وهو في الخامسة من عمره ، فكفّ بصره . تلقى العلوم العربية في مسقط رأسه وأفاد من المطالعة كثيراً ، ونظم الشعر صبيّاً فبرع فيه وأجاد . وجاء الى بغداد في ايار ١٩٢٠ ، والثورة العراقية في عنفوانها ، فألقى الخطب والقصائد الحماسية واستنهض الهمم وألهب الشعور الوطني في المناسبات الدينية والاجتماعية . وحرّر في جريدة «الاستقلال» وغيرها ، فحكم عليه

بالسجن تسعة أشهر في شباط سنة ١٩٢١ . وخرج من السجن في تموز من السنة نفسها ليواصل كفاحه الوطني ، فكان ان نفي الى جزيرة هنجام في الخليج العربي (آب ١٩٢٢) . وعاد الى بغداد بعد تسعة شهور .

وانتدب بعد ذلك لتدريس الأدب العربي في المدرسة الثانوية المركزية وجامعة آل البيت (١٩٢٥) . وأرسل في سنة ١٩٣٠ في بعثة دراسية الى مصر وفي السنة التالية الى فرنسة ، فحصل على دبلوم الدراسات الفرنسية من جامعة مونبيلية (١٩٣٢) ونال شهادة الدكتوراه من نفس الجامعة في الأدب الفرنسي (كانون الأول ١٩٣٧) ، وكان موضوع أطروحته «شعر كورناي الغنائي» . ومن الغريب ان الشاعر الفرنسي بيير كورناي (١٦٠٦ ـ ١٦٨٤) مشهور برواياته التمثيلية الحماسية التي تصف الانسان كما يجب ان يكون لا كما هو في واقع الحال ، وقد استطاع شاعرنا البصير ان يدلّل ان الشاعر الفرنسي العظيم يخفي ، تحت ثوب الحماسة الرفيعة ، نفساً بشرية لها عواطف الانسان الاعتيادي وأحاسيسه الوجدانية .

عاد البصير الى بغداد في شباط ١٩٣٨ وعيّن في نيسان من السنة نفسها استاذاً في دار المعلمين العالية . واستمرّ بأعباء التدريس في هذه الدار التي أصبحت تعرف بكلية التربية اكثر من عشرين عاماً حتى أحيل على التقاعد في تموز ١٩٥٩ .

مؤلفاته

الشذرات (مجموعة شعرية صغيرة ، ١٩٢٢) ، المختصر (مجموعة صغيرة من الشعر والنثر ، ١٩٢٢) ، النفثات (١٩٢٥) ، دولة الدخلاء (١٩٢٥) ، تأريخ القضية العراقية (جزآن ، ١٩٢٣ ــ ٢٤) ، بعث الشعر الجاهلي (١٩٣٩) ، نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر (١٩٤٦) ، الموشح في الأندلس وفي المشرق (١٩٤٨) ، في الأدب العبّاسي (١٩٤٩) ، خطرات (الجزء الأول ، ١٩٥٣) ، البركان (ديوان شعر ، ١٩٥٩) ، سوانح (الجزء الأول ، ١٩٦٧) ، الخ . وله عدا ذلك كثير من الأشعار والدراسات الأدبية المخطوطة . وقد نقل عن الفرنسية كتاب «أميل» لروسو و«جريمة سلفستر بونار» لاناتول فرانس ، ولا يزالان مخطوطين .

شعره وأدبه

البصير شاعر مطبوع وأديب واسع الأفق وناقد صائب الأحكام ، أرّخ للقضية العراقية التي جاهد في سبيلها وذاق لأجلها مرارة النفي والاعتقال . ثم أرخ للأدب العربي والعراقي وعرّف بنخبة من الشعراء والأدباء المجهولين ، وإن كان يؤخذ عليه ، وهو

النقادة الذوّاقة ، ان يخلع الألقاب جزافاً على شعراء عصر الانحطاط فيحيّي فيهم خلفاء أبي تمام وأبي نواس وابن الفارض وأبي العتاهية .

اما البصير الشاعر فقد قال الشعر التقليدي ، كالمدائح والمراثي والتهانئ والاخوانيات ، وهو شاب في الحلة الفيحاء المعروفة بمجالسها وأجوائها الأدبية . واتصل بتيّار النهضة والاصلاح في صدر شبابه فقال :

الحرّ من لا يستكين لقاهر ... فانهض بشعبك يا فتى قحطان
وادرأ بموتك عن بلادك موتها ... ما للبلاد سواك من قربان

وصكّت مسامعه أنباء الحرب العظمى الأولى ، فوصف الحرب وصفاً رائعاً فقال (والخطاب للأرض) :

وليلة في جبين النجم قد رسمت ... أمراً يسجّله فيها لك القدر
أصلتْك في المأزق الغربيّ نار وغىً ... عنها تطاير في آفاقك الشرر
حيثَ المدافع إن صبّت قذائفها ... ظلّت بأحشائك الألغام تنفجر
صفّت على طول خط الجيش وانفلقت ... معاً فكاد السّما اذ ذاك ينفطر
تمدّ ألسنة من نارها اندلعت ... فينطوي الليل عنها حين تنتشر
لم تنتظم كبد الجوزاء ساطعة ... حتى انبرت فوقك الأشلاء تنتثر
تكدّست بك حتى كوّنت جبلاً ... يغشاك للدم سيل عنه منحدر
وكم كهذَي لك الأيام مضمرة ... فلننتظر ما ستأتينا به الغيرُ

كان شعر البصير قد اشتهر وسار على الألسنة حين قدم بغداد وألقى قصائده الوطنية في إبّان ثورة سنة ١٩٢٠ وما بعدها . لقد نفذت هذه القصائد الى القلوب ولقيت صدى طيباً في نفوس الجماهير لبساطتها وسلاستها وخلوّها من الإبهام والتعقيد ، فهي تخاطب أصفى الغرائز البشرية وأنبلها بكلمات مؤثرة وموسيقى عذبة تحمّس وتهدهد في آن واحد . فهذه قصيدته «لبيّك ايها الوطن» تعبّر عن شعور الانسان البدائي نحو التربة التي أنبتته ، يضحي بنفسه في سبيل حياتها ويندّد بالسياسة التي كبّلتها وأرهقتها ويرجو لها الحرية والاستقلال :

إن ضاق يا وطني عليّ فضاكا ... فلتتسع بي للأمام خطاكا
بك همت او بالموت دونك في الوغى ... روحي فداك متى أكون فداكا
هب لي بربّك موتة تختارها ... يا موطني ، او لست من أبناكا؟
ان يندمج جسدي بتربك بالياً ... فلتقترن ذكراي في ذكراكا
او يقتضب نفسي فما لي منّة ... أو لم يمنّ به عليّ هواكا؟

اوجـدت في نفـسي عليك فـإنمـا		هي كل مـا عندي وبعض جـداكـا
كـم أورثتك يد السـيـاسـة علة		فـاشـرب دمي وأظن فـيـه شـفـاكـا

وتلك قصيدته «يا علم» تطلب العلم والمعرفة والنهوض لبلد ساد عليه الجهل قروناً طويلة واخنى عليه الخمول بكلكله :

يا علم عش وأعش فـعـصـرك راق		لتـعـيـد شـمس الشـرق للإشـراق
أرسلت نورك في الفـضـا متـدفـقـاً		فـمـلأت فـيـه مطالع الآفـاق
فـمـثـقّف الآراء أنت إذا شكت		أوَداً وأنت مـهـذّب الأخـلاق
إن عـدت غـربيّـاً فـعلّك ذاكـر		أيـام دور مـرّ منك عـراقي
نظروا اليك ، وقـد قـصـدت ديارهم ،		ورحلـت عنّا مـؤذنـاً بفـراق

ولا يفوت شاعرنا ، وهو يناجي العلم ويحمد آلاءه ، أن يتحمّس ويثور ويجهر بشعوره القومي فيقول :

أنا ، يا رفـاقي ، لا أريد سـلامـتي		فـتـذكـروني إن هلكت رفـاقي
إن لـم تعش نفـسي العـزيزة حـرّة		فـلأسـعـيّن بهـا الى الازهاق
لاجـاهرنّ بمـا تكنّ ضـمـائري		ولـيكـثـرنّ وسـائل الارهـاق
وغلى الدم العـربيّ فيّ فـواجـبي		تضـمـيخ مـجـدي بالدم المـهـراق
غـضـبت لي الأجـداد في أجـداثهـا		لمـا شـربت الهـون مـرّ مـذاق
فـحلفتُ إمـا العـزّ او غـصص الرّدى		أولا فـمـا أنا طيّب الأعـراق !

والعلم عزيز على البصير يردّد أمره ويشيد بذكره في كل آن فيقول :

يـا مطلـع الأزهريـن : العـلـم والأدب		ردّي الينا رقيّ الشـرق والعـرب
مـا أنت إلا سـمـاء أطلعت شـهـبـاً		وهل لديك سوى الأفكار من شُهُب؟
مـا أنت واللّه إلا قطب نهـضـتنا		(وهل تدور الرّحى إلا على القطب؟)
نحن الظمـاء وحوض العلم مـشـرعنا		فلينهل الشعب من سلسـالك العـذب

ويقول في قصيدته «غيرة النعمان» :

يا علـم ، أنـت مـحـرّر الأوطان		فـانشـر لواك لنا على الشـبّـان
وأقم بهم أوَدَ البـلاد ليـصلحـوا		مـا أفـسـدته طوارئ الحـدثان
أثر الحـمـيّـة فـهي ملء صـدورهم		ودع الحـفـاظ يهـزّ كلّ جنان

ثم يذكر قدوم الوفود على كسرى تتناظر وتتساجل ويطري كل منها مآثر قومه وآله :

فـالصـين في آلاتهـا والهند في		آرائـهـا والـروم فـي الأديـان

وما كان من النعمان إلا ان ينبري ليشيد بمجد العرب :

قال : المآثر والمفاخر كلها ... للعرب موهبة بكل زمان
فهمُ الأُلى ألفوا السماحة والقرى ... وتسابقوا في كل يوم طعان
تنهلّ أنملهم بأمواه الجدى ... طوراً وتخضب بالنجيع القاني
جمعوا الصباحة والعفاف الى الحيا ... بمخائل الفتيات والفتيان
ورست حلومهمُ فهنّ رواجح ... إن خفّ يوماً جانبا ثهلان
ومن السجايا البيض عندهم الوفا ... فاطلبه في خبر لهم وعيان
أما الذكاء فإنّ في قرع العصا ... ما لا يردّ عليه من برهان
وتنافسوا بالشعر وهو مهذّب ... شفع الحنين رقيقه بحنان
ضربوا به الأمثال وهي بديعة ... ليلذّ فيه الحدو للركبان
يعتادهم كبر الملوك وإنهم ... خدم ببيت المجد للضيفان
ركبوا متون الخيل وهي حصونهم ... متفيّئين أسنّة المرّان
بادين لا يتحضّرون لأنهم ... يأبون دار الذّل والاذعان
تمّ النّهى في العرب حتى انني ... لم أدر اين مواضع النقصان
أنا لا أقدّ سهم لأني حاكم ... فيهم وأن رجالهم أعواني
لكنني أجد الفضيلة كلها ... فيهم فتنصرها يدي ولساني

وآمن البصير بوحدة العرب فقال :

ليس العراق سوى بيت أقيم به ... وانما أسرتي أبناؤها العرب
وما بنو الضاد في كلّ البلاد سوى ... سراة أبناء عمّي حين أنتسب

ومن قصائد البصير الوطنية الحلوة معارضته لـ «ليل الصبّ» وقد أخرجها من الغزل الى الحماسة إذ يقول :

وطني والحق سينجده ... ما زلت بحبّي أعبده
سيصوغ العدل لدولته ... تاجاً واللّه سيعقده
ليهزّ الرمح مثقّفه ... وليدمي السيف مجرّده
ولنطوي الجهل وندفنه ... وليحيى العلم مخلّده
ولنرفع راية نهضتنا ... فنذود الجهل ونطرده
سنثير الشعب وننقذه ... ونقيم الكون ونقعده
سنعيد الشرق لسلطته ... وبحدّ السيف نحدّده
أشقته سياسة مضطهد ... ستقلّص عنه فنسعده

ستنير شموس معارفه والسعد سيزهر فرقده
ستدرّ منابع ثروته والعيش سيعذب مورده
سنقيم صروح سياسته ودعام العدل نوطّده
ونبثّ النور وننشره ونراعي الحقّ ونعضده
وظلام الجهل نمزّقه وشباب الحكمة نرصده

ان هذه الأهزوجة الخفيفة التي كثيراً ما تتعثر بها الكلمات لتجمع في سلسالها العذب كل أماني الأمة الناشئة من طموح الى الحرية والسيادة ورغبة في العدل والعلم والنهوض والعيش الكريم ، فلا غرو ان لحنت وأنشدت وانطلقت بها حناجر الطلاب وأبناء الشعب على حدّ سواء!

وإذا جاز لنا تشبيه شعر البصير الوطني في هذا العهد ، والقياس مع الفارق في الزمان والمكان ، فإننا نشبهّه بأناشيد الشاعر الشعبي الفرنسي بيرانجيه (١٧٨٠ ــ ١٨٥٧) الذي علت له شهرة ونالت أشعاره الملحنة والمغناة صيتاً بعيداً بعد عودة الملكية الى فرنسة سنة ١٨١٥ . لكن أناشيد بيرانجيه كانت تنظر الى الوراء ، فتثير في الشعب الفرنسي حنيناً الى مجده الماضي في عهد نابوليون ، واعتزازاً بلوائه الامبراطوري الذي رفرف أعواماً في سماء أوربة ، وحبّاً لخلائقه الشعبية اللطيفة الموروثة عن الآباء والأجداد واللاصقة بتربة الوطن العزيزة . اما قصائد البصير فتنظر الى المستقبل ، مستقبل شعب أبيّ متحفز الى النهوض ، متطلع الى استعادة مجده السالف ، متعطش الى الحرية والرفاهية والعلم والعرفان .

لقد استطاع البصير ان يتقمّص أمداً قصيراً روح الشعب العراقي الثائر في أعقاب الحرب العظمى فيكون لسانه الناطق وجنانه الخافق ، فهل عجب بعد ذلك ان تكون قصائده جزءاً من تأريخ العراق وثورته في ذلك العهد؟

وللبصير بعد ذلك شعر رائق في المواضيع الاجتماعية والوجدانية والوصفية والغزلية ، منه قصيدته «نجوى الشمس» :

لك يا شمسُ دولة في الفضاء يصل الأرض حكمها بالسماء

نشرت هذه القصيدة في الجزء الثاني من «الأدب العصري في العراق العربي» سنة ١٩٢٣ ، ثم أعاد النظر فيها وحذف الجزء الأول منها الذي حوى مزاعم علمية الصبغة وعوّض عنه بوصف يوم من أيام الربيع الصاحية الصافية ، ونشر القصيدة مصححة في ديوانه «البركان» . قال في مطلعها :

لك يا شمسُ مشهد في الفضاء يصل الأرض بهجة بالسماء

بدّد السحب من جبينك نور زاد في حسنه صفاء الهواء
حبّذا انت بعد يوم مطير ما ألذّ الوصال بعد جفاء
قد احسَّ الوجود نورك احساس مريض هبوب ريح الشفاء
وسرت فيه نشوة بعثتها شعلة من جبينك الوُضّاء
فاستميلي ملتفّة الأيّك ريّاً من شآبيب ديمة وطفاء
وهبي للربيع ثوب بهار أحسنت نسجه يد الأنواء
وعلى الكون فاخلعي بسمة الصّحو فقد ملّ من عبوس الشتاء
وذريه يموج عطراً ونوراً مونق الروض مشرق الأجواء
ودعي هذه الجداول تروي سحرها عن سمائك الزرقاء
علّمي الزهر كيف يضحك في الحقل ورّوي الشحرور فنّ الغناء
ألهميه واستنشديه أغان لك فيها براعة الانشاء
واملأي هذه الحياة جمالاً واستثيري قرائح الشعراء
وامنحي السحر مقلة النرجس الغضّ وطرف المليحة الحسناء
وابعثي في العقول كل نشاط واصقلي يا ذُكاء كلّ ذكاء
واسكبي في القلوب كل حنان واطبعي في النفوس كل صفاء

ومن شعره في الفرات :

يا حبّذا نهر الفرات وحبّذا ماء به عذب الموارد صافي
والنخل باسقة كأنّ ظلالها ثوب عليه من السكينة ضافي
والطير دائمة الغناء كأنها كلفت بسحر مناظر الأرياف
والنهر في حلم كأنّ خريره نفس يردّده وليد غاف
خلع الأصيل عليه اجمل صبغة فكأنما وشّاه نضح سُلاف

ويقول في الحلة مسقط رأسه :

سلّم على فيحاء بابل ، انها فيّاحة الأرجاء والأكناف
تستنشق الأرواح عرف نسيمها قبل انتشاق شذاه بالآناف
فلكم نعمت بها وقد نشر الحيا وشي الربيع مفوّف الأطراف
بالجوّ أزهر والرّبى مخضلّة وشذا الحقول يضوع للمستاف
والروض مصقول الأديم ، وانّما صقلته كفّ العارض الوكاف
تتضاحك الأزهار فيه كأنها شمتت بدمع غمامه الذرّاف

والدكتور البصير قد تفرّغ للشعر والأدب فلا أحبّ اليه من كتبه التي عاشرها معاشرة الأصحاب ، حتى ليقول :

خذوا شمّ القصور مزخرفات ... رحاب الظلّ تزدهر ازدهارا
خذوا خضر الموائد شائقاتٍ ... تلذّ لكم شراباً او قمارا
خذوا هذا فما أنا فيه صبّ ... يحنّ اليه سرّاً او جهارا
صحبتكم فلم أحمد سجايا ... أحطت بهنّ درساً واختبارا
لذاك هجرتكم وصحبت كتبي ... فلذّت صحبةً وحلت مزارا

دعي محمد مهدي البصير الى عقد ندوات أدبية في تلفزيون بغداد ، فشرع منذ كانون الأول ١٩٧٣ يتحدث عن الشعر الجاهلي والشعراء الجاهليين . والحقيقة انه لم يأت في أحاديثه بشيء جديد ، بل اكتفى بسرد المعلومات وانشاد الأشعار التي روتها كتب الأدب القديمة . وقد قلت لأحد اصدقائنا المشتركين ـ وهو سامي خوندة : ان هذه الأحاديث لا تتناسب مع مكانة الدكتور البصير الأدبية وعلمه الغزير . وهو قد نال شهادة الدكتوراه بأطروحته عن شعر كورناي الغنائي ، فلو تحدّث عن هذا الشاعر الفرنسي وغيره ونقل طرفاً من شعرهم لأمتع وأفاد .

وقد نقل له الصديق هذا الكلام ، فقال معتذراً : انني بعيد العهد بالأدب الفرنسي ولا يتيّسر لي الكلام عليه الآن .

وقد توفي محمد مهدي البصير في بغداد في ١٩ تشرين الأول ١٩٧٤ .

لازم البصير في شبابه آل القزويني في الحلة وأخذ عنهم وحضر مجالسهم وتخرّج على فضلائهم في الشعر والأدب .

وقد أخبرني عبد العزيز المظفر ان البصير كان يزور السيد طالب النقيب في ديوان وزارة الداخلية سنة ١٩٢٠ ـ ٢١ يرافقه الشابّ محمد مهدي الجواهري . وكان الجواهري يجلس على الدكّة المقابلة لغرفة وزير الداخلية وينتظر خروج البصير من مقابلة الوزير .

قال البصير :

قالوا : سجنت لرأي كنت تعلنه ... فاكتم ، وحسبك ما عانيت من غصص
فقلت : هيهات ، سجني لا يغيّرني ، ... إنّ الهزار ليشدو وهو في القفص

وقد اصدرت وزارة الاعلام «المجموعة الشعرية الكاملة» له سنة ١٩٧٧ .

عبد الرحمن البنّاء

شاعر عصاميّ تعلم اللغة العربية وقرض الشعر بين ضرب المطارق ومزج اللّبن ورصف الحجارة ، وسمت به همّته الى مطارحة الشعراء ومعالجة الكتابة والصحافة . ولما أعلنت الثورة العراقية ، سار شعره المحفّز للهمم ، المنادي بالحرية والكرامة ، على كلّ لسان ، وردّد التلاميذ أناشيده الوطنية ، حتى عرف بـ «الشاعر الاستقلالي» .

وهو عبد الرحمن بن الحاج بَطّي البنّاء ، ولد ببغداد سنة ١٨٨٢ ، ونشأ عاملاً في البناء . وتعلم القراءة والكتابة ، ودرس في المدرسة الرشدية وحضر جانباً من دروس محمود شكري الآلوسي وأخذ عنه علم العروض . وظلّ يعمل في صنعة البناء أعواماً طويلة حتى غدا من المعمارين المعروفين ، وكان معماراً لبلدية بغداد على العهد العثماني ومعمار أوقاف البصرة في العهد الوطني . واشتهر بروحه الثائرة منذ صدر شبابه ، فانتمى الى النادي العلمي عند تأسيسه سنة ١٩١٣ . واتصل برجال العرب كالسيد طالب النقيب ونظم أماديحه فيهم . واضطر خلال الحرب العامة على ممالأة السلطة التركية ، فدبّج المقالات لجريدة «صدى الاسلام» التي أصدرها الجيش سنة ١٩١٥ .

نظم شعره الوطني إبّان الثورة العراقية وتأسيس الدولة ، وتعرّض للسجن والاعتقال . ثم أصدر جريدة «الأخلاق» (٢٤ كانون الأول ١٩٢٦) فجريدة «النور» (٢٣ حزيران ١٩٢٩) ، وبعد ذلك جريدة «بغداد» (٢٠ تموز ١٩٣١) ، وقد استمرت على الصدور عدّة سنين .

وتوفي البناء ببغداد في ٢٦ حزيران ١,٩٥٥

شعره

طبع الجزء الأول من ديوان البناء سنة ١٩١٣ ، ثم صدر الجزء الثاني بعنوان «ذكرى استقلال العراق» (١٩٢٧) .

وشعر البناء سلس العبارة ، جليّ المعاني ، تشمل أغراضه الوطنيات والاجتماعيات والمدح والرثاء . قال في الباب الوسطاني من سور بغداد :

وقـفت فـينا وقـفـة الأرْوع   فكنت مـثل الواعظ المـصـقـع

وقـفت وسط السـور مـسـتـفـسـراً ... عـن أمّـــــة راحـت ولـم تـرجـع
وقـــفـت تـدعــو أمّـــة ضـيّـعـت ... أحكامـــهـــا في ملكهـــا الأوسع
تدعـو ولا تسـمع غـيـر الصـدى ... وللصـــدى رجع لـدى المـســـمع
يـا أيّهـــا الحـــارس فـي بابـه ... هجـــعـت والأيام لـم تـهـــجـع
فـــوقك أرواح عـــصـــور خلت ... كـــديمـــة وطفـــاء لـم تـقـلـع
فـأيّ قلب قــد حــوى مـا حـوى ... قـلـبـك مـن خـطـب ولـم يـهـلـع
وأيّ عـــين قـــد رأت مـــا رأت ... عـــينك من عـــسف ولـم تدمع
غـــداً ترى عـــيناك من بعـــدنا ... جـيـــلاً إذا خـــوطب لـم يســـمع
كـم دولـة مـن بعـــــدهـا دولـة ... قـــد فـــجـعـت فـيك ولـم تفـجـع

وله رثاء كثير في رجال عصره ، منها رثاؤه لرشيد باشا الزهاوي المتوفى سنة ١٩١١ ، ومطلعه :

صبراً جميلاً فالزمان يجور ... والعـــمـــر فـــان والحـيـــاة غـــرور

وتوفي معروف الرصافي سنة ١٩٤٥ فأحسّ البنّاء كأن عضواً من أعضائه وجزءاً من روحه قد ماتا معه ودفنا في ضريحه ، فقال يرثيه :

الى المـــلأ الأعلى ، الى النور حَلّق ... فـعـمّا قـريب في السّماوات نلتقي
ومن قــفص الدنيـــا نفــرّ الى العلىَ ... حَـمَـامَ فــلاة عــاش غــيــر مطوّق
أبينا قــيــود الذّل مــهـــمــا تنوّعت ... ولو أنهــا صــيــغت من الذهب النقي
وعـفنا دياراً عـشّش الضيم فـوقـهـا ... وإنا بـجـــوّ واسع غـــيـــر ضـــيق
ترفّ جناحـــانا على رفـرف الحـمى ... ونســـبح في بحـــر من الأفق أزرق
كــأسراب طيـر شـبـهـه بين راقص ... لنا بجناحـــيــــه وبين مـــصـــفّق
تولى الذي عـشناه كـالبـحـر بعـدما ... عــبـرناه ، والآمـــال كـــانت كـــزورق
ودنيــــاً قطعـناها كـلذّة حــــالم ... ونشــوة مـــخـــمـــور براح مـــعـــتّق
تحـقق مـا قــد كـان غـيـر مـحـقّقٍ ... لديّ ومن ذا كـنت أخــشى وأتّقي
فكـن واثقـــــاً بي أنني بك لاحق ... وإن كنت منذ البـدء أجلى مـسـّبق
فـــلا ذلك العـــهـــد الوثيق بمنتـه ... ولا ذلك الودّ القـــديم بمُــخْلَق
فسوف يفيق الفجر من غفوة الكرىً ... ويشـرق تاج الصبح من فـوق مَفْـرق
وتتـحّـد الأجســام في عــالم البلى ... وتجــتــمع الأرواح بعـد التـفـرّق

وهكذا رثى الشاعر البناء نفسه قبل ان يموت .

ذاق البناء مرارة العيش وشظفه فقال :

ومــا أنا إلا كـالغـريق بلجّـة — أنادي ، ولكن مـا هناك سـميع
أعلّل نفسي بالأمـاني ضـلالةً — وفي النفس منّي للبـقـاء نزوع
وأعلم أنّي للمنيّـة سـالك — طريقـاً ، على ان الطريق خـدوع
تنازعني الأهواء في كلّ غـاية — فـأعصى لهـا أمـر الهوى وأطيع
أقـول : غداً عيشي يطيب مذاقه — فيصبح مـراً والرجاء يضيع
كـأني على مجرى من النهر صخرة — بهـا من تصاريف المياه صـدوع
تمـرّ عليَّ الجـاريات كـأنهـا — ليـالٍ ، ومـا للجـاريات رجـوع

وعلّل النفس بالآمال فقال :

أنا ذات يوم كنت أمشي في الربّى — من ظل أشجـار الى أشجـار
مـا لي أنيس غيـر همّي والأسى — ولهـيب أشجـاني ودمعي الجاري
أمشي فـويق الثلج من حـرّ الجـوى — فـيـزيد طبع الثلج حـرّ أُواري
ضـدّان بينهـمـا وقـعت بحيـرة — حـارت بهـا وبوقـعـهـا أطواري
لا هذه تخـبـو فـتطفئ غلّتي — كـلا ولا هـذا يبـرّد ناري
بينا أذيب من الثلوج جمـودها — فـتسيل فـوق الأرض كـالأنهـار
لاحت لعـيني زهرة متـروكـة — في الأرض تحت الثلج والأمطار
هي زهرة عند اللّقـا أهديتـهـا — لك ، ثـامـن الأيـام مـن آذار
كـانت تغطّيـهـا الثلوج بضـغطها — فـتظلّ خـاضـعـة الى الأوقـار
فـتنوء بالأثقـال غـيـر قـديرة — وتبـيت صـابرة على الأقـدار
حـتى ذوت بل كـاد يذهب طيـبـهـا — مـمـا عـراها من أذى الإعـصـار
وقـد انتـهـزت الأمـر في اظهـارها — من حـيث كنت لهـا من الأنصـار
وبذلت مـجـهـودي على انقـاذها — ونشلتـهـا من هوّة الأكـدار
ونجـحت كلّ النُّجْح بعـد مـشقّـة — عـانيـتـهـا بتـجـسّم الأخطار

ثم يقول :

تبـقى المعـادن في الثـرى مطمـورةً — إن لم تبـاشـرها يد الحـفّـار
والدرّ في أصـدافـهـا مكنونة — مـا إن تبـاع بقـيـمـة الأحـجـار
ولكلّ شيء في الوجـود مـحـرّك — لا تنفع اليـمنى بغـيـر يسـار
يبني البخـار من الحديد شـوامخـاً — في البحـر تجري والبحـور جواري

وكذا الحديد على الثرى كترابها ... لولا البخار لما سرى بقطار
إني أرى عكس الذي أنا قائل ، ... والنار لم تسعر بغير شرار
ما لي أرى الحرّ الأديب كأنه ... في داره رجل غريب الدار؟
في النفس منه تضاءلت أمنيّة ... كتضاؤل الأحرار في الأطمار
تمضي حياتهم بلا نَيْلٍ ، وهم ... يتقلّبون على شفير هار
يا أيها الأحرار ، في طلبٍ المنى ... لم تعضد الجلّى سوى الأحرار
أفعالكم غرر بجبهة دهركم ... والحظّ منكم أسود كالقار

وقال البنّاء يخاطب الجناة الآثمين :

يا أيّها الجاني على نفسه ... جناية أدّت الى حبسه
قضى بأيديه على نسله ... كما قضى فيها على عرسه
حرمت حرّية ريح الصّبا ... وبعت غالي العمر في بخسه
الناس أحرار باحساسهم ... وأنت مضغوط على حسّه
بليت بالسجن ، فكن قائماً ... في رشّه طوراً وفي كنسه
الحبس رجس بين أهل النُّهى ... هيهات أن تظهر من رجسه
اليأس قد أوهن منك القوى ... وقلبك استغرق في يأسه
قرنت فيه بجناة الأذى ، ... والجنس مقرون الى جنسه
أما افتكرت قبل ذنب جرى ، ... والنّبض قد يعرف من جسّه
فابك على العمر الذي قد مضى ، ... فقد حرمت الأنس من أنسه
كنتَ أبا التصّريح في قوله ... واليوم لم تقدر على همسه
وكنت ما بين جمال الورى ... من بدره أبهى ومن شمسه
فمسّك الجهل بويلاته ... حتى قسا قلبك من مسّه

وقال في رثاء الشاعر عبدالمحسن الكاظمي :

نم ولا تجعل لشيء من حساب ... كل شيء يتساوى في التراب
نم ودع عنك منى النفس ، فما ... هذه الدنيا سوى لمع سراب
نم بجوف الأرض نوماً هادئاً ... وأرح نفسك من قول الصواب
نم قرير العين في ظلّ البلى ، ... نم خليّ البال من كدح وداب
نم وقلّل من نبوغ حزته ... وارضَ عن كتبك في أمّ الكتاب...
يا عراقيّاً جفاه ربعه ... ورأى أصحابه غير صحاب
ترك الصحب وولّى وجهه ... شطر مصر وهو في شرخ الشباب

فقضى جيلاً بها محترماً
كان حرّ القول حرّ الاكتساب

حرصت مصر على آدابه
إذ رأت آدابه فصل الخطاب

صرت في «نيل» هداها ترتمي
كارتماء النور في وجه العباب

شاعراً من أيّ واد ممرع
جئت بالأطياب او أيّ هضاب

عبقرياً لا يجارىً شعره الـ
ـعذب مذ جاء بألفاظ عذاب

تتبارى وفحول الشعر في
حلبة السّبق فتأتي بالعجاب

ثم يعزّي ابنته رباب فيقول :

يا ابنة الشيخ الذي آثاره
خلّدت ذكراك في كلّ كتاب

نحن في بغداد ذبنا حرقة
لممات الوالدَ القَرْم المهاب

لو يردّ الموت شيء عن فتى
لرددناه بأطراف الحراب

أيّ رزء فتّ في قلبك إذ
عضّك البين من القلب بناب

فعزاءً لك في خير أبٍ
خالد الذكر الى يوم الحساب

وقال في رثاء انستاس ماري الكرملي :

أمنيّة النادي وبنت الضاد
طلعت على الدنيا بثوب حداد

طلعت وفي وجناتها دمع الأسى
والحزن كحّل طرفها بسهاد

طلعت على الأدباء تندب حظّها
وتقول : مال عمادكم وعمادي

أين الوفاء المحض والأدب الذي
غبطت به الدنيا حمى بغداد؟

أين العلوم وأين كوكب سعدها
وضياء بدر سمائها الوقّاد؟

أين «الأب» المقدام والأسد الذي
كنّا نصول به على الآساد؟

من للعلوم إذا «المجامع» فتحت
أبوابها للهدْي والارشاد

من ذا على الفصحى يقوم مقامه
ويكون للنقّاد بالمرصاد؟

يا من جعلت لنا المحبّة منهجاً
رحب الأخاء لرائح ولغادي

كنّا لأجل الشعب نسعى جهدنا
من دون تفريق ودون عناد

هذي الجوامع والكنائس أسّست
جنباً لجنب دونما أبعاد

عشنا سواء والديار قريبة
والدين لا يرضى بأي بعاد

اليوم فرّقنا الزمان ، وقد مضى
ما كان محمولاً على التّرداد

وافاك بالفصحى رثاؤك منشداً :
أنت المعيد له وأنت البادي

ته في سماء النور ، ذكرك خالد
يجري مع الأحقاب والآباد

❊ ❊ ❊

توفي الشاعر البناء فرثاه عبدالكريم العلاف قائلاً :

خرست لنعيك ألسن الفصحاء ... وبكت لفقدك أعين الأدباء
وروى الرواة حديث شعرك مرسلاً ... متحليّاً بروائع الانشاء
شعر به أوحى نُهاك فصغته ... من مصدر الالهام والايحاء
شعر رصين محكمات آيه ... قد ركّبت من جوهر الآراء
في حسن مطلعه ومسك ختامه ... يبدو كقطر سحابة وطفاء

حتى يقول :

دافعت عن شعب نشأت بربعه ... حراً بلا زهو ولا خيلاء
عاهدت نفسك ان تكون له الفدى ... والشعب لا يرقى بغير فداء
وبنيت صرح المجد في عليائه ... والفخر كل الفخر للبنّاء
اذهب فذكرك في البريّة خالد ... كالبدر يسفر واضح اللألاء

* * *

من شعر عبد الرحمن البناء ، قال :

وورقاء غنّت بالعذيب سحيرةً ... على غصن بان هدّ عزمي هديلها
ولولا أسى بين الترائب والحشا ... مقيم لما أشجّى فؤادي عويلها
تطارحني شكوى الغرام بسجعها ، ... فهل هي مثلي شطّ عنها خليلها؟
رويدك ، يا ذات الجناح ، فما الهوى ... مضرّ بمن ظلّ الأراك ظليلها
فحتّام جفني يسفح الدمع عندها ... وغلّة قلبي لا يبلّ غليلها؟
أحبّة قلبي ، هل يعود زماننا ... بسلع وهل تبدو لعيني طلولها؟
بنفسي عيش كان غضاً بقربكم ... وأقمار أنس قد براني أفولها

وقال منها :

ما الشعر الا فطرة جوهرية ... يلجلج نحويّ الكلام فعولها
يقولون : بنّاءاً ، وتلك فضيلة ... وما يزدري بالناس إلا ذليلها
كفاني فخراً بالمعيشة قانعاً ، ... وما الحرّ بالأرزاق إلا جليلها
الى مَ أعاني الضيم من أهل بلدتي ، ... وقصدي الى نهج العلى أستميلها؟

* * *

ضاقت الحال بالبناء في بغداد فقصد البصرة سنة ١٩١٣ ولاذ بالسيد طالب النقيب ، فأنشده قصيدة يقول :

ألا من لحـرّ قـد أضـرّ به الضُّـرُّ   وعـاش عـزيز النفس مـا خـانه الصبـر؟
تقـارعـه الجلّى فـيـبـدي تجلداً   ويصبـر كي لا يشتفي الجاهل الغمـر
يبـيت يعـاني الخطب والليل دامس ،   ويصبح جـذلانا يحفّ به البـشـر
ويطوي على جمر التغاضي جوانحاً ،   ألا من لحـرّ ملء أحشـائه جـمـر؟

ويتخلص بعد ذلك الى لقائه بالنقيب في معشر كرام من العرب الأقحاح يسعون الى العلى

يسوسهم بدر المفاخر «طالب»   خدين المعالي راق في ظلّه العمـر
به البصرة الفيحاء تزهو كأنها   عروس لها مرّيخ رفعته خدر
كساها برود الفخر من صنع برّه   فتاهت به عزاً فرنحها البـرّ
همـام أياديه على الخلق أنعم   تساوت به النفس الخصيبة والقفر

ثم يقول :

أطالب قد راجت لديك بسوقها   تجارة فخر ليس يعقبها خُسْرُ
رفعت لواء الحمد بالحقّ طالباً   به الخير والاصلاح فاستوجب الشكر
فكيف تخاف الناس خطباً وفاقة   وأنت لها كنز ، وأنت لها ذخـر؟

* * *

قال البناء :

أنا البناء من غير افتخار   قضيت العمر في ماء وطين
أقول الحقّ لا أخشى المنايا   ولو كانت تدور على يميني
لساني واليراع وكنه حقّي   سجين في سجين في سجين
يشقّ عليّ ان أشقى بقوم   أقرّبهم لديّ فيبعدوني

وقد علّق بعض الظرفاء على قوله «قضيت العمر في ماء وطين» : لم يقضِ عمره بين الماء والطين إلا الضفدع .

* * *

حدثني سامي خوندة نقلاً عن عبد الرحمن البناء ان هذا الشاعر نظم قصيدة سنة ١٩١١ نشرها في جريدة «بين النهرين» لصاحبها محمد كامل الطبقجلي ، وكان ختام أبياتها :

إن لم تصونوا حقوق العرب ويَحكُمُ ،   يا أمّة التّرك ، إنّا مستقلّونا

قال البناء : نشرت القصيدة فلم تمض أيام معدودة حتى استدعيت الى السّراي

لمقابلة الوالي ، وهو آنذاك أحمد جمال بك ، الذي عرف خلال الحرب العظمى بجمال باشا السفّاح . فتجملّت وارتديت أفخر ملابسي وذهبت الى ديوان الولاية وأنا أتوقّع التقدير . وأخذني المرافق الى غرفة الوالي فوجدته جالساً الى مكتبه والى جنبه محمود الوادي (أبو شاكر الوادي) ، وكان اتحادياً مقرّباً من رجال الحكم . فتقدّمت وسلمت بكل أدب واحترام ووقفت بين يدي جمال بك الذي لم يدعني الى الجلوس .

قال الوالي : من أنت؟

قلت : أنا عبد الرحمن البناء .

ــ وما صنعتك؟

ــ بنّاء . (وكان الوادي يترجم بيننا) .

ــ ولماذا تنظم الشعر؟

ــ يا سيدي ، أنا شاعر أنظم في أوقات الفراغ .

وأخرج جريدة «بين النهرين» وقال مشيراً الى قصيدتي : وهل هذا نظمك؟

ــ نعم ، يا سيدي .

فثار وصاح : وهل تريد ان يستقلّ العرب عنّا؟

ــ يا سيدي ، هذه نفثة خاطر ولم أقصد بها شيئاً ، وأنا رجل بنّاء لا شأن لي بالسياسة .

فشتمني وأهانني وقال : أخرج وانصرف الى مهنتك ، ولا تعد الى مثلها .

فأسرعت بالخروج ، وأنا مضطرب لا تكاد تحملني رجلاي .

وقد مضى البنّاء على أثر ذلك الى البصرة والتجأ الى السيد طالب النقيب ومدحه بقصائد .

* * *

عرف عبد الرحمن البناء بالشاعرالأمّي ، وقبله نظم الشعر الشاعر علي البنّاء .

ومن الشعراء الأميّين الذين عرفتهم الآداب العربية نصر بن أحمد الشاعر الغزلي البصري المعروف بالخبز أرُزّي المتوفى سنة ٩٣٩م ، وكان يخبز خبز الأرزّ بمربد البصرة في دكان وينشد أشعاره الغزلية فيزدحم عليه الناس . وجمع له ديوان شعر قرئ عليه في بغداد التي انتقل اليها بعد ذلك .

وقد قال احمد حسن الزيّات ان أبا العتاهية كان خزّافاً بدأ يصنع الشعر في أتونه خزفاً ، ثم ما لبث ان صنعه دراً تقلدته الأمراء والكبراء . «فانتقل الخزّاف من بين الطين والماء الى مجالس الشعراء ودواوين الخلفاء» .

ونشأ عبد الرحمن البناء ايضاً بين الطين والماء . ومضى يصنع الشعر الذي انتقل به الى مجالس الشعراء ودواوين الكبراء وأندية الصحافة وندوات الأدب ، لكنه لم يبلغ عشر معشار شأو أبي العتاهية .

محمد الباقر

الكاتب الشاعر المحامي محمد الباقر الحلّي ، وهو السيد محمد بن باقر بن ناصر عزّام الحسيني ، ولد في الحلة سنة ١٨٩٦ ودرس العلوم العربية والدينية . واشترك في الحركة الوطنية في مسقط رأسه فنفي الى هنجام (حزيران ١٩٢٠) .

وجاء الى بغداد فانتمى الى مدرسة الحقوق ، وأصدر جريدة «الأدب» في ٧ ايلول ١٩٢٤ ، فاحتجبت بعد صدور ثلاثة أعداد ، واستأنف اصدارها في ٦ شباط ١٩٢٥ . ونال شهادة الحقوق سنة ١٩٢٦ فعيّن مديراً لناحية الكوفة (تشرين الأول ١٩٢٦) فحاكم صلح قلعة سكر (آب ١٩٢٧) . لكنه لم يلبث ان استقال (تشرين الأول ١٩٢٨) فطلق الوظيفة ليمارس المحاماة .

وقد انتخب نائباً عن الحلة في حزيران ١٩٣٩ الى حزيران ١٩٤٣ . واختير نائباً لرئيس غرفة زراعة الحلة (شباط ١٩٤٠) .

من شعره الوطني في أثناء الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ قال :

بني يعرب ، لا تأمنوا للعدى مكرا ... خذوا حذركم منهم فقد أخذوا الحذرا
يريدون فيكم بالوعود مكيدة ... ويبغون ان حانت بكم فرصة غدرا
فلا يخدعنكم لينهم وتذكروا ... أضاليلهم في الهند والكذب في مصرا

وقال من قصيدة في الماء والقمر :

طربت فبتُّ أطيل النظر ... الى الماء مذ شعّ فيه القمر
تخيّلت ان مليحاً غريق ... ويظهر منه محيّا أغر
فجئت اليه بكلتا يديّ ... ومذ كدت أدنو اليه نفر
كأنّ المياه لجين مذاب ... يمازجه ذهب مفتخر
او الكأس تعكس وجه النديم ... ويطفو الحباب بها كالدرر
وأنت ، إذا الماء مثل الجعود ... كمشط يرجّل جعد الشَّعَر
تمدّ سناك كمثل الشباك ... لتصطاد فيه ظلال الشجر
يمرّ عليك النسيم العليل ... فتهتزّ من طرب أم حذر

تخـــافك ثمّ أفـــاعي المـــيـــاه ... وذلك راكـضـهـا مـا اسـتـقـر
يســيــر فــتــسـبـقــه ســائراً ... أغــرّب فــيــه وإمّــا انحــدر
يقـــولون : انك شـــيخ كـــبـيـــر ... ومــا شــأن حـــسنك هذا الكبــر
وأنــك مـع أرضـنـا ســـــائران ... فــأين وحــتّى مَ هذا الســفـــر؟
فـــلا بدّ انك بالاخـــتـــبـــار ... تعـــرّفت للكون كلّ الغـــيـــر
فــهل مــرّ في الكون يوم عــصـيب ... كــهــذا تنازع فــيــه البــشـــر؟
تنازعت الكـائنات البـــقـــاء ... فــهل كــان غــيــر القــويّ انتــصــر؟
أنا خـــائف ، يا مليك النجـــوم ، ... فـــهل في جــبـــالك لي من وزر؟
كــرهت الأنام ، ســئـمت الحـيــاة ... فكيف الخــلاص وأين المــفـــر
إذا قــيّـــد الخــوف منّي اللّســـان ... فـــســـوف تناجـــيك منّي الفكر
فـهل انت في الشـرق حـيث الشـقـاء ... كــمـــا انت في الغـــرب ذاك القــمــر
يثـيــر شــعــاعك هذا الجــمــيل ... على برده في فـــؤادي شـــــرر
وحـــســـبي اني أرى راحـــتي ... عناءاً وصـــفـــو حـــيـــاتي كـــدر
ســـلام على الأمم السّــالفـــين ... وشـــوق ومـــرحى لعـــصـــر غـــبـــر

وقد توفّي ببغداد اثر مرض عضال في ٢٧ كانون الثاني ١,٩٧١

من شعر محمد الباقر

نشر السيد محمد الباقر في سنة ١٩٢٠ وما بعدها شعراً وطنياً واجتماعياً في جريدة «الاستقلال» وغيرها من الجرائد والمجلات . وقد قال قصيدة عنوانها «لسان حال الشعب» :

ســأبقى ، وإن لـم يعـبــأوا بارادتي ، ... أضجّ الى ان يســـمع الحقّ ســـامعُ
وكــيــلا يقــولوا : جــاهل مــتــهــوّر ... تســرّع فــيـــمـــا رام ، والوقت واسع
أردّد صـــوتي مـــرّة بعـــد مـــرّة ... ليـحـسن فـيـمـا بعـد مـا أنا صـانع
فــسـمـعــاً ، ولاة الأمـر ، رأيَ مـصـمّم ... من الخـرق ان تسـتكّ عنه المســامع
أطالبكم ان تصـدر الصـحف حـرّة ... وتكثـر في هذي البـلاد المـجـامع

وبعد ان يعدّد سائر مطالب الشعب ، يقول :

فـــلا بدّ لي من ان أحـــقّق بغـــيــتي ... وإن منعت من دون ذاك المـــــوانع

وقال محمد الباقر من قصيدة في «مسامرة النجوم» :

شكرت الدّراري فــهي مــثلي ســواهر ... ولولا الدراري من تُراني أســـامـــر؟

أطال عليّ الليل وحـدي؟ أم الدجى لديه سـواءٌ نائم ومـسـاهر؟
طويل به أبدي سـرائر جـمّـة فـمن لي بيـوم فـيـه تبلى السّـرائر
أزُهْرَ الدراري ، أين نومي عـهـدته عسـاه كـهـذا النسـر في الجـوّ طائر

ومن قصيدة له عنوانها «شدة ورخاء» :

إنّمـا الدهـر شـدّة ورخـاء وافـتـقـار حـيناً وحـيناً ثراء
حكم هذا الزمـان شـرّ فـخـيـر وكـذا يعـقـب الظلام ضـيـاء

حدثني احد زملاء محمد الباقر من طلاب مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٢ انه كان معمّماً يرتدي الزيّ الديني . وقد حدث ان كاتب المدرسة كان يقرأ أسماء الطلاب ملقباً اياهم بالسيّد (وهو لقب كان يُخَصّ آنذاك بأحفاد الرسول الأعظم من العلويين) . فلما نادى الكاتب على السيد فلان وفلان وفلان ، بسمل السيد محمد الباقر واستغفر وحوقل ، ثم قام واقفاً وصاح معترضاً . وسمع اللغط توفيق السويدي ، وهو آنذاك مدير المدرسة ، فأتى مسرعاً وأمر الكاتب بتلاوة الأسماء مجرّدة من ألقاب السيد او الأفندي الخ .

قال محدّثي : ومرت أعوام على ذلك ، وكنت في زيارة للكوفة فإذا مدير الناحية شاب عصريّ أنيق في بذلته الأفرنجية وسيدارته الوطنية ، وهو محمد الباقر نفسه . ولمّا رآني صافحني بحرارة ، وخاطبني بلقب السيّد ، وذكر أيام الدراسة ضاحكاً . وقال : لقد تفتحت مداركنا واتسعت آفاقنا وأفدنا من العلم والحياة .

وقد ذكرتني هذه القصة بأمين الريحاني الذي زار اليمن سنة ١٩٢٢ أيضاً وقابل الامام يحيى حميد الدين . وقبل ان يصل الى صنعاء مرّ بتعز ولقي أميرها علي بن الوزير ، وقدّم اليه باسم «السيد أمين الريحاني» ، فسأله الأمير : هل انت حسني او حسيني؟

وقع السؤال على الريحاني ـ كما قال في كتابه ملوك العرب ـ وقع الصاعقة . لكن الله فتح عليه فأجاب قائلاً : أنا عربيّ ، يا حضرة الأمير ، احترم كلّ المذاهب الاسلامية وأحبّ كل العرب وأتمثل دائماً بقول الشاعر :

ولكل ربع من ربوعك حـرمـة وهوى تغلغل في صـمـيم فـؤادي !

واستحسن الأمير الجواب ، وقال أحد رجاله : حضرته من سادات لبنان .

* * *

اشترك محمد الباقر الحلي في ثورة سنة ١٩٢٠ وحثّ بشعره على اضرام نارها

وامتداد لهيبها . ولما طلبه الانكليز في الحلة هرب الى منطقة السادة آل ياسر في موضع يقال له «أمّ رغلة» وأقام فيه حولاً كاملاً . وأسّس في الموضع مدرسة ابتدائية ، على ما قال عبد الحميد علوان الياسري ، لعلها أول مدرسة أنشئت في الريف العراقي . وقال محمد الباقر :

ما زلت أطّرق المنازل خائفاً … حتى أتيت الى منازل «ياسر»
حيّيت ربوعك ، أمّ رغلة ، مزنة … تنهلّ بالخير العميم الوافر

وقال يحيّي الحاج عبد الواحد سكر حين جيء به مخفوراً بعد الثورة الى سجن بغداد :

تَهَنَّ وطب نفساً بما أنت واجد ، … فقد كنت عن حقّ صريح تجاهد
لعمري لقد اكسبت قومك سؤدداً … يهوّن ما أمسيت ظلماً تكابد
فإن يكُ ذاك الخصم في الظلم مفرداً … فإنّك ، يا عبد الحقيقة ، واحد
فيا بطل الشعب العظيم ، بشارةً … سيدرك فيك الشعب ما أنت ناشد
فلا بدّ ان تأتي لشعبك فرصة ، … وليس له إلاك للمجد قائد
أتيت الى بغداد والخوف شامل … لأبنائها والظلم في الناس سائد ،
فلو لم يخنك الدهر فيما قصدته … لجئت الى بغداد والجند حاشد

وقال من قصيدة أخرى :

أيها الناقد الحكيم ، تأمّل … ما تلاقي في عيشها الضعفاء
لا يُلام القويّ عنديَ مهما … كثرت باعتدائه الأنباء
انما الذنب للضعيف إذا استـ … ـسلم إن رام سحقه الأقوياء
قد قضى الشعب ما عليه ولمّا … يتحقّق فيه لديكم رجاء
أنا أخشى النار التي سوف تغدو … سبباً في ايقادها الأهواء

الخ .

وقال من قصيدة ثالثة بعنوان «لسان حال الشعب» :

سأبقى ، وإن لم يعبأوا بارادتي ، … أضجّ الى ان يسمع الحقَّ سامع
أردّد صوتي مرّة بعد مرة … ليحسن فيما بعد ما أنا صانع
فسمعاً ، ولاة الأمر ، رأي مصمّم … من الخرق ان تستكّ منه المسامع
أطالبكم ان تصدر الصحف حرّة … وتكثر في هذي البلاد المجامع
أطالبكم بالعفو عن كلّ مجرم … بزعمكمُ إذ كان عنّي يدافع

وأن يطلق الأسرى بأقرب فرصة ... فما أنا ممّن بالوعود يخادع

ومن أربي ان ترفعوا كلّ حاجز ... لكي يتعاطي الرأي دان وشاسع

وأن ترفعوا عنّي محاكم شكّلت ... من الجند جاءت من لدنهًا الفظائع

أطالب في تأليف مؤتمري الذي ... لخطّته مستقبل الأمر تابع

فلا بدّ لي من أن أحقّق بغيتي ... وإن منعت من دون ذاك الموانع

علي الخطيب

الشاعر المبدع علي بن محمد جميل بن عبد القادر الخطيب ، أخو المفتي عطا الخطيب . ولد في بغداد سنة ١٩٠١ ودرس في دار المعلمين الابتدائية ، ثم تخرج في مدرسة الحقوق سنة ١٩٢٧ . وظف في وزارة العدلية ومحكمة التمييز ، وعيّن ملاحظاً للمطبوعات في وزارة الداخلية سنة ١٩٣٠ . ونقل في السنة التالية الى ديوان مجلس الوزراء ، لكنه ابتلي بمرض عصبيّ اضطره على ترك الوظيفة وأقعده عن العمل وألزمه العزلة . وفي سنة ١٩٣٨ تحسنت صحته فوظف في مديرية الشرطة العامة ودعي الى الالتحاق بدورة ضباط الاحتياط .

وانزوى في عقر داره في أعوامه الأخيرة حتى وافاه الأجل في بغداد في أواسط شهر ايار ١٩٧٧ .

نظم علي الخطيب شعراً رائقاً في الاجتماع والوصف والغزل . ولكننا نذكره هنا شاعراً وطنياً ألقى القصائد الصارخة التي طالما عرّضته لسخط الحكومة ونقمتها وهو موظف في دوائرها العدلية .

واجتزئ في هذا المقام بذكر قصائده الوطنية بعد ان فصّلت سيرته وتكلمت على شعره الوجداني في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

الوطنية في شعر علي الخطيب

دوى صوت الشاعر علي الخطيب في سنوات العشرين في المحافل الأدبية والوطنية . فقال :

كم القصائد تتلى في نوادينا — وقائل الشعر فيها كم ينادينا :

هلا تقوم لنا بالعلم قائمة — فالجهل ، يا قوم ، أردانا ويردينا

تعاظم الخطب في أوطاننا جللاً — لمّا غدا ضارباً أطنابه فينا

نحو العلوم هلّموا ، يا بني وطني ، — واغدوا على أحسن الأخلاق ناشينا

تعلّم العلم لا يجدي بلا خلق — نفعاً ولا وحدها الأخلاق تجدينا

حتى يقول :

أمـا الـولاة فـإن خطب عـرا افـتـرقـوا — وأطربوا بافـتـراق الشـمـل شـانينا
كـأنّما القوم ما صبّوا وما اجتمعوا — ليـثـبـتـوا دونه بل كـان تلوينا
إن هم رأوا كـفّـة الرجـحـان في جـهـة — راحـوا لـهـا انتـسـبـوا للأصل ناسـينا
وهكذا عـبـثت فـينا مطامـعـهـم — وبدّدت كلّ مـأمـول مـواتينا
لـو انهم نزهّوا الـوجـدان من شـره — كنّا على دوحـة العليـا شـواهينا

وما وظيفة الشاعر في عرف علي الخطيب؟ قال يخاطب شاعر الأمّة :

أهاجك حـين الشـعب خـابت رغـائبُهْ — فـرحت على مـرّ العـشيّ تعـاتبـه؟
وسـاءك لـمّـا ان رأيت نـهـوضـه — مـبـادئه قـد خـالفـتـهـا عـواقـبـه؟
هو البـعـض لم يسلس اليـه قـيـاده — فـضـاقت عليـه اليـوم غـدراً مـذاهبـه
فكابدت من حـال البـلاد توجّـعـاً — وأضناك من أمـر الزمـان تلاعـبـه
زمـان إذا تصـفـو لديك صـروفـه — تلمّ بك الأحـداث وهي شـوائبـه
تجـوب على وجـه البـسـيطة هائمـاً — وأنت على رغم الخطوب تحـاربه
حنانيك بعض الصبـر إن كنت جازعـاً — فـمـثلك من هانت لديه نوائبـه
وقـد علـم الأقـوام أنّك شـاعـر — يجـيـد مـقـال الشـعـر حين يجـاذبه
فـتـمـلأ ربع العـرب شـعـراً يزينه — من النفس خلق قـد تجلّت مناقـبـه
وتشـهـر نصـلاً بين شـدقـيك مغـمـداً — تحـزّ رقـاب الخـائنين مـضـاربه
وتحـمل عطفـاً بين جنبـيك للّذي — ألـمّ به يوم توالت مـصـائبـه
فـشـعـرك شـعـر النفس ليس يشـوبه — تكلّف قـول لا تروق مـشـاربه
تطيـر هزاراً في الرياض مـرفـرفـاً — يحـوم على وكـر بهـا ويجـانبـه
وأنت على الحـالين تبـدي كـآبة — على مـجـد أوطان تداعت جـوانبـه
أرى صـفـرة الآلام ، وهي تسـوءني ، — عليك ووجـه الحـرّ يؤلم شـاحـبـه
تبـيت بداجي الليل مـضطرم الحـشـا — وذاك لأنّ العـز أشـجـاك عـازبه
تراقب نجم الأفق ، والطرف شـاخص ، — فلم أدرِ مـا مـرمـاك حـين تراقـبـه
ذكـرت مـواضي العـرب حتى بكيتـهم — بمـدمعَ شـعـر لا تجفّ سـواكـبـه

لقد نهض علي الخطيب بوظيفة هذا الشاعر ، فتألم لحال الشعب وذكر ماضي العزّ ودعا الى النهضة والعلم . وليس ذلك فحسب ، بل غرّد هزاراً في الرياض وغنّى الحبّ واللهو والجمال . لكنّ صوته لم يجد صدى ونداءه لم يحظ بجواب ، فقال :

أيا رابضـاً تحت الظلام مناجـيـاً — بشـعـرك شـعـبـاً قـد توارت كـواكـبـه
عـلامَ بعـثت الصـوت تبـغي هبـوبه ، — وليس سـوى داجي الفـضـاء يجـاوبه؟

ولكن أبيّ النفس يأبى بأن يرى ... ذويه على ضيم ويسكن قاضبه
على أنّ آمالاً تخالج مهجتي ... بأنّ له يوماً ستقضى مآربه

* * *

وجاء الى بغداد سنة ١٩٢٩ المثري الأميركي شارلس كرين صديق العرب فكرّمه الشباب واحتفى به الشعراء . قال الخطيب :

ماذا أقول وقلبي مفعم ألما؟ ... حقّاً عييت ولم أستوعب الكَلِمَا
الحال مضحكة والحال مبكية ... حتّى تحيّرت الألباب بينهمَا
بينا نرى دولة أفرادها عرب ... إذا بها دولة تستأمر العجما
وقد نراها على الأوتار ضاربة ... لكنّها تفسد الأوتار والنَّغَما
ما أبرم الأمر الا عاد منتقضاً ... ما لوئم الشّمل إلا عاد منثلما
ومدّعٍ بشذوذ الوضع قلت له : ... إنّ الشذوذ لمن أعمالكم نجما
فيمَ التّشدّق بالدّستور سفسطةً؟ ... لا نملك اليوم لا سيفاً ولا قلما
وما نراه من الأوضاع مشغلة ... عمّا نعالج إن فقراً وان سقما
يا ويلنا من أناس طاش حلمهمُ ... مستمسكين بأمر لم يزل حلما
وللحليفة أعوان تؤازرهم ... منّا علينا وقد أضحوا لها خدما
لا يغضبون إذا نيلت كرامتهم ... عافوا الإباء وعافوا العزّ والشّمما
ضاقت بنا فجوات العيش في وطن ... أضحت على غيرنا خيراته عَمَمَا

ويشتدّ به الغضب فيصيح :

بين السكوت وبين النطق مرحلة ... إن يومها حان تفري الهام واللِّمَمَا
اذن سيصبح سفل القوم عاليها ... ويصبح الربع بالأهوال محتدما
اذن ستصبح وسط الحيّ مقصلة ... تعلّم الخائنين الحقّ والذّمما
اذن سيعلم من خارت عزائمهم ... بأنّ للشعب حولاً يصدع العلما
اذن سيرفع هذا الشعب هامته ... اذن سيصبح هذا الشعب محترما
ان لم تكن أذن في الحيّ مصغية ... الى القريض فللتأريخ ما نظما

وقال في بعض الوزراء من قصيدة له :

قل للوزير الذي رابتك فعلته ... في الصدر موجدة والحرّ مكتئب :
لم تسهر الليل سعياً خلف مكرمة ... لكنّما للّتي من شأنها الذهب
حتى تنال بها ما شئت من ترف ... والشعب تقتله الويلات والسّغب

والحـاج لم تقـضـهـا إلا على دخل   بئس الوزير وبئس الخلق والأدب

وقال من مرشّح عنوانه «قاسميني» يخاطب بغداد :

يا أبنة المنصـور ام المـدن   اسـمـعي اليـوم حـديث الوطن :
انّ حـال القـوم حـال الزمن   لا تكوني منهمُ في مـأمن
وتعـاليْ قـاسـميني شـجني   ويلهم مـا هتـفـوا في وصلك
لتكوني حـرّة في فـعلك   او يـفـكـوّا زرداً مـن غـلّك
لمـقـام كـان لا من أجلك   فـتـعـاليْ . . .
كم خـدعنا بالوعـود الكاذبات   فتركنا أقدس المبتـغيات
ورضـينا بأمـور مـزريات   بعـد بذل الدم في جلّ الغـلاة
فـتـعـاليْ . . .   كم شـهـيـد راح في تلك الربوع
هاتفـاً : ان متّ فـتلحي الربوع   فـتـوارى مـعـه طيّ الضلوع
أمل ضـيّـعـه من في الربوع   فـتـعـاليْ . . .
يا تراث المـجـد مـجـد العـرب   خـذل الشـعب ومـا عن عـجب
إذ غـدونا في حـمى «المنتـدَب»   ايه بغـداد ، ألا وأحـربي

قـاسـميني زفـرات الشـجن

وقال يخاطب عظيماً مجهولاً يستنهض همته لانقاذ وطنه :

حـقّق لنا أمـلاً ، يا صـاحب الهـمم   إن شئت بالسيف او ان شئت بالقلم
إنّا نحـاول ملكاً لا يعـارضنا   به الحليف لنجلي داجي الظّلم
إنّا نحـاول ملكاً لا يشـاركنا   به الغـريب لنعلي رتبـة العلم
فـإن دهتك خطوب دون غـايتنا   فـالقَ الخطوب بمـا أوتيت من حكم
اليـوم عندك شـعب كلّه همم   إن قـاده مـخلص للموت يقتـحمِ
لا يسلم القطر إلا دونه قـضب   ومـدفع تتـقـيـه اجـمع الأممَ
أعـدد لدهرك بالأجناد عـدّته   واحم البلاد من الأعراب والعـجم
أعـدد قلوباً إذا نا ديتـهـا ازدحـمت   حـولَ العظيم عظيم النفس والهـمم

وكان الشاعر جزءاً من الشعب فلا عجب إذا آمن بالشعب ووثق به منذ تلك الأيام البعيدة :

لقـد علمتَ بمـا للقـوم من أمل   فـهل علمتَ بمـا يخـفـون من ألم؟
الأرض مـجـدبة والفـقـر أعـدمنا   فنحن مـا بين مـبكيّ ومـحـتـشم
فـخـالط الشـعب واسمع مـا يئنّ به   وافـسح مـجـالك للمظلوم بالكلم

كانت النهضة والعلم وتأخر الشرق وضيم البلاد العربية وغمط حقوقها من المواضيع العزيزة على شعراء ما بعد الحرب العظمى الأولى . فلا عجب إذا ساير علي الخطيب أبناء جيله فتحسّر وقال :

متى في سماء المجد ، يا بدر ، تشرق ... فيسطع فينا نورك المتألّق
متى تزدهي الأوطان بالعلم والنّهى ... ففي ذين آمال جسام تحقّق
متى نرفع الأعلام ، وهي مصونة ، ... يحيط بها من جلدة الشعب فيلق؟
متى نكتسي برداً من العزّ ضافياً ... تحنّ لمرآه القلوب وتخفق؟

حتى يقول :

أرى نظرات الليل ، وهي نجومه ، ... تطلّ على أرض بها الحقّ يرهق
فلا الحقّ محفوظ ولا العدل سائر ... ولا القول حرّ لا ولا الفكر مطلق
خزنت لساني بين شدقيّ صابراً ... لعلّي أرى يوماً به الحقّ يشرق
سكتُّ ولمّا ضاق صدري تصبّراً ... نطقت بما أوحى الضمير وأنْطُقُ
أقول المقال الصدق ، والصدق ضائع ، ... وإن يكُ فيه ما يغمّ ويقلق
عشقنا كنيً دون المعالي ومنصباً ، ... فهل من فتى في القوم للمجد يعشق؟

ووصف شعبه وبلاده آنذاك ، فذكر لعبة السياسة وغضب الحليفة وخطة المشورة ومنهج الوزارة المتبدّلة حيناً بعد حين ، ثم قال :

فنحن بأرض الرافدين جماعة ... عراقية ما وحدّتها المواطن
فلول من الشبّان تنكر بعضها ... وشمل من الأحزاب فيه مطاعن
ضروب من الأقوام شتّى قلوبهم ... وألسنهم شتّى فصيح وراطن

انور شاؤل

الحلة الفيحاء على عدوة الفرات الخالد كانت ، ولم تزل ، مهبط الشعر والالهام من عهد الشاعر البابلي الذي نظم ملحمة كلكامش الى صفي الدين وحيدر وجعفر كمال الدين ومحمد مهدي البصير ، فلا عجب ان سكبت خمرة الشعر الالهية في قلب فتى ولد بين رياضها وأرباضها .

ذلك الفتى الذي ولد في الحلة سنة ١٩٠٤ هو الشاعر انور شاؤل الذي ينتمي الى أسرة بغدادية قديمة تحدّرت من الشيخ ساسون صالح داود الذي كان رئيس الطائفة اليهودية ورئيس صيارفة ولاية بغداد على عهد ولاة المماليك في أواخر القرن الثامن عشر . وقد مضى والد أنور الى الحلة حيث عمل في التجارة والمقاولات .

نشأ شاعرنا في الحلة وتلقى مبادئ دروسه فيها ، ثم استقرّ مع أسرته في بغداد سنة ١٩١٦ . وقد ظل وفياً لمسقط رأسه يحنّ الى ربوعه ويرعى له العهد والذمّة . فإذا زار الحلة في عنفوان الشباب أنشد قائلاً (من قصيدته مسرح الصبا) :

يا دياراً حبّها تيّمني ، لك في قلبي غرام أبدي

وإذا ذكرها بعد أعوام عديدة هزّه الشوق اليها فقال (الحلة عروس الفرات) :

تذكرت عهداً في حياتي مخضرّا فيا لك من عهد ويا لك من ذكرى...
تذكرت أياماً هي العمر كلّه إذا الفكر يوماً راح يعتصر العمرا
فقلت : ألا ، يا عُمْر ، هل لك عودة الى الأمس كيما نلتقي مرة أخرى؟
فقال صدى من عالم الغيب هاتف بأعماق روحي : نلتقي مرة أخرى !

توفيت والدته وهو لا يزال طفلاً صغيراً فكان لفقدانه حنان الأمومة أثر في رقة شعوره . وقد خاطبها بأبيات ، كانت من باكورة شعره ، تفيض لوعة وحناناً ، فقال :

أماه ، عيني بك ما متّعت ولم يحز منك فمي قبلة
وعيشتي بعدك ما أينعت والقلب ، يا أم ، شكا علّة
فإن جفوني من جوى أدمعت ليلاً وروحي أطلقت أنّة

فمن تُرَى ، يا أمّ ، لي يسمع؟

في سنة ١٩١٦ ثارت الحلة وعشائرها على الحكم العثماني الجائر ، فجاء اليها القائد عاكف بك في ربيع ١٩١٦ وأنزل برجالها وشعبها ضربة قاصمة . وشهد الفتى انور المجزرة ، إذ أمر القائد التركي بجمع الأهالي في ظاهر المدينة وشدّد عليهم النكير وعاث في البلدة حرقاً وتدميراً ونهباً وقتلاً . وعلى أثر ذلك عاد والد أنور بأسرته الى بغداد واتخذ مقامه فيها .

درس أنور شاؤل في مدرسة الأليانس والمدرسة الثانوية ، ثم انتمى الى مدرسة الحقوق ونال اجازتها سنة ١٩٣١ . وقام خلال عهد دراسته بالتعليم في المدارس الأهلية سنة ١٩٢٤ و١٩٢٥ ، وحرّر جريدة «المصباح» الأسبوعية ونشر شعره بتوقيع «ابن السموأل» . وأصدر مجلة اسبوعية أدبية باسم «الحاصد» في ١٤ شباط ١٩٢٩ . وقد أغلقت المجلة بعد صدور ١٦ عدداً منها ، ثم استأنف اصدارها في ٢٤ تموز ١٩٣٠ ، واستمرت على الظهور بانتظام الى آخر آذار ١٩٣٨ عدا فترة انقطاع أمدها سنتان . وزاول المحاماة في الوقت نفسه وتخرج ضابط احتياط في الدورة العسكرية الثالثة (١٩٣٩) . كان محامياً للخزينة الملكية الخاصة ولشركات متعددة . وفي حرب ايار ١٩٤١ التي أعلنها رشيد عالي الكيلاني على الانكليز دعي انور الى الالتحاق بالجيش ، ونقل للخدمة في فصيل حراسة الملك فيصل الثاني ووالدته في أربيل . وأسّس دار طباعة باسم «شركة التجارة والطباعة المحدودة» وتولى ادارتها (١٩٤٥ ــ ١٩٦٠) .

وقد غادر العراق في ايلول ١٩٧١ وأدركته الوفاة في ١٤ كانون الأول ١٩٨٤ .

مؤلفاته وأدبه

برع أنور شاؤل في الشعر والقصة على السواء ، كما عرف محامياً وصحفياً ممتازاً . وله من المؤلفات : الحصاد الأول (١٩٣٠) ، عليا وعصام (قصة سينمائية أخرجت فلماً في بغداد سنة ١٩٤٨) ، في زحام المدينة (قصص ١٩٥٠) ، همسات الزمن (شعر ١٩٥٦) ، قصة حياتي في وادي الرافدين (١٩٨٠) ، وبزغ فجر جديد (شعر ١٩٨٣) . ومن مترجماته : وليم تلّ (مسرحية ١٩٣٢) ، أربع قصص صحية (١٩٣٥) ، قصص من الغرب (١٩٣٧) ، الطباعة العامة : فنونها وصناعاتها (١٩٦٧) ، الخ . وقد نظم قسماً من ملحمة كلكامش البابلية شعراً ، وأشرف في دار طباعته على نشر كتب متعددة منها كتاب «ليل الصب» (١٩٥٠) وغيره .

ان أنور شاؤل من روّاد القصة الحديثة في العراق . قال جعفر الخليلي في كتابه «القصة العراقية قديماً وحديثاً» :

«ويعتبر انور شاؤل من أوائل ممارسي أدب القصة الحديثة . وعلى أنه كتب أول قصة سنة ١٩٢٧ ، ولكنه كان من المبشرين بأدب القصة ومن الداعين الى قراءتها وتفهمها والمشجعين على كتابتها . وأصدر مجلة الحاصد فملأها أدباً ، ومن طريق الحاصد عرف القراء الشيء الكثير من مزية القصة الحديثة وأهميتها في عالم الأدب» .

وأضاف الخليلي قائلاً : «وتم للحاصد ، او الصحيح تمّ لأنور شاؤل ، ان يخدم أدب القصة بما ترجم وما وضع من قصص استوعبت الشروط الفنية للقصة المقروءة . فإذا كانت كلاسيكيته قد اكتسبها من قصص الأغاني ومقامات الحريري وبديع الزمان وجرجي زيدان ومعروف الأرناؤوط ، وذلك بحكم البيئة الكلاسيكية ، فقد تأثر لحدّ كبير بقراءته لويلز وديكنز وزولا وموباسان وادكار ألن بو وغوركي وتشيكوف ، كما يقول هو ، فكان للفن طابعه في قصص أنور منذ أول ظهورها . وحين أتيح له ان يتمّ دراسة الحقوق أصاب سهماً آخر من الثقافة» .

وقال احمد حسن الزيات في مجلة «الرسالة» المصرية ان أنور شاؤل ثاني اثنين مهّدا لكتابة القصة الحديثة في العراق (اما الأول فكان محمود أحمد السيد) .

تفيض قصص أنور شاؤل بالروح الانسانية الخيّرة والرثاء لأبناء الشعب من الكادحين والبائسين . ففي قصة «الحمّال الصغير» يأسى لصبيّ يبكّر للخروج الى السوق صباحاً ليحمل مشتريات الناس ويحصل على دريهمات محدودة . و«الدكتور يسري» طبيب الأطفال يحدب على المرضى الصغار ويجاهد لاعادتهم الى الصحة . لكنه يتخلف في مساء أحد أيام الشتاء عن الذهاب لمعالجة طفل مريض فظلّ بقية أيامه نادماً يقرّع نفسه إذ انطبعت في ذهنه صورة طفل مات لتأخره عن معالجته . وتغلب هذه النزعة الانسانية الفوارة على معظم قصصه الأخرى .

شعره

قال أنور شاؤل : «ليس الشعر أحاجي ورموزاً ، انه لغة الأرواح التي لا تحتاج الى ترجمان» .

يضمّ ديوان «همسات الزمن» القسم الأوفر من شعر انور خلال ثلاثين سنة . وقد سار شاعرنا في موكب الحياة الاجتماعية خلال تلك الحقبة ، فانعكست صورها على مرآة قريضه : فهو يشارك في تكريم عبد العزيز الثعالبي وزكي مبارك ورثاء سعد زغلول وعبد المحسن السعدون وجميل صدقي الزهاوي وابراهيم هنانو . وهو يدافع عن الحرية والكرامة الانسانية منذ عهد الحرب الحبشية . وقصيدته «مصرع السعدون» التي ألقاها في

الحفل التأبيني المقام في الحضرة القادرية تمثل بوجه خاص نهجاً جديداً في شعر الرثاء . فهي من الشعر الدرامي الذي يصوّر الفاجعة ويجسّمها حتى كأنك ترى الرئيس اليائس وقد ساورته الأفكار السود وعصفت به الهواجس ، فيخط وصيته التأريخية ويودّع الحياة في سبيل وطنه وعزّته . ان مثل هذا الشعر يهزّ النفوس ويملك زمام العواطف لأنه يختلف عن الرثاء التقليدي الجامد الذي يتفجّع بغير عاطفة مشبوبة ويرفع الفقيد الى أسمى منازل الرفعة إن حقاً وإن باطلاً .

وتنشب الحرب العالمية الثانية ، ويعود الشاعر يخلع بزّته العسكرية الوقتية ، فيكافح بشعره في سبيل الحرية والدمقراطية وكرامة الشعوب . يلتفت الى النظام الجديد الذي بشر به النازيون فيقول :

نظام أقامـوه على النار والدم	وفيه استباحوا كلّ فعل محرّم
فأسلوبه عنف وعسف ورهبة	وغايته خلق العداء المهدِّم
لقد سنّه طاغ غشوم مسيطر	وأسلمه في كفّ باغ ومجرم
سداه نفاق وافتئات وقسوة	ولحمته نشر الوبال المحتم
أقام مقام الحب فيه ضغائناً	تحركها أرياح جوّ مسمّم
وحل محل الحق زور وباطل	وديسَ على العدل الحبيب بمنسم

حيّا مالطا جزيرة الأحرار وهلّل لانتصار الحلفاء وذكر احتراق برلين عاصمة المظالم . وكانت جريدة «العراق» لصاحبها رزوق غنام وجريدة «الزمان» لصاحبها توفيق السمعاني منبراً لقصائده وقصائد ومقالات نفر من الأدباء الاحرار في مقدمتهم الشيخ مهدي مقلّد وجميل أحمد الكاظمي وكمال عثمان وغيرهم ، وقد انضمّ اليهم محمد مهدي الجواهري بعد الهجوم على الاتحاد السوفييتي وصمود لنينغراد وستاليغراد واندحار النازية والفاشية .

يمتاز شعر أنور شاؤل بحسّ مرهف ، وتغلب على شعره وأدبه عامة مسحة انسانية رفيعة : فهو يأسى لبائعة الشوك التي يلذعها الزمهرير وينوء ظهرها بحملها الثقيل ويدمي راحتيها الشوك تحمله لتدفئة المسعدين . وهو يحزن لمأساة الفلاح المنكوب الذي يذهب الفيضان بكده ومسكنه وقليل متاعه ويكاد يودي بأسرته ، حتى إذا ما نهض في الغداة جائعاً عارياً ، صفر اليدين حتى من الأمل ، سار يتبعه أطفاله ليطرق الأبواب المغلقة دونه وليسمع رداً على شكاته عبارات الصدّ والانتهار :

أيها الساكن في القصر الحصين	هتف الفلاح : هل من موئل؟
ليس بيتي ملجأ للشاردين ،	صرخ الساكن في القصر العلي

ودمعة الفقير ، والشقاء الصامت ، والكوخ المحترق التي ترجمها عن الشاعر الفرنسي ألفرد دي موسّيه ، أمثلة من الشعر الانساني الذي يزخر به ديوان همسات الزمان .

وفي همسات الزمن بعد ذلك شعر رائق يطرب ويعجب : فالباحثة عن الذهب فتاة عرفها الشاعر «كقطر الندى صفاءاً وطهراً كزهر الربى» تردّ الخاطبين واحداً بعد واحد حتى تحظى بالغني الذي يهبها كل شيء إلا الحبّ . وقصيدة «بجوار الموقد» ترينا الشاعر يحرك رماد الذكريات القديمة كما يحرك جمرات النار المتبقية في الموقد :

لم يبقَ لي إلا القريض وموقدي	وهما تعلّة قلبيَ المتوجّد
يا شعلة الحب المهيض ، توهجي	فلعلّ حيران الرؤى بك يهتدي
النار في صدري وصدرك جمرها	مهما يطل جنح الدجى تتوقد
خبت المشاعر في الضلوع وأورثت	للذكريات مجامراً لم تخمد

ان هذا المطلع يذكرنا بولي الدين يكن ، ويذكرنا بقصيدته «الشاعر والليل والطيف» : فكلا الشاعرين قد خلا الى نفسه في الليل البهيم تهتاجه الذكرى ويعصف به الحنين . اما ولي الدين فيتهلف ويتوجف ويتعطف :

الله في وجد وفي مأمل	من لي بعود الزمن الأول؟
قد كنت أشكو عذّلي في الهوى	وها أنا أثني على عذّلي
إنّ الصبا والحسن لم يبلغا	بعد بيوت الشعر من موئل
أهفو لسهدي ليت لي مثله	وليتني في ليليَ الأليل
إذ أترك الأنجم في أفقها	شوقاً الى نبراسيَ المُشْعَلِ

أما أنور فيتذكر أيام الهوى والشباب ويقنع من الغنيمة بالإياب .

سار شاعرنا في ركاب القريض فوصف وأبدع وتباطأ وأسرع وغنّى ورجّع . ثم جاءت حرب ١٩٦٧ بمحنة شديدة لأنور شاؤل وسائر المواطنين اليهود المخلصين لوطنهم الذين آثروا البقاء ورفضوا النزوح عن وادي الرافدين ، فماذا لقوا جزاء خلاصهم؟ لقد ذاقوا السجن والتعذيب والخطف والقتل دونما جريمة اقترفوها ، وحرموا من العمل والتنقل والسفر ومن الحقوق المدنية والانسانية . لكن انور لم يجزع ولم يفقد أمله في وطنه وشعبه العراقي . ودعي الى مؤتمر الأدباء العرب الذي عقد في بغداد في نيسان ١٩٦٩ فقدم الى المؤتمر قصيدته الأبية المدوّية ، قال :

قلبي بحبّ بني العروبة يخفق	وفمي بضادهمُ يشيد وينطق
أو لست منهم منبتاً وأرومة	قد ضمّنا الماضي البعيد الأوثق

إذ خطّ في سفر الوفاء سموأل ... أمثولة عربية والأبلق
واليوم نحو المجد نقطع دربنا ... والى الغد الهاني معاً نتشوّق
فعلى الفرات طفولتي قد أزهرت ... وبدجلة نهل الشباب الريّق
حيّيت يا وطن العروبة من حمى ... الحسن في أرجائه يترقرق
كم قد هفا قلبي لمطلع شمسه ... ولكم هداني نجمه المتألّق
فنظمت من وجدي به وتعلّقي ... شعراً على جيد الزمان يعلّق

حتى يقول :

حبّي لموطني العزيز وللألى ... بسطوا محبّتهم عليّ وأغدقوا
من مسلم جمع المكارم خلقه ... فإذا به ذاك الصباح المشرق
او عيسوي قد حباني لطفه ... فإذا به ذاك الودود الأرفق
ربطت مصائرنا الحياة بموطن ... هو ماؤنا وهواؤنا والرونق
موسى وعيسى والنبيّ محمد ... رسل الهدى خلت العصور وقد بقوا !

ثم مرض إذ أصيب بنوبة قلبية فخاطب الموت وهو طريح الفراش :

أنا لا أخشاك ، يا موت ، إذ جنّ جنونك ... وبرغم الظلم في فعلك إنّي لا أدينك
أنا لا أخشاك فانقر وتلصّص عند بابي ... فيقين الروح اني لم يحن بعد مآبي

وراجع سيرة حياته فوجد أحلامه قد ذوت في ظلمة ليل رهيب . قال :

قطعت دروب العمر أهبط تارة ... وطوراً الى الأعلى أغذّ وأصعد
وقلت : سألقى الحقّ يوماً وإن نأى ... فأطرد أحزاني بعيداً وأسعد
ومرّ من العمر المقدّر جلّه ... وكادت يد الأيام بالعزم تقعد
وإذ بنداء الحق يطرق مسمعي : ... لعمرك أنت اليوم عنّي أبعد !

وقال :

خذوا ما أشغل الفكرا ... وما أمّلته دهرا
خذوا صفوة أحلامي ... ومطمع نفسيَ البكرا
خذوا اللؤلؤ منثوراً ... يحاكي الأنجم الزُّهْرا
خذوا الابريز وهّاجاً ... بنور الشمس قد أزرى
خذوا من نحليَ الشهد ... ومن أكؤسي الخمرا
خذوا أثمار بستاني ... خذوا الأزهار والبذرا
خذوا ما ملكت كفي ... وخلّوني أعِشْ حرّاً !

ورفع صوته أخيراً فقال :

إن كنت من موسى قبست عقيدتي ... فأنا المقيم بظلّ دين محمد

وسماحة الاسلام كانت موئلي ... وبلاغة القرآن كانت موردي

ما نال من حبّي لأمة أحمد ... كوني على دين الكليم تعبّدي

سأظلّ ذياك السموأل في الوفا ... أسعدت في بغداد أم لم أسعد!

لكن كل ذلك لم يفد ازاء ظلم السلطات وطغيانها . فاضطر على الرحيل ، وقد بلغ أبواب الشيخوخة ، بعد ان أفنى حياته في سبيل عراقه وتغنّى بمجد العروبة ومحامد الاسلام . ترك داره وما ملكت يداه بكدّ اليمين وعرق الجبين ومضى الى النمسة ، ثم غادرها ليقيم في اسرائيل ويلقى حمامه فيها .

ولنتساءل : الى أية مدرسة أدبية ينتمي شاعرنا؟ لقد سأل هو نفسه هذا السؤال وأجاب عليه في مقدّمة ديوانه بأنه لا يؤمن ان للشعر مدارس . أما نحن فنقول : ان أنور شاؤل ينتمي الى «المدرسة الانتقالية» على ما نستحسن تسميتها ، وهي المدرسة التي ازدهرت بين الحربين العالميتين وتردّدت بين التقليد و التجديد . كان الشعر العراقي يرسل أنواره الضئيلة في ظلام عصر الانحطاط حين لاحت تباشير النهضة الحديثة في فجر القرن العشرين ، فنشأت عند ذلك المدرسة التقليدية التي تزعمها الزهاوي والرصافي والشبيبي والشرقي وأقرانهم ممن جددوا مواضيع القريض ومراميه مع احتفاظهم بالصيغ والأساليب الكلاسيكية . وكان آخر ممثل لهذه الطبقة في ربوع الرافدين محمد مهدي الجواهري .

وفي فترة ما بين الحربين نشأت «المدرسة الانتقالية» التي ينضوي اليها أنور شاؤل ولداته من الشباب الذي اطلع على الآداب الغربية اطلاعاً مباشراً وتأثر بأدب المهجر الأميركي الى جانب تأثره بشعر مصر ولبنان والزهاوي الرصافي . ولعلّ شعر صاحب «همسات الزمن» يمثل أدب هذه المدرسة أصدق تمثيل : فهو يترجم قصائد لشعراء فرنسيين وانكليز ، وهو يترسم بين آونة وأخرى خطى ايليا ابي ماضي وميخائيل نعيمة وصحبهما ، ثم هو يتشبثّ الى جانب ذلك بأذيال شوقي وحافظ ومطران والأخطل الصغير وشعراء المدرسة التقليدية العراقية الذين ادركهم وتتلمذ عليهم ولازم ندواتهم .

وقد روى في مذكراته انه في مطلع شبابه أدّى امتحاناً أمام معروف الرصافي مفتش اللغة العربية في وزارة المعارف فأجازه ليكون معلماً . وتعرّف الى الشيخ عبد الوهاب النائب وكان يزوره في ديوانه بجامع الفضل ويعرض عليه بواكير نظمه ، وقد هنّأه

بقصيدة في عيد الفطر سنة ١٩٢٥ وبأخرى في السنة التالية . ثم لازم الزهاوي ١٤ عاماً ورثاه عند وفاته .

وأخيراً ما سمات شعر المدرسة الانتقالية؟ ـ انها تجمع من ناحية الأسلوب الشعر العمودي ذا القافية الواحدة وأوزان الموشحات الخفيفة المتعددة القوافي . اما من ناحية الموضوع فهي توغل في الابتكار مع احتفاظها بالمواضيع القديمة من مدح وغزل ورثاء ، ولكن في اطار من التجديد والتنويع . وأما من ناحية اللغة والمعاني فهي لا تعنى بالجزالة والتراكيب الفصيحة قدر عنايتها بمجاراة روح العصر ومباراة المعاني والصور الأدبية الغربية الحديثة .

ان المدرسة الانتقالية قد مهّدت للمدرسة المتجددة التي نشأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية ـ تلك المدرسة التي استهانت بالأساليب والمواضيع القديمة ، ونبذت الشعر العمودي جانباً ، وتهاونت في أمر اللغة ، وارتمت في أحضان الرمزية والوجودية وأشباههما ، ولجأت الى فنون من الشعر الحرّ والتفاعيل المتكررة تحاول ـ وكثيراً ما أخطأها التوفيق ـ ان تخلق صوراً جديدة وأحاسيس ونوازع فريدة لأبناء الجيل الطالع .

نماذج من شعر أنور شاؤل

الى بائعة شوك

البرد يلذع وجنتيك وساعديك العاريين
والحقل أقفر لا رفيَق يزيل عنك الغمّتين
إلا الطيور مرفرفات حوّماً في الجانبين
لو تستطيع بمنقر دفعت أذاك ومخلبين
وحمت حماكِ بمقلتين

الزمهرير هو الأليف يهبّ لا ريح الصَّبَا
وخزاته فوق السهول وبين هامات الربى
تنساب في بُرْد الضحى أفعىً وتلسع عقربا
رفقاً بحسنك ، يا صبيّة ، واحذري ان ينضبا
رفقاً ، مخضّبة اليدين

إن كان ظهرك خاضعاً لعناء ما حمّلته
او كان عنقك طائعاً رهناً بما كبّلته
فالقلب أنّى يستريح لما به علّلته
والفكر عن آماله ورؤاه أنّى يلتهي
يا من تطيل النظرتين !

الشوك يدمي راحتيك فلا يرقّ ولا يلين
وغداً يزفّ النار تحمي في الليالي الآخرين
هم يدفؤون وأنت من قرّ الشتا تتضوّرين
تشقين أنت لكي تَزيدي في رفاه المسعدين
فتقرّ من بلواكِ عين

قَطْر الندى هذا على الأشواك أم دمع المُقلْ
نار الأسى هذي التي تخفين أم نور الأمل
إني أراك الى المدينة تقصدين على عجل
فحذار تخدعك البهارج في مقال او عمل
او تؤمنين بما تَرَيْنْ .

بجوار الموقد

لم يبقَ لي إلا القريض وموقدي ... وهما تعلّة قلبيَ المتوجّد
يا شعلة الحب المهيض توهجي ... فلعّل حيران الرؤى بك يهتدي
النار في صدري وصدرك جمرها ... مهما يَطُلْ جنح الدجى تتوقد
خبت المشاعر في الضلوع وأورثت ... للذكريات مجامراً لم تخمد
سقياً لعهد كم نعمتُ بظله ... ألحبّ ديني والصبابة معبدي
أغفو على همس الشفاه نديّة ... أصحو على هزج الكنار المنشد
الصفو ينشُدُ في كؤوسي نبعه ... والسعد والآمال ترقص في يدي
أيامَ كنت وكنتُ أنعم من صبا ... لا أنت صادية ولا أنا بالصدي
عهد َتصرّم مثل حلم عابر ... ما زلَت أرقبه بطرف مسهد

الطيّار الشهيد

– الى أرواح شهدائنا الطيارين

اجعلوا مثواه هذي الأنجما ... وامنحوه نورها المنسجما
فعُقاب الجوّ ما إن ينتحي ... ان رماه السهم إلا القمما
وإذا ما هوت الشهب فلا ... تبتغي غير مفازات السما
طائر يعشق أجواز الفضا ... كيف يستقبل قبراً مظلما؟
يا مخيف النسر في عليائه، ... كيف ودّعت ولم تفتح فما؟
لو تعيد العين في تسكابها ... مَنْ أضعنا لبكيناه دما
فاتركوا الدمع فلن يجديكم ... وأنيبوا المدفع المحتدما
أطلقوا نيرانه مؤذنةً ... بمصاب هدّ ركناً في الحمى

وطن الأحرار

تحية ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

وطنَ الأحرار والمجد سلاما ... نجمك اليوم على الدنيا تسامى
كلّ شهر ثورة خالدة ... تملأ الكون ازدهاءً وابتساما
كل شهر ثورة مرعدة ... نارها تنزل برداً وسلاما
ثورة يلهبها مقتدر ... عبقريّ الفكر نهجاً واقتحاما
غمر الأجواء منه ثاقب ... مزّقت أنواره عنّا الظلاما
فإذا بالأفق الزاهي وقد ... شعّ حبّاً واخاءً ووئاما

وطن الأحــرار ، إنّا مــعـــشــر
جــمــعــتنا غــاية واحــدة
ديننا حبّ مــغـــاني تربة
وطني عـــشت وعـــاشت وحــدةً

وحّــدوا روحـــاً وفكراً وانتظامــا
هي ان نســعــد أحــراراً كــرامــا
كــرمت أرضــاً ونهــراً وغــمــامـا
هي كــالشــمس انتــشاراً واضطراما...

في سفوح سرسنك

هنا العــمــر كــالرؤيا الجــميلة مسرع
هنا تعـــبق الأزهـار نشـــوى نديّة
وتصطفق الأرياح رخــواً وعــاصــفــاً
ضــجــيج تناهى وقــعــه مــثل همسة
يحـــرر في أعـــمــاق روحي دفــائناً

يفـــيض بألحـــان ويزهو بألوان
نقــيــة ثوب بالمــفـــاتن مــزدان
فــحــيناً كــارعــاد وحــيناً كــتحنان
وهمس نسيم كــالعــواصف يغشاني
حــرصت عليــهــا ان تنوء بكتــماني

غانية تبتسم

لمن هذه البـــســمـــة الطاغــيــه
أللمـــدنفـــين ام العـــابثـــين
أللخــمـــر ســحــريةَ المحـــتــسى
ام الـــلـــحـــن جُـــنَّ بـــأوتـــاره
لمن هذه البـــســمـــة الدانيــه؟
ألا انهـــا بســمـــة للجـــمـــيع
ألا انهـــا بســـمــــة لم تكن

تلألأ كـــالنجـــمـــة الزاهيـــه؟
ام الجـــالســـين على الرابيـــه؟
أم الكأس مـــتـــرعـــةً خــاويه؟
فكان كـــضـــحـــاكـــة باكــيــه؟
لمن هذه البـــســمـــةً النائيــه؟
هي البـــرق في الليلة الداجــيــه
لنا فـــهـي تلويحـــة لاهيـــه

المقامرة الحسناء

جلست تلاعــبــه القــمــار جــمــيلةٌ
إن أومـــأت هفت القلوب ، وإن رنت
خـــســرت فــزان الوجنتــين تورّد
ومـــضت . وراح لشـــأنه لكنه
يا رابحـــاً خـــســرت تجــارة قلبــه

ألفـــتنة الخــرســاء في قــســمــاتهـا
ألقت شــبــاك الســحــر من نظراتهـا
وتبـــســمت والهــزء في بســمــاتهـا
أمـــضى الهـــزيع وذاته في ذاتهـــا
مـــا كنتَ إلا الطيف في ملهــاتهـا

مراد ميخائيل

الشاعر الدكتور مراد ميخائيل ولد في بغداد سنة ١٩٠٦ ودرس في مدرسة التعاون الأهلية ومدرسة الأليانس . عيّن لأول مرة موظفاً في محطة السكة الحديدية في الشرقاط (١٩٢٣) . وعاد في السنة التالية الى بغداد وأصبح معلماً ، فمديراً لمدرسة الأليانس في العمارة فمعلماً في المدرسة الوطنية في بغداد . ونقل مدرساً للعربية في مدرسة شماش الثانوية (١٩٢٨ ــ ١٩٤٠) .

درس في الوقت نفسه في كلية الحقوق ونال اجازتها سنة ١٩٣٨ . وعين سنة ١٩٤١ مديراً لمدرسة شماش فنهض بادارتها ست سنوات . ودعي الى طهران سنة ١٩٤٧ لادارة المدرسة التي انشأها العراقيون في العاصمة الايرانية . وقد سافر الى باريس سنة ١٩٤٩ وانتقل منها الى اسرائيل حيث عمل محرراً في جريدة «اليوم» الصادرة في حيفا وساهم في اذاعة برامج أدبية في الاذاعة . وحصل على درجة الماجستير في موضوع اللغة العربية وآدابها والحضارة الاسلامية ، ثم نال الدكتوراه سنة ١٩٦٥ . وكان مدرساً في دار المعلمين العربية في يافا فمفتشاً للغة العربية بوزارة المعارف فمحاضراً للأدب العربي في الجامعة .

مال الى الأدب منذ الصبا وأخذ ينشر مقالاته وشعره المنظوم والمنثور وقصصه في الصحف والمجلات . وكان يوقع كتاباته في مبدأ الأمر «نزيل الشرقاط» . وقد قرّظ أدبه شاعر العراق معروف الرصافي في مجلة «الحرية» لصاحبها رفائيل بطّي سنة ١٩٢٦ .

مراد ميخائيل شاعر وجداني يغلب على شعره طابع الحزن والأسى ، لكنه يملك روح فكاهة عميقة وسخرية لطيفة يبدأها بنفسه . وقد تأثر بجبران خليل جبران وشعراء المهجر فكتب على طريقتهم شعراً منثوراً جميلاً . نشر في بغداد مجموعتين : المروج والصحارى (١٩٣١) ، ودموع الأسى (١٩٣٣) . ووضع أيضاً : نصوص مختارة (في جزءين ، ١٩٦٥ ــ ١٩٦٧) ، تأريخ الأدب العربي (٣ أجزاء ١٩٦٥ ــ ١٩٦٩) ، النصوص الأدبية (١٩٦٤) ، كتاب الحضارة الاسلامية (١٩٦٧) الخ .

توفي في ١٣ شباط ١٩٨٦ . وقد طبعت زوجته بعد وفاته ديوان شعره بعنوان «الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور مراد ميخائيل» بتحقيق واشراف عبد الرحيم الشيخ يوسف .

مراد ميخائيل وأدبه

الشاعر الرقيق الملهم مراد ميخائيل نبع الشعر من ذات نفسه وتفتح ذهنه للأدب وهو لا يزال صبياً يافعاً .

كان العراق في نهاية الحرب العظمى الأولى في فوران اجتماعي وأدبي وسياسي . تنسّم أنسام الحرية لأول مرة بعد الاحتلال البريطاني ، وزاد اتصاله بالحضارة الغربية في مادتها وفكرها . نما الاحساس الوطني في قلوب الشباب ، خاصة بعد اعلان استقلال البلاد ودعوة الأمير فيصل الى تسلّم عرشها وتأليف حكومة عربية جديدة على أنقاض الحكم التركي الذي دام قروناً طويلة . وكان طبيعياً ان يمسّ كل ذلك وتراً حساساً في نفس الفتى الذي لا يتجاوز السادسة عشرة من عمره ، فتكون أولى نتاج قريحته منظومته «يا وطني» التي يقول فيها :

يا وطني ، يا وطني
حبّك قد تيّمني
حبك أقصى مأربي
فأنت أمي وأبي
بل مطلبي ، بل مكسبي
ومقصدي في الزمن

* * *

يا وطني أنت الرجا
أنت النهى أنت الحجى
وأنت نعم الملتجا
وعمدتي في المحن

* * *

أنا فيك صبّ مولع
مذ كنت طفلاً أرضع
وعليك قلبي موجع
ويلاه ، قد آلمني

* * *

روحي فداؤك يا وطن
فاسلم ولا تخشى الفتن
اليومَ ربعك لي سكن
وغداً ثراك يضمّني

* * *

ثق سوف تبقى في هَنَا
وتنال غايات المنى
وتسود في هذي الدُّنَى
وتفوق كل المدن
يا وطني ، يا وطني

نشرت هذه المنظومة الجميلة في جريدة «دجلة» لصاحبها داود السعدي في ١١ نيسان ١٩٢٢ . وطالع مراد أدب النهضة الجديدة بنهم ، لا سيما شعر المهجر الذي رفع لواءه جبران ونعيمة والريحاني وابو ماضي وأندادهم ، فاستلهم من قريضهم المنظوم والمنثور نفحات الحنين وحب الحرية والكآبة الملازمة للنفوس الرقيقة المرهفة الحسّ والتطلع الى الآفاق الخفية الرحيبة حيث السعادة الروحية والصفاء .

اجتذب فؤاده الحنين فقال :

يحنّ فؤادي كلما أومض البرق	ويشتاقكم قلبي إذا غنّت الورقُ
وكم ناحت الورقاء في دولة الدجى	كأني وأذيال الظلام لها طوق
يجاوبها شعري ، وشعري محجّل	بقافية الأحزان إذ صابه عشق

وقد تأثّر مراد ميخائيل أيضاً بالشعراء العرب الأقدمين وفي مقدمتهم المعري والمتنبي ، وتأثر بشعراء فرنسة وانكلترة أمثال كورناي وراسين وموليير وهوغو ولامارتين وكيتس وشيلي وبراوننغ وغيرهم وبطاغور شاعر الهند . ونشر شعره المنثور في مجلة «المصباح» سنة ١٩٢٤ فلقي تقديراً من معروف الرصافي الذي كتب الى صاحب المجلة رسالة قال فيها : «قرأت العدد ٢٢ من جريدتكم فقرة من رسالة أرسلها اليكم الأديب الفاضل مراد ميخائيل يجوز ان تعدّ بما فيها من المعاني الشعرية العليا من أرقى الشعر المنثور . ولقد حوت من دقة التعبير ودقة التصوير وبداعة الخيال ما يمتلك السمع ويستفزّ النفس ويختلب القلب ويدلّ على شعور راقٍ يلوح لي من خلاله ابتسام أمل كبير

بمستقبل صاحبه الشعري . ومن ذا الذي لا يتمنّى لمثل هذا الشعر الحيّ الراقي ان يتبلج صبحه الوضّاح في آفاق العراق . أما الفقرة المذكورة فهي :

«أنا ليل بكآبتي الخرساء ، لا منتهى لسماء خيالاتي ،

ولا ساحل لبحر تأمّلاتي .

في سكوني أذيع مجد الملمّات ، وفي وجدي أعبد الصباح وأقدّس الفجر .

أغرس في أعماقي زهرات مجنّحة من النور تسكب عواطفها شعاعاً ، وأبتدع صوراً سحرية أعبّر بها عن منازع نفسي .

الحقد يكدّر صفوي ، الضوضاء ترنّق كأسي ،

الوحشة ترفع عنّي ستار الغيب .

أنا زهرة لا تذبلها سموم الخريف ،

أنا غصن لا تقصمه عواصف الشتاء ،

أنا حلم لا تخفيه اليقظة ،

أنا ضعيف لا يفترسني الأقوياء

لأني قويّ بضعفي»...

ذلك ما قاله الرصافي . وقد عرفت مراد ميخائيل حاضر النكتة ، هازئاً بالمجتمع بادئاً بنفسه . لكنه كان يحمل في قرارة ذاته حساً خفيّاً بالحزن تظهر اماراته في شعره ، فيقول :

وليل به الأقـــمـــار تزهو وتسطع	وبرق من الآمـــال يـخــبـــو ويلمع
ومـا مـضـمـضت عـيني بلوم لـحـرقـة	بقلبي ونار الشـــوق في القـلب تلذع
شـربت كـؤوس الصـاب رغـم ارادتي	وجُـرّعْت مـا فـيـهـا فـحـزن وأدمع
فـلا خـيـر في هذي الحـيـاة فـإنهـا	مـصـابَ وأهوال ومـوت مـفـجّع

وبالرغم من ذلك نراه يتشبّث بأذيال الأمل والتفاؤل فيقول :

لقـد نادتنا الحـيـاة ، فـهـيّـا بنا ،	ان في سلّتــهـــا ورود الأمـل

ويقول :

مـوكب الأيام يمـشي قُـدُمـاً	ليس يثنيـه عـسـيـر او بعـيـد
هـوذا الفـجـر أنار الظلمـا	ونفى عنّا خـمـولاً وجـمـود

نحن للآتي نثير الهمما ولنا الماضي طريفاً وتليد
للمساواة رفعنا العلما وجعلنا الحق عنوان الوجود

هزّت الشاعر مشاهد البؤس فرثى للبائسين . ونراه في قصة «البائس» التي نشرها سنة ۱۹۲۸ يتحدث عن فقير مدقع يطرق الأبواب طلباً للصدقة يقيم بها أود عائلته ، وقد لفّ الليل بظلامه المدينة وخلت الطرق من السابلة . أعياه السير فجلس تحت نافذة دار تموج خزائن أصحابها بالذهب ، وهو أسير اليأس والخيبة . وسمع صدى الأفراح ورنين الأقداح ، فخاطب شبح ولده يعتذر إذ لم يستطع ان يجيئه بلقمة خبز يسدّ بها رمقه . وفي تلك الساعة خرجت خادمة من الدار ورمت بقايا طعام العشاء في زاوية من الطريق ، فنهض وحمل الطعام المتروك للكلاب وجرى نحو كوخه .

تلك صورة حزينة رسمها قلم الأديب الشاب . وقد قال في قصيدة له على لسان بائس :

يحمّلني دهري بما لا أطيقه وتقعدني الأحداث والقلب مألم
ولم يبقَ من كأس الحياة صبابة لأشربها والكأس صاب وعلقم
تجرّعته والموت لاح صباحه على الرغم مني والردى يتقدّم

رسم الشاعر في هذه القصيدة صورة مريعة للبؤس ، فالفؤاد يضطرم بالنار ، والدموع تنسكب دماً ، والآمال تخيب فتغور أنجمها ، والصبر ينفد . يشكو معاداة الزمان الذي سدّد نحو البائس المسكين سيوف الخطوب ، فلم يبق له إلا ان يناشد الطير ان يغرّد فوق قبره !

ولم يخلُ شعر مراد من الحبّ والغزل ، فهو يقول :

ليس تحلو الحياة من دون حبّ استمدّ الخفوق منه لقلبي

وهو يرى الحب نجماً بين الغيوم وزهرة في القتاد وبسمة بين القطوب وجمرة بين الرماد ، يرنو اليه البدر من عليائه وتلثم الشمس خدّه الوردي وهو يقول :

لو كنت نجماً أبديّ الضياء وفي سما محبّتي تسبحين
لكنت رمزاً للهوى والبقاء وكنتُ رمزاً لمحبّ أمين

ورأى أشواقه كالخمرة التي لا كأس لها تنتعش الأرواح في رشفها ، او كزهرة في القفر الموحش لا تقطفها الأنمل ، او شمعة مضيئة في حجرة خالية ، او نغمة علوية لا يعبّر عنها ناي الشاعر . ولا شك ان ذلك خيال يرفرف في الآفاق البعيدة فيخلق التشبيهات والاستعارات الرائعة . وهو خيال تصبو اليه النفس ويتطلع له القلب ، ولكن

قلما يحظى به الشاعر اللاهف .

قرن الحب بالجمال فقال في قصيدته «نحن عشاق الجمال» :

هذه الأزهار لا تنشقها ... فخدود الغيد لا تدري الذبول
هذه الأنجم لا ترمقها ... فنجوم الحسن لا تدري الأفول
هذه الأطيار لا تسمعها ... فحديث الحبّ أنغام السماء
هذه الصهباء لا تشربها ... فخمور الوجد تنيسنا الشقاء

ومن الحبّ الى الحبّ الصوفي خطوة قصيرة خطاها شاعرنا فقال :

يا إله الهوى ، جلالك سفْر ... رصّعته كواكب الجوزاء
ومصلاّك في الطبيعة سَحر ... قدّسته عواطف الشعراء
أنت فجر تصبو له الأزهار
نحن زهر تشدو لنا الأطيار
أنت بحر تشتاقه الأنهار
نحن نهر له البحار قرار

رفع عينيه الى العلاء فنسي بؤسه وأوصابه إذ تجلّت له آفاق الكون السرمدية ، فقال :

فرأيت النجوم تبدو وتخفى ... ورأيت السماء مثل كتاب
فقرأت السطور والأفق صاحٍ ... فعلمت الأكوان رهن انقلاب
سار نحوي الزمان وهو رقيقٌ ... كالنسيم العليل بين الروابي
فروى لي عجائب الكون طرّاً ... بقصارى الكلام والاسهاب
ورأيت الحياة نور وميض ... يتراءى ويختفي في التراب
او سماءً قد وُشِّحَتْ بسحاب ... وعليها السحاب مثل النقاب
بدّدته أيدي المنون بريحٍ ... ساخط هبّ من وراء الشعاب

قضى مراد ميخائيل ، وهو في ميعة الشباب ، سنة او سنتين موظفاً في محطة قطار الشرقاط . والشرقاط قرية صغيرة تكاد تخلو مما عدا سكة الحديد التي تمرّ بها الى الموصل وبعض الدور والأكواخ الحقيرة . عاش ثمّ في عزلة منصرفاً الى عمله لا أنيس له سوى المطالعة والكتابة والسير على قدميه في الأرض الخالية ، مستسلماً الى التأمل والتفكير . وقد قال في وادي الشرقاط :

«الى هنا جرفني التيّار .

هنا وضعتني السكينة لأقاسي صنوف الآلام

هنا خمدت نار قلبي المشتعلة على موقد الحب .

هنا غارت كواكبي ثم قُدَّتْ بدوراً ساطعة...

في هذا الوادي ترقص أشباح الظلام ،

وفي هذا الوادي تمرّ خيالات السنين ومواكب العصور ،

هنا المقبرة القائمة بين الفناء والخلود .» .

وتقمّص في وادي العزلة ثوب الدرويش ، فقال : «بين ظلال الحياة ووحشة السنين ، بين الذين يرتوون بالسراب ويستحمون بالشعاع ، بين الذين يخرّون ساجدين للعناصر القوية ويميلون كالأغصان مع الرياح الساخطة ، بين الذين ينوحون ويئنون ويتباكون . وقف بين مقابر الأحياء وعلى هامته أكاليل من النور ، وفوق جبينه آيات الكآبة المجسّمة في صحاري فؤاده ، وقف ذارفاً أدمعه على الأموات ، هارقاً روحه على الأحياء . وقف على رابية من الأموات وقال :

أنا شبح هائل منتصب بين الليل والصباح ،

أنا حلم مرعب بين اليقظة والمنام» .

إن درويش مراد ميخائيل أقرب الى «نبيّ» جبران و«تائهه» منه الى درويش الشاعر المهجري رشيد أيوب الذي يقول :

«تحت الشجرة رقد المسافر فلا توقظوه ، فقد أنهك قواه السفر .

ما أرقّ هذا النسيم المارّ على وجهه الذي لوّحته الشمس .

آه ما ألذّ الراحة بعد التعب والنوم بعد اليقظة .

آه ما أحلى البكاء مقروناً بآمال تومض ايماضاً .

آه ما أجمل التذكار لمن تقاذفت به فلوات .

انظروا الى قلبه الخافق كأنّ حلماً يروعه» .

ان درويش مراد ميخائيل كئيب واقف بين الأموات ، اما درويش رشيد أيوب فقد بلغ ميناء النجاة ورقد مرتاحاً من أوصابه ، ثم نهض متطلعاً الى جمال الكون ، مخاطباً آلاء الحياة ، تلك التي تتمثّل في ابتسامة الطفل واخلاص الصديق وأنفاس الحرية ، وتلك التي تتلخص في الحب والتضحية والأمومة . ان درويش مراد ميخائيل بائس حزين عاش

في الصحراء بين المقابر والطلول ، أمّا درويش رشيد أيوب فقد نفض عن نفسه وعثاء السفر وجاء الى الروضة يستمتع بالنسيم البليل ويعلن حبّه للحياة .

وللشاعر مراد ميخائيل «صلاة» روحية فيها قبس إلهي يصبو الى ذاته السامية . فلنستمع اليه يقول :

«ان ذاتي الخفية لترتعش هيبة منك .

ان روحي المقتبسة من نورك الأزلي لتخرّ صاغرة ذليلة أمام عظمتك !

ان قلبي لتسحره مشاهد الملأ الأعلى وتسكره أنغام سكينة الدهور لتجتذبه الى ينبوعك الروحيّ بأجنحة من نور ونار .

ففي سكون معابدك غذاء المتصوّفين ،

بين جمال طبيعتك مسمع المتخيّلين .

بين طيّات ليلك وحي الأنبياء ،

في جيوب صباحك آمال الفقراء .

في غيوم مسائك دموع المتشردين ،

في فضائك سلّم النشوء والارتقاء ،

في أكوانك سلاسل الحياة التي تبتدئ من اللحد وتنتهي بك !...» .

ان في «صلاة الشاعر» قبس من أنفاس طاغور شاعر الهند الخالد في «قرابين الأغاني» . قبس من نفس الأنسيّ الواهن التوّاق الى الذات الالهية السامية والخائف المرتجف بين يديها . هي الذلّة والعبودية التي تنحني أمام العظمة وتشرئبّ بعنقها الى الملأ الأعلى . ونرى شاعرنا يصلّي الى الله في سبيل شعب خائر القوى ، في سبيل أمة مزقتها عناصر الاستيلاء ، براها الضنى وأنحلها الشوق ، وقد تطهرت بالدموع وتخضبت بالدماء . اما طاغور فيصلّي لنفسه ، يصلي لقلبه الواهن الذي ينبسط مبتهجاً بمسّ اليد الخالدة ويفصح عن أناشيد علوية الجمال ، يصلّي لأجل الانسانية ، حيث يكون الفكر غير هيّاب ولا وجل ، والرأس مرفوعاً الى العلاء ، وحيث تكون المعرفة حرة ، وحيث يكون العالم واحداً لم تجزّئه الجدران المحلية الضيقة اجزاءاً ، وحيث تنبثق الكلمات من أعماق الحقيقة . يصلي طاغور الى الله ان يكتب اليقظة لبلاده في تلك السماء ، سماء الحرية .

يتألف معظم أدب مراد ميخائيل من الشعر المنثور . وإذا كان هذا الشعر قد افتقد

القافية وأوزان الخليل فإنه لم يفقد العاطفة الحرّى والبيان الناصع والانسجام الذي يضفي عليه سلسالاً رائقاً كماء الجدول الصافي في خريره . وقد أعجب معروف الرصافي بهذا الشعر المنثور وعدّه بما فيه من المعاني الشعرية من أرقى ما جادت به القرائح . لا ريب ان شاعرنا قد تأثر كثيراً بشعراء المهجر . يقول مراد في قصيدته «المساء» :

«دقّت نواقيس المساء وخيّم الصمت العميق

تنعى جمود الكادحين وتندب العيش الطليق .

لا صادح في أيكة ، لا نائح فوق الغصون ،

جوّ كئيب ، وحشة خرساء تذكيها الشجون .

ويقول ايليا ابو ماضي في «مسائه» :

«السحب تركض في الفضاء الرحب ركض الخائفين ،

والشمس تبدو خلفها صفراء عاصبة الجبين ،

والبحر ساجٍ صامت فيه خشوع الزاهدين .

لكنّما عيناكَ باهتتان في الأفق البعيد .

سلمى ، بماذا تفكرين ،

سلمى بماذا تحلمين؟»

ويقول جبران : «لكم لغتكم ولي لغتي» ، فيحمل على الجثث المحنطة الجامدة من الألفاظ ويحمد اللغة الحية التي تنتعش فيها الروح . ويقول مراد : «لكم أحلامكم ولنا أحلامنا» ، فيتغنّى بأحلام الفلاسفة لعالم يشعّ منه النور ، وأحلام المصلحين لاقامة عالم أفضل . ويقول مراد : «لكم مصيبتكم ولي مصيبتي» :

«لكم مصيبتكم وما تمطره من وبال وشرور ،

ولي مصيبتي وما تحدثه من تسخير القوى الكامنة .

لكم مصيبتكم وما تسمّم الفضاء بأنفاسها ،

ولي مصيبتي وما تخضب الأرض بدمها ودمائها .

ومصيبتي أحرار تموت كالعبيد .

ومصيبتكم لعنة في فم الحياة ،

ومصيبتي بركة بين شفاه الموت» .

وماذا عن «شيطان» مراد ميخائيل؟ لقد كان الشيطان دائماً يوحي بالشعر والقصص والأمثال . وقد خلق لنا الشاعر الفرنسي الفرد دي فنيي في قصيدته الرائعة «ايلوى» أو «علواء» شيطاناً رجيماً أغوى بتظاهره بالمسكنة ملاكاً طاهراً من فتيات الملائكة فاجتذبها الى الجحيم . وروى عباس محمود العقاد في قصيدته «ترجمة شيطان» قصة شيطان ناشئ سئم حياة أمثاله وتاب ، فقبل الله توبته وأدخله الجنة وحفّه فيها بالحور والعين والملائكة المقرّبين . غير انه ما عتم ان سئم عيشة النعيم وملّ العبادة والتسبيح وتطلّع الى مقام الألوهية ، فجهر بالعصيان ومسخه الله حجراً . فإذا به ، كما قال العقاد ، لا يزال يفتن الناس بجمال التماثيل وآيات الفنون :

ولقـد قـال أناس شـهـدوا ... مـصـرع الشيطان : هل طبع يزول؟
ناره تخـبـو فـلا تتّـقـد ... وهو في الصخرة يستهوي العقول
فـإذا أبصـرت من صخـرته ... دمـيـة سـاحـرة او صنمـا
فـابتـعـد منه ومن رقـيـتـه ... واتّقِ الله وحـوقل نـدمـا

اما شيطان مراد فقد قال فيه معروف الرصافي :

«كتاب كريم من شيطان غير رجيم ، من رجيم غير شيطان ، من انسان في صورة رحمان ، من رحمان في مسلاخ انسان ، من انسان هو شيطان ، من شيطان انس ليس من الجان . يفتش صور اليقين في ألواح الشك ، ويزجّ في مهاوي الشكوك بألواح اليقين . تراه ساخطاً على الدين وهو به راض ، محتقراً للعقل وهو به قاض ، يريد ان يجمع سلسلة النور الممتدة من ظلمتي الأزلّ والأبد ليجعلها قلادة في عنق الانسانية...» .

ثم قال : «شعر لشاعر يقول ما يشعر ويشعر بما يقول ، يريد ان يصوغ من شعوره الحيّ تاجاً لجمجمة الحق البالية... وهيهات ثم هيهات لما يريد...» (معروف الرصافي ، ٣١ كانون الثاني ١٩٢٥) .

ان «شيطان» مراد كان في قديم الزمان روحاً هائمة على وجه الغمر ، ثم تقمّص أشكالاً متباينة مختلفة حتى أصبح مجنوناً ، وفي جنونه لذة لا تدركها إلا الجبابرة ، وفي لذته تجري دماء المطامع ودموع الآمال . وكان بعد ذلك متسوّلاً ، ثم تائهاً طاف في كل أنحاء الوجود وعرض نفسه على كل مخلوق . فتّش عن معبد نفسه وعن طريق عبادتها فعاد خائباً مقهوراً . وقد أصبح غريباً حتى عن نفسه لا يدري بما تخزنه من عوامل . سار في صحرائها تاركاً فوقها آثار قدميه ، فإذا بالريح تطمس تلك الآثار . وهذا ، يا إلهي ، كما يقول ، منتهى التعاسة والشقاء .

والكلمة الأخيرة في مراد ميخائيل هي انه كان شاعراً أديباً ، لكن حقّ له في الوقت

نفسه ان يفخر بعمله في التعليم مدرساً ومديراً واستاذاً في بغداد وطهران واسرائيل ، وبمؤلفاته في تأريخ الأدب العربي والحضارة الاسلامية والنصوص الأدبية الخ . وقد تخرج عليه آلاف الطلاب خلال نصف قرن ، فكانوا رواداً للعلوم والآداب . وقد قيل في بعض معلمي الأغريق القدماء ان تلامذته خير آثاره . ولا ريب ان هذا القول يصحّ في شاعرنا الرقيق ذي العواطف الفياضة والروح الحائرة الحالمة المتطلعة الى المثل الأعلى .

من شعر مراد ميخائيل

يا ظلام الشقاء

يا ظلام الشقاء ، زدني شقاءً ... ففؤادي يحنّ للأرزاء
واغرس الشوك في حقول رجائي ... واسكب السُّم في كؤوس صفائي
واعقد الخيبة المريعة تاجاً ... فوق هامي وخلّني وبكائي
واسحق النفس بالمذلّة سحقاً ... واحبُونّا من الأسى والعناء
ان تكن حالكاً فانّك نور ... في عيوني ونجمة في سمائي
انت نار في أضلعي تتلظّى ... تأكل اللحم او تطلّ دمائي
ان فقدتُ الخليل كنت خليلاً ... ساكتاً ناطقاً من الفصحاء
او رجوتُ السمير كنت سميراً ... يطرد الانقباض من برحائي
او ضللت السبيل كنت دليلي ... في مسيري وموئلي ولوائي

البدر

البدر في الظلماء يمشي ساحباً ... ذيلاً حبته الشمس بالأضواء
صبغت بريشتها محاسن وجهه ... فأضاء بين ستائر الظلماء
فمضى يعوم مبجّلاً كسفينة ... قد أبحرت في القبّة الزرقاء
يبغي بأن يلقي عصا الترّحال في ... مرسى الصباح بشاطئ الجوزاء
وعلى أديم الماء أرسل نوره ... كصحيفة من فضّة بيضاء
ضربت أشعته على أمواهه ... فترى الدّراري فوق صدر الماء
إبر الشعاع تناثرت فوق الرّبى ... مثل النجوم وقد زهت بسماء
فكأنّ هذا البدر في عنق الدجى ... ملك يقود الجيش للهيجاء
او غادة من خدرها قد أقبلت ... ترنو الى المحبوب باستحياء
رمت القناع الى السماء تريد ان ... تكسو الأديم عمائم الخلفاء
لما تلاقى العاشقان رمتهما ... مُقَلُ النجوم بأعين الرقباء

والنجم في بحر الظلام لآلئ   منها الضياء يشعّ في الأنحاء
لعب الظلام بضوئها فتواضعت   كتواضع الضعفاء للبسلاء
صاغ الدجى عقداً له من نجمه   في رونق ومحاسن وجلاء
أعروس ذي الظلماء ، انك ساهر   مثلي وفيك صبابتي وعنائي
فأرى عيونك بالمدامع سمحة   والدمع للتعساء خير عزاء
أرنو الى نهر المجرّة قد طحى   من دمعك المسكوب كالأنواء
لزوال هذا العزّ بعد سويعة   مثل العوالم كلّها لفناء

الربيع

ناح الحمام وغنّت الأطيار   وسرى النسيم وفاحت الأزهار
خلع الربيع على الرياض رداءه   وله البنفسج والشّقيق دثار
عبث النسيم بورده فتنبّهت   وتبسّمت مذ شعّت الأنوار
والشمس حاسرة اللثام بخدرها   تبدو وزرقة أفقها أستار
تهتزّ أغصان الربيع صبابةً   ويفوح في أحضانهنّ نهار
فالروض يزهو في مغارس عوده   والعود يزهو ان بدت أثمار
والسلسبيل العذب سار بقلبها   فسقى الرياض فشبّت الأشجار
وتمايلت أغصانها طرباً له   وبروحها قد شُيّدَت أوكار
والبلبل الصدّاح ينشد لحنه   فوق الغصون وصوته مزمار
يلقي القصائد والطيور تجيبه   فصفيره وصفيرها أشعار
تبدو الرياض جميلة بربيعها   وبوصفها تتحيّر الأفكار

الشيطان المجنون (مقطع)

في جنوني لذة لا تدركها إلا الجبابرة ، وفي لذّتي دماء المطامع ودموع الآمال .

أسير وتحت أقدامي تندثر الشعوب ، وتتحطّم التيجان ، وتنسحق القلوب ، ومن الغبار الذي يحدثه سيري تتكوّن عوالم مظلمة كأميالي .

من ظلالي يتولّد الليل الذي أنسج أحلامه ستاراً مترجرجاً يغشى الجبال ، وأنحت من كتلة وجدي شموساً تسكب أدمعاً نورانية تستنير بها الأفئدة المظلمة .

من نظراتي الخارقة سجوف الضمائر يتدفّق نهر من انكسار الخاطر وبحر من تبكيت الضمير .

أرى الكواكب عيوناً ترمقني ، والدجى نوراً يفتح بصيرتي ، والعقلاء صخوراً ، وأنا موجة ابتعد عنهم فيردّني الطيش . ولذا تسمع أنيني تحت أقدامهم ، يا إله الشياطين ، وانكساري أمام قوة الجنون العمياء .

طلوع الشمس

لاحت تباشير هذا الصبح في خَبَبِ ... تزري بتطريز بُرْد الليل بالشهب
وانشقّ جلبابه بالشمس حين بدتَ ... وابيضّ أسوده من نورها الذهبي
شابت ذوائبه الجهماء عن وهن ... لو لم يُجَشَّمُ بالذّلفاء لم يَشبِ
وقد ترقرق فوق الأفق ماء سناً ... وقد تعسكر ضوء الشمس في لجبَ
تقمّص الأفق بالأنوار مزدهياً ... والطفل يزهو بما يحلو من القُشُب
جنودها اخترطوا في الأفق أسهمهم ... ومزّقت سُدْفَةُ الظلماء بالقُضُب
سمْط اللئالئ فوق الورد قد نثرت ... حفّ الحَبَاب على كأس من العنب
والشمس ساطعة والزهر عابقة ... والطير في فرح والناس في طرب

محمد صالح بحر العلوم

محمد صالح بحر العلوم المعروف بـ «شاعر الشعب» ، وهو ابن السيد مهدي بن محسن الطباطبائي آل بحر العلوم ، ولد في النجف سنة ١٩٠٨ . توفي أبوه وهو يحبو الى الخامسة ، فكفلته أمه ، وكانت امرأة فاضلة ، ورعاه خاله السيد علي بحر العلوم وأحسن تأديبه . درس محمد صالح في مدارس بلده ومعاهدها وبرّز في علوم العربية ، وأخذ علم المنطق عن الشيخ محمد رضا المظفر . نظم الشعر شاباً واشترك في الحلبات الأدبية . وذهب ضحية الارهاق وفتور الأعصاب حتى زهد في الحياة وأقدم على الانتحار ، كما قال علي الخاقاني في المجلد التاسع من «شعراء الغريّ» ـ لكن شقيقته أدركته قبل ان يفارق الحياة ، فنقل الى المستشفى وعولج فنال الشفاء .

أطلق لسانه وشعره يهاجم السلطة ويندّد بما اعتقده من ظلم وطغيان ، فأوقفته شرطة النجف سنة ١٩٣٠ على أثر المداولة في تصديق المعاهدة البريطانية . وقال قصيدة مطلعها :

السجن بالعزّ خير من النعيم بذلّة

ثم حلّ في بغداد . وزار البحرين سنة ١٩٣٢ واشترك في تأبين شيخها حمد بن عيسى آل خليفة فأبعده الانكليز . عاد الى بغداد فوظّف مراقباً للعمل في شركة الدخان الشرقية التي أسسها جان بمبجيان خبير صناعة السيكاير القادم من مصر . لكنه استمر في معارضة الحكم والاشتراك في المظاهرات ، فحكم عليه بالسجن ووضع تحت المراقبة مراراً . رحب سنة ١٩٣٦ بانقلاب بكر صدقي فلم يلبث ان خابت آماله . ثم اشترك في الوثبة سنة ١٩٤٨ فأودع السجن حيث قضى أكثر من سنة . وفي سنة ١٩٥٢ عاد الى الاشتراك في الأحداث ، فحكم عليه بالحبس الشديد وذاق مرارة السجن ثلاث سنوات .

قال علي الخاقاني انه «دوّخ الصحف والمجلات وموّج أندية النجف ، وأدخل عليها ألواناً جديدة من الأدب الواقعي كانت قبل لم تسمعه . فقد ذهب فيه الى يقظة العامل والفلاح ومقاومة الأقوياء . وألهب في شعره روح المواطنين بحماسه القويّ وثورته النفسية» .

وذكره الدكتور داود سلوم في كتابه «تطوّر الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي»

فقال انه شاعر مهمّ في الحقل الاجتماعي والسياسي ، وقد اتبع طريقة شعراء المدرسة القديمة من حيث الأوزان والقوافي المطّردة . ثم قال : «إلا انه يتميّز عن (شعراء تلك المدرسة) بأن روحاً اشتراكية تتحكم في أشعاره . وقد ولد في النجف في جوّ ديني ، ولكنه سرعان ما ثار على ذلك المحيط ، وبدأ يفكر لا بعقل رجل دين بل بعقل الاشتراكي الذي يبحث عمّا يقرّب بين طبقات المجتمع العربي . وقد قاسى في سبيل عقيدته هذه كثيراً من الاضطهاد والسجن» .

وقال محمد علي جعفر التميمي في الجزء الثالث من كتابه «مشهد الامام او مدينة النجف» انه محمد صالح السيد مهدي آل بحر العلوم شاعر الشعب ، ينظم باسمه ويعالج مشاكله العامة وما يحيط به من بؤس وشقاء . عني بتربيته خاله السيد علي بحر العلوم العلامة المعروف ، فدرس مبادئ العلوم الدينية ثم اتجه للأدب وتعمّق فيه .

توفي محمد صالح في بغداد في أوائل سنة ١٩٩٢ .

اشتهر بقصيدته «أين حقي؟» التي تنافح عن حقوق ابن الشعب والفلاح والعامل . وله من المؤلفات : العواطف (شعر ، ١٩٣٧) ، في سبيل ميثاق للسلام (١٩٥١) ، أقباس الثورة : من أعماق شعب ١٤ تموز (١٩٥٩) ، ديوان بحر العلوم (في جزءين ١٩٦٨ ـ ١٩٦٩) ، أين حقي؟ (١٩٥٩) ، العفّة (رواية ، ١٩٣١) .

من قصيدته «الحيّ المقبور» او «فلاح القرية» :

أعلى اقتدارك ام قصوري	تبني الألوف من القصور؟
ويعذّب الجمع الغفير	بنعمة النزر اليسير
وتصبّ أسواط البلاء	من الغنيّ على الفقير
هذي الجماهير الذئاب	تحفّ بالليث الهصور
والكلّ يصلح نابه	لنكاية العَفّ الغيور
حتّى مَ ، يا فلاح ،	تجهد والجهود بلا أجور
ما من جزاء للأيادي	الشاهدات ولا شكور
مأساة كوخك تختفي	حتى على الرجل الخبير
ماذا جنيت من النخيل	وما انتفعت من التمور
وهل ادّخرت لعيش عامك	غير صاعٍ من شعير؟
هذي مكافأة احتمالك	لفحة الصيف الهجير
صبراً فما للخطب إلا	همّة الرجل الصبور
إن مات إنصاف الطبيعة	فانتظر جرس النشور

أخبرني الدكتور جليل العطيّة المقيم في أولني من ضواحي باريس ان محمد صالح بحر العلوم تفرغ لأعماله الأدبية بعد اطلاق سراحه من السجن - وفي بداية السبعينات منحته الحكومة العراقية داراً وراتباً شهرياً ثابتاً ، فتفرغ للكتابة الشعر في جريدة «الثورة» . وانتخب خلال الثمانينات عضواً في الهيئة الادارية لاتحاد الأدباء العراقيين - وأدركته الوفاة في الأسبوع الأول من سنة ١٩٩٢ .

* * *

شعره

محمد صالح بحر العلوم شاعر الشعب ، بل الشاعر الثائر الذي هدر وعتب وكافح وغضب ، وارتضى السجن والارهاق حتى ذُهب بعقله وكاد يفقد حياته متحراً . وانك لتعجب لرجل سمح طيّب حيّي كيف يلتهب حماسة ويثور - ولعل ثورته صادرة عن نفسه الحرّة وانسانيته الطيبة حين يرى بعينيه الظلم والطغيان والخصاصة والحرمان ، يرى الأقوياء يصولون ويجولون ، والأغنياء يمرحون ويرفلون في ثياب العزّ ، والفقراء الكادحين لا يكادون يصيبون البلغة من العيش .

وقد قال :

أترجو حق شعبك من طغاة	وهل يرجى من الطاغين حقّ؟
نفوس تحسب التدليس خلقاً	وأفواه لديها الكذب صدق
فلي حال وللأقوام حال	محوّلة وفي الحالين فرق
تريد رقيق وجداني رقيقاً	تسخّره صخور لا ترقّ

وقال :

لهفي لفلاّح تسيّره	المطامع والمآرب
ويسوقه الشيخ المماكر	لاحتمال أذى المصاعب
حتى إذا دنت النتيجة	واستميل لأخذ راتب
صبّ النوائب فوق هامته	الضعيفة وهو نائب

وقال :

لمن القصور الشاهقات	تحقّقها هذي المهابة؟
ألشاعر سامي العواطف	أم لقدّ في الكتابة؟
ام ملك فلاح تلازمه	التعاسة والكآبة؟
هي ملك من خرجوا على	القانون مذ أمنوا عقابه

شاعران نجفيّان : علي الشرقي ومحمد صالح بحر العلوم ، فصل بينهما جيل او نصف جيل ، رثى كلاهما لحال الشعب وانتصر للفلاح والكادح وحمل على المتسلطين والانتهازيين الذين جمّعوا الثروات واستولوا على الأراضي والأملاك . اتّسم الشرقي بالرزانة والهدوء فتألّم وتكلم ، وحظي بمناصب القضاء والوزارة . اما بحر العلوم فثار وأثار هائجاً كالبركان المتضرّم ، ومال الى العنف فقاده الى الاضطهاد والتشريد والسجن . في رباعيات بحر العلوم أنفاس من نواح البلبل وصداحه لعلي الشرقي ، لكنه اكثر صراحة وصراخاً . قال :

ايها الفلاح فيمن ترتجي — فرج الخير وخير الفرج؟
وحواليك أفاعٍ لسعت — قصب الكوخ بناب الحرج
سممت كوخك حتى لا ترى — بعد هذا نسمة العيش الهني
وهي تقضي من شذاها وطرا — تحت ظل العدل واسم الوطن
وتعاطيك الأذى والكدرا — بيد الكيد ، بكأس الإحن
وعلى رأسك ، يا ليث الشرى ، — أسست حكم الوهى والوهن
كم نعيم احرزته فئة — هو من دونك بؤس فاتك
وقصور سلبتها سلطة — منك بالجور وأنت المالك
ومصابيح علتها بهجة — هي لولاك ظلام حالك
أبهذا الوضع تحيا أمّة — وبها الظلم وباء هالك؟

وقال في «ثورة الفلاح» :

قف بالرميثة وانشد الفلاحا : — هل نال من ماضي الجهود فلاحا؟
أدمت نواظره النوائب واصطلت — أحشاؤه تتناوب الأتراحا
قد كبّلته يد الصروف وأطلقت — لذوي المطامع في البلاد سراحا
يتنعمون بكدّه ، ووجودهم — لولا عنايته لزال وراحا

وقال من قصيدته «واحسرتاه على العراق» :

الشعب يسألكم غداً عن حقّه ، — ألديكمُ عذر يسكّته غدا؟
عبثت بقوّته سياسة مارق — حكمت عليه بأن يموت تجمّدا
فتجزّأت آراؤه وتسرّبت — روح الشقاق لشمله فتبدّدا
أضحى على وشك الغناء لعظم ما — قاساه من أعدائه وتكبّدا
واحسرتاه على العراق ، اما يرى — ما حلّ فيه وما شاهد مابدا؟
الأجنبي يحاول استعماره — كالهند حتى فيه يصبح سيّدا

وبنفســه آمــال ســوء ظنّهــا تحيــا وعندئذ ينال المقصدا

وقال ، وقد ساء ظنه بالناس وأحكامهم :

لو كــان للعــدل ميــزان يقــاس به لمـا استـخفّ بحكم العـدل سقـراط
فكل أحكام هذا الخلق مـهــزلة وإن تريّث فيهـا الخلق واحتـاطوا
لا حكم للعقل فيمـا يقطعـون به وانمــا هو تفـريط وإفـراط

تنقل بين السجون فقال :

كـيف تحلو لي الحيـاة وعمـري قـد تقـضّى مـا بين نفي وحبس
أأنا المـخلص الوحيـد لأبقى هدفـاً يشـتـفي به كل جـبس؟
تذبل العـاصفـات زهرة عـيشي وتبـيح الأهواء ازهاق نفـسي

وقال :

لمَ حـمّلتُ شـجـونـاً بين جـدران السـجـون
وَتذوّقت صـروفـاً دونهـا صـرف المنون؟
ألأنـي لـم أبـع يـومـاً لدنيـا القـوم ديني؟
أم يمـين القـوم بـالأمس علـى غلّ يمـيني؟

وغلب عليه الألم النفسيّ فقال :

كـيف حـالي ان دجـا الليل ولم يكُ عندي غيـر مصباح ضئيل؟
كلمـا يذكـيه كـبريت الألم يسـتـقي من رئتي زيت الغليل
وابنتي هيّـجت الصـخـر الأصم بعـويل دونه كل عـويل
تحـرس الكوخ بعـين لم تنم حـذراً من لصّ أهواء الدخـيل

بكى الشاعر على الأخلاق المتهافتة :

بلد تموت به الفضـيلة ميـتة هيـهات يعقبهـا الغـداة نشور
بيع الضمـائر في بنيـه سجيّـة ومن البليّـة ان يبـاع ضمـير
مـدَحٌ تكال وخـاطب متـملّق وهوى يطاع وكـاتب مـأجـور
كَلّ يحـاول ان يصيـد ، وحـوله شـرك به التشـتيت والتشطيـر

وأسي للبؤساء من بني قومه :

هذا العـراق وهذا وضع محنتـه لا تسـتـقيم على حـال به نُظُمُ
ابناؤه تحت حكم العـسف رازحـة والداخلون عليـهم باسـمـه حكمـوا
يطارد الأبرياء المـخلصـين به جـان ويضطهـد الأبرار مجـترم

أيرتجى الخـيـر من قطر قـضـيـتـه تـدير مـحـورها الأوغـاد والقـزم؟
يسـتـعـبـد الحـرّ منه وهو مـحـتـقـر ويعـبـد العـبـد فيـه وهـو مـحـتـشم
كم بائس يتلوى فـوق مـضـجـعـه من الهـمـوم وسـيـل الدمع منسـجم

غلبت عليه السويداء ، فلبس منظاره القاتم ورأى كل شيء مظلماً أكمد لا يرجى منه خير ولا أمل فيه . فالحرّة تتمنى الموت جازعة ، وصبيتها تردّد الآهات ألماً في الكوخ الحقير ، وجارهم ربّ القصر ثمل تحفّه الحور والولدان والخدم . وماذا في البلد وحكومته؟ الظلم منتشر والعدل مندرس ، وكرامة الشعب تطأها الأقدام الباغية . تلك صورة يائسة لم يعرفها شعب العراق يوم ارتفع صوت شاعرنا بالويل والثبور ، وفيها من المبالغة والاسراف ما هو مدفوع ومتكور . صبّ في شعره ، كما قال ، «صاعقة الشعب على الخائنين» ، وأهاب بالشعب ان يترك السكون وينهض لدرأ الخطوب . وحمل على الحكومة الخاضعة للاستعمار ، الراضية بالذل والهوان ، المتسلطة على الشعب تبطش به وتحصي عليه أنفاسه ، تلفّق المجالس وتصدّق المعاهدات وتبرم مواثيق الخيانة... حتى يقول :

سـيلقى الذي جـاء العـراق لظلمـه وأبنـاؤه من شـدّة الهـول نُوَّمُ
عـقـاباً يريه في الظهـيـرة أنجـمـاً بمطلعـهـا الزاهي يحـيـر المنجّم
ومن خلفـه الشـعب النبيل مصـقـداً بعـهـد هوان عـقـده لا يفـصـم
سـيـجـزى جـزاء الظالمـين وحـوله المـعـارض فـيـه ضـاحك يتـبـسّم

رحّب بانقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦ ، فقال :

إذا اسـتـفـحل الشـرّ في أمّـة تفـتّح من خـيـرها ألف باب
وتلك خطايا مـئـات القـرون تولّد في الحـال منهـا الصـواب

ثم جاءت ثورة ١٤ تموز وعقيتها الثورات والانقلابات ، فهل وجد فيها ضالّته من الخير والحق والعدالة؟ وطال به الزمان فرأى ما لم يره في عهد الشباب من الظلم والهوان .

ذلك الشاعر الثائر ، ولكن لمحمد صالح بحر العلوم مع ذلك شعر غزلي رقيق على قلّته . عرف الحب فقال :

ما البدر في كبد السماء سوى امرئ مـثلي أحبّ فطار فـيـه غـرامـه
فـتـرفّـعت نظراته في عـالمٍ أنعـامـه انفـردت بهـا أنعـامـه

(والأنعام الأولى النعم والثانية الإبل البقر)

وأطلّ يرنو الأرض نظرة ساخر | في غيره يربو عليه مقامه
ويبثّ من يهواه نجوى هائم | دلّت على آماله آلامه

وقال :

ليت حظّيَ ممن أهوى كحظي | من خطوب لم ترع حرمة نفسي
أرتجي قربه فيطلب بعدي | وأرى سعده فيسعى لنحسي
وإذا رمت من هواه شفاءاً | لاعتلالي رميت فيه بنكس
عبثاً أرقب الرجاء بعين | حجبت ضوءها غشاوة يأس

وكذلك نراه حتى في حبه ناقماً مستسلماً لليأس والهجران ، يكتم الشوق ويموت وجداً :

فلا الجسم مرتاح ولا الفكر هادئ | ولا القلب مقرور ولا الجفن راقد !

ولا عجب ان يؤمن ببؤسه لا يريد منه خلاصاً ، ويقول :

يقولون لي : جرّب نصيبك مرة ، | فقلت : نصيبي في الشقاء مجرّب
أيمنحني ثغر الحياة ابتسامة | ووجه حياتي عابس متحجّب؟
وحولي من الآلام جيش يسوؤه | بأني الى اعدائه أتقرّب
ترعرعت فيه وانتسبت لسكنه | فصرت اليه لا لقوميَ أنسب

ومجمل القول في الشاعر بحر العلوم انه غالى ، زرع الريح فحصد العاصفة . صال في مجال القريض فاصطنع الفكر المريض ، رأى الظلمة في الفجر العريض والشوك والقتاد في الروض الأريض ، وأهوى بالقمة الى الحضيض . فيا للزمان العادي البغيض ! وهذا معروف الرصافي لم يزد على ان قال في عهد الاستبداد العثماني :

عجبت لقوم يخضعون لدولة | يسوسهمُ بالموبقات عميدها
وأعجب من ذا انهم يرهبونها | وأموالها منهم ومنهم جنودها

وأن قال في العهد الملكي في «شكواي العامّة» :

من أين يرجى للعراق تقدم | وسبيل ممتلكيه غير سبيله؟
لا خير في وطن يكون السيف | عند جبانه والمال عند بخيله
والرأي عند طريده ، والعلم عند | غريبه ، والحكم عند دخيله
وقد استبدّ قليله بكثيره | ظلماً وذلّ كثيره لقليله

هل هناك صلة روحية بين شاعرنا بحر العلوم وشارل بودلير شاعر «ازهار الشر»؟ كلاهما ناقمان ، لكن الشاعر العراقي ناقم لأجل شعبه وبلاده ، اما الفرنسي فناقم على

الانسانية والحب والمرأة . قال بودلير : «أسفاً ، كل شيء هو الهاوية : العمل والرغبة والحلم والكلام ، وحتى الخوف حين تمرّ به الريح . ففي كل مكان العمق والضحضاح والسكون والفضاء الهائل ، كلها تولّد في ليله الكابوس ، فيخاف النوم ولا يرى سوى اللانهاية تطلّ في نوافذه» . ويرى بودلير دمه أحياناً يسيل كالينبوع الباكي ، يتدفق في المدينة فيقلب الأحجار الى جزر صغيرة ، يروّي ظمأ المخلوقات ويصبغ الطبيعة باللون القاني الأحمر . لقد طلب في الحبّ رقاداً يبعث على النسيان ، لكنه وجد الحب فراشاً شائكاً . رثى بودلير لحال الفلاح ، رآه كالجثة او المومياء القديمة ، ينقّب في الأرض مستسلماً للقدر . فما الذي يحصده بجهوده المرهقة وعضلاته الهالكة عدا ان يملأ مخازن أسياده؟ ورثى لحال الفقراء في قصيدته «موت الفقراء» : وجد الموت يوحي بالعزاء وينعش الحياة ، وهو غاية الحياة والأمل الوحيد ، يسكرنا كالإكسير ويحملنا على مواصلة السير حتى المساء . وقد رأى الموت كالملاك يحمل الرقاد والأحلام الجميلة ويصنع سرير الناس الفقراء والعراة .

أين حقي؟

اشتهر محمد صالح بحر العلوم بقصيدته «اين حقي؟» . رفع صوته يعرب عن محنة العقل في العالم الظالم المنتهك للحرمات ، المضيّع للحقوق . رفع صوته يطالب بحق الكادحين الذين يشقون ليعيش الانتهازيون ناعمين ، بحق الفتاة التي لم تجد ستراً غير غبار الريح ، تخدم وتودّ الموت لكي تملك قبراً يضمّ رفاتها ، بحق المظلومين الذين لم يجدوا عوناً من قضاة الجور ، بحق أبناء الشعب الذين غرّر بهم دعاة الدين المزيف الممالئ للطغاة . كانت صرخة هوجاء ذهبت بها أدراج الرياح في مجتمع يريد ان يكافح الجهل والمرض والفقر ويحطم السلاسل التي تقعده عن التقدم والنهوض .

قال بحر العلوم :

رحتُ استفسر عن عقلي ، وهل يدرك عقلي

محنة الكون التي استعصت على العالم قبلي .

ألأجل الكون أسعى أنا أم يسعى لأجلي؟

وإذا كان لكلٍّ فيه حق ، أين حقّي؟

فأجاب العقل في لهجة شكّاك محاذر :

إنني لا شك محفوف بأنواع المخاطر .

تطلب العدل وقانون بني جنسك جائر .
ان يكن عدلاً فسَلْه عن لساني : أين حقي؟

أنا ضيّعتُ كما ضيّعتَ جهداً في هباء
باحثاً عن فكرة العدل بكدّ وعناء ،
وإذا بالناس ترجو العدل من حكم السماء ،
وسماء الناس كالناس تنادي : أين حقي؟...

يا ذئاباً فتكت بالناس آلاف القرون ،
اتركيني انا والدين فما أنت وديني؟
أمن الله قد استحصلت صَكاً في شؤوني ،
وكتاب الله في الجامع يدعو : أين حقي؟

أنت فسّرت كتاب الله تفسير فساد
واتَخذت الدين أحبولة لفّ واصطياد ،
فتلبّست بثوب لم يفصّل بسداد ،
وإذا بالثوب ينشقّ احتجاجاً : أين حقي؟...

كيف تبقى الاكثريات ترى هذي المهازل :
يكدح الشعب بلا أجرٍ لأفراد قلائل ،
وملايين الضحايا بين فلاح وعامل
كلها يصرعها الظلم وتدعو : أين حقي؟

أمن القومية يشقى الكادحونا
ويعيش الانتهازيون فيها ناعمينا ،
والجماهير تعاني من أذى الجوع شجونا ،
والأصولية تستنكر شكوى : أين حقي؟

حركوا الأمة ان كنتم صادقينا
من قيود الجهل تحريراً يصدّ الطامعينا ،
وأقيموا الوزن في تأمين حق العاملينا ،
ودعوا الكوخ ينادي القصر دوماً : أين حقي؟

يا قصوراً لم تقم إلاّ بسعي الضعفاء ،
هذه الأكواخ فاضت من دماء البؤساء .
وبنوك استحضروا الخمرة من هذي الدماء ،
فسلِ الكأس يجبك الدم فيه : أين حقي؟

كم فتى في الكوخ أجدى من أمير في القصور ،
قوته اليوميّ لا يزداد عن قرص صغير
ثُلُثَاه من تراب والبقايا من شعير ،
وبباب الكوخ كلب الشيخ يدعو : أين حقي؟

وفتاة لم تجد غير غبار الريح سترا
تخدمِ الحيّ ولا تملك من دنياه شبرا ،
وتودّ الموت كي تملك بعد الموت قبرا ،
وإذا الحفّار فوق القبر يدعو : أين حقي؟...

ليس في وسعيَ ان أسكت عن هذي المآسي
وأرى الأعراف والأعراف من دون أساس ،
بين مغلوط وصحيح وصحيح في التباس ،
وكلا العرفين لا يفهم منه : أين حقي؟

خطأ شاع وكان العرف من هذا الشياع ،
وصوابٌ حكم العرف عليه بالضياع .

وسواد الشعب مأخوذ بخبث وخداع
كقطيع يلحق الذئب وينعى : أين حقي؟

ليس هذا الذنب ذنب الشعب ، بل ذنب الولاة
وجهوا الأمة توجيه فناء لا حياة ،
وتواصوا قبل ان تغني بنهب التركات ،
وإذا الحرّاس للبيت لصوص : أين حقي؟

دولة يؤجر فيه كل أفّاك عنود
أجره لا عن جهود بل لتعطيل الجهود .
لم يقابل نعمة الأمة إلا بالجحود ،
وإذا النعمة تغلي في حشاه : أين حقي؟

من فقير الشعب بالقوة تستوفى الضرائب
وهو لم يظفر بحقّ ويؤدّي ألف واجب .
فعليه مغرم والغنم سرّاق المناصب .
أيسمى مجرماً إن صاح فيهم : أين حقي؟

من حفاة الشعب والعارين تأليف الجنود
ليكونوا في اندلاع الحرب أخشاب وقود .
وسراة الشعب لاهون بأقداح وخود ،
وجمال الغيد يستوجب منهم : أين حقي؟

هذه عيشة رهط لم يفكّر بسواه
همّه ان ينهب المال لإشباع هواه .
أين من يفتح تحقيقاً يرى عمّا جناه
وينادي بانتقام الشعب جهراً : أين حقي؟

أيها العمّال ، هبّوا وارفعوا هذي البراقع
عن وجوه ما لها غير محابٍ ومُصَانع ،
واصرفوها عن عيون عميت عن كل واقع ،
وتراني صادفاً عنها بقولي : أين حقي؟

أيها العمال ، اين العدل من هذي الشرائع؟
أنتم الساعون والنفع لأرباب المصانع .
وسويّ الناس أولى الناس في نيل المنافع ،
فليطالب كلّ ذي حق بوعي : أين حقي؟...

أين كان المال قبل الجهد او قبل الطبيعة ،
فهما قد سبّبا في غابر العهد شروعه .
وإذا بالمال لا يذكر للعهد صنيعه ،
وإذا بالجهد يستجدي مُهاناً : أين حقي؟

هل تراني بيقيني ما أقاسي من شجوني ،
فشجوني هي من أسباب تثبيت يقيني .
ولتكن دنياي ما بين اعتقال وسجونَ ،
وليكن آخر أنفاسي منها : أين حقي؟

وقد قلتُ مبارياً قصيدة «أين حقي؟» :
يكدح الفلاح في الحقل بليل ونهار ،
وله في الكوخ زوج وله ولد صغار
لم يصيبوا غير قلٍّ من طعام ودثار .
يهنأ الملاك يجني في العلالي للثمار ،
ويصيح الكادح المظلوم : حسبي ، أين حقي؟

ورأيت العامل يشقى في المصانع ،
يحمل الأثقال يأسى وهو خانع .
جاهل لا يعرف الحق يصانع
راضياً بالحظ يغضي : أين حقي؟

ارفع الصوت وطالب ، ليس في الأرض سميع ،
كلهم قد طلبوا الحق وقد فات الجميع .
فالزمِ الدار شتاءاً وانتظر يأتي الربيع .
ليس في الدنيا حقوق ، لا تقل لي : أين حقي؟

ذا نظام الكون حقاً منذ كان البشرُ :
يتعب الكادح لكن لم يصبه الثمر .
ما الذي نعمل اذ شذّ وجار القدر؟
تذهب الريح وتمضي لا تبالي : أين حقي؟

* * *

وقف محمد صالح بحر العلوم على قبر الرصافي عند دفنه فأنشد يؤبنه شعراً :

بأيّ فم أرثيك يا مخرساً فمي	وهذا فمي قد عبّه الحزن بالدم؟
ومن أي قلب استمدّ تجلّداً	عليك ، وهل قلب بدون تألم؟
نعاك لنا الناعي فقلنا دعاية	يراد بها تفريق شعب منظم
أشاعرَ هذا الجيل ، أيتمت أمة	بغير افتقاد الحرّ لم تتيتّم
تحرّرت من قيد الحياة وعفتها	لرهطٍ بلا قلب يعيش ولا فم

صالح الجعفري

الشاعر المربّي صالح الجعفري ، ابن الشيخ عبد الكريم آل كاشف الغطاء ، ولد في النجف سنة ١٩٠٧ ودرس العلوم العربية في معاهدها . نظم الشعر شاباً وأتم ثقافته بمطالعة كتب الأدب الحديثة . كان أحد مؤسسي جمعية الرابطة الأدبية في مسقط رأسه وانتخب أميناً لسرّها (١٩٣٢) .

عيّن مدرساً في مدرسة النجف الثانية في ايار ١٩٣٥ وأصبح معاوناً لمديرها سنة ١٩٥٢ . وواصل التدريس حتى اعتزل الخدمة سنة ١٩٦٠ . وانتقل بعد ذلك للاقامة في بغداد ، وكفّ بصره في أعوامه الأخيرة . وقد توفي ببغداد في ٢١ آب ١٩٧٩ .

شعره متين الديباجة قديم الطراز نشر نماذج منه علي الخاقاني في الجزء الرابع من شعراء الغري (١٩٥٤) . وضع كتاباً في الامام السيد ابو الحسن (١٩٤٧) ونظم رباعيات حسين قدس نخعي سفير ايران في بغداد ، وحقق ديوان السيد نصر الله الحائري المتوفى سنة ١٧٣٤ وديوان السيد حيدر الحلي وديوان كاظم الأزري .

من شعره :

خطرت تمايل كالقناة ... وتلفتت مثل المهاة

هيفاء نادى بالعقول ... جمالها والذاريات

طارحتها الوجد المبين ... فلم تخفف من شكاتي

ومحضتها الشوق الصراح ... فأعرضت عن بيّناتي

يا نفس ، حسبك ما ترين ... من الغواني المعرضات

ما قيمة العهد؟

فيمَ الزعاق وفيم الويل والحرب ... والحق أضيع او تستلّه القضب

قد يعمل السيف بالأوضاع منفرداً ... ما ليس يعمل فيها الجحفل اللجب

لسنا نقيم على ذلّ يراد بنا ... بل نطلب العز أنى كان فارتقبوا

ما قيمة العهد مكذوباً ومختلقاً ... العهد ما خلقته البيض واليَلَبُ[1]

---

(١) اليلب : هي الدروع اليمانية المصنوعة من الجلد .

انّا سئمنا وعود القوم عارية ... عن الحقيقة محشواً بها الكذب
جاؤوا بمهزلة في اثر مهزلة ... فكلما جدّ جدّ الشعب هم لعبوا
لا تغضبوا الشعب حطّاً من كرامته ... فالليث يضرى إذا ما اهتاجه الغضب

باسم السلام

يا أمّة عبثت في الدين داعية ... باسم السلام الى التمزيق في البشر
تطايرت في بلاد الله واقعة ... وقع الجراد على مخضرّة الشجر
دعي مغالطة التبشير ناحية ... واستنكفي فلقد بشّرت بالكدر
أعيذ قومي ان تصطاد حوتهم ... فقد أديف نمير الماء بالعكر

عبد الستار القره غولي

الشاعر المربّي عبد الستار القرهغولي ولد في بغداد سنة ١٩٠٥ . أتم دراسته في دار المعلمين الابتدائية فعين معلماً في لواء الحلة (١٩٢٢) وتنقل في التعليم في الألوية .

وقد اعتقل في العمارة خلال الحرب العالمية الثانية في تموز ١٩٤٢ . ثم أعيد تعيينه سنة ١٩٤٦ مفتشاً للمدارس الابتدائية في بغداد فمعاون مدير معارف بغداد (١٩٤٩) فمديراً لها (مركز بغداد) . وتوفي في مسقط رأسه في ايار سنة ١٩٦١ .

من شعره :

بني يعرب ، ما بالنا بات شملنا ... شتيتاً وهذا الدين جاء موحّدا؟

وما بالنا حدنا عن الحق والهدى ... وصرنا عبيداً ليس تأبى التقيّدا؟

أقمنا على ضيم وخصم بلادنا ... أقام الدنى بالمعجزات وأقعدا

وما بالنا في غمرة نعيد الهوى ... نكاد لفرط الغيّ ننسى التشهدّا

وقال من وحي المعتقل :

يا بلبل الروض الأريض المخضل ، ... ماذا أتى بك وسط هذا المعقل؟

أين الورود ومن يقطّع ثغرها ... سحراً برشف او بلثم مخجل

والطلّ لمْ لا تنتشي برحيقه ، ... أتزهداً عنه وحسن تبتّل؟

كيف اَستكنت ولم تعد متنقلاً ... في الروض او من فوق خد الجدول؟

وضعوك في القفص الجميل ليسمعوا ... منك الأغاريد العذاب فرتّل

ما أنت إلا شاعر مثلي له ... غزل يهزّ العطف مثل تغزّلي

فأنا وأنت بكاؤنا متواصل ... في سجننا وهمومنا لا تنجلي

إذ انت تشجيك الرياض فقدتها ... وأنا شجاي على حماي وموئلي

وقال يخاطب ابنته :

يا طفلتي وحبيبتي ، ... يا من بها قلبي افتتن

لا تشغلي القلب الصغير ... بما نعاني من محن

وترنّمي لدُمَاك يرعاك ... المهيمن ذو المنن

مؤلفاته

الألعاب الشعبية لفتيان العراق (١٩٣٥) ، المثنى بن حارثة الشيباني (١٩٣٧) ، روايات من تأريخ العرب ، أبو عبد الله الصغير (مسرحية ، ١٩٥٥) ، مسرحيات الأحداث (١٩٥٣) . وترك مؤلفات مخطوطة لم يهيأ لها النشر ، منها ديوان شعره ، وحي المعتقل ، ليلى الأخيلية . وقد حقق كتاب النفحات المسكية في صناعة الفروسية لأحمد بن محمد الحموي الحنفي (١٩٥٠) . واشترك في نشر ديوان شعر صديقه نعمان ثابت عبد اللطيف «شقائق النعمان» (١٩٣٨) ، وكتاب الجندية في الدولة العباسية لنفس المؤلف (١٩٣٩) .

مهدي مقلّد

الشاعر المحامي الشيخ مهدي مُقَلَّد ولد في بغداد سنة ١٩٠٧ لأسرة تنتمي الى السادة الأعرجية المقيمين في قرية الزاوية من أعمال عنة . مال وهو فتى يافع الى الدراسة الدينية فتتلمذ على السيد منير القاضي والملا حسين العبيدي . ثم دخل سنة ١٩٢٦ الى جامعة آل البيت وتخرج فيها سنة ١٩٣٠ . وانتمى الى كلية الحقوق فنال اجازتها سنة ١٩٣٦ .

مارس المحاماة ، وأصدر سنة ١٩٣٩ جريدة «الميزان» فلم يظهر منها سوى ستة أعداد . ثم نظم الشعر على كبر فجاء شعره متين البنيان ، فصيح الألفاظ ، متميزاً بالحكمة ، بعيداً عن العاطفة والطلاوة . وكان في سنوات الحرب العالمية الثانية من أنصار الحرية والقومية العربية ، مرابطاً في جريدة «العراق» (لصاحبها رزوق غنّام) مع جميل أحمد الكاظمي وثُلّة من الأدباء والشعراء ينصرون الحق ويندّدون بطغيان النازية .

كان مهدي مقلد قويّ الحافظة يحفظ آلاف الأبيات ، وإذا سئل عن مسألة نحوية شرع ينشد الباب الخاص بها من ألفية ابن مالك . وكان وثيق الصلة بالأب انستاس ماري الكرملي ، فلما مات رثاه بقصيدة مطلعها :

بالأمس أشياخ البيان وفي غد	يا جهبذاً بك زيّنوا صدر الندي
الله يشهد كنت للفصحى أباً	عنها تدافع باللسان وباليد
ألقت اليك زمامها فرفعتها	في الخافقين لمُتْهم ولمنجد
مترهباً لابن البتول وباحثاً	عنها بثوب الناسك المتعبّد
فالقلب من دين ابن مريم وحيه	والفكر من لغة النبيّ محمّد
ان ابن مريم والنبيّ محمداً	نوران نور هدى ونور توجّد
وهدايتان يؤمّ نهجهما الورى	من مقتد بهما وآخر مهتد
ومنارتان الى السلام ومنهما	كم فاض مَنبعه بأعذب مورد

وله قصيدة أخرى في رثاء استاذه منير القاضي .

توفي مهدي مقلد في بغداد سنة ١٩٨٣ .

من شعره

المرأة والاصلاح

لا يرتجى من دولة اصلاح … وبجبهة الشعب الأبيّ جراح
او يرتجى للشعب اصلاح به … حق النساء الفضليات مباح؟
ما دام نصف الشعب مشلولاً فلا … التوضيح ينفعه ولا الايضاح
كيف الخلاص لأمة من مَهْمَه … داجٍ به تتوثّب الأشباح؟
عصفت به هُوج الرياح وأخمدتْ … تلكَ الشموع وأطفئ المصباح
لو كان أعطى الشرق حق نسائه … ما كان في كفّ العدى يُجْتاح
ولما غدا الوطن الكبير مشتّتاً … وعليه من صور الأسى ألواح

نفثات

تجرّعت صاباً في الحياة فصابا … وهما مقيماً في الحشا وعذابا
وأصبحت منهوب الفؤاد كأنما … غدا عندي الحزن المؤرّق عابا
وصاحبت مذ عشرين عاماً تصرّمت … يراعي ولم يعرف يراعيَ دابا
فما لي إذا ناديت قومي لدعوة … نهوضية ثاروا عليّ غضابا؟
وما لي إذا صارحتهم بحقيقة … يودّون لو سلّوا عليّ حرابا؟
كأني بليل نابغيّ شجونه … تجمّعن في قلبي وعشن نهابا
وأمسيت في همّين همّ مبرّح … لجبني وهمّ في الجوانح ذابا
وكم سألوني : ما لطرفك دامع؟ … فكانت شؤون المقلتين جوابا
وعزم بصدري مثل ليث جعلته … خليلاً ومن صدري تفيّأ غابا
أبى لي ان أبدي عتاباً لأنه … يراه الى ذلّ الرجولة بابا
عظيم على مثلي يشاهد قومه … يذلّون منهم أرؤساً ورقابا
ألم ترَ في أرض الجزيرة أنشبت … يد الجهل ظفراً ، يا أخيّ ، ونابا؟
مرابع ما فيهن نور وانما … انطفى النور في تلك الربوع وغابا
وفي المغرب الأقصى تمجّ مراكش … دماً غالياً واستعذبته شرابا
فثارت على الباغين بالأمس وانتخت … بفرسانها فاستمطروه سحابا
وعجّت من القتلى سهول وأغرقت … سهوباً ولفّت في الزئير هضابا

الخ .

جميل أحمد الكاظمي

ولد الشاعر جميل أحمد الكاظمي في قصبة الكاظمية سنة ١٩٠٥ ودرس في الكتاتيب والمدارس المحلية وتعلم اللغتين التركية والفارسية . ثم تتلمذ لعلماء بلدته واتصل بالشيخ محمد مهدي البصير فنهل من علمهم وأدبهم . مارس التجارة مع والده ثم خلفه في ادارة أعماله . وأقبل على مطالعة الكتب الأدبية في الوقت نفسه ، وحفظ آيات القريض فكان معجباً بوجه خاص بالمتنبي وابي تمام والبحتري ، وأحمد شوقي وجميل صدقي الزهاوي من المعاصرين .

وظف في وزارة المالية سنة ١٩٣٢ وكان مأمور ضريبة الاستهلاك فمدققاً مالياً حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٥٩ . ومارس بعد ذلك الزراعة حيناً . ونظم الشعر فكان بحق ، إذا أمكننا القول ، شاعر الخمرة الوطنية ، وهي العرق المستخلص من التمر ، فوصفها وصفاً طويل النفس مذ كان سرّها في عذوق النخل حتى استقطرت في الأنابيق ورشحّت سائلاً مطيّباً صافياً عذباً للشاربين .

وكان خلال الحرب العالمية الثانية من أنصار الحرية والملكية الشرعية ، وقد جمع قصائده في هذا الموضوع في «آيات الحق والاخلاص» التي نشرها سنة ١٩٤٢ . وله من الكتب المخطوطة ديوان شعره وقد سماه «البوارق» ومؤلف خاص عن «الخمرة والكاس في شعر ابي نواس» . وقد أصدر في حزيران ١٩٤١ جريدة يومية سياسية «صوت الحق» ، وكان مديرها المسؤول المحامي مهدي مقلّد ، ولم تدم طويلاً .

تميّز الكاظمي بمظهر خشن يخفي في طياته روحاً رقيقة . وعرف بصوته الجهوري في القاء الشعر منغماً على طريقة التعازي . وقد توفي ببغداد في ١٥ نيسان ١٩٧٠ .

من شعره

أيها الساقي ، ويوم الشرب طابا ... أترع الكأس وناولها شرابا
ثمّ بالأخرى تقرّب مثلما ... تشتهي الروح من الكأس اقترابا
ثم ثلّث وتثنّى مرحاً ... واتخذ للنفس في السكر صوابا
وارتشف مثليَ مما احتسى ... وانتهبها ما دعا الشوق انتهابا

خمرة تنمى لعيطاء دنت … من على باخوسها قوماً وقابا
يفتديها الكرم في كرمته … ويعيها الدهر كهلاً وشبابا
وهي صفو الخمر إن شعشعتها … كانت السحب امتزاجاً وحبابا
في قرار الكأس يحكيها الندى … قطرات ما دنت فيها انصبابا

وقال في قصيدة أخرى مطلعها :

لنا خمر وليس بخمر نحل … ولكن من نتاج الباسقات

وقال :

جددت وصلك والأقداح مترعة … من المدامة أشكالاً وألوانا
حمراء صفراء بيضاء حفلتُ بها … دون الصحاب فأرعاها وترعانا
وقد حكت في قرار الكأس قطر ندى … او دمع مرهاء تبكي الإلف تحنانا
حنّت الى الماء في كأس ينقصه … جيد تراه بماء الحسن غصّانا
عاقرتها بيد سمحاء ما انبسطت … يوم لمكروهة ظلماً وعدوانا
فكان للروح صحو في تناولها … من بعد سكرته في الحبّ أزمانا
عاقرتها زمناً أجلو بساحتها … خمر الهموم الذي أحسوه أحيانا
وأتّقي شرّ سكر في سُلاف هوى … يزجي الى النفس آلاماً وأحزانا...

سحر الغناء

نجيّ الطير شدوك قد أهابا … يمن ألف المدامة والرضابا
رنين الصوت منك أهاج قلباً … تحقّز للوثوب وقد أجابا
غناؤك والجمال هما لسحر … رمى مني الفؤاد وقد أصابا
رمى والعود يسمعه رنيناً … حكى فيه الأنين وقد تغابى

وله معارضة لقصيدة ابي الحسن الحصري الشهيرة «ليل الصبّ» ، قال :

إمتاع الليل دنا غده … فجر للصبح سنشهده
ما دام الصبّ له شغف … يسمو بالأنس ويعيده
ويعاطي الكأس أخو طرب … يودي بالهمّ ويطرده
ما رام السكر له خدراً … برضاب للثغر يبدده
لا طاب الشرب بلا طرب … وسبيلُ الشوق معبّده
وغذاء الروح ومنهضها … في جوّ الأنس مصعّده
ما نفع المال وفي غدنا … سيزول العيش وأرغده؟

ولا ينسى جميل أحمد بطبيعة الحال «مقطور التمر» وكأس الطيب ووصف المحبوب الفاتن والغناء البديع والليالي الباسمة السعيدة . ثم يشكر الله على نعمته :

حمداً للّه على كرم بلسان الشكر أردّده
تزداد النعمة في شكري ويدوم العيش ومورده

وهذه القصيدة طويلة تعدّ ١٢٦ بيتاً ، تحلّق وتسفّ ، تدور وتلفّ ، تثقل وتخفّ ، تفجر وتعفّ ، تطرى وتجفّ ، وتعتم وتشفّ ، فأفٍّ لك أفّ .

وقد حكم محمود العبطة حكماً قاسياً على جميل أحمد الشاعر عند وفاته ، فقال ان شعره عادي تقليدي تغلب الموهبة فيه على الصنعة والأسلوب الخطابي على الطريقة الذاتية التعبيرية . وقال ان في شعره لوناً خاصاً من الاصطلاحات الفقهية والسياسية والدينية والصحافية . وكان يكثر من نظم المطولات بلا وحدة او بناء فنيّ ، فكأنه يكتب مقالة افتتاحية في جريدة تصدر في الثلاثينات . ومع ان الشاعر كان يجيد الفارسية ويحفظ لشعرائها فلم يستفد منها الاستفادة التامة . لكن العبطة أثنى على الرجل فقال انه كان يملك خلق الوفاء لأصدقائه من الشعراء ، وهو الوحيد الذي رثى عبد الرحمن البناء وحسين بستانة . وقال : «وقد رأيته يبكي كالنساء في أحد مقاهي بغداد بعد سماعه نعي صديقه الشاعر المرحوم خضر الطائي» .

محمد بسيم الذويب

الشاعر الأديب الضابط محمد بسيم الذويب ابن محمد كامل الذويب من علماء بغداد . ولد في بغداد سنة ١٩٠٧ وأتم دراسته الثانوية فانتمى الى المدرسة العسكرية وتخرج فيها سنة ١٩٢٧ ملازماً ثانياً . وتدرج في مراتب الجيش حتى ترك الخدمة سنة ١٩٥١ برتبة مقدم . وعمل في التجارة والصحافة ، وكان رئيس تحرير جريدة الجبهة الشعبية . ثم عاد الى الوظيفة سنة ١٩٥٤ استاذاً مساعداً في كلية الشرطة ، وأصبح بعد ثلاث سنوات مديراً لمدارس الشرطة برتبة عقيد .

اعتقل أمداً في سجن الكوت في العهد القاسمي ، ثم أصدر جريدة «الوطن العربي» اليومية في آذار ١٩٦٣ واستمرت على الصدور نحو ٨ أشهر . وعين في نفس تلك السنة مديراً لسجن الناصرية فمدير المكتبات في وزارة الثقافة والارشاد الى سنة ١٩٦٥ . وأصدر في آب ١٩٦٧ جريدة اسبوعية ثقافية باسم «الرافدان» .

بدأ بنظم الشعر وهو شاب يافع . وقال انه تأثر بشعر الرصافي وشعراء المهجر الياس فرحات وميخائيل نعيمة وجبران ونسيب عريضة وغيرهم . ومال الى كتابة القصة فأصدر : الثمرة الأولى (١٩٤٦) ، الثمرات (شعر وقصص ، ١٩٢٨) ، آثام (١٩٥٧) ، انعتاق (١٩٥٨) ، امرأة سيّئة السمعة (١٩٦٧) ، صدى السنين (١٩٦١) ، شواعر المهرجان (١٩٦٩) ، قصائد من خمسة أقطار عربية (١٩٧٠) ، أربعة شعراء وشاعرة (١٩٧٠) .

من شعره :

حياة

حـــيـــــاة كلهــــا أبـداً عـــذاب	ودهر كله عـــجب عـــجـــاب
وعـــمـــر ينقــضي من دون نفع	فـــســـاوانا به حـــتى الذباب
وليس لنا بهـــذا العـــمـــر إلا	طعـــام او منام او شـــراب
أيا من يبـــتــغي عـــمـــراً طويلاً	بذي الدنيـــا طلا بك ذاك عـــاب
لأن العـــيش فـــيــهـــا عـــيش ذلّ	وعـــيش الذلّ ، لو تدري ، مـــصـــاب

وإن طلب الذليل طويل عـمـر بهـا فـالبـوم يرضـيـهـا الخراب
وعـيـر الحيّ بالاذلال يـرضـى ويرضى أنتن الجـيـف الغـراب

ويختم قصيدته قائلاً :

ألا ليت المـشـيب يجيء يومـاً فـأخـبـره بمـا فـعـل الشـبـاب

حنين الى بغداد

من قصائد سجن الكوت (١٩٦٢)

دمع يسـيـل وأعـيـن سـحّـاء لم يمنع الدمع الهـتـون حـيـاء
طال الحنين الى مـلاعب صـبـيـة كـالزهر قـد ضـمّـتـهـمُ الزوراء
فـارقت بغـداد الحـبـيـبـة راغـمـاً قـد ضـاع لي أمل وخـاب رجـاء
بغـداد ، يا بلد الكرام ، تحـيّـة من شـاعـر عـصـفت به الأرزاء
يقـضي الليـالي خـائفـاً مـتـرقّـبـاً مـمّـا يبـيّـتـه له الدخـلاء
كم قـد حنوت عليّ في صغـري كـمـا تحنو على أفـراخـهـا ورقـاء
فـلأنت ، يا بغـداد ، خـيـر مـدينة حـملتك تائهـة بك الغـبـراء
المـاء عـذب والهـواء مـعطّر وتـراب أرضـك منعـش مـعـطـاء
والدار ، ان قـدم الغـريب ، فـسيـحـة والعـيـش رغـد والوجـوه رواء
والأهل ، يا بغـداد ، إن ذكـر الندى يومـاً فـأهل شـهـامـة كـرمـاء
وإذا اسـتـجـار المـسـتجـيـر فـهـمّـة ورجـولة وعـزيمـة ومـضـاء

قوم عبيد

بدت من تحت حلّتـهـا النهـود وبـان لهـا كـجـيـد الريم جـيـد
ومـالت وانثنت بهـضـيم خـصـر تمـرّغ في التـراب له الخـدود
ولحظ فـاتر الأجـفـان ، لكن تخـرّ لعظم هـيـبـتـه الأسـود
وقـد أبدت ثناياها ابتـسـامـاً له احـمـرّت من الخـجل الورود
لقـد شـقي الذي غـضـبت عليـه ونـائل نظرة منهـا سـعـيـد
فـقلت لهـا : أفـاتنة البـرايا وقـاتلتي : لقـد طال الصـدود
جـفـاؤك ، يا منى روحي ، عظيم وحـبّي ، يا مـعـذّبتي ، شـديد
فـجـودي وارحـمي بجـمـيـل وصل ينعّـمني فـقـد شـمـت الحـسـود
فـقـالت لي ، وقـد لبـست سـواداً وقـد غـضـبت : عظيم مـا تريد

أتبـغي ، يا حـبـيـبي ، اليـوم وصـلاً ... وقـومك في مـواطنهم عـبـيـد؟
وربّـك لا تـنـال الـوصـل حـتـى ... يعـود لقـومك الشـرف التليـد
أمـامكم تـمـثّل ، يا حـبـيـبي ، ... روايات يشـيـب لهـا الوليـد
وأنتم خـائضـون بـبـحـر لهـو ، ... أليس بأرضكم رجل رشـيـد؟

توفي محمد بسيم الذويب في بغداد في ٢٤ نيسان ١٩٨٣ .

خاشع الراوي

الشاعر خاشع محسن الراوي ولد في راوة سنة ١٩١٤ وكان والده كبير علمائها . جاء خاشع الى بغداد ودرس العلوم العربية ،وانتمى الى وظائف الحكومة ، وكان أخيراً موظفاً في مديرية التوجيه والاذاعة العامة .

خاشع الراوي قبل كل شيء شاعر خاشع متصوّف ، وقد نشر ديوان شعره «مع النفس» سنة ١٩٦٥ وصدره بالبيتين التاليين :

تعلق بالدنيا أناس ، وانني … صرفت عن الدنيا الدنّية آمالي
وسرت الى الله الكريم بمفردي … ومالي سواه من معين ومن وال

وقال :

نام الخليّ ضحى ، وأنت مسهّد … وأقام في أمن وأنت مهدّد .
تطوي الليالي الكالحات مؤرقاً … طوراً تئنّ وتارة تتنهّد
لك مهجة حرّى وطرف لم يذق … طعم الكرى فكأنما هو أرمد
ترب الندى ، للّه انت من امرئ … حرّ تناطحه الخطوب فيصمد
ماانفك بالايمان قلبك عامراً … نحو الطموح به هوى وتوجّد
تتفرّس الأيام منك بنظرة … شزراء فيها نفرة وتنهّد
وتدير طرفك في الزمان محاذراً … لم تدر أيّ خطوبه تتجدّد
تأسى لصدرك أن تغصّ بزفرة … صعّدتها وأبت فما تتصعّد
فلشدّما لفحت فؤادك حسرة … كالنار ليست تنطفي او تخمد
ولشدّما حارت بعينك دمعة … خرساء لاتهمي ولا تتبدّد

وهو شاعر يذكر وطنه فيقول :

وطني ترابك عسجد … وغبار أرضك إثمد
أما هواؤك فهو من … نفح القرنفل أجود
وكأن روضك جنّة … فيها الجمال مجسّد

يحيّي ثورة الجزائر ويخاطب أخاه العربي يبثّ له شكواه ويتألم لحال العراق والبلاد

العربية . يجزع لحال الشعب المستضعف اليائس ويندب آلامه الصامتة الخرساء ، ويأسى لكدحه وظمأه وجوعه . ويخاطب الحاكمين قائلاً :

يا من تحكّم واستبدّ بحكمه ، ما نفع حكم لم يكن محبوبا؟
الناس هبكَ قد امتلكت رقابهم فهل امتلكت مع الرقاب قلوبا؟

وكثيراً ما يشكو دهره ويقول :

لست أدري ، وكل قلبي جروح أأغنّي من الأسى ام أنوح؟
أنهكتني مصائب الدهر حتى صرت أرجو من الردى ما يريح
كم أعاني الحرمان وهو مرير وأقاسي الأذى وجفني قريح
انّ حظي من الهناء ضئيل ومجال الهموم نحوي فسيح

ويعلّل النفس :

وهل نحن الا ضحايا الخيال؟ نعيش على الأمل الكاذب

وقد نظم ملحمة في نيرون الطاغية :

ايها الطاغوت ، اهزأ بعباد الله واسخر
وأدر كأسك صرفاً من دم الاحرار واسكر
وامش في الأرض اختيالا وترنّح وتبختر
أنت رَبّ الأمر ، حاشا أن يكون الربّ يؤمر
دم على ظلمك فالظلم اذا ما دام دمّر

ومنها :

ويح قومي ، كلما أيقظتهم زادوا رقادا
فكأن الله قد قال لهم : كونوا جمادا
آمنوا بالمجد لكن قعدوا عنه وآدا
واستطابوا النوم لا يبغون الا النوم زادا
واذا الراعي تجنّى وعلى الغيّ تمادى
فاعذر الذئب اذا ما عاث بغياً وفسادا

امتحن خاشع الراوي باستشهاد ولده سعد الملازم الطيار في حركات الشمال فرثاه بقصيده باكية . وقد كتبت اليه معزياً (جريدة «الأيام» ١٩٦٢) :

امتحن الصديق الشاعر خاشع الراوي باستشهاد ولده فأخرسه المصاب الجلل شهراً ثم أنطقه شعراً يقطر باللوعة والأسى ويتسم بالأنفة والاباء والاستسلام للمشيئة الربانية :

أشكو الى الله ما عانيت من نكد ومن مصائب دهر أوهنت جلدي
ما هذه حجر بالنار تحرقها فلا تحسّ ، ولكن هذه كبدي
ولا الذي لفّت الغبراء أعظمه بالأجنبيّ دماً ، لكنه ولدي
أما التراب وقد روّيته بدمي فذاك أثمن ما أودعت في بلدي

ان هذه القصيدة مثال الحزن الصامت الصابر من أب مفجوع يعرض قلبه الدامي ويقتصد في ذرف الدموع . وقد بكى كثير من الشعراء فلذات أكبادهم قبل خاشع الراوي ، فمنهم من هزّ وأشجى وأدمى النفوس ، ومنهم من قدّ قلبه من الصخر فكان كالضارب في الحديد البارد . ومنهم من صبر واحتسب ومنهم من ثار وتمرّد على الأقدار .

فمن الشعراء الذين رثوا أبناءهم ابو الحسن التهامي ، جاء بضروب الحكمة والوصف والتشبيه ، ولكن عجز أن يأتي بشيء من العاطفة والوجد :

حكم المنية في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قرار

ولعلّ أبا ذؤيب الهذلي كان أوفر حظاً في هذا المنحى من صاحبه التهامي ، ولو أن نصيبه من العاطفة الجياشة قليل في قصيدته :

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

ولقد يصحّ هذا القول في مراثي ابن الرومي لأبنائه ، وقد فقدهم واحداً اثر واحد :

واولادنا أنتم لنا فتن وتفارقون فأنتم محن

تلك حكمة رائعة وهذه عظة بالغة ، لكن من يطلب اللوعة الجامحة والعبرة الهامعة فليطلبها في أبيات الأعرابية الثاكل التي تقول :

أيا ولدي ، قد زاد قلبي تلهباً وقد حرقت مني الجفون المدامع

ومن يرم العاطفة الصادقة والحزن الطاغي فليلتمسها في قصيدة عائشة التيمورية التي نظمتها في رثاء ابنتها توحيدة ، فقالت :

طافت بشهر الصوم كاسات الردى سحراً وأكواب الدموع تدور
فتناولت منها ابنتي فتغيّرت قسمات وجه شأنها التغيير
فذوت أزاهير الحياة بروضها وانقدّ منها مائس ونضير

ان هذه البنية لم تتروَّ من فيض الحياة ، فهي تعاف الموت وهي تريد البرء والشفاء . لكنها رأت يأس الطبيب وعجزه فبكت شبابها الذابل وودعت أمها أبلغ وداع ، وتمثلت نفسها عروساً زفّت للموت الزؤام . وهذه الأم الثكلى تنذر نفسها للحزن الدائم

والوجد المقيم ، وتعتصم بالصلاة والدعاء ، وترهن رجاءها في الحياة الباقية حيث اللقاء وحيث السعادة والنعيم .

وماذا نقايس بهذا الحزن اللاذع الطاغي غير الحزن الوديع الهادئ الذي ينبعث من قصيدة فكتور هوغو التي أسماها «في فيلكييه» تلك القصيدة التي قالها إثر فجيعته بابنته المتوفاة في ربيعها السادس عشر . لقد زايل الشاعر باريس وضوضاءها بعد ان وسّد صغيرته الثرى ، فاختلى في بعض الضواحي التي تظلّها الاشجار ويحفّ بها السكون ليسلو أساه في حضن الطبيعة الوادعة العطوف . نزلت السكينة على قلبه وغمرت نفسه عظمة الله المتجلّية في لا نهاية كونه ، فعاد اليه رشده الطائش ، ورفع طرفه الحسير الى السماء الصافية حاملاً اليها أجزاء فؤاده المحطم يقدّمه خاشعاً من المخلوق الواهن الى الخالق القهار . ووجه الى ربه الخطاب فقال :

«قد علمت ان القبر الذي يطبق على الموتى يفتح أبواب الربيع وان النهاية في عرف الناس ليست سوى البداءة . ان الألم خير وحقّ لأن الله قد شاءه لعباده ، ولا مردّ لقضاء الله ، فالروح تطهرها الأحزان لتدرك الخلود . اننا لا نبصر الامور إلا من جهة واحدة ، والجهة الثانية تختفي في غياهب السرّ الأزلي . نحمل أعباء الحياة دون أن نعلم عللها وأسبابها لأن الله لم يشأ للبشر على الأرض اليقين ولا الهناء . فيا للّه ! ما أشقى العالم ، وان الانسان إلا ذرّة في لانهاية الخليقة .» ثم يقول الشاعر : «قد علمت ان نظام الكون يجري مجراه لا يعبأ لمصائب البشر وآلامهم . أم لعلّك ايها الرب ، تعمل في علياء سمائك أعمالاً تعيي أفهامنا ، أعمالاً يدخل الحزن الانساني فيها عنصراً لازماً . ولعلّ من حكمتك المعجزة أن تفنى الخلائق الجميلة في عواصف الدهر الهوج . ولكن ايها الرب ، انظر الى نفسي وامتحن خفايا قلبي . لقد أكببت منذ الفجر على العمل ، فناضلت وفكرت وقارعت وكدحت . ونهضت بواجبي في هذه الحياة ، لا أبالي بالبغضاء ولا بالغضب . فلم أكن لأنتظر ان أبوء بهذا الجزاء ، ولم أكن لأتوقع أن تثقل يدك عليّ فتسلبني فلذة كبدي ومبعث سلوتي وسروري . ان من ابتلي كما ابتليت كيف يطيق السكوت وزمّ تمرده وشكواه ، فلا يرفع عقيرته بالكفران كالصبيّ يلقي بحجر في البحر الخضمّ؟ ان النفس التي تتعذب كثيراً ينهشها الشك ، والعين التي تبكي كثيراً تصاب بالعمى ، والمخلوق الضعيف الذي يخفضه الحزن الى الحضيض الأوهد لا يستطيع ان يبصر النور ولا ان يتأمل عظمة الخالق .

«ولكنني اليوم حين أجثو بين يديك ، ايها الإله العظيم ، ألمح من خلال شجوني

وميض نور يهديني سواء السبيل فأكفّ عن الثورة والهذيان وأستسلم الى البكاء وعرض ذكريات الأمس الدابرة . فإنه عزيز علينا أن يذهب أولادنا الى غير رجعة : فقد رأيناهم يأتون وكأن السماء قد فتحت لنواظرنا ، ثم رأيناهم ينمون وهم ريحانة نفوسنا ومنازلنا ، فما أمرّ وما أقسى أن نراهم يمضون ويغيبون ! »

تلك مرثية فكتور هوغو لابنته . أما خاشع الراوي فيستجدي المدد من الله وقد وهب ولده في سبيله تعالى :

إنا نجود بأكباد ولاعجباً ... منا الضحايا بلا حصر ولا عدد
يا من تعشّى بلحمي لا تكن شرهاً ... دع لي البقية من روحي فلا تزدِ
لم أبترد انا اذ كأسي مرنّقة ... فما تطاق ، وأما أنت فابتردَ

حتى يقول :

بنيّ يا سعد ، يا من كنت أشحذه ... على الملّمات ، يا ذخري ويا سندي
صرعت فاحترقت روحي عليك أسى ... والدهر ما ارتاح حتى فتّ في عضدي
نحرت للحزن قلبي عن ضيافته ... والعين ضحيتها للسهد والرمد
جاء المعزّي يعزيني فقلت له : ... متى الرحيل؟ فقال ارقب صباح غد
يا من أراد حياة يستراح لها ، ... ارحل الى غير هذي الدار وابتعد
فقد يعيش غريب وهو مبتهج ... وربما طالت الدنيا الى أمد
وقد يعود الفتى للأهل من سفر ... إلا الذي بات رهن الموت لم يعد
فحسبي الله أن أرنو بشاخصتي ... إلا اليه ، فما أشكو الى أحد

وقد مضى خاشع الراوي الى الكويت فتوفيّ بها في ١٧ آذار ١٩٧٤ ونقل جثمانه الى بغداد فووري التراب فيها .

الدكتور يوسف عزّ الدين

الاستاذ الجامعي الشاعر يوسف عز الدين بن السيد احمد بن عبدالرزاق ينتمي الى أسرة سامرائية تنحدر من عشيرة البو صالح الشيخ وترتقي بنسبها الى الامام موسى الكاظم سليل الامام السبط الحسين بن علي بن ابي طالب . ولد سنة ١٩٢٢ في بعقوبا من أعمال ديالى ، وكان أبوه ضابطاً في الجيش العثماني أصله من بلدة سامراء تركها لخلاف نشأ بين أسرها .

أتم يوسف عز الدين دراسته الابتدائية والمتوسطة متنقلاً بين المقدادية وبعقوبا . ثم انتقل الى بغداد ودرس في دار المعلمين الابتدائية وعيّن معلماً في قرية امام عسكر من قرى بلدروز . وذهب سنة ١٩٤٦ للدراسة في كلية الآداب بجامعة الاسكندرية فحاز على شهادة الليسانس بشرف والماجستير بشرف .

عاد الى بغداد فعين مدرساً في المدارس الثانوية في تشرين الاول ١٩٥١ . ثم حصل على اجازة دراسية فذهب الى لندن ودرس في جامعتها . وتتلمذ على المستشرق ألفرد كيّوم ونال الدكتوراه في الآداب (١٩٥٧) .

عين مدرساً في كلية الآداب ومعاوناً للعميد ، ثم اصبح اميناً للمجمع العلمي العراقي سنة ١٩٦٢ في عهد رئيسه الدكتور ناجي الأصيل . وعيّن بعد ذلك أميناً عاماً للمجمع واختير عضواً فيه في آيار ١٩٦٤ مع بقائه مدرساً في كلية الآداب . وكان أميناً لجمعية المؤلفين والكتاب العراقيين فرئيساً لها سنة ١٩٦٩ .

وقد انتدب للتدريس في جامعة الرياض وانتهى به المطاف في الطائف بالمملكة العربية السعودية حيث اسهم في الكتابة في عدد من الجرائد والمجلات كالجزيرة والفيصل والمجلة العربية والمدينة والندوة .

وكتب اليّ في تموز ١٩٩٢ ان له نحواً من أربعين مؤلّفاً طبعت في القاهرة وتعذّر استيرادها ، وقال : «ومع ذلك سوف أحاول (ارسالها اليك) عندما اذهب الى مؤتمر مجمع اللغة العربية في مارت المقبل باذن الله» .

والدكتور يوسف شاعر وطني حيّا حركة مايس ١٩٤١ ونضال الجزائر وفلسطين .

ونظم الشعر العاطفي الجميل وكتب القصص والبحوث الأدبية . قال انه تأثر بشعراء وادباء كثيرين ، منهم الجاحظ والمتنبي والرصافي والصافي النجفي والشبيبي الكبير وشوقي والبارودي . وقال : أنا أحب الناس ، وما دخل قلبي بغض لأحد منهم لايماني بأن الحب يغير كثيراً من النفوس الخيّرة التي غيرتها المصائب .

ترك وطنه الذي أحبّه وخدمه وغنّى له اجمل الالحان واعذبها فجرع كأس المرارة والأسى ، وقال (قصيدته شرب الملح ، ١٩٩١) :

ربّة الشعر ، هل علمت بحبّ … بين هجر تشقينه وبقرب؟
والعشيّات رخّمت صوت وجد … همسات النجوم من كل درب
أترى يوقد الحنين رواء؟ … من أتون الجراح ينزف قلبي
ليت شعري ، والرمل رمل بلادي … ومياهي بها تساغ لشرب
نزفت من جراحها موج همّ … ترتوي من دماء أهلي وصحبي
يشرب الملح كل عضو جريح … أيداوى بالملح جرح المحبّ؟
كم رضعنا من التفرّق سمّاً … لدغته أسنان أفعى وذنب
شهداء النضال في كل ساح … رويت من دمائهم كل شعب
وتغنّت بهم ثغور المعالي … وزهت فيهم السماء بشهب
بدمانا نذود كلّ شنار ، … بشباب ما هاب حمأة حرب
حرقوا ذلّة الهوان بعزم ، … مهّروا في الخلود أصعب درب

وواصل أغنية الألم والأسف فقال :

كيف ترضين ، أمة العرب ، أني … في تراب الهوان أدفن حبّي
أبوار وأنت فيض جدود … نشرت في الوجود أروع خصب؟
ليت شعري وفي الليالي الحيارى … خير أحلامنا تصاب بجدب
ودمانا تسقي الثرى والثريّا … وتنامون في حرير المحبّ
أمّنا هذه الرمال ومنها … أشرق النور وازدهى كلّ شعب
سطع النور ضاحك من سناها … وهواها ما بين جفن وهدب
أنا أسقي تلك الروابي جراحي ، … كيف أضحت جدباء من بعد خصب
كيف نامت في الغدر رمل بلادي ، … أومات الوفاء من طعن قضب؟

ثم قال يخاطب الصحراء :

يا رمال الصحراء ، حبّك شرعي … قد تغنّت بها مزامير عتبي
أضرمي في اللحون حباً عظيماً … ثم عتبي من المكارم عتبي

إن ربعـــــاً لايعـــــرف الحب ربع　　ليس والله من قـبـيـلي وشـعـبي
أيها الشعب ، تشرب الجلد حلماً　　مثل شاة تعيش في أسر ذئب
كيف ترضى على الهوان خشوعاً؟　　عجبي ، يا بني العروبة ، عُجْبي
أنا كسّرت ريشتي ويراعي　　بعدما ضيّعوا حروفي وكتبي
أتراني حملت همّ بلادي　　والحنايا مقروحة بين جنبي؟
وبوجهي من كالحات الليالي　　يبسم الهمّ من شجون بقلبي
نهشت مهجتي فأنّ جريحاً　　قلب حبّ من ظلم نهش وسلب
يا مطايا الصحراء ، يا حفنة الرمل ،　　يا حجارة الصخر هبي

مؤلفاته .

الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية ، بين الحداثة والمحافظة ، اثر الادب العربي في مسرى الادب الغربي ، الشعر العراقي خصائصه واهدافه في القرن التاسع عشر ، خيري الهنداوي حياته وشعره ، الرواية في العراق تطورها واثر الفكر فيها ، داود باشا ونهاية المماليك في العراق ، من ضمير الزمن (شعر) ، مخطوطة شعر الاخرس (تحقيق) ، الاشتراكية والقومية واثرهما في الادب الحديث ، شعراء العراق في القرن العشرين (ج ١) ، في الادب العربي الحديث بحوث ومقالات نقدية ، من رحلة الحياة (شعر) ، في ضمير الزمن (شعر) ، ألحان (شعر) ، فهمي المدرس من رواد الفكر الحديث . وألف باللغة الانكليزية : المشاكل الاجتماعية في العراق وتأثيرها في الشعر (١٩٥٨) ، تحرير النساء العراقيات : النساء وتأثيرهن في الحياة والشعر العراقي (١٩٥٩) ، الشعر والمجتمع العراقي (١٩٦٢) ، الشعر الحديث في العراق (١٩٦٩) ، أغاني من بغداد (١٩٨٤) .

قال خضر عباس الصالحي : «ان الدكتور يوسف عز الدين شاعر استوحى موضوعاته من صلب البيئة التي عاش فيها ، وعكس تجارب الحياة في شعره ، ذلك الشعر المفعم بأصالة الفن من حيث مضمونه وصوره الجمالية وتدفق حرارة الحياة في شرايينه . تسمو فيه الأفكار الخيّرة والمعاني السامية والأحاسيس الجميلة...» .

وقال الدكتور داود سلوم ان اسلوب يوسف عزالدين يتميّز بقوته وشدة الفاظه وتركيبه مما يترك أثراً في نفس القارئ . انه خال من روح الطراوة التي تسود آثار العصر . لكنه لا يلوم الشاعر آخذاً في الحساب المستّمر الأدب العربي القديم واتصاله الدائم بالمكتبة العربية بحكم عمله وواجب الدراسة .

من شعر يوسف عزالدين

الى أبناء الجزائر

بكم وبالعــزم العـتــيــد وبالدم ... مــتــدفــقــاً من كل ليث ضـيــغم

بالثـاكـلات النائحـات عـشـيـة ... بالدمع تذرفــه عــيــون الإيّـم

بالطفلة الولهى تسـائل أمّـهـا : ... أمـاه ، أين أبي ، بمن أنا أحـتـمي؟

باسم الضـحـايا في جـمـيع ديارها ... قـد جـئت أطلب ثأر مـوتور ظمي

إيه جـزائرنا ورمـز كـفـاحنا ... ألمـجـد ينسجـه وروعـات الكمي

حـتى خطوب الدهر فـيك تعـاورت ... وشكت ، ولكـن من أنين المــأتم

هذا شـبـابك روضـة مـعطارة ... رفّ الشـذا فـيـه كنور البـرعم

واسـتـافت النسـمـات من أزهاره ... ثم انتـشت من لـذة المـتنعم

والغـيـد تمـرح في بطاحك غـبطة ... فـتـهـيم أنفـاس الربيع المـغـرم

غداً أغنّي

غـداً ألاقي حـبـيـبي ... واشـتـكي أوصـابي

وأشـرح الشـوق شـعـراً ... بهـيـنمـات عـذاب

فـلا تلمـني اذا مـا ... باح الغـرام بمـا بي

قـد ضـاع عـمـري هبـاء ... وضـاع حلو الشـبـاب

يا نور ، طابت حـيـاتي ... بعـد السنين الكوابي

* * *

غـداً أغنّي حـبـيـبي ... بأعـذب الألحـان

وانتـشي من جـمـال ... تبـثّـه العـينان

تمـيس كـالورد تيـهـاً ... بقـدّها الفـينان

غـداً لقـاء ربيـعي ... وباسـمـات الأمـاني

إنّا قـريبـان لكـن ... شـرابنا من سـراب

* * *

يا قلب رفـقـاً بشـوق ... ألست ترحـم حـالي؟

لا تأمننّ فـتـاة ... غـرّتك بالاقـبـال

إيـاك والحـب قـلـبي ... وآسـرات الـدلال

فـليس في الغـيـد أمن ... من دون رشف رضـاب ، الخ .

القبلة الثائرة

لمن كـانت القـبلة الثـائرة؟ أثرت بهـا لهـفـة حـائره
وهـذا الـذهـول عـلى نـاظـريـك يتـيـه من النشـوة السـاحـره
رفـيف الورود على وجنتـيك ترفّ بمـعطارة ناضـره
أثار الحـيـاء عليـهـا العـبـيـر بأنسـامـه الحلوة العـاطرة
وصـوتك بُحَّ غـداة الوداع وعـينك حـيـرى ، لمن ناظرة؟
قـد جفّ مني الخـيـال الجـمـيل وعـدت الى سـيـرتي الجـامـده
لمـاذا أتيت الى قـفـرتي ومـا أنت من قـفـرتي حـاصـده؟
ذريني أقض خَـريف الحـيـاة وأجـرع آلامـه الخـالده
فـحسنك أحـيـا مـوات الشـجـون وألهـمني الفـكـرة الشـارده
رياض الربيع وعطر الرجـاء وأنسـامـه الحلوة البـارده
أريحي فـؤاداً دهتـه الهـمـوم وأمـسى بهـذا الهـوى سـادرا
وردّي على القلب طيب الأمـان فـيـزهو جـمـيل المنى ناضـرا
رجـوتك هل تقـبلين الرجـاء؟ أجـيـبي فـؤاداً غـدا حـائرا
لمن كـانت القـبلة الثـائرة؟ فـقلبي لهـا قـد غـدا ثائرا

أيها البحر

رعـشـات الحنين نحـو الوصـال عـصفت بالمشوق عصف الليـالي
فـتـغنّت ذكـرى الغـرام اضطرامـاً وجنوناً ولوعـة للوصـال
جـئـت ، يا بحـر ، أشـتكي من نواها فـاصغِ يا بحـر ، إن شكوتك حـالي
كم ركـضنا على الرمـال سـروراً ثمّ همنا في الحبّ كـالأطفـال
مـا خـشـينا الوشـاة نّمـوا علينا او لهـمس الحـسّـاد والعـذّال
ونهـبنا لذاذة العـيش صـفـواً وطفـقنا نهـيـم بالآمـال
بين أمـواجك الحـبـيـبـة همنا وسـبـحنا بمـائك السلسـال
وعلى الرمـال كم نظمنا قـريضـاً سـاحـر اللحن عـبـقـريّ الخـيـال
قـد شكونا لك اضطراب مـعنّى بعـد أن عـاش ناعـمـاً في الجـمـال
وشـربنا بذوب دمع كـؤوسـاً طافـحـات بدمـعيَ الهطّـال
هات ، يا بحـر ، ذكـريات هواها فـهـواها يفـوح بين المـجـال
خـفَـقـات المـهـجـور نحـو هواها آهة الحب في فم الأجـيـال

غرام شهرزاد

شـهـرزاد ، أسـبل السـتـر الدجى ... حـدثينا عن جـمـال السُّـوَر

وغـلالات العـذارى هفـهـفت ... مـتّـعـينا بشـهـيّ الصـورَ

وصـفي كل لقـاء عـاطر ... لفّ إلفـين بطيب الأعـصـر

من ربوع الشـرق قـصّي قـصّـة ... تغـرق النجـوى بدمع الوتر

* * *

صـوتك الرقـراق نشـوى هائم ... ينتـشي بالحلم العـذب الجـميل

أنت ضـمّـخت الهـوى والهـة ... فـانتـشى الواله من لطف الخليل

وأنا سـقت لك العـتب هوى ... وشـعـوراً فـاض بالودّ النبـيل

وخـيـالي الخـصب في آمـاله ... يشتـهي طيف اللّقـا بعـد الرحـيل

غـيـبـة طالت على آمـالنا ... وسكوتي كـان من ليلي الطويل

* * *

لا تلومي شـهـرياراً في الهـوى ... لـم يجـد في حـبّـه من ناصـر

وارفـقي في شـاعـر تؤلمـه ... ذكـريات مـا مـشت في خـاطر

قـتلت أنغـامـه غـادرة ... وأمـاتت أمنيـات الشـاعـر

وسـقـتـه كـأسـهـا طافـحـة ... وتلظّـت بالزعـاف الغـادر

قلبـه الشـرقيّ مـا أخـضـعـه ... لغـرام في الأمـاني فـاجـر

* * *

وإذا مـرّ من الشـرق الشـذا ... دامـيَ الآلام يـزجـي نَشْـرَهُ

فـهـو لـحن لفـؤاد واله ... ضـجّت الشكوى فكانت خـمـره

خـمـرة قـد عـتّـقـتـهـا غـادةً ... وأدت في فـيض هجـر صـبـره

فـهـو في بغـداد يسـتـاف هوى ... بـدّدت فـوق ثـراهـا عطـره

فـغـدا يعـزف لحناً باكـيـاً ... وغـدا الكون يغنّي شـعـره

* * *

فاتنة العيون

انّ في عـينيك ، يا قـاتلتي ، ... خـمـرة تلهب في الاحـسـاس وجـدا

كلمـا أمـعنت في سـحـريهـمـا ... خـفـق القـلـب جنوناً وتـردّى

لا تلومـيـه ، فـقـد جـرّعـتـه ... غـصص الآلام كـأسـاً اثر كـأس

أرسليـهـا فـتنة عـاصـفـة ، ... أحـرقي روحي وأحـلامي وحـسّي

هـدئي روعـك ، يـا فـــــاتـنـتـي ، وارفـــقي بـالخــافق المــضطرم
انّ في عـــينيك ســحــراً كــامناً وســرى ســحــرك في قلبي الظمي
أنا أخـــفـــيت جــراحــاتي ولم أتشكَّ الألم المـــضني الحـــزين
خـــشـــيـــة ان تقــتـليني بالنوى فــأقـضّي العــمــر مـا بين الشـجـون

كلمة ختامية

انتخب الدكتور يوسف عزالدين عضواً بالمجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية في القاهرة ومجمع اللغة العربية في دمشق والأردن والمجمع العلمي الهندي وبيت الحكمة في تونس . وتولى التدريس في كلية الآداب في بغداد وجامعة بني غازي وجامعة الملك سعود في الرياض ومعهد الدراسات والبحوث العربية بالقاهرة وكلية الآداب في جامعة صنعاء وكلية التربية في جامعة أم القرى بالطائف . وقد شارك في مؤتمرات أدباء العرب في بغداد والقاهرة وبيروت ، ومؤتمرات مجامع اللغة العربية في تونس وبغداد والقاهرة ، ومؤتمرات الجزيرة العربية في الرياض ومؤتمر التراث الاسلامي في الأردن ومؤتمر الأدب العالمي في ويمار وبرلين ومؤتمر أدباء آسية وأفريقية في الصين وطاشقند ومؤتمر المستشرقين في الهند .

وتولى رئاسة تحرير مجلة الكتاب التي اصدرتها جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين وجريدة «الندوة» ومجلة كلية الآداب في العين الخ .

من مؤلفاته الأخرى : قولة في النقد وحداثة الأدب ، مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا الوطنية ، تراثنا والمعاصرة ، قلب على سفر ، ثلاث عذارى ، النورس المهاجر ، قضايا من الفكر العربي ، التحدي الحضاري والغزو الفكري ، حلو الذكريات ومرّها ، همسات حب مطوية ، وعادت الذكرى بطرائفها وغرائبها ، الى الديار الممنوعة ، الخ .

كرّمه الشعراء والأدباء في البلاد العربية شعراً ونثراً . قال فيه أحمد رامي :

يا رفــيق الشــعــور تبــعث في قلبيَ وجـــدي وتســتــجــيش حنيني
أنت جـــددت في فـــؤادي شكـواه ونبــهـت غـــافــيــات شـــجــوني
فطـواني الـذي طواك من الـوجـــــد وأرسلـتَ ســـــاكـنات أنيـني

وقال خالد الشواف :

لـهــاث حـــيــاتك مــا أعـــجــبــه لمن يتـــمـلّى ومــــا أغـــربه
فـــهــذا اللهـــاث على وقـــده هو البــرد للأكـــبــد الملتـهــبــة

وهذا اللهاث لهاث العناء به ساحة الأنفس المتعبة
إذن لا أقول العجيب الغريب ولكن هذا الشعر ما أعذبه!

وقال الدكتور مصطفى جواد :

إذا ذكر الشباب أبرّ حقاً عليهم يوسف الشهم الأديب
وإن ذكر الصحاب طما عليهم ولم يدركه ندب او أريب
دؤوب يوسع الآداب نشراً ويكتب ما يعزّ وما يطيب

وقد أصدر الاستاذ حماد السالمي كتاباً باسم «أشعار المحبين الى يوسف عزالدين» جمع فيه ما قاله أربعون شاعراً عربياً . وكتبت عنه كتب بالعربية والفرنسية والانكليزية تثني على شعره وأدبه . وكان من الروّاد ، فقال الدكتور عبد الله العبادي إن ريادة يوسف عزالدين لم تقتصر على الابداع في التأليف والرأي والمنهج ، بل تعدّتها الى ريادته في المساهمة اللغوية الحديثة في مجامع اللغة .

خالد الشوّاف

الشاعر خالد الشواف ابن قاضي بغداد الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن عبدالرزاق الشواف ، ولد في بغداد سنة ١٩٢٤ وتخرج في كلية الحقوق (١٩٤٩) . زاول المحاماة ، ثم عيّن مديراً عاماً بوزارة الارشاد (١٩٦٤) فمدير الثقافة العام . ونقل الى وزارة التربية والتعليم في نيسان ١٩٧٠ .

نظم مسرحيات شعرية منها : شمسو (١٩٥٢) ، الأسوار (١٩٥٦) ، الزيتونة (١٩٦٨) . وله دواوين شعر : من لهيب الكفاح (١٩٥٨) ، حداء وغناء (١٩٦٣) . وآخر ما ظهر له مسرحية منظومة «الردم» (١٩٩٤) .

قال غازي عبدالحميد الكنيّن في الجزء الثاني من كتابه «شعراء العراق المعاصرون» : «استهوته حضارات البابليين فانكبّ يفتش بين صفحات تأريخ بابل عن أدق المعلومات . فدرس أقوامها وعظماءها وتقلباتهم ، وتعمق في درس نفسياتهم حتى خرج علينا بمسرحياته الشعرية جامعاً أهم الأحداث التأريخية... فكان مجدداً لذلك الشعر التمثيلي الطويل في موضوع موحّد متماسك الأفكار والصور» .

من شعره في اسناد كفاح المغرب العربي (سنة ١٩٥٥) :

قل للسياسات العجاف : وراءا ... حمي الوطيس وأنت لست كفاءا
بطلت رقى المتفاوضين ، ولم تعد ... تلقي الموائد للشعوبَ غذاءا
ما اليوم يوم البائعين مدادهم ، ... اليوم يوم الباذلين دماءا
والمعرضين عن الأحابيل التي ... لا يدرك الهاوي بهنّ نجاءا
والحاملين على الدخيل بعزمة ... لا تعرف التسويف والابطاءا
والمضرمين عليه نار تراتهم ... والمطريه الحقد والبغضاءا
والغامسين طعامه بنجيعه ... والمالئين شرابه أقذاءا
المغرب العربيّ يعرف دربه ... ليست دروب السالكين سواءا
نبذ الدروب الدائرات بخطوه ... عبثاً ، وشقّ طريقه حمراءا
ان الطريق الى الحياة عقيمة ... إن لم تكن فيها الصُّوى أشلاءا
ثمن الحياة دم يسيل وأنفس ... تشقى وأجسام تصيب عناءا

وله (من قصيدة في موكب الذكرى) :

يا حارس الارث يحمي قدسه دمه ... لن يستباح حمى هيهات تسلمه
إرث النبوّة لا تمضي به بدداً ... أحلاس ليل تولّت عنه أنجمه
كم نهنه الليل منهم طامعاً فسطا ... وأسفر الصبح عن دهياء تهزمه
أما سقتهم أمانيهم نجيعهمُ ... في جاحم لم يكد ابليس يقحمه؟
قالوا : ورثنا وشطر الأرض تحتهمُ ... والذرّ كفّهم بالعلم تلجمه
فقالت الروح : بل صبراً الى أجل ... محتّم ليس إلا الله يعلمه
يا عابد المال ، لا تأخذك كثرته ... فالبغي ديناره زيف ودرهمه
يا حطام الذرّ ، لا تغررك قوّته ... فالحق أصلب من ذرّ تحطمه
يا مالئ الأرض آمالاً مبهرجة ... وما شفى جرحه النّغار بلسمه
متى تطبّ لنفس لا شفاء لها ... وأنت لم توف جسماً ما يقوّمه؟
يا أيها الشرق ، هل أقصيت منتجعاً ... وافى حياضَي فلم يعبق بها فمه
أما ترى الغرب مسعوراً به شره ، ... فكيف غرّك معسول ينمنمه؟
هو المريض وهل يشفيك من رهق ... من لم تُبلَّ من الأدواء أعظمه؟

تحية الى مصر (١٩٥١)

يا جيرة النيل ، لو تجدي تحايانا ... لقد نفحنا بها أهلاً واخوانا
أقلّ حقّ لديكم عند اخوتكم ... بذل الدماء ، ويوم البذل قد آنا
لكن يومكم الموعود طالعكم ... ويومنا ، ويح ما أقصاه ، ما حانا
يا جيرة النيل ، شدّي من سواعدها ... فإنها صلبت عزماً وايمانا
دم الضحايا الذي روّى غراسكم ... للانعتاق سيؤتي الأكل ريّانا

تونس (١٩٥٢)

هذي رباك يضوع في جنباتها ... أرج الفدا وعبير الاستشهاد
في كلّ ناَحية حشاشة باذل ... سالت تضمخّها ومهجة فاد
فاستشهدي يوماً كأمس ولا تهني ... عن بذل تضحية ووصل جهاد

صفاء الحيدري

الشاعر صفاء الحيدري أخو بلند الحيدري ، وهو ابن أكرم حيدر الحيدري الرئيس (النقيب) في الجيش العراقي وأمه أخت داود الحيدري وزير العدلية العراقية . ولد في آنقرة سنة ١٩٢١ وعاد مع أسرته الى بغداد وهو طفل فدرس في مدارسها ، ولم يلبث ان انقطع عن الدراسة لينصرف الى الصحافة والأدب .وآثر ان يعيش عيشة بوهيمية متنقلاً بين الأحياء والجهات دون استقرار نفسي .

أصدر مجلة «الأقباس» سنة ١٩٤٥ وشفعها بجريدة «صوت العراق» اليومية فلم تدم طويلاً . ونظم الشعر فنشر قصائده في الصحف والمجلات العراقية واللبنانية . وأصدر سنة ١٩٤٧ ملحمة شعرية بعنوان «أوكار الليل» . وله أيضاً : بابلون (اوبريت) ، الخطيئة ، عبث (١٩٥٠) ، قصائد وبرامج وطنية (١٩٥٨) ، قنوط (١٩٦٢) ، يوميات مراهق (١٩٤١) . وجمع أشعاره بعد ذلك في مجلد واحد بعنوان «ديوان الحب الكبير» (١٩٧٨) .

قال الدكتور جليل العطية ان صفاء تعرّض للتفتيش والاعتقال في أواخر سنوات السبعين متهماً بالتطاول على صدام حسين والحزب الحاكم فأرغم على توقيع تعهد بحضوره الى دائرة الأمن أربع مرات سنوياً والتعاون معها . وقد فكّر في الانتحار ثم صرف النظر عنه ، وأخذ ينظم القصائد في مدح صدام والتغنّي بأمجاده وحروبه .

عمل صفاء في دوائر الحكومة أمداً قصيراً ، فكان مدير التوجيه والنشر في وزارة الاصلا ح الزراعي أيام حكم عبدالكريم قاسم . وفصل من وظيفته بعد انقلاب شباط ١٩٦٣ .

قال الدكتور جليل ان صفاء لم يجد له مكاناً بين الشعراء المبدعين ، بل بدأ مقلداً لمدرسة المهجر والياس أبو شبكة ، وظل ملتزماً بالأساليب الكلاسيكية يراوح ويكرر نفسه . «ولعل لفشله العاطفي الذي تجسّد في مجموعته «قنوط» الأثر في ذلك الجمود» .

توفي صفاء الحيدري في بغداد سنة ١٩٩٢ .

مصطفى جمال الدين

من شعراء المدرسة الكلاسيكية القديمة في العصر الحديث السيد مصطفى جمال الدين ، وهو مصطفى بن جعفر بن عناية الله من آل جمال الدين ، ولد في قرية المؤمنين بسوق الشيوخ في ٥ تشرين الثاني ١٩٢٧ ، وكان جده ، وبعد ذلك أبوه ، المرشد الديني للعشائر المجاورة . أُرسل الى النجف وعمره ١١ سنة فدرس فيها علوم الفقه واللغة وتخرج في كلية الفقه سنة ١٩٦٢ ، فعيّن معيداً بها . ثم أمّ بغداد فدرس في جامعتها وحاز على درجة الماجستير في الشريعة الاسلامية سنة ١٩٧٢ . وواصل دراسته العليا فنال الدكتوراه في اللغة العربية (١٩٧٩) ، وكانت اطروحته في «البحث النحوي عند الأصوليين» . عيّن مدرساً في كلية الآداب ، كما تولى التدريس في كلية الفقه وكلية أصول الدين أمداً يزيد على عشرين عاماً . وكان رئيس جمعية الرابطة الأدبية في النجف من سنة ١٩٧٥ .

اضطر على مغادرة العراق بسبب الظروف السياسية الطارئة سنة ١٩٨٠ فأقام في القطر السوري . وقدم أخيراً الى لندن للمعالجة من داء السرطان الذي استفحل في رئته . وعاد الى دمشق في ايلول ١٩٩٦ وأدركه الحمام بها في ٢٣ تشرين الأول ١٩٩٦ .

نشر ديوان شعره في بيروت سنة ١٩٩٥ . ومن مؤلفاته الأخرى : القياس حقيقته وحجيّته ، الاستحسان : حجيّته ومعناه ، الانتفاع بالعين المرهونة ، الايقاع في الشعر العربي من البيت الى التفعيلة ، ديوان عيناكِ واللحن القديم .

شعره

السيد مصطفى جمال الدين شاعر طويل النفس عباسيّ الديباجة ، مواضيعه اجتماعية ودينية ووطنية وقومية ، وله مراثي في الشيخ محمد رضا الشبيبي وصالح جبر ومصطفى جواد وأحمد الصافي النجفي وغيرهم من الاعلام . وله الى ذلك قصائد جميلة في الغزل والغربة والحنين الى وطنه .

من شعره :

بغداد ، ما اشتبكت عليك الأعصرُ　　　إلا ذوت ، ووريق عمرك أخضر

مـرّت بك الدنيـا وصبـحك مـشـمسٌ ، ودجت عليك ووجـه ليلك مُـقْـمـرُ
وقـسـت عليك الحـادثات فـراعـهـا انّ احـتـمـالك من أذاها أكـبـر
حـتى إذا جُنَّتْ سـيـاط عـذابهـا راحت مـواقـعـهـا الكريمـة تسـخـر
وكـأنّ نومك ، إذ أصـيـلك هامـد ، سنةٌ على الصـبـح المـرقّـه تخطر
للّهَ انت ، فـأي سـرّ خـالد ان تَسْـمَني وغـذاء روحك يُضْـمـرُ!
أَن تشـبـعي جـوعـاً وصـدرك ناهد او تَظْـلمي أفـقـاً وفكرك نَيِّـرُ!

من ليالي الفرات

يا ليلُ ، أين أحـبّـتي ورفـاقي؟ خلت الكؤوس فـأين ولّى السّـاقي؟
أحـبـابنا عـودوا فـثـمّـة سـامـر نشـوان من خـمـر السّنى المـهـراق
فـالليلة القـمـراء أكـؤس فـضّـة سُكِبَتْ بهنّ عـصـارة الإشـراق
والأنجم الزهـراء سـامـر فـتـيـة مَـيل الرؤوس رخـيّـة الأعناق
والبـدر ، لو تدرون ، فـهـم عـاشق سلبت قـواه نواعس الأحـداق
سـالت مـدامـعـه فـقـيل : أشـعّـة وذوى فـقـيل : تأهُّبٌ لمَـحَـاق
والنهـر جُنَّ فلم تفـده رُقْـيـة ، وطغى فـأسْـقط في يمـين الراقي
يجـري ، ومـذ هفت الغـصـون للثمـه أجـرى مـدامَـعـه على الآمـاق

ومن غزله الرقيق :

قـرّبي روحك الرقـيـقـة منّي ودعـيـني أنسى مـصـارع فنّي
أنا ، يا حُلْوتي ، شـجيّ من الأنغـام ، هيـمـان لم يمـتّـع بأذن
عـزفـتـه قـيـثـارة لم تمـازجـه هديراً فـعـاد أسـوأ لحن

خيوط النجوم

طرّزيهـا بسـحـر عـينيك ، يا ليلى ، بمـا تطـويان من أسـرار
بابتـسـامـتك التي علّمـتني كـيف تخـضلّ بالرَبيع الصـحـاري
بدمـوع أطلَقْـتـهـا وأنا أسـمع وقـع الـنجـوم في أفكاري
ثمّ لمَلَمْـتُـهـا لأجـعل منهـا في ظلام الحـيـاة نوري وناري
طرّزيهـا بهـمس ليلتنا إذ نحن سـرّان في ضـمـيـر قطار
إذ أطلت عـيناك تبحث في عـينيّ عن سـرّ ضـيـعـتي وانكسـاري
فـتـلاقت روحي وروحك في شـجـو حـبـيب جُنّت به أوتـاري
ثـم ذبنـا مـع الـظـلام بـلـحـنٍ صـهـر العـمـر كلهّ في قـرار

لميعة عباس عمارة

الشاعرة لميعة عباس عمارة ولدت في بغداد سنة ١٩٢٩ ، وكان أبوها من الصاغة الصابئة المتفنين في صياغة الفضة ، وقد اصطحبناه الى باريس سنة ١٩٣٧ فافتتح في معرضها العالمي ، مع زميله المسمّى سكران ، محلاً للصياغة نال الاعجاب وحظي بجائزة المعرض الذهبية . ثم هاجر الى شيكاغو ونقل اليها فنّه الرائع الأصيل .

تخرجت لميعة في كلية التربية فرع اللغة العربية سنة ١٩٥٠ وعملت في التدريس . قالت عن نفسها : «تقلبت حياتها بين النعمة والكفاف وذاقت حلو العيش ومرّه ، وكانت على الحالين باسمة الثغر دائماً ، متفائلة أبداً على عكس ما يبدو في شعرها من لمحات التشاؤم» . وقد انتخبت عضوة في الهيئة الادارية لاتحاد الأدباء العراقيين سنة ١٩٦٠ ـ ١٩٦٣ .

قالت عن نفسها أيضاً : «لم تنظم في وصف الطبيعة وجمالها ، فقد استهوتها الأغراض الانسانية من مآسي البائسين وأحلام الشباب وجمال الأمومة وروعة الحبّ . ولها مع شعر الحب والشباب ذكريات لطيفة ، فأول ما حفظته من الشعر كان رواية مجنون ليلى لأحمد شوقي ، وكان عمرها ستّ سنوات لا تعرف القراءة والكتابة» .

في شعر لميعة نبرة حزينة لفتاة طامحة لم تنل جلّ أمانيها . أسرها الشعر بفتنته فبرمت بما جاء به من بؤس وجروح قاتلة . وسافرت ، نزلت في الفنادق وزارت الأسواق والمتاحف . تمخّرت أنفاس البحر وجرت على الرمال وتنزّهت في ظل أشعة الشمس ، لكنها عادت بالسأم وخيبة الأمل ، وقبعت في مكانها كالنجم التائه في الفضاء الخارجي الواسع . مضت تقصد العرّاف ، فلم يتنبأ لها بما تريد . آه ، لو قال لها ان الحبيب سوف يأتيها لاستكانت ولم تنظم نشيد الحبّ . لو قال لها انها تلمس وجه القمر لما لعبت بالحصى في الجداول . لو قال لها ان الحب يقدم اليها أميراً على حصان من الياقوت لما حلمت بالموت والفناء . لو قال لها العرّاف انها تلقى الحبيب في الصحراء لأمسكت عن البكاء واحتفظت بدمعها ليوم الهجر والجفاء .

تبرّأت من الشعر فقالت :

لعنة اللاعن ، يا شعر ، عليك ... ما الذي أوقعني بين يديك؟

كلّ أســـرار الورى مكتـــومـــة وخـفـيّ الهـمس مـفـضـوح لديك
كم ســبـيـل هرباً عــجنا به ولمـــحنا في الحنايا مـــقلتـيك
دعك منّا ، كل جــرح قـــاتل ، كل بؤس جـــاء يقـــفـــو خطوتيك
أنت لو كنت صـــلاحـــاً وهدى مــــا تـوسّلنا بشــيطان اليك

جاء الربيع وقد فجعت بوفاة أخيها ، فقالت :

عـــاد الربيع وأنت لم تعـــد ، يا حـرقـة تقـتـات من كـبـدي
عـــاد الربيع فـــألف وا أســفي ألاّ تـــحـــسّ بـــه الـــى الأبـــد
أنســـاك ، كـــيف؟ وألف تذكـــرة في بيـــتنا تتـــرى على خلدي
هذا مكانـك في حـــديقـــتنا مـــتـــشـــوّقـــاً لطرائف جـــدد
ولكم ســـهـــرنا والحـــديث نَد وعلى ذراعك كم غـــفـــا ولدي
وهنا كـــتـــابك في هوامـــشـــهً رأي وتعليل لمنتــــقـــد
ورســـائل وردت وأعـــوزها ردّ عليـــهـــا بعـــدُ لم يَرد
يا وجـــهـــه الريّان من أمل كـــيف احـــتـملت تجـهم اللحـدَ؟
أتصــفّح المـاشـين ساهمـةً علّي أرى ســـيـــمـــاك في أحـــد
لا شيء من نفـحـات ضـحكتـه من أريحـــيّـــتـــه ، من الجلد

وللميعة شعر من ألوان الشعر المتماوج الحديث :

تجنّي

أتدري بأني أذوب حنيناً اليك
وأهفو لأدنى خبرْ؟
تصدّق أنيَ أأرق حتى الصباح
ألوّن منك الفكر؟
أتعلم ان عنادي ضباب
وهجري رياء
وأن التي تتجنّى عليك
تتمنّى لقاء؟
أأبصرت من خلل الكبرياء
دعوماً ذليلة
وروحاً تسيل على راحتيك

وتبدو بخيلة؟
أحبّك ،
يكذّب زمّ الشفاه
ويهذي عنادي
أحبك
في هربي وافتعال الخلاف
وطول ابتعادي .
وكنت أمّوه وجه السماء
وأكتم عطري
وأغمض عينيّ عمّا أحسّ
لتجهل أمري
وإشراقتي
والتماع عيوني
وبرد يديَّه
تناديك ، يا سادراً في الضياع :
تعالَ إليَّه .

رأت لميعة في شعرها قيثارة تأسو آلام البائسين فقالت :

بُعثْتُ الى الأرض قيثارة … لتأسو أنغامها البائسين
وإذ لمستني أكفّ الثرى … سرت نغماتي عليها أنين
فداء لعينك كيف امّحى … بريق الهوى وسنا النيّرين؟
فداء لثغرك كيف اختفى … صدى ضحكة وتلاشى الرنين؟
فداء لقلبك كيف انتهى … رفيف الجناح وطار السجين؟
فداء ليمناك بنت الفنون … لكم أبدعت من فريد ثمين
سواء إذا أبغضتني الأنام … او ازدحم العيش بالمعجبين
عمرت فؤادي وحطّمته ، … فهيهات بعدك يوم يلين
عبدتك أنت مثال الحنان … ولن أسمع الصبية العابثين

نشرت عدة دواوين شعرية : الزاوية الخالية (١٩٦٠) ، عودة الربيع (١٩٦٣) ، أغاني أشتار (١٩٦٩) ، عراقية (١٩٧٢) ، يسمّونه الحبّ (١٩٧٢) .

لميعة عباس عمارة : عود على بدء

اقترنت لميعة بالمهندس مبارك وأنجبت ثلاثة أبناء وابنة واحدة ، ثم افترقت عن قرينها بالطلاق . درّست في المدارس الثانوية في بغداد وفي دار المعلمات بالأعظمية . ونظمت الشعر الرقيق بالفصحى واللهجة العامية البغدادية الأصيلة .

انتخبت عضواً في الهيئة الادارية لاتحاد الأدباء العراقيين سنة ١٩٥٨ وعضواً بالمجمع العلمي السرياني . ثم مضت الى موسكو سنة ١٩٦٣ بسبب ميولها الشيوعية . وعادت الى بغداد بعد ذلك ، واختيرت نائبة للممثل العراقي الدائم في اليونسكو بباريس سنة ١٩٧٣ الى ١٩٧٥ ! ، ثم كانت مديرة الثقافة والفنون في الجامعة التكنولوجية ببغداد الى سنة ١٩٧٨ . وقد غادرت العراق بعد ذلك الى لبنان حيث أقامت سبع سنوات ، ثم انتقلت الى ولاية كاليفورنية بالولايات المتحدة . انصرفت الى دراسة جذور الصابئة المندائية ولغتهم وأصدرت مجلة «المندائي» .

زارت لندن في أيلول ١٩٩٥ وألقت محاضرة عن الصابئة المندائية والاسلام في قاعة الكوفة .

من رقيق شعرها :

قبلة

جهدي أحاول أن أشّتف نظرته ... كأنّ كل همومي فوق أجفاني

تمتصّ قبلته روحي على شفتي ... فتستحيل عظامي خيط كتّان

جَذَتْ فلن تطفئ الأيام جذوتها ، ... يا طيبها ، وشفاهي قلبه الثاني

(واهاً لها قبلة كالنار لاذعةً ... والقلب مبترد في ظلّ بركان)

(أبعد ، فذي مهجتي قد شفها قلق ... واذهب لعليَّ أسلو فرط أشجاني)

شفيق الكمالي

ولد شفيق عبد الجبار الكمالي في قرية البوكمال على الحدود السورية سنة ١٩٢٩ . وأكمل دراسته الثانوية في بغداد ثم تخرّج في كلية الآداب وعيّن مدرساً في الموصل . وقد سجن بسبب نشاطه السياسي وفصل من وظيفته ، ثم أعيد تعيينه مدرساً في بغداد بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ . وعيّن مديراً عاماً لوزارة الاعلام بعد انقلاب شباط ١٩٦٣ .

فصل وسجن مرة أخرى ، فلجأ الى مصر ، وانتهز الفرصة لاكمال دراسته العالية فحصل على شهادة ماجستير سنة ١٩٦٥ عن رسالته «الشعر عند البدو» . عاد الى العراق ، وعيّن سنة ١٩٦٨ مدرساً في جامعة بغداد فوزيراً للشباب . ونقل في ايار ١٩٧٠ سفيراً في مدريد ، فوزيراً للاعلام وعضواً في مكتب الشؤون التربوية التابع لمجلس قيادة الثورة . وتولى رئاسة تحرير مجلة «آفاق عربية» التي أصدرتها وزارة الاعلام في ايلول ١٩٧٥ . وانتخب نائباً عن المنطقة العاشرة في بغداد في المجلس الوطني سنة ١٩٨٠ .

ألقي القبض عليه بعد ذلك واعتقل . وأطلق سراحه فلم تمض أيام معدودة حتى أدركته الوفاة . وكانت وفاته ببغداد في ١٦ كانون الأول ١٩٨٣ . وقد كتب عن مأساته في المعتقل ووفاته الطارئة الدكتور جليل العطيّة في كتابه «فندق السعادة» الصادر في لندن سنة ١٩٩٣ عن دار الحكمة .

من مؤلفاته : الشعر عند البدو (١٩٦٥) ، رحيل الأمطار (شعر ، ١٩٧٢) .

قال خليل ابراهيم عبد اللطيف في كتابه «أدباء العراق المعاصرون» ان الكمالي احد دعاة حركة الشعر الحرّ ، وقد انتقل من القصيدة العمودية الى هذا الأسلوب من النظم . وقال الكمالي : «لم يكن انتقالي من الشكل العمودي الى الحرّ انتقال قطيعة ، أي اني تركته ، فأنا ما زلت على الطريقتين ، والموضوع هو الذي يفرض ذلك . وفي رأيي ان الشكل ليس له التأثير الكلي على القصيدة ، وانما المضمون . أنا اعتقد ان الجديد الصادق النابع من تراث وأرض هذا الوطن وهذه التربة يخلد» .

وارتأى الناقد يوسف نمر ذياب ان شعر الكمالي يدور حول قطبين : الالتزام السياسي ثم المرأة والحبّ ، وقد يتنازع القطبان داخل القصيدة الواحدة .

شاذل طاقة

الشاعر شاذل جاسم طاقة ولد في الموصل سنة ١٩٢٩ وتخرج في دار المعلمين العالية ببغداد سنة ١٩٥٠ . مارس التعليم وعمل موظفاً في شركة اعادة التأمين الوطنية . وأصبح بعد ثورة ١٩٥٨ وكيلاً لوزراة الثقافة والاعلام . ثم كان في سنة ١٩٦٣ مديراً عاماً لوكالة الأنباء العراقية . ولما قامت ثورة ١٧ تموز ١٩٦٨ عين سفيراً بوزارة الخارجية وانتدب سفيراً للعراق في موسكو ، ثم عاد الى بغداد وكيلاً لوزارة الخارجية فوزيراً لها .

توفي في الرباط في ٢٠ تشرين الأول ١٩٧٤ وكان يحضر مؤتمر وزراء الخارجية العرب المعقود في العاصمة المغربية .

من مؤلفاته : المساء الأخير (١٩٥٠) ، تأريخ الأدب العباسي (١٩٥٣) ، ثم مات الليل (١٩٦٣) ، في الاعلام والمعركة (١٩٦٨) ، الأعور الدجال والغرباء (شعر ١٩٦٩) .

قال شاذل طاقة في حديث له في الاتحاد السوفييتي : «ممارستي قليلة في الكتابة ، ولكن الشاعر لا يستطيع ان يسكت الى الأبد ، خصوصاً ان شتاء موسكو يتيح اوقاتاً لا بأس بها للقراءة والتتبع» .

من شعره :

في حنايا الفؤاد نار جهنّم ... فاطفئيها من قبل ان تتضرّم

واسقنيها من فيك أعذب من خمر ... وأشهى من النمير بزمزم

وأزيحي عن الجمال ستوراً ... إنّ موت الجمال أن يتكتّم

يا هلمّي الى الجبال لنبني ... بين شمّ الصخور قصراً تهدّم

حيث نجني من الزهور شذاها ... ونغنّي لحن الهناء وننعم

وقد عارض قصيدة «ليل الصب» فقال :

أجمل بالسهم تسدّده ... في قلبي العاشق تغمده

أودى بالصبّ تنهده ... فابسم فلعلّك تسعده

عيناك الكون وفتنته ... والخدّ الورد وأعبده
والثغر الكوثر ارشفه ... والقلب الصخر وجلمده
النار النار غزت كبدي ... والسهم الخود تسدّده
سيموت الوامق في غده ... يا من للعاشق ينجده

العلوم الفقهية والدينية



محمد الأمين السهروردي

الشيخ محمد الأمين السهروردي ابن عبد الرحمن بن محمد محسن قاضي العساكر العراقية ، ولد في بغداد سنة ١٨٣٦ ، ودرس علوم العربية والدين على والده وعلى حبيب الكروي وداود النقشبندي وغيرهم .

عين مدرساً بمدرسة شهاب الدين عمر السهروردي وعضواً بمحكمة استئناف بغداد ، فمديراً لناحية سامراء فالكفل (١٨٨٠) . وتوفي في مسقط رأسه سنة ١٩٠٢ .

ترك مؤلفات منها : تفسير مشكل البيّنات ، اعراب القرآن ، مجموعة في الأدب ، الخ .

محمد كاظم الخراساني

الفقيه الامامي المجتهد المصلح ، استاذ الجيل في عصره ، الملا محمد كاظم الخراساني المعروف بـ «الأخوند» ولد في طوس سنة ١٨٣٩ وتوفي في النجف في ١٠ تشرين الثاني ١٩١١ . ترجمت له في كتابي «أعلام اليقظة الفكرية» .

درس في مشهد الرضا وطهران ثم قصد النجف سنة ١٨٦٢ وتتلمذ للميرزا حسن الشيرازي وأصبح مرجع الشيعة الامامية بعد وفاته (١٨٩٤) . أيد الانقلاب الدستوري العثماني سنة ١٩٠٨ . وأعلن سنة ١٩١١ الجهاد على ايطالية حين غزت طرابلس الغرب .

ذكره علي الشرقي في «أحلامه» فقال : «لقد كان الخراساني آية عصره ، وكان من الأفذاذ ، وهو حجة في الفلسفة النظرية وعلم الأصول . وكان يحاضر في مسجد الهندي (بالنجف)... وكان يحفّ بمنبره ثلاثة آلاف طالب فيهم المجتهد او المرشح للاجتهاد . وكانت له الروعة والهيبة إذا استوى فوق منبره ، فما أرهب زمجرته التي يزجر بها من كان في أقصى المسجد إذا سمع كلمة اثناء القائه . انه يقرع ذلك الحشد المهيب بقولته «نَفَس» يريد اسكات ذلك المتنفس . وإذا انتهت محاضراته وانتشرت تلامذته تقف حركة المرور ، فلا ترى غير تموّج العمائم البيض والسود . والعلامة الخراساني هو أبو الأحرار الايرانيين وأبو الدستور الايراني» .

جهاد الخراساني

منح الشاه ناصر الدين سنة ١٨٩١ امتيازاً يحصر تجارة التبغ والتنباك ببيد شركة بريطانية ، فاشتدت معارضة رجال الدين ، وفي مقدمتهم الميرزا حسن الشيرازي ومحمد كاظم الخراساني ، لهذا الانحصار . ودعا العلماء الناس الى ابطال التدخين وحركوا العوام في سلسلة من الاضراب والعصيان المدني حتى اضطر الشاه الى الغاء الامتياز .

وأصدر محمد علي شاه ايران في تشرين الأول ١٩٠٨ بياناً قرر فيه تأجيل افتتاح المجلس التشريعي الذي نصّ عليه الدستور ، فكتب اليه محمد كاظم الخراساني رسالة يشجب عمله ويدعوه بـ «منكر الدين والضالّ» ويؤنبه على تعطيل الدستور الذي أصدره ابوه مظفر الدين شاه في ٥ آب ١٩٠٦ ليرفع الظلم والتصرفات غير القانونية عن الشعب . وقال الخراساني ان «المشروطة» ليس فيها شيء يخالف الدين ، وكان المنتظر من شجرة الدستور ان تثمر السعادة للشعب المظلوم . وهدّده بأنه إذا تأخر عن الاستجابة لطلب العلماء «فاننا سوف نحضر جميعاً الى ايران ونعلن الجهاد ضدّك...» .

وقد خلع الشاه محمد علي بعد أمد وجيز ورقي العرش ولده القاصر أحمد شاه وأعيد الدستور .

قال الشاعر عبدالمطّلب الحلي يخاطب كاظم الخراساني في موقفه من اعلان الحرية في ايران وخلع الشاه المستبدّ محمد علي :

نصرتَ ، وداعي الجور خزيان واجم ، ... فما ذلّ مظلوم ولا عزّ ظالم
غداة غشيت المستبدّ بلطمة ... على تاجه فيها غدا وهو لاطم
فولّى وقد أعطاك للطعن كتفه ، ... فما أنت إلا العدل للجور هازم
إذا ما بنى للجور عرشاً هدمته ، ... ومن ذا الذي يبني وذو العرش هادم؟
فلو كان حرّاً ما استرقّ بجوره ... رقاباً لها الاسلام بالعتق حاكم

ثم يقول :

وذي قلم يقوى على الطعن معصماً ... إذا ارتعشت بالسَّمْهريّ المعاصم
يطاعنُ بالأقلام فهي أسنّة ... ويضرب بالآراء فهي صوارم

وكم قلمٍ أضـــحى له الرمح تابعـــاً وقــول له المــاضي غــدا وهو خــادم!

ورثى السيد عبد المطلب الشيخ كاظم الخراساني ـ على ما قال الدكتور محمد مهدي البصير ــ بثلاث قصائد، قال:

قــضى ليله شطرين: شطراً مــحــارباً وشطراً به باتت تضيء المَــحَــاربُ
فـمــا ابيضّ وجـه الصبح إلا وسُوِّدَت مـــآتم في فــــقــــدانه ومنادب
وأضـحت ركـاب السيـر وهي مُناخـة، وهل ثائر فـــيـــه تناخ الركـــائب؟

وممن رثى الخراساني الشيخ علي الشرقي، قال:

سلِ الجيش، جيش الدين، أين أميره؟ إذا نعــشــه مـــا بينهم أم ســـريره؟

محمد ثابت الألوسي

محمد ثابت بن نعمان خير الدين بن ابي الثناء محمود شهاب الدين الألوسي ولد ببغداد في ١٧ تموز ١٨٥٩ ودرس على علمائها . عيّن قاضياً للنجف ونقل الى كربلاء والسليمانية والأحساء ، ثم اعتزل الخدمة .

اختير رئيساً للبلدية الأولى في بغداد سنة ١٩٠٣ . ووشي به الى الوالي عبد الوهاب باشابأنه يحبّذ المذهب الوهابي الذي تناوئه الدولة التركية فأبعد مع محمود شكري الألوسي الى الاناضول (١٩٠٥) . لكنهما لم يكادا يصلان الى الموصل حتى شفع لهما وعفي عنهما وأذن لهما بالعودة الى بغداد .

وقصد استانبول بعد الانقلاب العثماني وساح في الأمصار وأدّى فريضة الحج . وعيّن قاضياً للسليمانية مرة ثانية سنة ١٩٠٩ . وقد توفي فيها في تشرين الثاني ١٩١١ .

أحمد شاكر الألوسي

احمد شاكر بن ابي الثناء السيد محمود الألوسي ولد ببغداد في ٢٧ كانون الثاني ١٨٤٨ . وتوفي أبوه وعمره ستّ سنوات فنشأ في أسرته ودرس على علماء عصره ، ومنهم اسماعيل الموصلي وحسين البشدري . اشتغل بالوعظ ، ثم عين قاضياً للبصرة (١٨٨٠) ، فكربلاء (١٨٨٣) وغيرهما . وكان عضواً بمجلس الادارة في بغداد والمحاكم العدلية .

سافر الى الشام سنة ١٨٨٨ ومضى منها الى استانبول فمثل بين يدي السلطان عبد الحميد الثاني الذي اختاره مدرساً لجامع السيد سلطان علي في بغداد . وعاد الى مسقط رأسه فاشتغل بالتدريس ونشر بعض كتب أبيه ، لكن وشي به الى السلطان فسيق الى العاصمة التركية مخفوراً . وظهرت براءته مما نسب اليه فعيّنه السلطان عضواً بمجلس المعارف الكبير سنة ١٩٠٧ . وأدركه الحمام في استانبول في ١٩ ايلول ١٩١٢ .

وصف احمد شاكر بلين العريكة ولطف المعشر وحصافة العقل وسعة الحلم ، وكان شديد التأنّق في الملبس والمأكل .

الشيخ اسماعيل الموصلي

من علماء الدين الشيخ اسماعيل بن الشيخ مصطفى الموصلي ، ولد في الموصل في نحو سنة ١٨٥٠ ، ودرس على علمائها ، ثم شدّ الرحال الى بغداد وواصل الدرس فيها . وعيّن مدرساً في مدرسة جامع الصاغة ، وتخرّج عليه نخبة من العلماء منهم عبد الوهاب النائب ومحمود شكري الألوسي وغيرهما .

توفي ببغداد سنة ١٩١٣ .

وصفه محمد صالح السهروردي في الجزء الأول من كتابه «لبّ الألباب» فقال انه كان زاهداً تقيّاً ، معتزلاً لزخارف الدنيا . كلّف بمنصب افتاء بغداد فأبى قبوله تورّعاً . وكان قويّ الحجة واسع الاطلاع غزير المادة رقيق التقرير ، سئل مراراً ان يجمع مقرراته وشروحه في كتاب فلم يفعل .

حسين عوني الشَمَّري

من علماء الدين حسين عوني بن الملا عبد الله بن محمد ، ينتمي الى قبيلة شمّر . وقد سكن أجداده انحاء كردستان للمتاجرة ، ثم جاء والده الى بغداد مع محمد فيضي الزهاوي المفتي .

ولد حسين عوني في بغداد في نحو سنة ١٨٥٨ ودرس على بهاء الحق الهندي وعبد الوهاب النائب وغيرهما . ثم انتمى في كهولته الى مدرسة الحقوق . وقد عيّن مدرساً في المدرسة الاعدادية العسكرية ، ثم أصبح كاتباً في المحكمة الشرعية ببغداد فرئيساً لكتابها . وعيّن قاضياً للشرع في الشامية (١٨٩٦) ، ثم تولى القضاء في النجف وبدرة وواسط (الحيّ) ، وعاد الى رئاسة الكتاب في محكمة بغداد الشرعية .

كان ينظم الشعر ويكتب باللغات العربية والتركية والفارسية ، ونشر المقالات في جريدة «الزهور» البغدادية (١٩١٠) . وصنّف كتباً في المنطق والبيان والمعاني ونظم متناً في النحو .

وقد أدركته الوفاة سنة ١٩١٦ في مسقط رأسه .

من شعره :

ذهبنا نبتغي والقومَ مالاً ... لنقضي للمعالي بعضَ دَيْنِ
ففاز القوم في مال كثير ... واني عدت في خُفَّيْ حنينَ
وما ذنبي سوى أني حسين ... يزيد الدهر ظلماً في حسين
فلا تعجب لأيام رمتني ... فأهل الفضل أقذى كلّ عين

ترجم له محمد صالح السهروردي في «لبّ الألباب» وقال انه رجل دين فاضل درس عليه الكثيرون ، وكان محباً للخير كريم النفس طلق اليدين محبوباً لدى الخاصّ والعام . وارتبط بصلات مودّة مع علماء النجف وأدبائها . وقد عرف بحسن الخطّ ، قال ابراهيم الدروبي ان من آثاره سجلات المحكمة الشرعيّة التي نظمها وحررها بخطه الجميل .

علي الخوجة

من رجال الدين المعروفين وأساتذة العلم في عصرهم الحاج علي الخوجة ابن حسين البندنيجي ، ولد في بلدة مندلي وتلقى مبادئ العلوم فيها . ثم قدم الى بغداد وانخرط في سلك الدرك ، ويعرف آنذاك بعسكر الهايتة . لكنه لم يقنع بهذا المسلك ، وواظب على دراسة العلوم العقلية والنقلية على عبد السلام الشواف وداود النقشبندي وغيرهما من العلماء .

عيّن مدرساً في جامع حسين باشا وجامع علي أفندي وخطيباً لجامع الآصفية . وكان يعظ باللغتين العربية والتركية فيقبل الناس على سماعه . وتولّى التدريس أعواماً طويلة فتخرجت عليه أجيال من رجال العلم والفضل .

ومضى الى الحج سنة ١٨٩٥ مع نسيبه محمد أسعد الدوري ، وعيّن بعد ذلك أميناً للفتوى . وتوفي ببغداد في ايار ١٩٢١ شيخاً هرماً .

ذكره محمد صالح السهروردي في لبّ ألبابه ، فنعته بالعلم والفضل والشفقة على الطلبة والدعوة في مواعظه الى الفضيلة ومكارم الأخلاق ، حتى أصاب شهرة شعبية مرموقة .

الشيخ عبد اللّه الموصلي

العالم المدّرس الزاهد الشيخ عبد الله مخلص بن ذي النون الدركزلّي الموصلي ، ولد في الموصل سنة ١٨٤١ ، ودرس على علمائها من أمثال نور الدين عبد الله العمري . ثم قدم الى بغداد ونهض بأعباء التدريس في مساجدها فتخرّج عليه خلق كثير .

عيّن مدرساً بجامع الخلفاء المعروف بجامع سوق الغزل (١٨٨٨) ، وعهد اليه بالامامة والخطابة في جامع باب الآغا . وقد توفي ببغداد في شباط ١٩٢٠ .

ذكره محمد صالح السهروردي في كتابه «لبّ الألباب» فقال انه كان زاهداً تقياً حتى غلب عليه التحرّج والوسواس ، فكان يخوض ماء دجلة في مشرعة المحكمة الشرعية ليملأ ابريقه كلما رام التطهّر . وكان إذا انقطع يوماً عن التدريس لعارض او وعكة ألمَّت به ، سجله في دفتره وطلب من صرّاف خزينة الأوقاف في آخر الشهر اقتطاع أجر ذلك اليوم من راتبه .

أقول : وقد ذكر الأقدمون عن أبي خزيمة الرعيني القاضي بمصر (٧٧٠م) أنه كان يأبى أخذ عطائه عن اليوم الذي يقضيه بعيداً عن مجلس الحكم لغسل ثيابه او حضور جنازة . (نقل ذلك اسماعيل حقي فرج في كتابه : القضاء الاسلامي وتأريخه) .

محمد كاظم اليزدي

من مجتهدي الشيعة الامامية محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي اليزدي ، ولد في يزد في ايران سنة ١٨٣١ ، ودرس في أصفهان . وهاجر الى النجف فأقام فيها وانتهت اليه الزعامة الدينية . وعرف عنه انه كان من خصوم الحرية والحركة الدستورية . وقام في أثناء ثورة النجف في آذار ١٩١٨ بمفاوضة السلطات العسكرية البريطانية لرفع الحصار عن البلدة المقدسة .

وقد وضع تصانيف منها : كتاب العروة الوثقى (١٩١٢) ، والسؤال والجواب (في الفقه) (١٩٢٢) ، والاستصحاب (في الأصول) ، والصحيفة الكاظمية (١٩١٩) ، التعادل والتراجح ، الخ .

توفي في ٣٠ نيسان ١٩١٩ بالنجف . ورثاه جميل صدقي الزهاوي فقال :

نم مليـــاً بخلوة الأجـــداث   من رغـــاء الخطوب والأحـــداث
نم مليـــاً فـــإن نومك قـــبـــلاً   في الحشايا ما كان غير حثاث

* * *

تحدّث الدكتور علي الوردي في الجزء الثالث من كتابه «لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث» عن السيد كاظم اليزدي ودعوته الى الاستبداد ومناوأته للملا كاظم الخراساني وصحبه من دعاة الاصلاح والدستور خلال السنوات ١٩٠٦ ـ ١٩٠٩ ، فقال ان اليزدي قد استطاع ان يستميل اليه الكثير من العوام ومغاوير المحلات ، فكان إذا خرج الى الصلاة حفّ به أعوانه المسلّحون يهتفون ويتظاهرون ويعتدون على أنصار الحرية بحجة انهم زنادقة مارقون .

وأعلن الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨ فخذل أعوان اليزدي وانتصر الخراساني وجماعته . وقد نظم الشاعر علي الشرقي قصيدة في هجاء اليزدي والشماتة به ، ونظم السيد صالح الحلّي أبياتاً لاذعة قرن فيها اليزدي بيزيد .

اما موقفه من الحركة الاستقلالية بعد الحرب العظمى الأولى فقال الدكتور عبد الله الفيّاض في كتابه «الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠» إن رجال النجف استشاروه حينما

سألهم الحاكم البريطاني عمّا يرونه بشأن مستقبل الحكم في العراق ، فقال اليزدي ، وهو المجتهد الأكبر آنذاك : اختاروا ما هو أصلح للمسلمين ، وقد قال ذلك بعد تردّد .
وأضاف عبد الله الفيّاض قائلاً : «كان المجتهد الأكبر السيد كاظم اليزدي غير ميّال للتدخّل في الأمور السياسية . وقد اتخذ موقفاً فاتراً تجاه حركة الدستور في ايران بالرغم من ان معظم علماء العصر أيّدوا هذه الحركة . وعندما يستفتيه الناس في الأمور السياسية يقول : اني أعرف الحلال والحرام ولكني لا أعرف السياسة . وكان لابتعاده عن السياسة أثر في اعتقاد حاكم النجف السياسي في سنة ١٩١٨ . انه يميل الى الانكليز . وقد توفي السيد اليزدي في ٣٠ نيسان ١٩١٩ فانفرد الشيخ محمد تقي الشيرازي بالزعامة الدينية ، وكان لفتاواه ومواقفه الايجابية من الحركة الوطنية اثر فعّال في انضمام جماعات من العراقيين تحت لواء الثورة ضدّ الانكليز في سنة ١٩٢٠» .

اليزدي وستورس

كتب السير رونالد ستورس في كتابه «شرقيّات» Sir Ronald Storrs: Orientations ، وكان ضابطاً سياسياً في العراق (١٩١٧ ــ ٢٠) ، انه زار النجف وقابل الشيخ محمد كاظم اليزدي في داره .

قال : «وبعد لحظات خرج الشيخ محمد كاظم بلباس شفّاف وعمامة بيضاء وهيئة بهيّة وقورة متقدمة في العمر . وحيّانا عن بعد ، ثم دعانا وأجلسنا بجانبه على حصيرة أمام جدار غرفته . فغمرني نفوذه وشهرته ، وأدهشتني القوى الظاهرة في ملامحه المستقيمة وعينيه المتعبتين . ولقد شعرت في تلك اللحظة بسلطان وجوده وكلامه الهادئ النّبرات بشكل لم أشاهده في محل آخر بين المسلمين» .

وقدّم له هدية ألف دينار فرفض الشيخ قبولها ، لكنه طلب من ضيفه ان يحمل المندوب السامي البريطاني على الاهتمام بالنجف وعتباتها المقدّسة . وقال ان العثمانيين أضاعوا عطفنا وثقتنا لأنهم دمّروا كل ما نملك وداسوا مصالحنا بأقدامهم ، أما انتم فإن أردتم المحافظة على ولائنا فعليكم ان لا تغيظونا باتباع تلك السياسة .

وقال حسن العلوي ان اليزدي كان في تصرفاته مؤيداً للحكم البريطاني حتى جاء في التقارير البريطانية «ان من الصعب تقدير المساندة المتواصلة التي قدّمها لنا اليزدي حقّ قدرها» . وقال العلوي ان موقف اليزدي في ثورة النجف سنة ١٩١٨ كان واضحاً الى جانب الانكليز ، وكان يلحّ على ثوّار النجف بمصالحة حكومة الاحتلال . ونقل عن محمد رضا الشبيبي انه قال ان اليزدي لم يشارك الجمهور وخالف السواد الأعظم وأحب الامتياز والانفراد .

محمد تقي الشيرازي

الشيخ الامامي المجتهد ومن أركان الثورة العراقية ، محمد تقي بن محبّ علي بن محمد علي گُلْشَنْ الحائري الشيرازي ، ولد في شيراز سنة ١٨٤٠ ، وهاجر الى كربلاء وهو شاب يافع (١٨٥٥) . ثم طلب العلم في مدينة سامراء فتخرّج على السيد ميرزا حسن الشيرازي . وكانت له ملكة أدبية حسنة اكتسبها من عمه شاعر شيراز حبيب القاآني المتوفى سنة ١٨٥٤ .

وقد قضى معظم عمره في سامراء ، ثم انتقل الى كربلاء في كانون الأول ١٩١٧ ، وكان منافساً للسيد كاظم اليزدي في زعامته المذهبية ، حتى إذا ما توفي في ٣٠ نيسان ١٩١٩ ، انفرد الشيرازي بالرئاسة . وأفتى بأن المسلم لا يجوز له ان يختار غير المسلم حاكماً عليه ، ودعا الى عقد الاجتماعات واقامة المظاهرات السلمية للمطالبة بالاستقلال . وكتب الى عشائر الفرات مستنفراً اياهم الى الثورة ، موصياً بالتكاتف والتعاضد والمحافظة على جميع الملل والنحل في البلاد . وتزعم حركة الثورة في كربلاء في حزيران ١٩٢٠ ، فعمدت السلطات الانكليزية الى القبض على نجله محمد رضا وآخرين ونفيهم الى جزيرة هنجام في الخليج العربي . واندلعت نيران الثورة ، لكن الامام الشيرازي لم يلبث ان توفّي في كربلاء في ١٧ آب ١٩٢٠ ، وقد خلفه في الزعامة الدينية ورعاية الثورة شيخ الشريعة الاصبهاني .

وضع كتباً فقهية منها : حاشية المكاسب ، رسالة صلاة الجمعة ، رسالة الخلل . ونظم الشعر باللغة الفارسيّة .

ذكره محمد مهدي الجواهري في قصيدته «ثورة العراق» فقال :

ومُحْيي لليل التمّ يحيي بطرفه ... ثغوراً أضاعتها العيون الهواجع
تكاد ، إذاً ما طالع الشّهب ، هيبةً ... تخرّ لمرآه النجوم الطوالع
مدبّر رأي كلّف الدهر همّه ... فناء بما أعيا به وهو ظالع
مهيب إذا رام البلاد بلفظة ... تدانت له أطرافهن الشّواسع
(ينام باحدى مقلتيه ويتّقي ... بأخرى الأعادي ، فهو يقظان هاجع)

كان للامام محمد تقي الشيرازي أثر بالغ في اسناد الحركة الوطنية بعد انفراده بالزعامة الروحية . فقد دعا الى المظاهرات السلمية للمطالبة بحقوق البلاد المشروعة ، وعمل على التوفيق بين طائفتي السنّة والشيعة ، وأوصى بالمحافظة على سائر الملل والنحل وحسن معاملتهم . ولما أخفقت الوسائل السلمية ، نادى بأن المطالبة بالحقوق واجبة على العراقيين مع رعاية السلم والأمن ، ويجوز التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الانكليز عن قبول المطالب الوطنية . وكان موقفه ذاك مغايراً لموقف سلفه محمد كاظم اليزدي الذي ارتأى ان مهمة العلماء تنحصر بالشؤون الدينية .

ولم يمهل القدر الشيخ الشيرازي طويلاً ، فقد توفّي والثورة العراقية قائمة في أخطر مراحلها ، فانبرى خلفه شيخ الشريعة الاصبهاني الى اتمام رسالته والدعوة الى مواصلة الجهاد .

وقد وصفه محمد علي بحر العلوم فقال «انه ذو جرأة وحزم واقدام لا تصدّه عن قصده إذا اندفع أية قوّة» .

قال الشاعر عبد الحسين الأزري يرثي محمد تقيّ الشيرازي :

منعاك عزّ على العراق الدّامي	وأمضّه ، يا خادم الاسلام
كادت تفنّده المسامع خشية	من عبئه بفوادح الآلام
حتى إذا حقّ المصاب استسلمت	ليد الكوارث أيما استسلام
أقْدس بيوم قمت فيه مدافعاً	عن حقه المغصوب خير قيام
قد كان أشرف موقف لك بعدما	لم يبقَ إلا منطق الصمصام
إذ جئت من فتوى الجهاد بصدمة	ذهبت بغطرسة العميد السّامي
ثار الفرات بأهله وتحفزوا	طوعاً لأمرك ، وهو أمر إمام

رثاه محمد حسن ابو المحاسن فقال :

يا غلّة الأحشاء غاض المورد	يا أزمة الأيام غاب المنجد
لا نجدة للمستغيث ولا روى	يشفي غليل حشاشة تتوقّد
بكر النعيّ وقال : قد أودى التقى	ومضى امام المسلمين الأوحد

كتب الامام الشيرازي في ٢٩ ايار ١٩٢٠ الى محمد جعفر ابو التمن رسالة جواباً على كتاب منه حبّذ فيها اتحاد كلمة الأمة البغدادية واندفاع علمائها ووجوهها الى المطالبة بحقوق الأمة المشروعة . وأوصاه بمراعاة قواعد الدين والشرع والظهور بمظهر الأمة المتينة الجديدة بالاستقلال وحفظ حقوق المواطنين الكتابيين ورعاية الأجانب

الغرباء وصيانة نفوسهم وأموالهم وأعراضهم واحترام شعائرهم الدينية . وأرفق كتابه بمنشور الى العراقيين في انحاء البلاد يدعوهم الى ارسال الوفود الى بغداد للمطالبة بحقوقهم ، موصياً اياهم بالاتفاق والتضامن ومحذراً من الاخلال بالأمن والتخالف والتشاجر وداعياً الى المحافظة على جميع الملل والنحل في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم .

وقرئت رسالة الشيرازي في الكاظمية وطبعت ووزعت في بغداد ، فذهب الى الكاظمية وفد يمثل اليهود والنصارى وقابل علماءها ورجاهم ازجاء الشكر الى الامام على وصاياه النبيلة . وأرسل العلماء السيد محمد الصدر الى بغداد لردّ الزيارة الى البطاركة والحاخامين .

المرزا محمد رضا الشيرازي

كان محمد رضا بن محمد تقي الشيرازي جمّ النشاط في الحركة الوطنية يثير المواقف المناوئة للانكليز ويحرّض على الثورة في منطقة الفرات الأوسط . واتهمته المس بل بالعمل للبلاشفة ، وقالت ان اسمه ورد في برقية صدرت من الجماعة البلشفية في رشت بدعوى انه يشتغل للدعوة لها في كربلاء . وقد قبضت عليه السلطات البريطانية في كربلاء في حزيران ١٩٢٠ وأبعدته الى جزيرة هنجام في الخليج . ولم يمض عليه شهر واحد حتى شفع له شاه ايران ، فسلّمه الانكليز الى حاكم بندر عباس في أواخر تموز ١٩٢٠ . ومضى من ثمّ الى طهران وقضى فيها بقية حياته .

فتح اللّه الاصبهاني

الفقيه الاماميّ المجتهد شيخ الشريعة فتح الله بن محمّد جواد النّمازي الاصبهاني ، شيرازيّ الأصل ، ولد في أول آذار ١٨٥٠ ، ونشأ في اصبهان وتفقه في علوم العربية والدين . ثم انتقل الى النجف ، ودرس على حبيب الله الرشتي المتوفى سنة ١٨٩٤ وغيره من العلماء .

وضع رسائل وحواشي في الفقه ، وكان كاتباً خطيباً ، من أصدقاء جمال الدين الأفغاني . وتقدم في مراتب الاجتهاد حتى آلت اليه رئاسة الحوزة العلمية .

ولما قامت الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ كان من زعمائها . ثم انفرد بالزعامة بعد وفاة محمد تقي الشيرازي في ١٧ آب ١٩٢٠ ، وأصبحت النجف مركز الحركة بعد كربلاء . وكتب اليه الحاكم الملكي البريطاني العام يدعوه الى المفاوضة لوقف الثورة ، فاشترط شيخ الشريعة منح العراق الاستقلال التام قبل الدخول في المداولات .

أدركه الحمام في النجف في ٢١ كانون الأول ١٩٢٠ . وورثاه محمد مهدي الجواهري بقصيدة من أوائل شعره ، مطلعها :

أبِنْ ما لهذا الدين ناحت منابره   وقل خفيةً : أين استقّلت عساكره

* * *

ناقش عبد الرزاق الحسني في كتابه «الثورة العراقية الكبرى» رسالة وكيل الحاكم الملكي العام في العراق السر ارنولد ولسن المؤرخة في ٢٠ آب ١٩٢٠ الموجهة الى شيخ الشريعة والداعية الى المفاوضة وردّ الشيخ عليها ، فانتقد أسلوب الرسالة الأولى ولهجتها الشديدة وتهافت معانيها في مجال الوثائق السياسية . ثم انتقد ايضاً جواب شيخ الشريعة ، إذ كان عليه ان يغتنم الفرصة ويقبل مفاوضات الصلح وينقذ الثورة ـ كما قال الحسني ـ من هزيمة مؤكّدة ويحفظ للثوار هيبتهم وللعراق مقامه .

وقال الدكتور عبد الله الفيّاض ان ردّ شيخ الشريعة السّلبي يقوم دليلاً على قلة الخبرة السياسية لدى قيادة الثورة التي أنيطت بالدرجة الأولى بالروحانيّين ، رغم قلة

خبرتهم بأمور السياسة ومراميها البعيدة . وكانت صيغة جواب الثوّار تدلّ على عدم تقديرهم لقوة عدوّهم وغزارة موارده بالقياس الى مواردهم المحدودة .

وليس من ريب ان شيخ الشريعة ـ وهو بمثابة القائد الروحي للثورة ـ حرّر جوابه بحسب رأي قادة الثوار ورؤساء العشائر ، معبّراً عن أفكارهم ومقرّراتهم في تلك الآونة .

محمد حسين الغرويّ النائيني

من علماء الشيعة المجتهدين محمد حسين بن عبد الرحيم النائيني الملقب «شيخ الاسلام» ولد في قرية نايين في نواحي يزد في ايران سنة ١٨٥٧ . درس في موطنه ثم هاجر الى اصفهان (١٨٧٧) ومنها الى العراق . جاء الى سامراء سنة ١٨٨٥ فدرس على محمد حسن الشرازي ، ثم قصد كربلاء ومنها الى النجف (١٨٩٦) ، ودرس فيها على الملا كاظم الخراساني ومحمد تقي الشيرازي ، فأصبح من المجتهدين المشار اليهم بالبنان واستقل بالتدريس . كان من دعاة الحكم الدستوري في ايران .

اشترك في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وكان من الداعين الى عقد مؤتمر كربلاء في نيسان ١٩٢٢ للتداول في هجمات الاخوان وزعماء العشائر . ثم أفتى بمقاطعة انتخابات المجلس التأسيسي ، فاضطر على المضيّ الى بلدة قم في ايران (أواخر حزيران ١٩٢٣) . وعاد الى النجف في نيسان ١٩٢٤ بعد ان تعهد بأن لا يتدخل في الأمور السياسية .

أدركته الوفاة في النجف في ١٥ آب ١٩٣٦ .

عرف النائيني بالتعصب ومناهضة الحركات الاصلاحية في سني كهولته . لكن صبيحة الشيخ داود ذكرت في كتابها «أول الطريق» انه أصدر في نحو سنة ١٩٠٨ رسالة باللغة الفارسية عنوانها «تنبيه الأمة في وجوب المشروطة» بحث فيها علّة تأخر المسلمين ودعا الى تغيير بعض القوانين وأساليب الحكم ، ونادى بتعليم المرأة ، وانتقد تحديد حريتها تحديداً يخرج عن تعاليم الاسلام الذي يقول : العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة . وقد لقيت هذه الدعوة استنكاراً في حينها ، فاضطر النائيني على التراجع والتصلّب في آرائه ، حتى انه حين علم ان جعفر الخليلي يدعو الى النهضة النسائية في جريدته «الفجر الصادق» بعد أكثر من عشرين عاماً وقد عزم على ترجمة رسالته الفارسية ونشرها ليتخذ منها سنداً لدعوته الاصلاحية ، أقدم على جمع نسخ الرسالة وطمس معالمها تنّصلاً مما ورد فيها من أفكار وتمسكاً بالزعامة الدينية التي آلت اليه .

وقد ألف : تنبيه الأمة ، ذخيرة الصالحين (١٩٢١) ، مناسك الحج (بالفارسية ١٩٣١) الخ .

أشار الدكتور علي الوردي في كتابه «لمحات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث» (الجزء الثالث) الى محمد حسين النائيني فقال انه كان من كبار تلاميذ كاظم الخراساني ، وقد ألف كتاباً صدر في النجف بالفارسية في عهد نشاط الحركة الدستورية عنوانه «تنبيه الأمة في وجوب المشروطة» نادى فيه بآراء جريئة كتعليم المرأة واصدار الصحف وحرية الرأي . ومضت على ذلك عشرون سنة او تزيد ، وقد أصبح المؤلف من مراجع الدين البارزين ، فحاول التملّص من كتابه . وترجم بعض النجفيين الكتاب الى العربية سنة ١٩٢٩ ونشره تباعاً في مجلة «العرفان» الصيداوية . فأوعز النائيني الى أنصاره بشراء جميع نسخ المجلة التي وردت الى العراق للحؤول دون وصولها الى أيدي القراء .

وذكر عبد الحليم الرهيمي في كتابه «تأريخ الحركة الاسلامية في العراق» (١٩٨٥) ان كتاب الشيخ النائيني «تنبيه الأمة وتنزيه الملّة في وجوب المشروطة» (الذي صدر في النجف بالفارسية في نحو سنة ١٩٠٧ ــ ١٩٠٩) كان أهم الكتب التي صدرت آنذاك على صعيد الفكر السياسي الاسلامي .

قال الرهيمي : «تناول المؤلف احدى المسائل المهمة التي كانت موضع جدل حادّ بين العلماء الشيعة في العراق وايران ، وهي مسألة الموقف من المبادئ الدستورية ومقاومة النظم الاستبدادية . وكان هدف المؤلف هو البرهنة على ان مقاومة الاستبداد والعمل من أجل حكم دستوري «شوروي» أمر يتفق مع الشريعة الاسلامية ولا يتناقض معها . وقد استند المؤلف في بحثه لاثبات ذلك الى القرآن والسنّة والحديث ونهج البلاغة . واتخذ البحث سمة سجالية حادّة ، حيث وجّه المؤلف نقداً شديداً بوجه خاص لآراء العلماء المؤيدين للاستبداد والمعارضين لاقامة حكم دستوري في ايران...» .

ثم يقول : «ويفند المؤلف آراء الفقهاء القائلين بأن المبادئ الدستورية هي أفكار غربية ، فيقول ان الغرب هو الذي أخذها من شريعة المسلمين . وعندما حصلنا على شيء من التنبّه والشعور فإن بضاعتنا ردّت الينا...» .

وقد أثار الكتاب ضجة كبيرة ضمن المؤسسات الدينية الشيعية وفي الرأي العام في العراق وايران . وأيّد آراء النائيني وزكاه اثنان من كبار المجتهدين ، وهما الملا كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني .

محمد حسين النائيني في نظر سيدة غربية

كتبت السيدة فانيسا مارتن Vanessa Martin مقالاً عن المبادئ في ايران (صحيفة الجمعية الآسيوية الملكية ، لشهر تشرين الثاني ١٩٩٢) ، تطرقت فيه الى الآراء الدستورية وما يتبعها من التمثيل والاستشارة والتشريع والحرية والمساواة في حكم الشريعة . بدأت بذكر كتاب «تنبيه الأمة وتنزيه الملّة» للميرزا محمد حسين النائيني ، وقالت إذا كان تعريف المبدأ الدستوري يقتضي انشاء أساليب سياسية تشمل أحكاماً تتعلق بفلسفة الحكم المقيّد وضمان الحريات السياسية والاقتصادية وحماية حقوق الفرد ضدّ الدولة فإن تلك المبادئ ، على قدر ما يعلم ، لم يفكر فيها علماء الشرع (المجتهدون) .

حاول النائيني ان يشرح طبيعة المبدأ الدستوري وهدفه في مجال تبريره شرعاً ، لا بسبب قيمته الخالصة ولكن لأنه بديل حسن عن الاستبداد . وقالت الكاتبة انه من الواضح ان الآراء الغربية في السياسة كانت موضع نقاش المجتهدين من علماء الشيعة منذ أوائل القرن العشرين ، فإن أول مجتهد بحث الموضوع مطولاً كان السيد محمد الطباطبائي في رسالتين وخطاب خلال الحوادث التي أدت الى الثورة الدستورية الايرانية سنة ١٩٠٦ ، حين حاول اقناع الشاه لاتخاذ حكومة على شكل أوربي اكثر عدالة وكفاءة من النظام السائد في ايران . ويعتقد ان آراء الطباطبائي وزملائه قد تأثرت بالمصلحين في تركية ومصر مثل نامق كمال . وجدير بالذكر ان الطباطبائي هو محمد بن محمد تقي الفقيه الامامي النجفي المتوفى سنة ١٩٠٨ ، وقد ألف «بلغة الفقيه» .

قالت السيدة مارتن انه كان «ذرائعياً» يعلم ان ايران لا تتحمل حكومة دستورية صرفة في ذلك العهد ، ولذلك ارتأى انشاء مثل تلك الحكومة تدريجياً ، على ان يباشر تأليف «مجلس عدالة» ليشرف على أمور السلطة التنفيذية ويهيئ اشتراكاً أهلي نوعاً في الحكم . وحصر المساواة بحكم الشريعة . وتكلم عما سماه «السلطنة» ويقصد به السيادة مقترحاً ان يعين الحاكم من قبل عقلاء الأمة ، فإذا أخلّ بواجباته كان لرعاياه ان ينقضوا ولاءهم له ويعيّنوا آخر لمنصبه .

اما الآراء المضادّة للدستور فقد شرحها الشيخ فضل الله نوري (المتوفى سنة ١٩٠٩) في سلسلة كراريس نشرها سنة ١٩٠٧ / ٠٩ بعنوان «تذكرة الغافل وارشاد

الجاهل» . وقد انضم الى الحركة الدستورية في تموز ١٩٠٦ ، لكنه ارتأى تأليف هيئة من كبار العلماء لتدقيق القوانين التي يشرّعها المجلس لضمان اتفاقها مع روح الشريعة .

اختلف الشيخ فضل الله بعد ذلك في تطبيق مقترحاته ، فاتخذ موقفاً ضد الدستور وارتأى تأليف «مجلس اسلامي» مع دستور اسلامي (نظامنامة اسلامية) . وفي سنة ١٩٠٨ حين ألغى الشاه محمد علي المجلس ، عاد فضل الله فقلب موقفه وارتأى عدم لزوم وجود مجلس ، وعدّه الآن بدعة مضادة للاسلام . وقال بوجود الشريعة لم تبق حاجة لسنّ القوانين الموضوعة على أساس أوربي . وانتقد ايضاً سلطة المجلس وتمثيله للشعب أي وكالته عن الشعب مدعياً ان هؤلاء «الوكلاء» يغتصبون ولاية العلماء . وقال فضل الله ان حرية الصحافة تفسح المجال للكفار والزنادقة بنشر آرائهم ، والمساواة أمام القانون مخالفة للشريعة التي تميّز حقوق المسلمين .

حاول الشيخ محمد حسين الناييني نقض آراء فضل الله نوري في كتابه «تنبيه الأمة» . وآراء الناييني عن الدستور سلبية . وقد ارتأى ان الحكومة المثالية هي حكومة الامام ، وفي غيابها يوجد بديلان : الاستبداد والدستورية . ومع ان النظام الدستوري هو الأفضل فإنه بعيد عن المثل الأعلى . وقد حبّذ وضع دستور يعيّن مسؤوليات الحاكم الذي يجب ان يكون تابعاً لسلطة العلماء . ويؤيد فكرة مشاركة الجميع في المصلحة العامة لأن الجميع متساوون في الأمور العامة . والحكومة مسؤولة على ان تكون سلطة الحاكم منحصرة بالرقابة . ويشبّه الناييني الحاكم بمدير الأوقاف او راعي قطيع الغنم ، ويرى ان الدستور يعين الحقوق والواجبات ومدى سلطة الحاكم ، لكنه يجب ان يكون خاضعاً للدين .

وردّ الناييني على آراء فضل الله فقال ان العلماء ، وهم نواب الامام ، لا يستطيعون حمل السلطة في المجتمع وادارة شؤون المسلمين ، بل لا بدّ ان يتولى ذلك المؤمنون العادلون ، وخير من يمثلهم مجلس دستوري ، على ان يقوم المجتهدون بتعديل القوانين التي يضعها المجلس وفيها انحراف عن الشريعة . وقال ان دفع الأهالي للضريبة يؤهلهم للاشتراك في الحكم ، ولكن في الشؤون التي تخرج عن نطاق الشريعة فقط .

وقد مضى الناييني الى ايران سنة ١٩٢٣ بعد نفي العلماء من العراق . ورأى اخفاق الحكم الدستوري في ايران ، فغيّر آراءه الدستورية وأصبح مؤيداً ضمناً لحكم رضا شاه الدكتاتوري .

عادت آراء الناييني بعد نحو ثلث قرن من وفاته الى البروز ، إذ اعيد طبع كتابه «تنبيه الأمة وتنزيه الملّة» في طهران سنة ١٩٧١ بمقدمة لآية الله محمود طالقاني (المتوفى سنة ١٩٧٩) الذي قال ان الناييني عالم من الطراز الأول وأن مؤلفه يحمل

الهداية الى العلماء والمسلمين عامة على السواء . وقد اتفق الطالقاني مع النابيني في اعتبار «الدستورية» خير طريقة للحكم في غياب حكم الامام المثالي . والدستورية انما هي وسيلة لغاية وليست غاية في حدّ ذاتها . وقال ان هدف النابيني الحقيقي انشاء دولة اسلامية ، والدستورية افضل من الحكم المطلق إذ انها الوسيلة للقضاء على الطغيان وانشاء حكومة فاضلة .

تطرقت الكاتبة بعد ذلك الى شرح آراء روح الله الخميني وبعض العلماء الآخرين . ثم ذكرت المجتهد المصلح محمد باقر الصدر (المتوفى سنة ١٩٨٠) وكتابه «الجمهورية الاسلامية» نقلاً عن الترجمة الفارسية الصادرة سنة ١٩٧٩ . يصرح الصدر ان أساس التشريع في الجمهورية الاسلامية يستند الى الشريعة بشرط ان تكون أحكامه ملائمة لحياة المجتمع . وإذا اختلف المجتهدون في حكم ما فيجب اختيار الحكم الذي يوافق مصلحة الجماعة ورفاهيتها . وفي الأمور المباحة التي لا تدخل في حكم الاجبار او الحرام لا مانع من وضع القوانين التي تؤمن المصلحة العامة بشرط عدم مخالفتها لروح الاسلام . ويجوز سنّ القوانين في الميادين التي تركتها الشريعة مباحة للناس وفيها حرية العمل . وتقول الكاتبة ان هذه الأفكار ليست جديدة ، ولم تجر محاولة لايضاح التمييز بين ما تجيزه الشريعة وما لا تبيحه ومن هو الذي يتخذ القرار الحاسم . وفي صدد تأليف المجلس التشريعي والمجلس التنفيذي يقول الصدر انهما يؤلفان من الأهالي نفسهم الذين ينهضون بهذه المسؤولية . وترجح الكاتبة ان الصدر قد يقصد «العلماء» بتعبير «الأهالي» ، وذلك يوافق نصيحة الخميني للعلماء بالقيام بواجبات «الامام» التنفيذية والقضائية . ويذهب الصدر الى القول بأن السيادة انما هي لله الذي هو الحاكم الحقيقي .

ويقول الصدر ان على «الاهالي» قبل كل شيء اختيار رئيس للحكومة بعنوان رئيس الدولة او رئيس الوزراء ، وهو الذي يختار اعضاء الحكومة . ثم ينتخب «الأهالي» مجلساً من أشخاص عقلاء يسنّ القوانين وينفذها . وليس هناك أي ذكر للأحزاب . ويذكر الصدر «المرجع» الذي يعتبر ممثل الشريعة او «نائب الامام العام» ، ومنه تستمد الحكومة سلطتها . ويشير الصدر الى ان الخميني تولى هذا المنصب في جمهورية ايران الاسلامية لأنه جاهد خلال عشرين سنة حتى حاز النصر . لكنه يقول ان «المجتمع» هو المرجع الحقيقي وأن الزعامة تنحصر في «جماعة المسلمين» التي يقودها العلماء .

وخلاصة مقال فانيسا مارتن هي ان جمهورية ايران الاسلامية طبّقت المبادئ التي قررها الفقهاء الاماميون وأن الدمقراطية الغربية لا محل لها في تفكير هؤلاء العلماء خلال «غيبة الامام»لأن الحكومة يجب ان تناط برجال العلم العادلين الورعين ولا تنبع من عامة الشعب .

مهدي الخالصي

الشيخ محمد مهدي بن محمد حسين بن عزيز الخالصي الأسدي من فقهاء الامامية المقدّمين ولد في الكاظمية في ٢٣ حزيران ١٨٦١ وانتهت اليه الزعامة الدينية في بلده . درس على أبيه الشيخ محمد حسين وعلى عباس الجصاني ، ثم على محمد حسين الكاظمي في النجف ، وأفاد من علماء عصره المشار اليهم بالبنان كالشيخ حبيب الله الرشتي وحسن الشيرازي ومحمد كاظم اليزدي ومحمد كاظم الخراساني ومحمد طه نجف .

وتصدّى في عهد الشباب للتدريس في سامراء والنجف والكاظمية وكربلاء . ثم عاد الى مسقط رأسه في بلدة الجوادين وأسس مدرسته التي اقترنت باسمه بقيّة حياته . ولما نشبت الحرب العظمى لبّى نداء الجهاد مع سائر العلماء ، ورافق الجيش في جبهة الحويزة مع الحملة التركية في أوائل سنة ١٩١٥ يصحبه فريق من المجاهدين من رجال العشائر لمحاربة الانكليز الذين استولوا على البصرة . وكان يقود الجيش التركي في تلك الأصقاع محمد فاضل باشا الداغستاني وتوفيق بك الخالدي .

ولما انتهت الحرب العامة أبلى البلاء الحسن في الحركة الوطنية واشترك في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ . وهجم الاخوان النجديون على العشائر العراقية في آذار ١٩٢٢ ، فكان للشيخ مهدي يد محمودة في عقد مؤتمر كربلاء الشعبي والعشائري في شهر نيسان للمداولة في الوضع الخطير . ثم عارض انتخابات المجلس التأسيسي وأفتى بمقاطعتها مع زملائه من العلماء حسين النائيني وأبي الحسن الموسوي الاصبهاني ، فاعتقل الخالصي في حزيران ١٩٢٣ وأبعد الى البصرة ، ومن ثمّ نقل الى الحجاز عن طريق الهند وعدن . وقد حجّ الشيخ مهدي ، ثم رحل الى ايران وأقام بمدينة قم وخراسان . وأدركه الحمام في خراسان في ٥ نيسان ١٩٢٥ .

قال جعفر الخليلي : والشيخ مهدي الخالصي كان زعيماً دينياً كبيراً ومجتهداً جريئاً في الاستنباط والاحكام ، حتى لقد كان له فضل كبير في تيسير الطقوس الدينية وتفسير الأحكام الشرعية التي تتلاءم نصوصها وأحكام العصر ، والى ذلك كان زعيماً سياسياً

وقف من قضية تصديق المعاهدة الانكليزية والانتداب موقفاً صلباً أدى الى نفيه مع كبار العلماء الى خارج العراق .

ثم تكلم الخليلي عن ابنه الشيخ محمد الخالصي فقال انه سار على نهج أبيه في تيسير الأحكام الشرعية ومناوأة الانتداب البريطاني . وقد اشترك في الثورة العراقية وأبعد الى خارج العراق ، وكان صلباً غير هيّاب في آرائه السياسية .

وذكر الدكتور علي الوردي ان مهدي الخالصي كان ميّالاً الى الأتراك باعتبارهم مسلمين ، وهم أولى من الانكليز الكفّار بحكم العراق . وكان مصطفى كمال (أتاتورك) قد دحر اليونانيين في ايلول ١٩٢٢ ، فأخذ يشجع التحرّشات على الحدود العراقية في جهة زاخو وراوندوز . فاتصل الخالصي بالترك بالمراسلة ، لكن اتصاله لم يسفر عن نتيجة . (اهـ)

وللشيخ مهدي مؤلفات منها : حاشية على كفاية الأصول لمحمد كاظم الخراساني (١٩١٠) ، الدراري اللامعات (١٩١٣) ، رسالة وجيزة في المواريث (١٩٢٣) ، الشريعة السّمحاء (في جزءين ، ١٩٢١) ، العناوين في الأصول (في جزءين ، ١٩٢٤) ، القواعد الفقهية (في جزءين ، ١٩٢٥) الخ...

رثاه محمد مهدي الجواهري فقال :

قومي البسي ، بغداد ، ثوب الأسى ... إنّ الذي ترجينه غُيّبا
ان الذي كان سراج الحمى ... يشعّ في غيهبه كوكبا
بات على نهضة أوطانه ... ملتهب الجمرة حتّى خَبَا

ورثاه جميل صدقي الزهاوي فقال :

فجعتنا حوادث الأيّام ... بأبي الشعب حجّة الاسلام
بمحبّ الاسلام بالمصلح (م) ... الأكبر بالحبر بالعميد الهمام
وحّد الشعب في العراق جميعاً ... بعد خلف فيه وبعد انقسام

وقال معروف الرصافي :

نُعي الخالصيّ فارتجت الأنفس ... حزناً مضرجاً بحماسة
هوذاك المهديّ أحرز سبقاً ... حين أجرى الى الهدى أفراسه
هوذاك الحبر الذي كان للشرع ... مقيماً دليله وقياسه
كان في الدين آية الله أفنى ... العمر فيه رعاية وحراسة
أفق العلم قد بدا مكفهراً ... عندما أطفأ الرّدى نبراسه

وقال عبدالحسين الأزري :

نعـــيّك هزّ أرجـــاء البـــلاد وفـقـــدك فتّ في عـضُـد الرَّشـاد
ولم نرَ مـــثل يومك قطّ يومـــاً يصـــور بيننا هول المـــعـــاد
أقـــام لك المـــآتم كلّ صُـــقْع وغصّ بـرُزْء فـــقـــدك كلّ ناد
وأعـــلام خـــفـــقن عليك سُـــوداً تذكّـــرنا نفـــورك للجـــهـــاد

ابنه : الشيخ محمد الخالصي

من رجال الدين والاجتهاد والتدريس ، ولد في الكاظمية سنة ١٨٩٠ وتوفي بها في تشرين الأول ١٩٦٣ . اشترك في الحركات الدينية والوطنية منذ فجر شبابه وكان له صولات وجولات في ميدان الكتابة والخطابة .

دعا الى التقريب بين المذاهب الاسلامية وحمل على أهل الفرق وأولي البدع . واشترك مع والده في حركاته ابان الثورة العراقية والأحداث التي حدثت بعدها ، فأقصي الى ايران في ٢٩ آب ١٩٢٢ مع السيد محمد الصدر . وعاد الى الكاظمية فجأة في نيسان ١٩٣٢ في غفلة من عيون الحكومة ، لكنه لم يبق فيها سوى ثلاثة أيام ، إذ اعتقلته الشرطة وأعادته الى الحدود الايرانية . وسمح له بالعودة الى العراق سنة ١٩٤٩ .

وضع مؤلفات عديدة منها : المعارف المحمدية (١٩٢٢) ، الاحتراز عن مفتريات حسن الايجاز (١٩٢٢) ، العروبة في دار البوار (١٩٣٣) ، احياء الشريعة في مذهب الشيعة (٣ أجزاء ١٩٥١ - ١٩٥٧) ، الاسلام سبيل السعادة والسلام (١٩٥٣) ، أشعة من حياة الصادق (١٩٤٩) ، المانية والاسلام (١٩٥١) ، التوحيد والوحدة (١٩٥٤) ، الجمعة (١٩٤٩) ، الحرب والرق في الاسلام (١٩٥٠) ، حقوق الرجل والمرأة في الاسلام (١٩٥٠) ، زعيم الاسلام الخالد (١٩٥٠) ، الشريعة الاسلامية خاتمة الشرائع (١٩٥٣) ، الشيخية والبابية (١٩٥١) ، الشيخ محمد مهدي الخالصي (١٩٥٠) ، في مولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (في جزءين ١٩٥٠) ، في مولد الرسول الأعظم (١٩٥٠) ، المباهلة (١٩٥٠) ، مَن ذا : سياحة فكرية روحية وقت السحر (١٩٥٦) ، نجاة المسلمين

(١٩٥٤)، النيروز (١٩٥١)، الاسلام فوق كلّ شيء (مجموعة خطب ومقالات في ٤ أجزاء ١٩٥٨ - ١٩٥٩)، التوحيد الخالص (١٩٦٤)، حسين منّي وأنا من حسين (١٩٦٢)، خلاصة الخطب (في ٥ أجزاء (١٩٥٥ - ١٩٥٦) سبب ذلّ المسلمين (١٩٥٨) شرر الفتنة في ايران (١٩٦٦) الخ .

وقد ترجم الكثير من آثاره الى اللغة الفارسية .

عبدالوهاب النائب

الشيخ عبدالوهاب النائب ابن عبدالقادر بن عبدالغني بن جعيدان العبيدي الأعظمي ، وهو شقيق الشيخ محمد سعيد النقشبندي . ولد في بغداد في ١٥ تشرين الأول ١٨٥٢ ودرس علوم العربية والدين على علماء عصره كعبدالوهاب الحجازي ومحمد فيضي الزهاوي وداود النقشبندي واسماعيل الموصلي وعبدالسلام الشواف وعبدالرحمن القره داغي .

عين مدرساً في مدرسة منوّرة خاتون . ثم أصبح أمين الفتوى ونائباً شرعياً في بغداد . وكان عضواً بمجلس الولاية على عهد الوالي زكي باشا (١٩١٣) ، كما كان عضواً بمجلس المعارف ورئيس مجلس الأوقاف العلمي ورئيس محكمة الصلح . ثم كان له مواقف وطنية مشهودة سنة ١٩٢٠ .

عهد اليه بعد تأليف الحكومة العراقية منصب رئيس مجلس التمييز الشرعي السني (١٩٢١ - ١٩٢٢) وتولى تدريس التفسير في جامعة آل البيت سنة ١٩٢٤ . وقد توفي في بغداد في ٣٠ حزيران ١٩٢٧ ، فرثاه الشيخ ابراهيم الراوي ومعروف الرصافي وعبدالرحمن البناء وغيرهم من الشعراء والأدباء .

فضله ومؤلفاته

كان الشيخ عبدالوهاب النائب عالماً واعظاً فقيهاً درس عليه العدد العديد من العلماء . ترك مؤلفات معظمها شروح وحواش دراسية ، منها المعارف في كشف ما غمض عن المواقف ، القول الأكمل في شرح المطوّل ، الالهام في تعارض علم الكلام ، شرح ملحة الاعراب (في النحو) ، حاشية على جمع الجوامع (في الأصول) ، شرح أربعين حديثاً ، كتاب في الوعظ ، مجموعة خطب منبرية ، منظومة في علم المنطق ، منظومة نور الايضاح (في الفقه) ، نظم العوامل ، رسالة في الآيات والمشابهات ، رسالة في الفرائض ، الخ .

وقد قال هو نفسه :

عـــاق تدريسي عن التـــأليف لكن فـــبـــهـــذا لست اني مـــتـــأسف
من تلامـــيـــذي ألفت كـــتـــاباً كل فـــــرد هـو بالعلم مـــؤلف

كان له مجلس وعظ يحضره الخواص والعوام . وكان مهيباً محترماً ، وصفه تلميذه محمد صالح السهروردي فقال : «كان طويل القامة ، أبيض اللون ، عريض الوجه ، مشرباً بحمرة تناسب نصوع بياضه ، كثّ اللحية ابيضها ، أسود العينين ، أقنى الأنف ، مزجّج الحاجبين ، عريض ما بين المنكبين ، فصيح اللسان ، قويّ العارضة ، متوقد الفؤاد ، بليغ العبارة ، سريع الخاطر ، رابط الجأش ، حاضر الذهن ، يرتجل الخطب الرنانة الطوال ويرتجز في المقال لما أحرزه من كثرة العلوم وقوّته في المنثور والمنظوم . وكان شديد الغيرة على الدين ، مستميتاً على حفظ كرامة بلاده...» .

قال الرصافي في رثائه :

ان عـــبـــدالوهاب عـــاش جليل القـــدر فـــرداً ومـــات وهو جليل
وقـــضى عـــادم المـــثـــيل فـــأمـــسى مـــا لمنعـــاه في الخطوب مـــثـــيل

حرص عبدالوهاب النائب على تأسيس مدارس للصبيان والشبان وأنفق في ذلك من ماله وجهده ، كمدرسة محلة الفضل وخان لاوند والراشدية والجديدة ، واشترك في تأسيس مدرسة التفيض .

وقال الشعر في مدح الواليين تقي الدين باشا وسرّي باشا وغيرهما ورثاء المفتي الزهاوي الكبير ومحمد فاضل باشا الداغستاني . وله قصائد في الحماسة والموعظة والغزل والتصوف وسائر الأغراض . كان استاذ معروف الرصافي فقال في تلميذه :

ان فـــاخـــرت بلدة يومـــاً بشـــاعـــرها فـــإنّ شـــاعـــرنا في الشـــرق مـــعـــروف

فقال الرصافي :

قل لعـــبـــدالوهاب النائب العـــلامـــة الحَـــبْـــر منجب النجـــبـــاء
ان اسـمّى شـاعـراً فـمـثلك من يُدعى بـــبـــغـــداد أعلم العلمـــاء
أي فـــضـل للشـــعـــر لولا علوم قـــوّمت من قناته العـــوجـــاء...
مـــا ادّعى الشـــعـــر عـــالم قطّ ، لكن يدّعي العلم أشـــعـــر الشـــعـــراء

عباس حلمي القصاب

الشيخ عباس حلمي بن السيد عبداللطيف القصاب من قبيلة جشعم . ولد في بغداد سنة ١٨٦٠ ودرس على علماء عصره عبدالسلام الشواف والشيخ داود النقشبندي وعبداللطيف الراوي وعبدالوهاب النائب وغلام رسول .

عين مدرساً في جامع خضر الياس بجانب الكرخ ، ثم نقل مدرساً للمدرسة العلمية في سامراء سنة ١٩٠٠ وعيّن مفتياً للبلدة ايضاً سنة ١٩٠٩ . قضى في سامراء سنوات عديدة ، ثم عاد الى بغداد وعيّن أميناً للفتوى وتوفي بها في شهر آب ١٩١٧ .

وضع مؤلفات في التصوف وحقائق الصوفية ورسائل أخرى . ورثاه عند موته السيد ابراهيم الراوي بقصيدة مطلعها :

فقدنا عزيزاً عزّ في الناس قدره وسار بآفاق الكمالات بدره

وقال ابراهيم الدروبي فيه انه «صوفي في مشربه ، حنفيّ في مذهبه ، سلفيّ في معتقده ، لا يميل الى التأويل» .

وهو عم عبدالعزيز القصاب الوزير ورئيس مجلس النواب وأبو عبدالله القصاب وزير الداخلية .

يحيى الوتري

السيد يحيى الوتري بن قاسم بن جليل ينتمي الى أسرة دينية هاجر جدها من الحجاز . ولد السيد يحيى في بغداد سنة ١٨٦٦ ودرس الفقه والعلوم العربية على عبدالوهاب النائب وعبدالرحمن القره داغي وبهاء الحق وداود النقشبندي . ولما نال الاجازة العلمية عين مدرساً في جامع الأحمدية وفي جامع الخلفاء . ومضى الى الحج وأخذ علم الحديث عن السيد علي الظاهر شيخ مشايخ الحديث في الروضة النبوية .

عاد الى بغداد وواصل التدريس والوعظ ، ثم اختير قاضياً شرعياً في الكاظمية ومدرساً للعربية في دار المعلمين . وقد توفي في مسقط رأسه في ١٦ نيسان ١٩٢٣ .

ألف : الفرائد الأدبية في القراءة العربية (١٩١٣) . وصنّف رسائل في علم الفلك والرياضيات والنحو .

وهو والد الطبيب النطاسي الدكتور هاشم الوتري مدير المستشفى الملكي .

عطاء الخطيب

الشاعر العالم مفتي بغداد عطاء الله الخطيب ابن محمد جميل رئيس بلدية بغداد ، وأخوه الشاعر الموهوب علي الخطيب . ولد عطا في بلدة شهربان من أعمال ديالى سنة ١٨٨٦ وتوفي ببغداد في ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٩ . ترجمت له في كتابي اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث .

درس في المدرسة الرشدية ، ثم انصرف الى دراسة العلوم الشرعية والعربية ، وكان من اساتذته عبدالوهاب النائب وسعيد النقشبندي ويوسف العطاء وعلي الطالباني . وانتسب الى مدرسة الحقوق وواظب الى صفها الأخير الى حين اغلاقها عند نشوب الحرب العامة سنة ١٩١٤ . وقام بالتدريس في المدرسة الاعدادية ، ورئس تحرير جريدة «الارشاد» التي اصدرها حسين فريد في شباط ١٩٠٩ . وأصدر جريدة «صدى الاسلام» في ٢٣ تموز ١٩١٥ باللغتين العربية والتركية للدفاع عن تركية المنهمكة في الحرب ، فعين مفتياً لبغداد في آب ١٩١٦ خلفاً لمحمد سعيد الزهاوي .

واحتل الانكليز بغداد في السنة التالية فقبضوا عليه ونفوه الى الهند . وعاد الى بغداد بعد انتهاء الحرب ، فعين مديراً لادارة الأوقاف (١٩٢٤) . وانتخب نائباً عن لواءي الكوت وديالى سنة ١٩٢٨ .

كان شاعراً ناثراً تفرّقت آثاره في الصحف والمجلات . وقال ابراهيم الواعظ : «نبغ وهو صغير السنّ ولم يمهله القدر حتى تظهر عبقريته . أديب مبدع وشاعر مفلق يتقن الآداب العربية والتركية والفارسية والكردية كتابة ونظماً ، ويتكلم بالهندية ايضاً» .

عبدالحليم الحافي

عماد الدين عبدالحليم الحافي او الحافاتي ابن احمد بن خلف الحافي يرتفع نسبه الى بشْر المروزي الحافي (٧٦٧ - ٨٤١م) الزاهد المتصوّف الذي أقام ببغداد وتوفّي بها ، وقال فيه المأمون : «لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيى منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث» .

ولد الشيخ عبدالحليم في بغداد سنة ١٨٥٩ وتخرّج على خاله الشيخ عبدالسلام الشوّاف . درس في مدرسة القضاة في استانبول ، وعاد الى بغداد فتقلد منصب القضاء في أنحاء مختلفة آخرها الكاظمية (١٩٠٤) . وأصبح بعد الاحتلال امام وخطيب جامع السليمانية في بغداد (١٩١٧) فمدرس جامع السراي (١٩٢٣) ومدرس مسجد السيف في الكرخ (١٩٣١) . وعهد اليه توقيت الاذان بجامع السراي ، فكان كثيراً ما يراه السائر منصرفاً الى ساعاته الكثيرة في الحجرة المطلة على السوق مكباً على نصبها وتوقيتها . وكان مبرّزاً في اللغة والأدب عارفاً بعلم الهيئة .

وقد عيّن مدرساً في جامعة آل البيت سنة ١٩٢٤ . وانتخب نائباً عن بغداد في مجلس النواب في كانون الأول ١٩٣٧ الى شباط ١٩٣٩ .

وضع شرحاً في النحو بعنوان «تذكرة أولي الألباب» حفظت نسختها المخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة . وجمع مكتبة حافلة بالمطبوعات والمخطوطات أهديت بعد وفاته الى خزانة الأوقاف . وله أسلوب جميل في الترسّل نشر ابراهيم الواعظ انموذجاً منه في كتابه «الروض الأزهر» .

توفي في بغداد في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٣ ودفن في مقبرة الامام الأعظم . قال عنه أحمد حامد الصرّاف انه من أجلّة العلماء في بغداد ، وله شغف بعلم الفلك واطلاع واسع عليه . وقد نقل عنه في كتابه «عمر الخيام» أسماء آلات الرصد المستعملة في ذلك العهد .

أقول : أدركته في سنيه الأخيرة ورأيته في مجالس بغداد ودواوينها فوجدته - كما وصفه ابراهيم الدروبي في كتابه «البغداديون : أخبارهم ومجالسهم» - طويل القامة بهيّ

الطلعة والشكل ، يرتدي العمامة والجبّة والبنطلون وصدرية شبيهة بما يرتديه علماء الأتراك في استانبول . وأضاف الدروبي قائلاً انه كان وفيّاً لأصحابه ، كريم النفس ، ذكياً لامعاً مولعاً بالأسفار ، وقد رحل مراراً الى سورية ومصر وتركية وغيرها من الأقطار . وكان ظريفاً ، لاذع اللسان ، شديد السخرية في ايماءاته وتلمحياته وتصريحاته . روي من نوادره ان ياسين الهاشمي دعاه ذات مرة الى الركوب في سيارته وكان معه أحمد الشيخ داود ، فأجاب معتذراً : «ان سيارة الهاشمي لا تحتمل عمامة واحدة فكيف بعمامتين !» ومن هذا القبيل ما رواه عبدالكريم الأزري في «ذكرياته» عند تعيين محمد رضا الشبيبي عيناً سنة ١٩٥٤ ان علي الشرقي قال للأزري في مقام العتاب : «كيف سعيت الى تعيين الشبيبي عيناً؟ ألا تعلم ان مجلس الأعيان لا يتسع لعمامتين بيضاوين من النجف؟» .

وقرأ احد الشعراء قصيدة بمحضر من عبدالحليم الحافاتي ، فظنّه الشيخ ممّن يتكسبون بشعرهم . ولما أفهم ان الشاعر أرفع من ذلك قال معتذراً : «ان البقر تشابه علينا» .

محمود المجموعي

الشيخ محمود المجموعي من علماء البصرة الاعلام ، وهو محمود بن عبدالكريم المجموعي الشافعي ينتهي نسبه الى طلحة الخير الصحابي القرشي . قال محمد صالح السهروردي في «لبّ الألباب» ان المجموعي ينتسب الى جده الأعلى الشيخ محمد المدرس في مدرسة المجموعة من مدينة البصرة ، وهو أول من سكن تلك المحلة وبنى فيها مدرسة ، فعكف عليه طلاب العلم والأدب ، وقصده الناس من جميع الجهات . وممن ثافنه وأخذ العلم عنه علامة الشرق محمد بن عبدالوهاب التميمي زعيم الاصلاح السلفي في نجد والجزيرة العربية (سنة ١٧٢٠م أو نحوها) .

ولد الشيخ محمود في البصرة سنة ١٨٦١ . وقرأ العلوم على جده لأمه الشيخ احمد نور الأنصاري قاضي البصرة ، ودرس ايضاً على غيره من علماء بلده ، وعيّن سنة ١٨٧٧ اماماً وخطيباً في مسجد الكواز . ومضى في تلك السنة الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج . عاد الى البصرة فواصل دراسته وأفاد من الشيخ عبدالوهاب النائب الذي زار البصرة سنة ١٨٨٢ . وسافر في السنة التالية الى بغداد وأتم دراسته على عبدالوهاب النائب ومحمد سعيد النقشبندي وخليل المظفر .

عيّن اماماً وخطيباً في مسجد المقام سنة ١٨٩٤ ، ثم استوطن بلدة الزبير ، وعين سنة ١٩٠٤ اماماً وخطيباً لجامعها . وواصل الوعظ والتأليف والتدريس حتى توفي في الزبير في ٢ ايار ١٩٥٧ .

وضع مؤلفات منها : البرهان الجلي في المحاكمة بين المغربي والموصلي ، شرح نظم التيسير في فقه الشافعية ، منبع البركات في شرح نظم الورقات ، التحفة البصرية ، نظم سلم الهداية في التصوف ، رفع الالتباس عن الاختلاف في الكأس ، نظم القطر في النحو .

محمد سليم العماري

الشيخ محمد سليم بن علي بن أحمد لفتة ينتسب الى قبيلة المشاهدة النازلة في أراضي التاجي من قضاء الكاظمية ، ولد ببغداد في ٥ ايار ١٨٦٩ ، ونشأ في العمارة التي انتقل اليها والده واتخذها مسكناً . ثم درس على علماء بغداد كنعمان الألوسي مدرس جامع مرجان وعلي الخوجة ومحمود شكري الألوسي ومحمد سعيد النقشبندي وعبدالوهاب النائب وغيرهم .

وعاد الى العمارة فاختير عضواً بمحكمة البداءة سنة ١٩٠٠ ، فمدرساً للواء العمارة (١٩٠٨) . وانتخب في آذار ١٩٠٨ نائباً عن العمارة في مجلس النواب العثماني ، لكنه لم يسافر لحضور جلسات المجلس لأسباب شخصية . وعيّن مفتياً ومدرساً للواء العمارة في نيسان من تلك السنة وبقي في منصبه حتى احتلال العمارة في حزيران ١٩١٥ .

اعتقله الانكليز وأبعدوه الى سمربور بالهند ، وأطلق سراحه بعد الهدنة . وعيّن في تموز ١٩٢١ مديراً لأوقاف البصرة ، ثم نقل مفتشاً للأوقاف . واعتزل الخدمة سنة ١٩٢٨ فعاد الى العمارة منصرفاً الى الوعظ والتدريس .

وتوفي في العمارة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٤٧ .

حبيب العيدروسي

حبيب العيدروسي رئيس الطريقة العيدروسية من الطرق الصوفية التي التزم بها جدّه ابو بكر بن السيد عبدالله العيدروسي دفين عيدروس في حضرموت ، والأسرة حسينية النسب وقد انتقل احد اجدادها الى بغداد .

والسيد حبيب شخصية ظريفة في المجتمع البغدادي اشتهر بانتقاداته اللاذعة ونكاته الظريفة . وقد أقام في محلة القراغول في بغداد وامتلك بساتين في محافظة ديالى . اشترك في ثورة العشرين ، وكان همزة الوصل بن زعماء الثورة وعشائر ديالى ، فاعتقل ونفي الى جزيرة هنجام في الخليج .

توفي في بغداد سنة ١٩٦١ شيخاً مسناً .

وقد ذكر أمين الريحاني عيدروس في كتابه «فيصل الأول» فقال ان للوليّ عيدروس الذي تعرّف به في عدن مقاماً قدسياً آخر في محلة باب الشيخ بجوار مرقد الشيخ عبدالقادر الكيلاني (ا هـ) . وقد أسس التكية العيدورسية في بغداد السيد عبدالله جدّ حبيب .

وذكر خير الدين الزركلي في «أعلامه» أربعة من شيوخ العيدروس :

(١) ابو بكر بن عبدالله الشاذلي العيدروس (١٤٤٧ - ١٥٠٩م) ، وهو من آل باعلوي ، كان صالحاً زاهداً ، ولد في حضرموت وقام بسياحة طويلة ثم سكن عدن ٢٥ سنة وتوفي بها . وهو مبتكر القهوة المتخذة من البنّ المجلوب من اليمن .

(٢) عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله بن شيخ ابن عبدالله العيدروس مؤلف «الفتوحات القدسية في الخرقة العيدروسية» . كان باحثاً مؤرخاً من أهل اليمن ، ولد سنة ١٥٧٠ وسكن حضرموت ، ثم انتقل الى أحمد أباد بالهند وتوفي بها سنة ١٦٢٨ .

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن السقّاف الحسيني آل العيدروس (١٦٦٠

- ١٧٠١) ، من أهل حضرموت . له كنّاش دوّن فيه رحلته الى الحجاز والعراق وغيرهما .

(٤) عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس الحسيني (١٧٢٣ - ١٧٧٨) من حضرموت . له مؤلفات منها تنميق السفر ، وهي رحلته الى مصر .

عبدالجليل آل جميل

الشيخ عبدالجليل بن أحمد بن عبدالرزاق آل جميل ينتمي الى الأسرة المعروفة، وهي شامية الأصل قدم جدها الى بغداد واشتهر منها عبدالغني بن محمد جميل مفتي بغداد في عهد الوالي علي رضا باشا، وقد توفي سنة ١٨٦٣ .

ولد عبدالجليل آل جميل في بغداد سنة ١٨٧٠ ودرس العلوم العربية واللغتين التركية والفارسية على علي الخوجة . ثم واصل دراسته على عبدالوهاب النائب وعبدالرحمن القره داغي وغلام رسول، ونال الاجازة في الفقه والحديث والمنطق والبلاغة والتفسير وسائر العلوم . عين مدرساً في جامع العادلية الكبير سنة ١٨٩٣ ثم نقل الى جامع الآصفية (١٩٠٩) . وعيّن سنة ١٩١٠ مفتياً للكاظمية فاستمر في منصبه الى احتلال بغداد (١٩١٧) . وقد نفته السلطات البريطانية الى الهند . وعاد الى التدريس بعد رجوعه من منفاه، ثم عيّن مدرساً في جامعة آل البيت .

وكان في العهد العثماني عضواً بمحكمة بداءة بغداد سنة ١٩٠٥ وعضواً بمجلس المعارف (١٩٠٨) . ثم أصبح في عهده الأخير مدرساً في جامع الآصفية مرة أخرى (١٩٤٤) . وتوفي ببغداد في ١٥ آب ١٩٥٧ .

وضع مؤلفات عديدة، منها : تنوير الاذهان (في المنطق، ١٩٠٣)، ارشاد العباد في علم الاعتقاد، العجالة في النحو، المحاضرات في الأصول، وشروح في أصول الفقه والمنطق . وتولى اصدار مجلة «الارشاد» سنة ١٩٢٦ - ١٩٢٨ .

وهو ابو عبدالقادر جميل عضو محكمة التمييز ورئيس ديوان مجلس الوزراء والشاعر حافظ جميل .

محمد رشيد الشيخ داود

الشيخ محمد رشيد بن اسماعيل بن الشيخ داود النقشبندي ولد في بغداد سنة ١٨٧٢ ، ودرس على علماء عصره علي الخوجة وعبدالوهاب النائب وغلام رسول وعبدالرحمن القره داغي وغيرهم . عين مدرساً في مدرسة الروّاس سنة ١٩٠٦ ، وقاضياً وأميناً للفتوى بالوكالة (١٩٠٩ - ١٩١٠) . ونقل الى مدرسة جامع الحيدرخانة بعد وفاة محمود شكري الألوسي . وعين مدرساً في التكية الخالدية ومدرسة نائلة خاتون سنة ١٩٢٩ . وألف كتباً في الطريقة القادرية ونظم الشعر .

ادركه الحمام في بغداد في ٢٥ كانون الثاني ١٩٣٩ .

من شعره قصيدة نظمها في الرد على قصيدة لمعروف الرصافي نشرت في جريدة «الميزان» واعتقد الشيخ محمد رشيد انها تتضمن نكراناً للوحي النازل على الأنبياء ، ومطلعها :

على الاسلام أندب في بكائي   وأستدعي المؤزّر للولاء

ويقول فيها :

لها قد صرت ذا وهم وسقم   وقد عزّ الدواء لدفع دائي
وقد زاد الشجى بظهور من قد   على الأديان يطعن بازدراء
وأبدى ما يضيق الصدر عنه   وأخفى ما استحق من الرغاء
يقول بأنني قولاً وفعلاً   أصرّح لا أميل الى الرياء
ولست من الذين يرون خيراً   لإبقاء الحقيقة بالخفاء
ولا ممن يرى الأديان قامت   بوحي منزل للأنبياء
ولكن هنّ وضع وابتداع   من العقّلاء أرباب الدهاء
أقول ، وأستعيذ بلطف ربّي   من الكفر الصريح بلا امتراء
لعمري لم يفه ذو العقل فيما   به قد فاه معروف الشقاء
وهل ترضى العقول بترك خلق   بلا تدبير خلاق السماء؟

أقول : ان قصيدة الرصافي التي ردّ عليها الشيخ محمد رشيد هي قصيدته «حقيقتي

السلبية» التي يقول فيها :

أحبّ صـراحـتي قـولاً وفـعـلاً ... وأكـره ان أمـيـل الى الرياء

فـمـا خـادعتُ من أحـد بأمـر ... ولا أضـمـرت حـسـواً في ارتغـاء

ولست من الذين يرون خـيـراً ... بإبقـاء الحـقـيـقـة في الخـفـاء

ولا مـمـن يرى الأديان قـامت ... بـوحي منزل للأنبـيـاء

ولـكـن هـنّ وضع وابتـداع ... من العـقـلاء أرباب الدهاء

وقصيدة الرصافي منشورة في ديوانه ، اما قصيدة الشيخ محمد رشيد فقد نشرها محمد صالح السهروردي في الجزء الثاني من كتابه «لبّ الألباب» وأعاد نشرها يونس الشيخ ابراهيم السامرائي في «تأريخ علماء بغداد» .

عثمان الديوه جي

القاضي الفقيه الشيخ عثمان بن محمد الديوه جي ولد في الموصل سنة ١٨٧٣ ودرس على شيخيه عبدالله الفيضي ومحمد الرضواني . وعيّن واعظاً بجامع الشيخ عبدال (١٨٩٧) وخطيباً في جامع العمرية . وأصبح بعد ذلك رئيساً لمجلس الأوقاف .

وقد سعى في عمارة مسجد منصور الحلاج المجاور لداره وتصدّر للتدريس فيه ، فتخرّج عليه جماعة من رجال العلم والفضل . وكان واعظاً مفوّهاً يغصّ مجلسه بالمجتمعين .

عيّن قاضياً لمدينة بغداد في ١٧ كانون الأول ١٩٢٢ ، ونقل قاضياً للموصل في شباط ١٩٢٦ . وأعيد الى قضاء بغداد ، ثم اختير عضواً بمجلس التمييز الشرعي في حزيران ١٩٣٠ . وشكلت الحكومة العراقية في كانون الثاني ١٩٣٢ لجنة من كبار العلماء ورجال القانون لاعداد لائحة قانونية للأحوال الشخصية ، فكان الديوه جي احد اعضائها . وأعيد الى قضاء بغداد في آذار ١٩٣٣ حتى أحيل على التقاعد في ايلول من تلك السنة .

وعاد الى الموصل منصرفاً الى التدريس والارشاد حتى وافاه الأجل فيها في ١٧ شباط ١٩٤١ .

ترك مؤلفات في قواعد اللغة العربية والفقه الحنفي . وروى عثمان الديوه جي – على ما نقله عباس العزاوي – انه درس ايضاً على الشيخ أمين القره طاغي في مدرسة الشيخ عديّ في الشيخان . وذلك ان الفريق عمر وهبي باشا نكّل باليزيديين في سنة ١٨٩١/ ١٨٩٢ واستولى على مقام الشيخ عديّ واتخذه مدرسة عهد بالتدريس فيها الى القره طاغي وتلقى فيها العلم طلبة من الموصل وأنحائها . وألغيت المدرسة سنة ١٩٠٤ وأعيدت الى اليزيديين .

عبدالله النعمة

من علماء الموصل ومدرّسيها المعروفين الشيخ عبدالله بن محمد بن جرجيس النعمة ، ولد سنة ١٨٧٣ بالموصل ودرس على رجال عصره . ثم تصدّى للتدريس والارشاد ، فتخرج عليه جماعة كبيرة من رجال الدين والطلاب الممتازين ، ومنهم محمود الملاح وضياء يونس . وانشئت مدرسة دينية بعد الاحتلال البريطاني فاختير لادارتها وواصل التدريس أعواماً طويلة .

وقد شارك في الحركة الوطنية ، وبعث في طلابه روح المثابرة والعلم ، وحثهم على دراسة العلوم العصرية . وكان ميّالاً الى الأخذ بلباب التمدن الحديث . دعي مرة في سنة ١٩٢٣ - على ما حدثني به تلميذه محمود الملاح - الى ركوب الطيارة ، وكان ذلك اول عهد الموصل بالطيران ، فلم يتوان عن التحليق في الجوّ بينما أحجم غيره وتخلف . وساهم في النشاط الاجتماعي فكان رئيساً لجمعية الشبان المسلمين .

كان أبيّ النفس لا يداجي ولا يداهن ، منقطعاً الى التدريس ، راضياً بكفاف العيش ، مترفعاً عن الجاه والمنصب .

توفي في مسقط رأسه سنة ١٩٥٠ .

وضع منظومات تعليمية في الصرف والاعراب . ونشر تلميذه محمد محمود الصوّاف مجموعة خطبه . قال محمود الملاح تلميذه ان الشيخ عبدالله النعمة حين منحه وزملاءه الاجازة العلمية اوصاهم بالجرأة على اظهار الحق واجتناب النفاق والابتعاد عن المطامع الخسيسة والتملق والتبصبص . وأنشد قائلاً :

ولو ان أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لَعَظَّمَا

ولكن أهانوه فهانوا ودنّسوا ... محيّاه بالأطماع حتى تجهّما

أحمد الشيخ داود

العالم الوزير الشيخ احمد الشيخ داود ، وهو نجل الشيخ داود بن سليمان بن جرجيس العاني النقشبندي الخالدي ينتمي نسبه الى الامام موسى الكاظم . وكان أبوه الشيخ داود (١٨١١ - ١٨٨٢) من أجلّة علماء بغداد في عصره ، اشتهر بردّ على أبي الثناء الألوسي .

ولد الشيخ احمد في بغداد في ٣ نيسان ١٨٧٠ وقرأ العلوم العربية والدينية على علماء أفاضل منهم والده وعبدالوهاب النائب ومصطفى نور الدين الواعظ وعلي الخوجة ومحمد سعيد الدوري والشيخ بهاء الحقّ والشيخ عبداللطيف مدرّس المدرسة القادرية . وعيّن في سنة ١٨٩٣ مدرساً لقضاء بعقوبا ، فقضى في التدريس خمسة عشر عاماً وتولى في أثناء ذلك مراراً وكالة القائممقام والقاضي .

على اثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ عيّن قائممقاماً لقضاء خانقين . وزار الاستانة (١٩١٠) ثم عين واعظاً عاماً لولاية بغداد وانتخب عضواً بمجلس الولاية حتى احتلال بغداد .

وعيّن في العهد الجديد مديراً لأوقاف بغداد (٢٢ شباط ١٩١٨) ورئيساً للأمور الدينية . وأبلى في الثورة العراقية بلاءاً حسناً فنفي الى جزيرة هنجام سنة ١٩٢٠ ولبث فيها الى شباط ١٩٢١ . وعاد الى جهاده الوطني ، وكان من أعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الوطني ، فلما نفي أعضاؤه الى هنجام في آب ١٩٢٢ ، اختفى عن الأبصار أشهراً ثم ظهر بعد عودة المبعدين .

وانتخب نائباً عن بغداد في المجلس التأسيسي (١٩٢٤) ، ثم ناب عن لواء بغداد ايضاً في مجلس النواب في الدورات النيابية لسنة ١٩٢٥ - ١٩٢٨ و١٩٢٨ - ١٩٣٠ . وأصبح وزيراً للأوقاف في وزارة السعدون الثالثة (١٤ كانون الثاني ١٩٢٨ - ٢٨ نيسان ١٩٢٩) .

أعيد انتخابه نائباً عن بغداد في ٢٣ تشرين الأول ١٩٣٣ وكانون الأول ١٩٣٤ الى نيسان ١٩٣٥ . ثم عيّن عضواً بمجلس الأعيان في ٢٩ ايار ١٩٣٧ الى تشرين الأول

١٩٣٧ ، ثم أصبح عيناً أيضاً في ١٠ كانون الثاني ١٩٤٣ وجددت عينيّته في ١٧ تشرين الأول ١٩٤٥ . وانتخب نائباً ثانياً لرئيس مجلس الأعيان في أول كانون الأول ١٩٤٥ ، وثم في ٣ نيسان ١٩٤٧ . وتوفي في بغداد في ١١ حزيران ١٩٤٧ .

وله تصانيف ، منها : المواهب الرحمانية ، والآيات البيّنات . وقد عالج نظم الشعر وقام بتشطير البردة ولامية العجم ولامية ابن الوردي الخ .

كان احمد الشيخ داود من العلماء العصريين ، وواسع الأفق ، متسامحاً غير متزمّت ، سمح لبناته ان يدرسن دراسة عالية وأن يشتركن في الحياة العامة ايماناً منه بتطور الأزمان ووجوب الأخذ بأسباب النهضة الحديثة وتكاتف الجنسين في اعلاء شأن البلاد . وأنشأ في عهد وزارته مكتبة الأوقاف ، فقال معروف الرصافي :

لقد جمع الشيخ هذي الكُتُبْ ... فأنقذها من أكُفّ العَطَبْ
ورتّبها فهي معروضة ... لمن يتناولها من كَثَبْ
وكانت لَعَمْرك رهن الغبار ... مكدّسة في زوايا الشَجَب
نسيج العناكب من فوقها ... ومن تحتها السُّوس فيها انْسرَب
فمدّ اليها معالي الوزير ... يداً دأبها الغوْث عند الكُرَب
فأخرج منها كنوز العلوم ... لأهل الفنون وأهل الأدب

ونظم الرصافي قصيدة ثانية في خزانة الأوقاف أنشدها عند افتتاحها في ٨ كانون الثاني ١٩٣٢ ، ومطلعها :

للمسلمين على نزورة وفرهم ... كنز يفيض غنى من الأوقاف

وكان الشيخ أحمد جمّ النشاط في اداء واجباته النيابية ، سجلت له محاضر مجلس النواب خطباً ومناقشات كثيرة . وقيل انه طلب الكلام في اثناء بحث ميزانية مديرية الزراعة وخرج من قاعة المجلس دقائق ثم عاد . وكانت ميزانية الزراعة قد صدّقت في غيابه ، فلما دعي الى الكلام وأخذ يذكر هذه الدائرة نبّه الى ان البحث قد انتقل الى مديرية البيطرة . فقال على البديهة : فلتكن البيطرة ! وأخذ يتكلم على البيطرة والثروة الحيوانية .

دعا الشيخ احمد الى ضرورة الاسراع في سن القانون الأساسي . وقال في خطاب له في المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤ ان الأمم بذلت كل غال ورخيص للحصول على دستور . والعراق يطالب منذ نهضته سنة ١٩٢٠ بحكم دستوريٍ يكون دعامة لحكومة

ثابتة يرتضيها وكلاء الأمة باسم الأمة . وقال : فيجب علينا ان نسنّ القانون الأساسي لتحديد شكل حكومتنا الدستورية ، فالدستور روح البلاد الذي ينجيها من التذبذب .

وقد عارض في المجلس التأسيسي عقد المعاهدة العراقية - البريطانية ، وقال انها ضربة قاضية على استقلال البلاد ، مميتة للشعب ، مهدمة للكيان السياسي . وكان الشيخ احمد من أشدّ المؤيدين لاختيار الأمير فيصل ملكاً على العراق . وينسب اليه انه قال : «انا وشعبي نبايع فيصلاً ملكاً على العراق» .

رثاه عند موته المحامي عبدالملك عبدالله الجرجيس بقصيدة ، منها :

سيبكيك كرسي ويبكيك منبر ... ويندب اخلاصاً لديك ربوع
ويبكيك اخوان كرام عرفتهم ، ... ففقدك خطب للجميع مروع
فوا أسفي ، من للمكارم والعلى ، ... وهل للسجايا الطيّبات رجوع؟

من شعر الشيخ احمد الداود يقرّظ كتاب «توحيد أهل التوحيد» لمؤلفه السيد هبة الدين الشهرستاني :

كتاب دعا الاسلام للقصد والبرّ ... وأرشد أهل الدين للرشد والخير
وأثبت احكام الشريعة والهدى ... بآي من القرآن كالأنجم الزهر
وهل بعد قول الله للناس حجّة ... تقوم باظهار الحقيقة في الجهر؟
لقد خدم الاسلام والدين نصّه ... وقام باحياء الشريعة في النشر
مؤلّفه النحرير والحبر سيّد ... من القادة الأخيار والسّادة الطُّهْر
له في التقى والعلم والفضل رتبة ... تسامت على أوج السّماكين والنّسر

الشيخ احمد الشيخ داود

وصفه جعفر الخليلي في الجزء الخامس من كتابه «هكذا عرفتهم» فقال انه «لم يكن وجيهاً فحسب وانما كان له من الدروس العربية وشيء من التفقّه نصيب اكتفى به . وكل ما كان يميّز الشيخ احمد بعد العمّة واللحية جبّة فضفاضة وصباحة وجه وصوت جهوري لا يخلو من الموسيقى المحبّبة عندما يتكلم او يخطب . وهو بعد ذلك وطني ساهم في الحركة الوطنية والتكتل ضد الاستعمار الانكليزي في العراق ، عمل مع العاملين في هياج الناس وتألّبهم لتأييد الثورة العراقية الكبرى حتى اضطرت السلطة الانكليزية ببغداد ان تقبض عليه وتنفيه مع الوطنيين خارج العراق» .

ثم قال الخليلي : «والشيخ احمد موصوف بالجرأة ، وهو ينزع الى الحرية في أفكاره . وكان يتكلم باسم رجال الدين رضي رجال الدين عنه ام غضبوا . فقد احتل له مكاناً بين اللامعين العاملين في حقل السياسة وبين رجال الدين . وكان نائباً جريئاً في المجلس النيابي... والى جانب ذلك لم يكن يخلو من تفكّه وحلاوة ونكتة» .

وذكر الخليلي ان الشيخ احمد سمح لابنته صبيحة - وكان عمرها دون العاشرة - ان تمثل دور الخنساء في مهرجان «سوق عكاظ» الذي أقيم ببغداد في شباط ١٩٢٢ رغم تزمّت المتزمتين ، إذ كان متحرراً مفتح الذهن . وقد عدّ المشايخ ، حتى رئيس الوزراء آنذاك السيد عبدالرحمن النقيب ، ظهور هذه الفتاة ، وهي تتسنّم بعيراً يخترق الجموع وتنشد راكبة ما كانت تنشد الخنساء في سوق عكاظ في أيام الجاهلية ، عدّوه كفراً او ما يشبه الكفر واستنكروه أشدّ الاستنكار . لكن الملك فيصل أيد لجنة السوق في عملها وشجعها مما أرغم الطبقة المستنكرة على تقبّل الأمر الواقع على مضض .

محمد درويش الألوسي

محمد درويش بن أحمد شاكر بن محمود شهاب الدين المفسّر الألوسي ، ولد ببغداد سنة ١٨٧٦ ، ودرس على يحيى الوتري ومحمد سعيد الزهاوي ويوسف العطا وعبدالوهاب النائب ومحمود شكري الألوسي وعبدالرحمن القره طاغي وعلي علاء الدين الألوسي وغيرهم .

عيّن كاتباً في المحكمة الشرعية في بغداد ، فعضواً بمحكمة الحقوق (١٩٠٦) وعضواً في مجلس المعارف (١٩٠٩) ومدرساً وواعظاً بجامع السيد سلطان علي (١٩٠٩) . وأصبح عضواً بمجلس ادارة ولاية بغداد في كانون الأول ١٩١٦ . ووجهت اليه خطابة جامع العاقولي سنة ١٩٢٢ .

وباشر أعمال قاضي بغداد نيابة عن ابن عمّه علي علاء الدين الألوسي من آب ١٩٢٠ الى كانون الثاني ١٩٢٢ .

صنف مؤلفات في المواعظ وغيرها . وقد توفي ببغداد في ١٦ نيسان ١٩٤٨ .

خليل الراوي

الشيخ خليل بن حسين الراوي يرتقي بنسبه الى السيد رجب الكبير الراوي سليل السيد احمد الرفاعي . ولد في بلدة راوة سنة ١٨٧٧ ، ورحل الى بغداد فدرس على الشيخ ابراهيم الراوي وعباس حلمي القصاب ويوسف العطا وعبدالوهاب النائب وأجيز في علوم الفقه والعربية . وقد عين مدرساً في مدرسة الروّاس بباب الشيخ من رصافة بغداد ومدرسة قره علي وعهدت اليه وظائف دينية أخرى .

وفي شباط ١٩٤٣ عين شيخ السجادة الرفاعية بجامع السيد سلطان علي ، وخلف الشيخ ابراهيم الراوي في تموز ١٩٤٧ مدرساً في جامع السيد سلطان علي . وتوفي ببغداد في ٢٤ ايلول ١٩٥٧ .

محمد حسين آل كاشف الغطاء

الامام محمد حسين آل كاشف الغطاء المجتهد الكاتب الشاعر صاحب المراسلات مع أمين الريحاني فيلسوف الفريكة ولد في النجف سنة ١٨٧٨ وتوفي في كرند المجاورة للحدود الايرانية حيث ذهب مصطافاً مستشفياً في ١٩ تموز ١٩٥٤ . وقد ترجمت له في «اعلام اليقظة الفكرية» .

قال عبدالحليم الرهيمي في كتابه «تأريخ الحركة الاسلامية في العراق» (١٩٨٥) ان كتاب «الدين والاسلام» او «الدعوة الاسلامية» للشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء يعالج أهم المشاكل المطروحة على المجتمعات الاسلامية ويتناولها بالتحليل والنقد واقتراح الحلول التي يراها بنزعة تجديدية اصلاحية . ويرى المؤلف ان سبب ضعف المسلمين يرجع الى ضعف الوازع الديني في نفوسهم - ذلك الضعف الناجم عن تعلّقهم بزخارف الدنيا ، فضلاً عن نفوذ الروح الغربية التي دخلت الى جسم العالم الاسلامي ففرقت شمله ومزقته .

ويمضي المؤلف في نقد النظريات المادية الغربية ، ولا سيما الداروينية ، وامتدادها في العالم الاسلامي . ويحمل على شبلي شميّل وسلامة موسى وأمثالهما ، ثم يدعو الى توحيد كلمة المسلمين وضرورة التجديد والاصلاح ومكافحة الخرافات .

هذا وقد ربطت محمد حسين في مطلع شبابه أواصر المودة مع الشاعر السيد جعفر الحلي والشيخ رضا الأصفهاني . ورثاه عند وفاته محمد علي اليعقوبي فقال :

هيهات ينسى المسلمون فجيعة ... فيها أصيب بفقدك الاسلام
من مثل شخصك فكرة ونباهة ... إن حارت الأفكار والأفهام؟
من مثل شخصك جرأة وبسالة ... حيث الرجال يهولها الاقدام؟

تزعم محمد حسين كاشف الغطاء ثورة عشائر الفرات سنة ١٩٣٥ . قال حسن العلوي في كتابه «التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق» (لندن ، ١٩٨٨) ان الشيخ محمد حسين لم يكن يرمي الى اسقاط وزارة ياسين الهاشمي ، بل

حاول أبعد من ذلك القضاء على النهج السياسي السائد . وقد وضع برنامجاً سمّي «الميثاق» استعاد فيه الآراء الاصلاحية القديمة باعتماد نظام برلماني كامل يكون فيه مجلس النواب المنتخب انتخاباً مباشراً حراً المرجع الوحيد لمنح الثقة او سحبها عن الوزراء والوزارة . ودعا الى توزيع السلطة والادارة بصورة دمقراطية وفق النسب السكانية واقامة تعايش دمقراطي بين المواطنين بمنح الحقوق والفرص المتساوية لجميعهم .

وتضمن الميثاق مبادئ أخرى كمساهمة المواطنين في الحكم بلا تمييز وضمان حقوق الأقليات الدينية والمذهبية والعرقية واطلاق حرية الصحافة واصلاح ملكية الأراضي وضرائبها وهلم جرا .

هذا وقد قضي على تمرّد العشائر بشدّة وقسوة لا مثيل لهما .

السيد هبة الدين الشهرستاني

من رجال الاصلاح الديني السيد محمد علي هبة الدين الحسيني الشهرستاني ولد في سامراء في ٢٠ ايار ١٨٨٤ وتوفي ببغداد في ٦ شباط ١٩٦٧ . أصدر مجلة العلم في النجف سنة ١٩١٠ ، وكان وزيراً للمعارف ورئيساً لمجلس التميز الشرعي الجعفري . أوردت ترجمته في «أعلام اليقظة الفكرية» .

قرظ علي الشرقي مجلة «العلم» عند صدورها بقصيدة مطلعها :

آمنت فيك وحبّ العلم ايمان ، فآية العلم انجيل وقرآن

كتب الشهرستاني من كربلاء كتاباً الى السر برسي كوكس في ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ ، وهو يوم وصوله الى بغداد ، يرحب بمقدمه وينتظر منه كل الخير للقطر العراقي . وقد أوضح رغبة الأمة العراقية في السلم والسكون ، وطالب بتنفيذ وعود بريطانية في تحرير العراق واستفتاء أهله في مصير البلاد . وانحى باللائمة على وكيل الحاكم المدني العام السابق السر أرنولد ولسن وحمّله تبعة الاضطرابات والثورة التي حصلت في صيف تلك السنة من جرّاء سياسته الخرقاء (ا هـ) .

وسجن الشهرستاني في الحلة بعد انتهاء الثورة ، فنظم ارجوزة ذكر فيها أسماء رفاقه في السجن ومطلعها :

هاك أسامي نخبة الآفاق من حوكموا في نهضة العراق

سبع وعشرون شيوخ رؤسا وستة من نسل أصحاب الكسا

وأطلق سراحه بعد صدور العفو العام في ٣٠ ايار ١٩٢١ .

قال الدكتور علي الوردي في الجزء الثالث من كتابه «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» ان جمال الدين الأفغاني عاش في عصر الصراع بين القديم والجديد في البلاد الاسلامية ، فحاول ان يوفق بين الآراء وأنشأ مذهبه «التوفيقي» لتقريب الشقّة بين أنصار القديم الجامدين المتزمتين ودعاة النهضة الحديثة . وقد سلك في ذلك مسلك الفلاسفة السابقين ، ولا سيما ابن رشد الأندلسي الذي ارتأى ان الدين حقّ والفلسفة حقّ ، فلا تعارض بينهما . وكان من أعظم تلامذة الأفغاني في هذا المنهج الشيخ محمد

عبده مفتي الديار المصرية .

قال الوردي : «انّ هذا المذهب التوفيقي الذي اتبعه الأفغاني قد تأثر به الكثيرون من بعده ، وكان أول من تأثر به في العراق السيد هبة الدين الشهرستاني ، اذ هو أخرج في عام ١٩١١ كتاباً عنوانه «الهيئة والاسلام» حاول فيه التدليل على ان جميع النظريات الفلكية الحديثة قد وردت في القرآن او وردت على لسان النبيّ والأئمة الاثني عشر» .

ولا ريب ان الشهرستاني عدّ مصلحاً في عصره وشايعته فئة كبيرة من الشبّان الذين وجدوا في كتبه وفي مجلته «العلم» منطلقاً لأذهانهم المتفتّحة . لكن ساطع الحصري الذي عمل معه في وزارة المعارف بعد الحرب العظمى نعى عليه في مذكّراته جموده وآراءه القديمة !

وقارن الدكتور الوردي ايضاً بين جميل صدقي الزهاوي وهبة الدين الشهرستاني ، فقال ان الفرق بينهما كالفرق بين النجف المتزمّتة المنطوية على نفسها وبين بغداد البيئة المتفتحة المنطلقة . كان الشهرستاني في أوائل القرن العشرين من أكثر الناس ولعاً بالمطبوعات المصرية حتى صار مرجعاً لها بين شبان الملائية ومتجدديهم . وقد اتخذ لنفسه حلقة دراسية في جامع الطوسيّ يحاضر فيها في مبادئ العلوم الحديثة التي استمدها من المجلات والكتب المصرية ، فأثار ضجة واتهم بالزندقة !

قال الوردي : «نشأ كل من الزهاوي والشهرستاني نشأة دينية ، إذ كانت أسرتاهما من الأسر الدينية المعروفة . غير ان الشهرستاني ظل محافظاً على عمامته وزيّه الديني حتى آخر يوم من حياته ، بينما خلع الزهاوي عمامته في كهولته ودخل في سلك الأفندية ، وهذا الفرق الظاهري يشير الى ما بينهما من اختلاف ذهني عميق» .

وكان كل من الزهاوي والشهرساني يسير في تجديده الفكري على طريقة تلائم البيئة الاجتماعية التي عاش فيها : فالزهاوي كان شديد الاعجاب بالعلوم الحديثة ويريد من الدين ان يلحق بها ويتفق معها . اما الشهرستاني فكان على النقيض من ذلك شديد التمسك بالدين ويريد من العلوم الحديثة ان تلحق به وتواكبه وتتفق معه .

وفي عام ١٩١٠ نادى الزهاوي بتحرير المرأة ورفع الحجاب عنها ، فقامت عليه في بغداد ضجة كادت تودي بحياته . وفي العام التالي نادى الشهرستاني بتحريم نقل الجنائز ، فقامت عليه في النجف ضجة مماثلة .

قال الوردي ان كل واحد من هذين الرجلين كان ينظر الى الدنيا من خلال اطاره الفكري الخاص به : فالزهاوي يريد ان يقفز بالمجتمع العراقي الى الحياة الحديثة دون

مبالاة بالدين والتقاليد ، بينما كان الشهرستاني يريد عودة المجتمع الى حظيرة الدين بعد تنقيته من الأدران التي لحقت به في العهود المتأخرة . وقد نجحت دعوة الزهاوي أخيراً بينما أخفقت دعوة صاحبه ، لأن التيّار الحضاري جبّار سامق لا يقبل بأنصاف الحلول .

أرجوزة في العقائد

عالج هبة الدين الشهرستاني النظم في شبابه . فمن شعره أرجوزته «مواهب المشاهد في واجبات العقائد» قوله :

ان الكلام أحرف متصّله ... صوتيّة تفيد ما توضع لهْ
وذو الكلام موجد الكلام في ... جسم يؤدّيه وإن كان خفي
والحقّ بالحقّ أبان ما استطر ... فيما يؤدّيه وان كان شجر
فالعرف قاض بثبوت ذاك له ... ولا نرى النفسيّ إذ لن نعقله

ومنها في الآجالٍ :

لا حيَّ غيره يدوم والأجل ... وقت به الحيوان عيشه بطل
محتومة بالطبع والمعلّق ... بعارض فهو كمن يختنقُ
وجاز في المختنق الحياة ... لولا اختناقه كذا الممات

ومنها في المعاد :

يعاد بالمَعَاد في الصّحيح ... اجسادنا مقرونة بالرّوحِ
واتفق الأديان في الرّوحاني ... واختلفوا في صحّة الجسماني
ومقتضى الثبوت ثابت ، وما ... يمنعه قد منعته العُلَمَا
بعد اختيار والعود للاعدام ... او عدم الاعدام للأجسام
والقول بالتّفريق والتخليل ... كما بدا في قصّة الخليل

ثم قال :

قد اقتضى اليقين بالمعاد ... وضع التكاليف على العباد
فمن عصى لو لم يذق عقوبته ... ولم يلاق ضدُّه مثوبته
لو استوت الرّتبة ممن امتنع ... مع الذيَ أطاع وهو ممتنع
ولاقتضى نفي العقاب والعوض ... أن لا يطاع وهو نقض للغرض
والنفس كم لها من البواعث ... تبعث للفسوق والخبائث
فحقّ للحقّ وعيد العاصي ... ووعد من مال عن المعاصيَ

محمد نافع المصرف

قاضي بغداد محمد نافع المصرف ابن علي صائب بن اسماعيل بن ابراهيم بن اسماعيل بن الشيخ ولي قاضي كركوك ، ينتمي الى اسرة طائية . ولد ببغداد سنة ١٨٨٢ ودرس على يحيى الوتري وقاسم البياتي وعلي الخوجة وعبدالمحسن آل بكتاش الطائي ومحمود شكري الألوسي وغيرهم من علماء عصره .

عيّن كاتباً في المحكمة الشرعية سنة ١٨٩٧ ، ثم أصبح قاضياً بناحية جصّان (١٩٠٨) . وعمل بعد ذلك موظفاً في المحكمة الشرعية ببغداد والديوانية . وانتقل رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية في بغداد فكاتباً أول لمجلس التمييز الشرعي السنّي فنائباً لقاضي بغداد . وعيّن قاضياً لمدينة بغداد في كانون الأول ١٩٢٨ ، ثم نقل عضواً بمجلس التمييز الشرعي في تموز ١٩٣٣ . وأعيد قاضياً لبغداد (ايلول ١٩٣٤) فعضواً بمجلس التمييز ايضاً (حزيران ١٩٣٥) .

توفي ببغداد في ١٦ تموز ١٩٣٦ .



عبدالعزيز الشوّاف

قاضي بغداد الشيخ عبدالعزيز بن احمد بن عبدالرزاق ينتمي الى الأسرة العلمية المعروفة التي انجبت كثيراً من رجال الدين والقانون ، وهي تنتمي الى بطن من قبيلة قيس . ولد ببغداد سنة ١٨٩٠ ، ودرس على والده الشيخ احمد وعمه طه الشواف والعالم النحوي عبدالملك الشواف ونجم الدين الواعظ . ثم انتمى الى دار المعلمين فمدرسة الحقوق التي تخرّج فيها سنة ١٩٢٥ .

عهد اليه بالتدريس في مدرسة الأليانس الثانوية في بغداد أعواماً ، فدرّسنا اللغة العربية وآدابها وكان لنا نعم المؤدّب والمثقف . اتصف بالفضل والوقار والأدب الجمّ ، وكان خفيض الصوت إذا تكلم ، غزير العلم ، كثير الحلم ، طويل الأناة ، يرعى تلاميذه ويضرب لهم المثل الطيّب في التواضع والخلق الكريم .

وانتدب بعد ذلك لتدريس البلاغة وعلم الفرائض وأحكام الوقف في جامعة آل البيت . ثم عيّن حاكماً في المحاكم المدنية . تنقل في مناصب القضاء ، فكان عضواً في محكمة جزاء بغداد (١٩٣٢) فمحكمة بداءة البصرة (شباط ١٩٣٣) فالنجف (١٩٣٣) فالموصل . ونقل بعد ذلك قاضياً شرعياً للبصرة (ايار ١٩٣٦) فبغداد (ايار ١٩٤٢) فرئيساً لمجلس التمييز الشرعي السنّي (ايلول ١٩٤٦) فرئيس التفتيش العدلي (كانون الثاني ١٩٤٨) . ونقل في العام التالي عضواً بمحكمة استئناف البصرة ، فحاكماً لبداءة العمارة (تشرين الأول ١٩٥٠) . واعتزل الخدمة بعد ذلك .

انصرف عبدالعزيز الشوّاف بعد تقاعده الى التدريس في جامع الأحمدية (١٩٥٦) وعيّن اماماً في جامع المصرف . وعمل في جمعيات البرّ والثقافة وكان رئيساً لجمعية الهداية الاسلامية . وقد أدركته الوفاة ببغداد في ١٦ كانون الأول ١٩٧٠ .

وهو والد الشاعر خالد الشواف .

كان عبدالعزيز الشوّاف الحاكم والقاضي عنوان العفّة والنزاهة . وقد وضع مباحث في «الوقف في الاسلام» .

رثاه جمال الدين الألوسي قال : «أبا خالد ، لقد فارقتنا على غير انتظار ، واستلّك الموت من بيننا فجأة وأنت بكامل عقلك . ولم يطل مرضك .

وإذا المنيّــــة أنشــــبت أظفـــارها   ألفـــيت كل تمـــيـــمـــة لا تنفع» .

عبدالقادر الخطيب

الشيخ عبدالقادر بن عبدالرزاق بن صفر آغا القيسي خطيب الامام الأعظم ولد في بغداد سنة ١٨٩٥ وتخرج في دار المعلمين على العهد العثماني وزاول التعليم . ودرس في الوقت نفسه دراسة دينية . ولما اعلنت الحرب العظمى وخاضت الدولة التركية غمارها دعي الى الخدمة العسكرية وأرسل الى استانبول ومنح رتبة ضابط احتياط . وجاء الى الموصل سنة ١٩١٧ فعيّن معلماً ، وانتهز الفرصة فأتم دراسته على الشيخ محمد الرضواني وأحمد الجوادي . ثم عاد الى بغداد بعد الهدنة ولازم علماءها عبدالوهاب النائب ويحيى الوتري وعبدالمحسن الطائي وقاسم القيسي وأمجد الزهاوي فتخرّج عليهم واختص بعلم القراءات .

عيّن خطيباً لجامع الامام الأعظم سنة ١٩٢٩ ، وعهد اليه بتدريس التجويد . ثم أصبح مدرساً للروضة القادرية ورئيساً لرابطة علماء العراق .

ادركته الوفاة ببغداد في ٨ ايلول ١٩٦٩ . وهو عمّ جميل عبدالوهاب وزير الشؤون الاجتماعية في العهد الملكي ، وكان أبوه الشيخ عبدالرزاق من أئمة الجوامع المعروفين .

ابو القاسم الخوئي

المجتهد الجعفري آية الله العظمى السيد ابو القاسم بن علي أكبر الموسوى الخوئي ولد في بلدة خوي من أعمال آذربيجان الايرانية في ١٩ تشرين الثاني ١٨٩٩، ووفد على النجف للدراسة وعمره ١٣ سنة فاتخذها مقاماً له طول حياته.

درس على كبار علماء عصره ونال درجة الاجتهاد فانصرف الى التدريس والتأليف. وتقدم في مسلكه حتى أصبح في مقدّمة العلماء المقلّدين في العراق وايران وسائر أنحاء العالم الشيعي بعد وفاة السيد محسن الحكيم سنة ١٩٧٠.

وضع الخوئي كتباً كثيرة، منها: رسالة في اللباس المشكوك (١٩٤٢)، مصباح الفقاهة (في جزءين، ١٩٥٤ - ١٩٥٩)، البيان في تفسير القرآن (وقد ترجم الى الانكليزية)، توضيح المسائل، محاضرات في الأصول، المسائل المنتخبة، دراسات في الأصول العملية، الدرر الغوالي في فروع العلم الاجمالي، دروس في فقه الشيعة (١٩٥٩)، نفحات الاعجاز (١٩٦٣) الخ. وله رسائل بالفارسية ايضاً.

كان الخوئي صديقاً للزعيم الايراني روح الله الخميني في أثناء اقامته في النجف (١٩٦٥ - ١٩٧٨). ولما نشبت الحرب العراقية - الايرانية في ايلول ١٩٨٠ لم يعارضها علناً، لكنه لم يؤيدها بالرغم من محاولات السلطات الحاكمة. وظل قابعاً في عزلته بالنجف، منصرفاً آلى شؤون الدين لا يرى الانغماس في السياسة.

على أثر ثورة النجف في أعقاب نهاية حرب الخليج وتحرير الكويت ألف مجلساً لتولي شؤون الحكم في ١٨ آذار ١٩٩١. لكن رئيس الجمهورية صدام حسين أخمد الثورة بالعنف الشديد فوراً، وفي ٢١ منه استقدم الخوئي الى بغداد مع عدد من المجتهدين وأرغمه على الظهور معه على شاشة التلفزيون، ثم سمح له بعد يومين بالعودة الى النجف.

وقد قضى أيامه الأخيرة مريضاً في الكوفة، وأدركته الوفاة فيها في ٨ آب ١٩٩٢. وأسست باسمه مؤسسة الخوئي لتقوم بأعمال البرّ والثقافة في العراق وايران ولبنان وبنغلاديش وسائر اقطار الشيعة، وافتتحت فروع لها في لندن ونيويورك وبومبي وكراجي.

في مقال عن «شيعة العراق : تصورات للمستقبل» نشرته مجلة «الموسم» في عددها ١٤ لسنة ١٩٩٣ ذكر ان مرجع الشيعة الامامية الأعلى في مختلف أنحاء العالم هو الامام ابو القاسم الخوئي المقيم في النجف ، وأكثرية الشيعة في ايران من أتباعه .

وتتميز مرجعية الامام الخوئي بأنه لا يذهب الى «ولاية الفقيه» التي قامت عليها الثورة والحكومة الاسلامية في ايران . وولاية الفقيه هي العنصر الأساسي الذي خوّل الامام روح الله الخميني ان يقيم الحكم الاسلامي في ايران ، والكثير من علماء الشيعة في العراق وايران ولبنان يخالفون هذا المبدأ ويرون بعد ولائهم للاسلام «ولاية الأمة على نفسها» ، وهو المصطلح الذي يقابل «سيادة الشعب» في أنظمة الحكم الحديثة .

وقال كاتب المقال ان الخوئي لا يرتضي اسلوب الارهاب والعنف في الدعوة الى الله ويخالف كل ما اتبع من وسائل الارهاب والعسف في حقوق الناس في أي موضع كان ، بل هو يتبع مبدأ القرآن الكريم «ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» . ويفضل اتباعه الوصول الى الحكم عن طريق الاختيار الشعبي للأصلح ، وهو سبيل الديموقراطية وحقوق الانسان .

ثم قال : كان الخوئي معارضاً لشاه ايران والحكم في العراق طيلة فترة زعامته الدينية ، لكنه لم يسلك في معارضته لهما طريق الثورة والعنف بل طريق النقد البنّاء والمعارضة الايجابية . ويفضل ان يقوم الحكم في ايران والعراق على العدالة والمساواة واختيار الشعب لحكامه بحرية تامة . واتباعه في العراق لا يمانعون في ان يكون الحاكم العراقي سنياً او شيعياً ، عربياً ام كردياً ، إذا تم اختياره عن طريق الانتخاب الحرّ المباشر .

ماربولص الثاني شيخو

بطريرك بابل على الكلدان بولص بن ججّو شيخو ولد في قرية ألقوش في أنحاء الموصل في ١٩ تشرين الثاني ١٩٠٦ . درس في الكلية البطريركية بالموصل والمعهد الشرقي في روما ، وحاز على الدكتوراه في العلوم الشرقية . وقد رسم كاهناً سنة ١٩٣٣ وعهد اليه التدريس في الكلية البطريركية ، وأصبح مديراً لها (١٩٣٨ - ١٩٤٧) . ورسم مطراناً لعقرة (١٩٤٧) فحلب (١٩٥٧) . وفي سنة ١٩٥٨ أختير بطريركاً للطائفة الكلدانية على أثر وفاة يوسف السابع غنيمة .

وضع مؤلفات منها : مختصر تأريخ الكنيسة الكلدانية (١٩٣٥) ، العقوبات الاكليروسية في القانون القديم للكنيسة الكلدانية (بالفرنسية ، طبع في روما سنة ١٩٣٥) ، الأديرة في مملكتي الفرس والعرب (ترجمة عن الكلدانية ، ١٩٣٩) ، الخ .

توفي في بغداد سنة ١٩٨٩ .

الشيخ يونس السامرائي

يونس بن الشيخ ابراهيم بن محمد بن خلف ينتمي الى قبيلة البو عباس الحسينية . ولد في سامراء في ٩ تشرين الأول ١٩٣٤ ودرس في المدرسة العلمية الدينية ببلده ، ولازم علماء سامراء احمد الراوي وعبدالوهاب البدري وعبدالعزيز سالم السامرائي وايوب توفيق الخطيب وغيرهم ونال الاجازة في علوم الدين . عين اماماً وخطيباً في جامع القلعة بسامراء سنة ١٩٥٨ ، ونقل في سنة ١٩٦٥ الى جامع السامرائي في بغداد الجديدة . وعين مفتشاً لمساجد بغداد في وزارة الأوقاف (١٩٧٦) واختير عضواً في المجلس العلمي لوزارة الأوقاف وفي هيئة تحرير مجلة «الرسالة الاسلامية» التي تصدرها الوزارة (١٩٨٠) .

أصدر في سامراء مجلة باسم «سامراء» (١٩٦٣) ومجلة «صوت الاسلام» (١٩٦٤) ونقل هذه الأخيرة الى بغداد وواصل اصدارها الى سنة ١٩٦٨ .

مؤلفاته : الاسلام والقومية العربية (١٩٦٠) ، تأريخ عشائر سامراء (١٩٦٠) ، الفروق (١٩٥٨) ، النفحات الربانية في الأحاديث القدسية (١٩٥٧) ، الاسلام والقومية العربية (١٩٦٠) ، بطولات اسلامية (١٩٦٧) ، تأريخ الدور قديماً وحديثاً (١٩٦٦) ، تأريخ مدينة سامراء (٣ أجزاء ، ١٩٦٨ - ١٩٧٣) ، حكمة التشريع الاسلامي (١٩٦٦) ، الأزياء الشعبية في سامراء (١٩٦٩) ، تأريخ علماء سامراء (١٩٦٦) ، الكنايات العامية في سامراء (١٩٦٨) ، تأريخ شعراء سامراء (١٩٧٠) ، مخطوطات سامراء (١٩٧٣) ، ثورة العشرين في سامراء (١٩٧٣) ، الكنايات القرآنية (١٩٧٥) ، الصوفي بهلول الكوفي (١٩٧٦) ، الجنيد البغدادي (١٩٧٧) ، حقائق عن آل البيت والصحابة (١٩٧٨) ، السيد أحمد الرفاعي (١٩٧٠) ، ألف كلمة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب (١٩٧٣) ، البطل الغالب الامام علي بن أبي طالب (١٩٧١) ، تراث سامراء (١٩٧٤) ، تأريخ الطرق الصوفية (١٩٧٧) ، تأريخ مساجد بغداد (١٩٧٧) ، عقود الجواهر في سلاسل الأكابر

(تحقيق ، ١٩٧١) ، العارف بالله معروف الكرخي (١٩٧٩) ، القراء البغداديون (١٩٨٠) ، تأريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري (١٩٨٢) ، الخ .

وله مؤلفات أخرى مخطوطة في خطط بغداد وتأريخ الأوقاف والمراقد والتراجم والتصوف الاسلامي .

أدركه الحمام في بغداد سنة ١٩٩١ .

اضافات



السيد ابو الحسن الاصفهاني

ترجمت في الجزء الثاني من هذا الكتاب سيرة المرجع الامامي الأكبر في عصره السيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني . وأضيف انه ينتمي الى أسرة دينية معروفة في ايران ، وهو ابن السيد محمد دفين خونسار ابن عبدالحميد دفين بهبهان . ولد السيد ابو الحسن في اصفهان سنة ١٨٦٧ ، ودرس على علماء بلده . ثم قدم النجف سنة ١٨٩٢ فواصل دراسته على شيوخه حبيب الله الرشتي ومحمد كاظم الخراساني ومحمد القاشاني ومحمد تقي الشيرازي وحسن الصدر وشيخ الشريعة الاصبهاني .

وكانت وفاته ، كما ذكرت ، في الكاظمية في ٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ .

عبدالحق حقي الأعظمي

ذكرته في الجزء الأول (ص ٩٢) . أورد ترجمته يونس الشيخ ابراهيم السامرائي في كتابه «تأريخ علماء بغداد» فقال انه عبدالحق حقي بن السيد عبدالله بن عثمان . ولد في الأعظمية ، وكان جده السيد عثمان خطيب جامع الامام الأعظم . درس عبدالحق على نعمان خيرالدين الألوسي . وقصد الهند وزار علماءها ثم زايلها الى مصر وغشي مجالس العلم في أروقة الأزهر . وعاد ثانية الى الهند فدرّس اللغة العربية في كلية عليكرة سنة ١٩٠٨ . وزار الشيخ محمد رشيد رضا صاحب «المنار» الهند سنة ١٩١٢ فرافقه عبدالحق مترجماً لخطبه ومحاضراته . ووضع رسالة في هذه الرحلة طبعت في الهند سنة ١٩١٢ نفسها بعنوان «الكهف والرقيم في ملخص رحلة المصلح العظيم والمجدد الحكيم» .

عاد عبدالحق الى الأعظمية قبيل الحرب العالمية الأولى ثم رجع الى الهند . وقصد مكة سنة ١٩٢٤ لأداء فريضة الحج وأدركته الوفاة فيها . وقد ترجم بعض قصائد محمد اقبال من اللغة الأوردية الى العربية . وله شعر ، نشرت مجلة «اليقين» بعض قصائده سنة ١٩٢٣ .

بهاء الحق الهندي

ذكرت في ترجمته في الجزء الثاني من هذا الكتاب انه توفي ببغداد في نحو سنة ١٨٨٣ . والصحيح انه توفي سنة ١٩١٢ كما ذكر ذلك عباس العزاوي في كتابه «تأريخ علم الفلك في العراق» . وقال انه كان عالماً في الفلك القديم (الهيئة) .

عبد الحق فاضل وأكرم فاضل

تكلمت عنهما في الجزء الأول من هذا الكتاب في ذيل ترجمة والدهما الشاعر فاضل الصيدلي ، ولعلّي لم أفهما حقهما . فأضيف الى ذلك ما يلي :

عرف عبدالحق فاضل أديباً قصصياً وموظفاً دبلوماسياً ، وفي آخر الأمر عالماً لغوياً . نشر قصصه في بادئ الأمر في مجلة «المجلة» الموصلية التي تولى تحريرها سنة ١٩٣٩ - ١٩٤٠ . وأصدر مجموعات قصصية : مجنونان (رواية ١٩٣٩) ، مزاح وما أشبه (١٩٤٠) ، طواغيت (١٩٥٨) ، حائرون (١٩٥٨) ، ٤ نساء و٣ ضفادع (مسرحية ١٩٦٨) .

قال الدكتور داود سلوم في كتابه «تطور الفكر والأسلوب في الأدب العراقي» ان عبدالحق فاضل نجح في قصته الطويلة الأولى «مجنونان» الى درجة كبيرة في التركيز وفي التحليل لمشاعر أبطاله ، ولم يكن فيها فشل في الأسلوب والحوار ولا في الموضوع والمحتوى والخيال . اما المجموعة الثانية «مزاح وما أشبه» فقال فيها الدكتور سلوم ان أحسن ما فيها قصة «مزاح» تتناول رجلاً متزوجاً رأى في منامه زوجته وقد تركته وخانته ثم ندمت وأرادت العودة اليه فقال : هل يمكن نسيان ما حدث لمجرّد الندم؟ قالت : ان الجسد لا قيمة له وهي قد وهبته روحها . وهي قصة يبعد ان تقتبس من بيئة عراقية يعيش فيها الكاتب .

مضى عبدالحق الى المغرب بعد سقوط الحكم القاسمي سنة ١٩٦٣ فصرف

اهتمامه الى المباحث اللغوية وأصدر كتابه «مغامرات لغوية» . وقد أشاد عبدالعزيز بن عبدالله المدير العام للمكتب الدائم لتنسيق التعريب المؤسس في مدينة الرباط في المغرب برعاية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليسكو) من الوكالات المتخصصة العاملة في نطاق جامعة الدول العربية ، بجهود عبدالحق فاضل ووصفه بـ «مفخرة العراق والعرب» ، وقال انه يعمل في مكتب تنسيق التعريب وينتمي الى أسرة تحرير مجلة «اللسان العربي» التي يصدرها المكتب .

قال صفاء خلوصي ان عبدالحق فاضل عرّب كثيراً من الألفاظ التي لا مقابل لها في العربية ، مثلاً : الحاسوب (كمپيوتر) الكاتوبة (للآلة الطابعة) اكتوبة (للرسالة القصيرة) . لكن هذه الألفاظ لم تجد سبيلها الى الاستعمال .

وقال سالم الألوسي مدير الثقافة العام في وزارة الاعلام ان عبدالحق ، على مدى تجاوز نصف القرن ، قد أثرى بقلمه الحرّ المكتبة العراقية والعربية بالعشرات من الدراسات والبحوث والروايات والقصص والتصانيف القيمة في اللغة والتراث والشعر . وقال انه ، اضافة الى كونه لغوياً بارزاً ومترجماً بارعاً وكاتب قصة ورواية ، شاعر كبير ، وليس ذلك بغريب على ابن فاضل الصيدلي الشاعر الوطني والقومي .

وقد عاد عبدالحق فاضل الى بغداد بعد نحو من عشرين سنة في المغرب وتوفي في العاصمة العراقية سنة ١٩٩٣ .

الدكتور أكرم فاضل

بذل الدكتور أكرم فاضل جهوداً موفقة في ترجمة الآثار التي لها صلة بالعراق والعرب ، لا سيما المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي ، ذلك المعجم المهم الذي ألفه دوزي (١٨٢٠ - ١٨٨٣) الاستاذ في جامعة ليدن ونال به جائزة المعهد الملكي الهولندي سنة ١٨٤٣ . وقد علّق عليه المترجم تعليقات مفيدة .

وترجم الدكتور اكرم ايضاً بعض بحوث لويس ماسنيون عن الحلاج الفيلسوف المتصوّف الذي قتل سنة ٩٢٢م متهماً بالكفر . وقد سجن الحلاج وضرب وعذّب وهو

صابر لا يتأوه . وقطعت أطرافه الأربعة بأمر الخليفة المقتدر العباسي ، ثم حزّ رأسه وأحرقت جثته وألقي رمادها في دجلة . وقد كتب احمد حامد الصراف مقالاً عن الحلاج في جريدة «الأهالي» سنة ١٩٣٢ او ١٩٣٣ فردّ عليه بعض المتزمتين وحرّضوا عليه العوام ، فاضطرّ ان يغادر بغداد ويختفي أياماً حتى سكنت الفتنة .

كان الدكتور اكرم ، وقد قضى سنوات طويلة مديراً للفنون والثقافة الشعبية بوزارة الاعلام ، كثير الاهتمام بأصحاب هذه الفنون يساعدهم ويرعاهم ما وسعه ذلك . وقد اكتشف فنّانا شعبياً بائساً شبه أميّ اسمه منعم فرات تخرج على نفسه يصنع الدمى والتماثيل الصغيرة من الطين المجفف او فتات الخبز اليابس المنقوع في الماء . وقد التزمه الدكتور اكرم في كهولته ورعاه وكتب عنه . دعسته سيارة مسرعة وهو يعبر الشارع في بغداد فقضى نحبه في آب ١٩٧٢ . وسألني اكرم ان أقول شيئاً فيه ، فقلت :

أسفاً على الفنّ البدائي	فنّ أصيل لا يرائي
يحكي الطبيعة في مداها	كالماء صفواً والهواء
لا زيغ فيه ولا خيالاً	غير الحقيقة والجلاء
بل منظر سمح جميل	يغشى العيون بلا عناء
قد أبدعته يد صُنَاع	يد عامل جمّ العطاء
نحتت من الأحجار شكلاً	قرن السذاجة بالبهاء
أسفاً على الفنّان يمشي	والفكر مشغول ونائي
حلم يراوده وشيكاً ،	والعين ترنو للسماء
فاذا الردى ينقضّ جهماً	يقضي عليه بالفناء

وقد توفي أكرم فاضل في بغداد سنة ١٩٨٧ .

الدكتور علي الوردي

وردت ترجمته في الصفحات ٥٥٠ - ٥٥٢ من الجزء الثاني . وقد ذهب الى عمان مستشفياً ، فلما اشتدّ عليه المرض أعيد الى بغداد ، فتوفي بها في ١٧ تموز ١٩٩٥ .

وقد ذكر الدكتور جليل العطية ان الوردي ينتسب الى أسرة علمية تعرف بـ «بيت

آل الورد» جدّها السيد هاشم بن جواد أبي الورد المتوفى في نحو ١٨٤٨ . وجاء هذا اللقب منسوباً الى تقطير ماء الورد . وقال العطية ان الوردي درس في مدارس بلدته الكاظمية ، واضطرته ظروفه الاقتصادية ان يترك مقعد الدراسة في صباه خمس سنوات ليعمل مساعداً لأحد العطارين . ثم واصل دراسته ، وأوفدته الحكومة العراقية للدراسة في جامعة بيروت الأميركية ، فتخرج فيها سنة ١٩٤٣ . ومارس التدريس في المدارس الثانوية . وأوفد بعد ذلك الى جامعة تكساس فنال شهادة الماجستير (١٩٤٨) والدكتوراه في علم الاجتماع (١٩٥٠) ، وكان موضوع اطروحته ابن خلدون .

ولما عاد الى بغداد عين مدرساً في كلية الآداب (تشرين الأول ١٩٥٠) فاستاذاً مساعداً (١٩٥٣) . ورقّي سنة ١٩٦٢ الى مرتبة استاذ حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٧٠ . ووضع كتابه «لمحات اجتماعية في تأريخ العراق الحديث» في ٨ أقسام صدرت سنة ١٩٦٩ - ١٩٧٨ .

ووضع مذكرات أوصى ان تنشر بعد وفاته .

حلّل الوردي طبيعة المجتمع العراقي في مدنه وريفه وباديته فارتأى ان الفرد العراقي مزدوج ، بل مثلّث الشخصية ، تصطرع نفسه بين الحضارة الجديدة ذات القيم المادية ، والبداوة القديمة بما يلازمها من نخوة وكرم وتعلّق بالغزو والثأر والعصبية القبلية ، ثم الزواجر الدينية الآمرة بالمعروف والصبر والعدل وطاعة ولي الأمر . لذلك كان المجتمع متموّجاً لا يستقرّ على حال ، ينهض ويكبو ، ويندفع ويتردّد ، ويهيج ويسكن ، ويتحمس ويتهاون ، ويميل ذات اليمين وذات اليسار . وقد فازت أساليب الحضارة بما جلبته من ثروة وراحة ورخاء شيئاً فشيئاً ، لكنها بقيت في معظم الأحيان طلاء سطحياً تختفي تحته القيم البدوية السابقة .

وقد دعا الوردي الى الاصلاح الجذري ومعالجة الادواء الاجتماعية بنهج علمي وتثقيفي .

وأنهى قبل وفاته سنة ١٩٩٥ كتاب «طبائع البشر» ووصفه بأنه مشروع العمر ولم يهيّأ له طبعه قبل وفاته . وهو يتناول البحث في موضوع الانسان وقدره في الحياة ودوره في صياغتها ورسم أبعاد وجوده فيها .

ميخائيل عوّاد

توفي في بغداد في أواخر تشرين الأول ١٩٩٥ . وضع مؤلفات أخرى ، منها : الشعر العربي ١٩٧١ - ١٩٧٢ (١٩٧٢) ، يحيى الواسطي شيخ المصورين في العراق (١٩٧٢) ، الموسيقى والغناء في العراق في العصر العباسي (١٩٧٨) ، صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي (١٩٨١) . أصبح عضواً في المجمع العلمي العراقي (١٩٧٩) ، وعضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني (١٩٨٠) .

عبدالعزيز الجواهري

ذكرت في الجزء الأول من «أعلام الأدب في العراق الحديث» ان عبدالعزيز الجواهري توفي سنة ١٩٧٦ نقلاً عن أخيه محمد مهدي الجواهري . ثم قرأت في مجلة «الموسم» (العدد ٢٣ - ٢٤ لسنة ١٩٩٥) ان وفاته كانت في طهران في أواخر ذي القعدة ١٤٠٦ هـ أي في تموز ١٩٨٦ .

معروف الرصافي وأم كلثوم

قلت في الجزء الثاني من «اعلام الأدب» في ترجمة مصطفى علي (صفحة ٥٠٣) ان معروف الرصافي لم ينظم شيئاً في سيدة المطربات المصريات أم كلثوم . وقد نبهني الدكتور زكي الصراف الى ذلك الخطأ ، فراجعت ديوان الرصافي شرح وتحقيق مصطفى علي (الجزء الرابع) ، ١٩٧٦) ، فإذا براوية الرصافي يقول ان له قصيدة في أم كلثوم أنشدها في مأدبة أدبها لها فريق من الأدباء ببغداد في مساء ٣ كانون الأول ١٩٣٢ . ومطلع القصيدة :

ام كلثـــــوم في فنـون الأغـــــاني أمّـــة وحـــدها بهـــذا الزمـــان
هي في الشـــرق وحـــدها ربّة الفنّ فـــــمـــــــا ان لـلـفـن ربّ ثـان
ذاع من صـــوتهـا لهـا اليـوم صـيت عـمّ كـل الأمــــصـــــار والبـلـدان

وزار الرصافي القاهرة في آذار ١٩٣٦ في وفد نيابي ، فأخذ له صورة مع أم كلثوم نشرتها الصحف المصرية وذلك في حفلة اقامتها المطربة للضيوف العراقيين في دارها بالزمالك .

محمد بهجت الأثري

توفي مـحـمـد بـهـجت الاثري في بغـداد في ٣١ آذار ١٩٩٦ عن ٩٤ عـاماً . كـان شاعراً مجيداً وناثراً شديد العناية باللغة والبيان الأنيق . وقد قال في لغة الضاد :

سـلام على أمّ اللغـات على المـدى سـلام أخـيـذ بالجـمـال هَيـوم
مـشـوقٍ الى الجرس الرقـيق ومُـفـصِـحٍ من اللفظ منســوج البـيـان رخـيـم

محمد باقر الصدر

محمد باقر بن حيدر بن اسماعيل الصدر ولد في الكاظمية في ٢ آذار ١٩٣٥ .

خالد ابراهيم الدرّة

توفي ببغداد في ٥ آذار ١٩٩٦ عن ٨٨ عاماً .

بلند الحيدري

أصيب بنوبة قلبية عجّلت بوفاته في لندن في ٦ آب ١٩٩٦ .

عبدالرزاق الناصري

أصدر جريدة يومية في البصرة باسم «آخر ساعة» (١٩٤١) ووالى اصدارها الى وفاته سنة ١٩٤٦ . وقد ولد في البصرة سنة ١٩٠٦ وتوفيّ بها في ٩ شباط ١٩٤٦ .

نازك الملائكة

ألفت «سايكولوجية الشعر» (١٩٩٣) . وهي تحت العلاج في القاهرة (١٩٩٦) .

لها ايضاً : التجزيئيّة في المجتمع العربي (١٩٧٤) ، الشمس التي وراء القمة (قصص ، القاهرة ١٩٩٧) ، وقد أعيد طبع كتابها «يغيّر ألوانه البحر» في القاهرة سنة ١٩٩٩ .

مجيد خدوري

ألف بالانكليزية «حرب الخليج : الأصول والمضامين للصراع العراقي» (نيويورك ١٩٨٨) .

الدكتور صالح أحمد العلي

تنّحى عن رئاسة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٩٦ .

أميرة نور الدين

أصبحت عضواً في المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٩٦ .

عبد الوهاب البياتي

نشر الشاعر عبد الوهاب البياتي مجموعتين شعريتين : بستان عائشة (١٩٨٩) ، كتاب المراثي (١٩٩٥) . وقد قال في لقاء له نشر في مجلة «النور» اللندنية (نيسان ١٩٩٧) :

«صدرت الطبعة الأولى من «بستان عائشة» عام ١٩٨٩ أي قبل وفاة ابنتي . ومعظم قصائد هذا الديوان كتبتها في اسبانيا أثناء اقامتي فيها التي استمرت اكثر من عشر سنوات . و«بستان عائشة» هو رمز لأرض الهلال الخصيب التي كانت حاضنة لبذور الحضارة العربية ، فمنها واليها كان يتردد الرسل وبعض الشعراء . ولهذا فإن النضوج الفكري والحضاري قد حقق الكثير بعد ظهور الاسلام . وعائشة رمز زمني وأبدي ، زمني لأنه اسم امرأة من لحم ودم ، ثم تطور هذا الرمز فأصبح رمزاً أبدياً يمتد من عشتار السومرية الى عشتروت الفنيقية التي تحول اسمها الى عائشة بعد ظهور الاسلام . وقد كنت أرى التأريخ من خلال الزمان والمكان بشكل أوضح أثناء كتابة قصائد المجموعة في اسبانيا في الركن الغربي من البحر المتوسط المواجه للركن الشرقي منه . وقد كان

هذا البحر ذات يوم شبه بحيرة عربية .

«اما بعد موت ابنتي فقد التصقت بالموت ، ووضعتني التجربة على باب «كتاب المراثي» ، فكتبت هذه المجموعة . وهي ليست مراثي لأشخاص بل مراثٍ لعصر بأكمله» .

وألف البياتي أيضاً : نهر المجرّة (شعر طبع في القاهرة ١٩٩٨) ، ينابيع الشمس (نثر ، دمشق ١٩٩٩) .

توفي عبد الوهاب البياتي في دمشق في ٣ آب ١٩٩٩

حسين مردان

نشر علي جواد الطاهر (١٩١٩ - ١٩٩٦) الاستاذ النقادة المعروف مجموعة مقالات وأشعار لحسين مردان في كتاب بعنوان «من يفرك الصدأ» او «حسين مردان شاعراً وناثراً» (صدر ببغداد سنة ١٩٨٨) .

قال علي جواد الطاهر : «حسين مردان شاعر ، وشاعر معدود مشهور في العراق وجريء ومجدّد . وهو الى ذلك محبوب حلو المعشر . بدأ حياته على جانب كبير من فقر الجيب ، واختار لنفسه التشرّد . وإذا كان ميلاده وعيشه الأول في بلدة صغيرة ، فإنه جازف بنفسه فألقى بها في بغداد مستعداً لكل ما هو يطرأ ويفجأ ، وهمّه الأول ان يكون أديباً شاعراً... لا يشكّ أحد في موهبته الأدبية» .

حسين الرحال

هو ابن المير آلاي علي صائب الرحال من ضباط الجيش العثماني .

محمد مهدي الجواهري

غادر الجواهري العراق نهائياً سنة ١٩٧٩ وعاش في الشام . وأدركته الوفاة في دمشق في ٢٧ تموز ١٩٩٧ .

وقد اختلف الرواة في سنة مولده ، فذكرت سنة ١٩٠٣ وغيرها . وأصحّ الأخبار هو ان محمد مهدي الجواهري ولد ليلة ١٧ ربيع الأول ١٣١٧هـ ، كما ذكر ذلك جعفر الشيخ باقر آل محبوبة في الجزء الثاني من كتابه «ماضي النجف وحاضرها» المطبوع في النجف سنة ١٩٥٥ . والتأريخ المذكور يوافق يوم الأربعاء ٢٦ تموز ١٨٩٩ كما ذكرت في ترجمته في الجزء الأول من «اعلام الأدب في العراق الحديث» (ص ١٨٠) . فيكون الجواهري قد عمّر ٩٨ سنة تماماً .

أعلام اليهود

عن احبار اليهود والادباء والصحفيين يرجى مراجعة كتابي «أعلام اليهود في العراق الحديث» (في جزءين ١٩٨٣ و١٩٩٣) .

طه باقر

ولد سنة ١٩١٢ . وقد أحيل على التقاعد سنة ١٩٦٣ ، ثم عين سنة ١٩٦٥ خبيراً فنياً في مصلحة الآثار الليبية ، وأصبح في السنة التالية مستشاراً في المصلحة نفسها .

عاد الى العراق سنة ١٩٧٠ وأصبح استاذاً بقسم الآثار في كلية الآداب . واختير عضواً بالمجمع العلمي العراقي سنة ١٩٧١ ، وشارك في مؤتمرات آثارية ، منها مؤتمر

الآثار المعقود في ليبية (١٩٧٢ ـ ٧٣) .

ترأس طه باقر تحرير المجلة الآثارية «ليبية القديمة» سنة ١٩٦٥ ـ ٧٠ ، وتولى التنقيب عن الآثار في ليبية في اثناء عمله فيها ، ونشر بحوثاً ومقالات عن الآثار الليبية باللغتين العربية والانكليزية .

وتوفي في بغداد في ٢٨ شباط ١٩٨٤ .

كمال عثمان

كتب اليّ سالم الألوسي من بغداد ان الشاعر كمال عثمان توفي خلال أحداث سنة ١٩٩١ في بغداد وبقي جثمانه اكثر من اسبوع في داره لا يشعر به أحد . ولما علم بوفاته حاول الألوسي الحصول على أوراقه وشعره لنشرها لكن لم يحالفه التوفيق .

الدكتور مصطفى جواد

نشر له مجموعة مقالات وبحوث جمعها وقدّم لها الدكتور محمد عبدالمطلب البكّاء ، وطبعها في بغداد سنة ١٩٩٨ بعنوان «في التراث اللغوي» .

عبدالرزاق الحسني

توفي السيد عبدالرزاق الحسني في بغداد في ٢٤ تشرين الاول ١٩٩٧ عن ٩٤ عاماً بعد مرض عضال ألزمه الفراش سنوات .

تقلد عبدالرزاق الحسني وظائف عديدة منها مدير خزينة في محافظات ديالي والكوت والحلة وبغداد وذلك من ١٩٣٥ الى ١٩٤٦ . ونقل في هذه السنة مدير

حسابات في مديرية الريّ العامة ، ثم نقل الى ديوان مجلس الوزراء سنة ١٩٤٩ ليتفرّغ لتدقيق الوثائق وتحرير تأريخ العراق السياسي الحديث . وأحيل على التقاعد سنة ١٩٦٣ .

وضع مؤلفات زادات على الخمسين أبرزها كتابه الضخم «تأريخ الوزارات العراقية» الذي أعيد طبعه مراراً مزيداً ومصححاً . وله ايضاً : تأريخ العراق السياسي ، ثورة العشرين ، العراق في ظلّ المعاهدات ، تأريخ الصحافة العراقية ، موجز تأريخ البلدان العراقية ، الجبهة الوطنية في العراق وجذورها التأريخية ، تأريخ الاحزاب السياسية في العراق ، الاسرار الخفية في حركة ١٩٤١ التحررية ، الخ . وقد أصبحت النصوص والوثائق والمراسلات المنشورة في كتبه أهمّ مصدر لتأريخ العراق السياسي في عهد الانتداب والاستقلال .

ووضع ايضاً كتباً عن الصابئة واليزيديين والبهائيين والشبك والخوارج الذين يعيشون في بعض مناطق العراق .

عاتكة وهبي الخزرجي

توفيت الشاعرة عاتكة وهبي الخزرجي في اسكوتلاندة في اوائل تشرين الثاني ١٩٩٧ ونقل جثمانها الى بغداد ليوارى التراب فيها . وكانت قد عولجت من المرض في عمّان ، ثم نقلت الى مستشفى في استكوتلاندة لاستكمال علاجها فأدركتها الوفاة هناك .

وفيات

توفي الدكتور عبدالرزاق محيي الدين في بغداد في ٢٨ نيسان ١٩٨٣ .

وتوفي محمد سليم النعيمي في بغداد في ٢ آذار ١٩٨٤ .

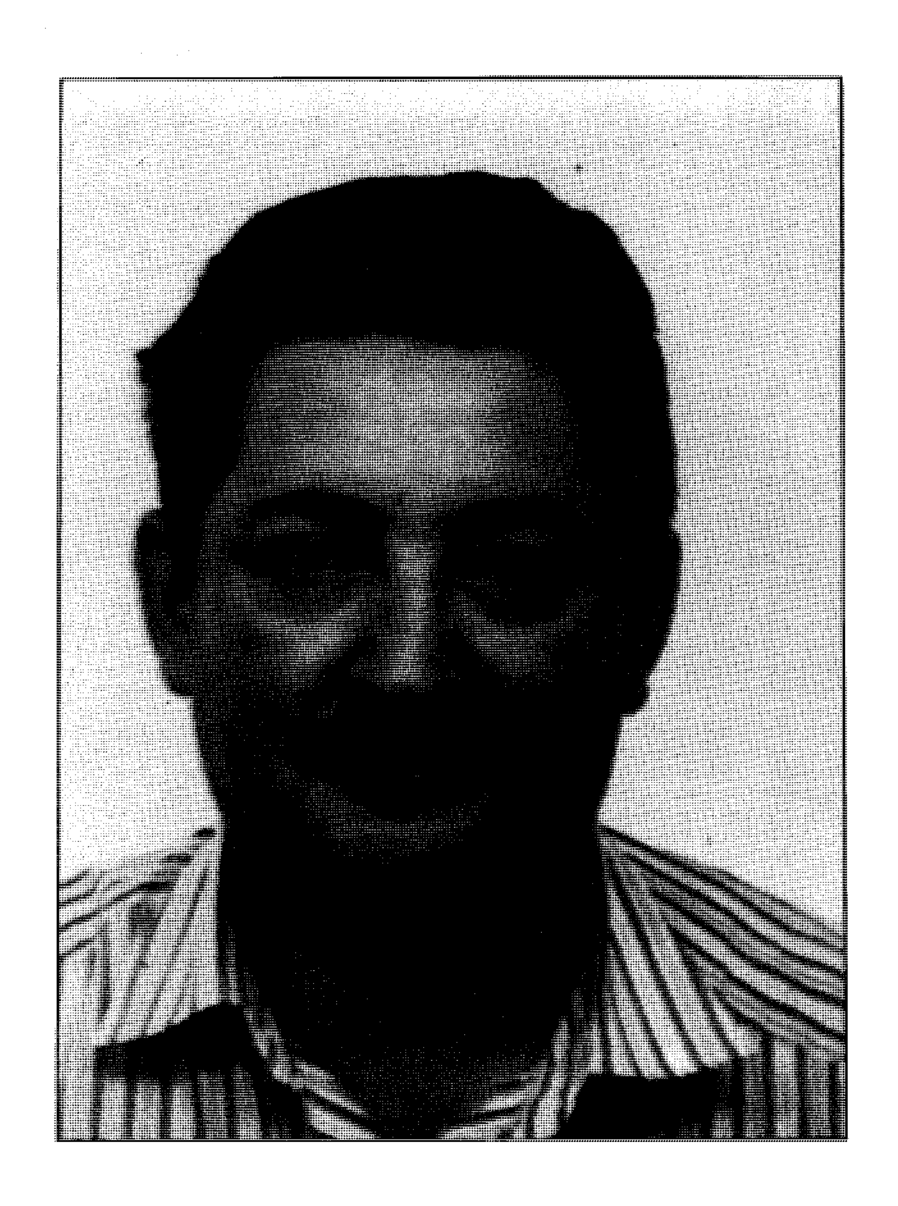
وتوفي ذو النون أيوب في فيينا في ٦ ايلول ١٩٩٨ .

وتوفي سلمان الصفواني في بغداد في ١٦ تشرين الثاني ١٩٨٨ .
وتوفيت رباب الكاظمي في لندن في كانون الثاني ١٩٩٩ .

مؤلفات جديدة

الدكتور يوسف عزّالدين : حنين الامس (شعر ، القاهرة ١٩٩٨) .
الدكتور جليل العطية : الجواهري شاعر القرن العشرين (١٩٩٨) .
غائب طعمة فرمان : خمسة أصوات (مسرحية) .

ملحق الصور



حازم السامرائي



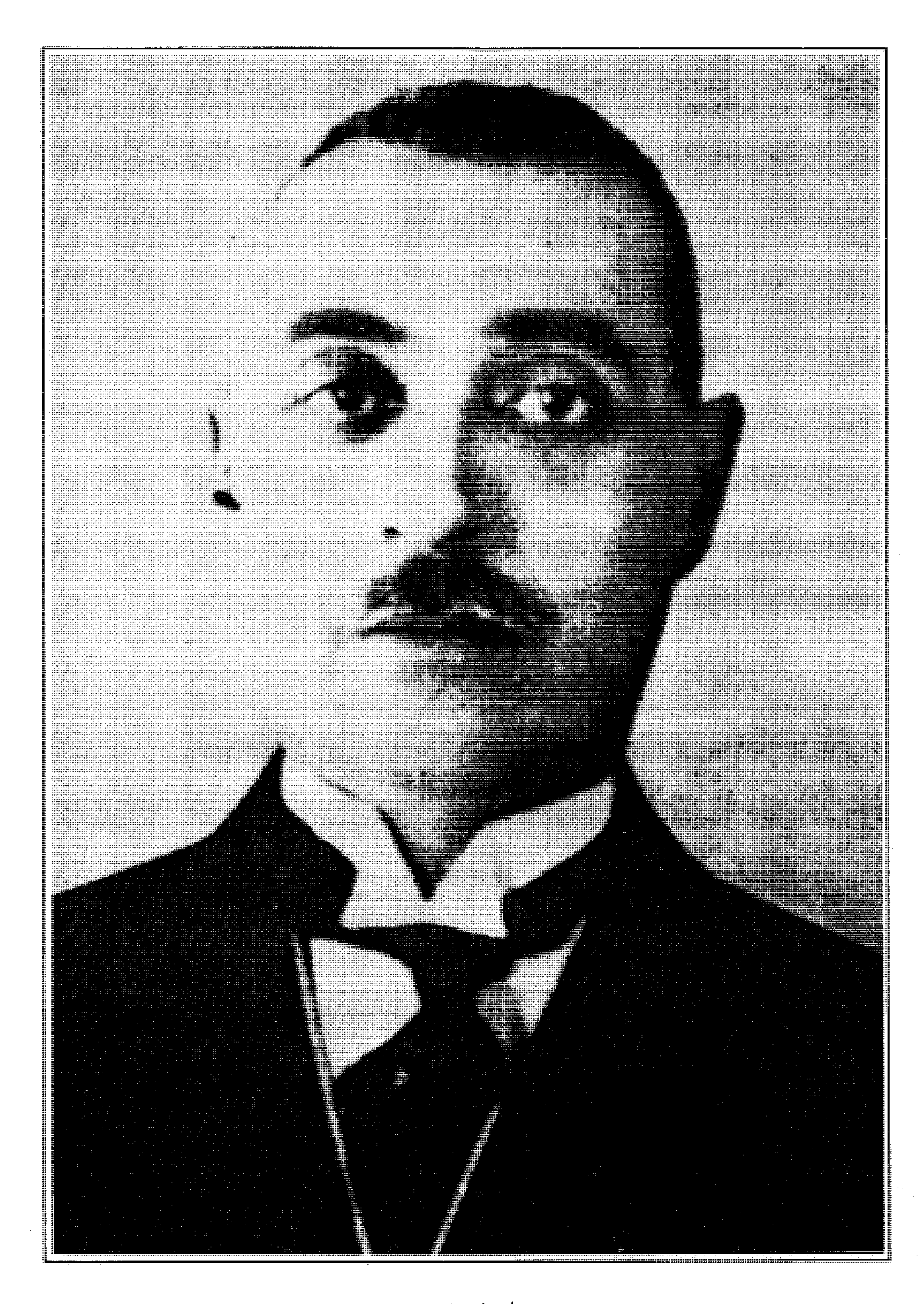
في آذار ١٩٣٦ زار وفد نيابي عراقي القاهرة فاحتفت به المحافل الرسمية والشعبية احتفاءً كبيراً . وكان من اعضائه النائب شاعر العراق معروف الرصافي . وقد أخذت له هذه الصورة النادرة مع المطربة الشهيرة ام كلثوم في حفلة اقامتها للضيوف العراقيين في دارها بالزمالك .



ساطع الحصري



الشيخ أحمد الشيخ داود



سليمان فيضي



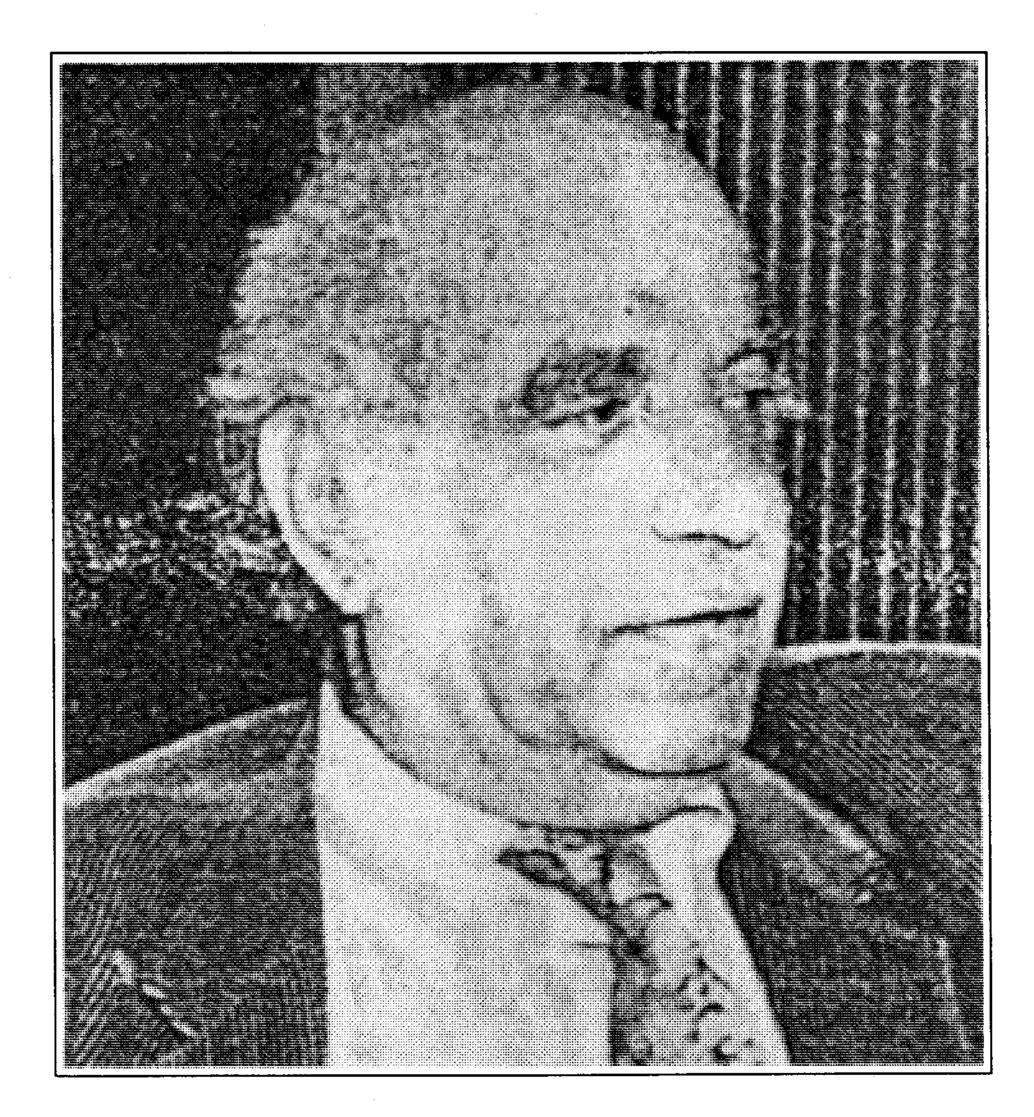
سعد صالح



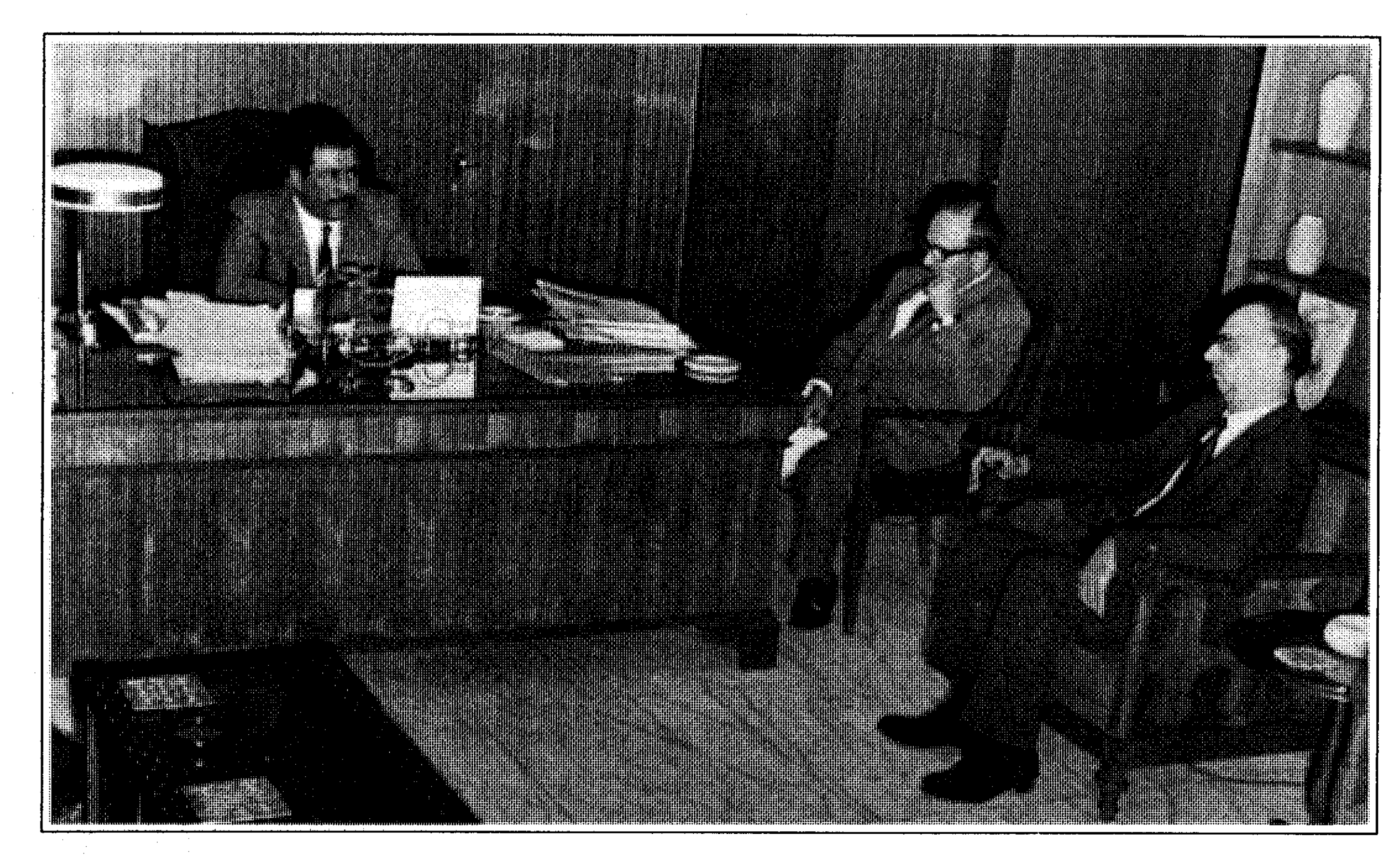
علي الوردي مع صديقيه : عبدالمنعم الجادر وفؤاد عباس



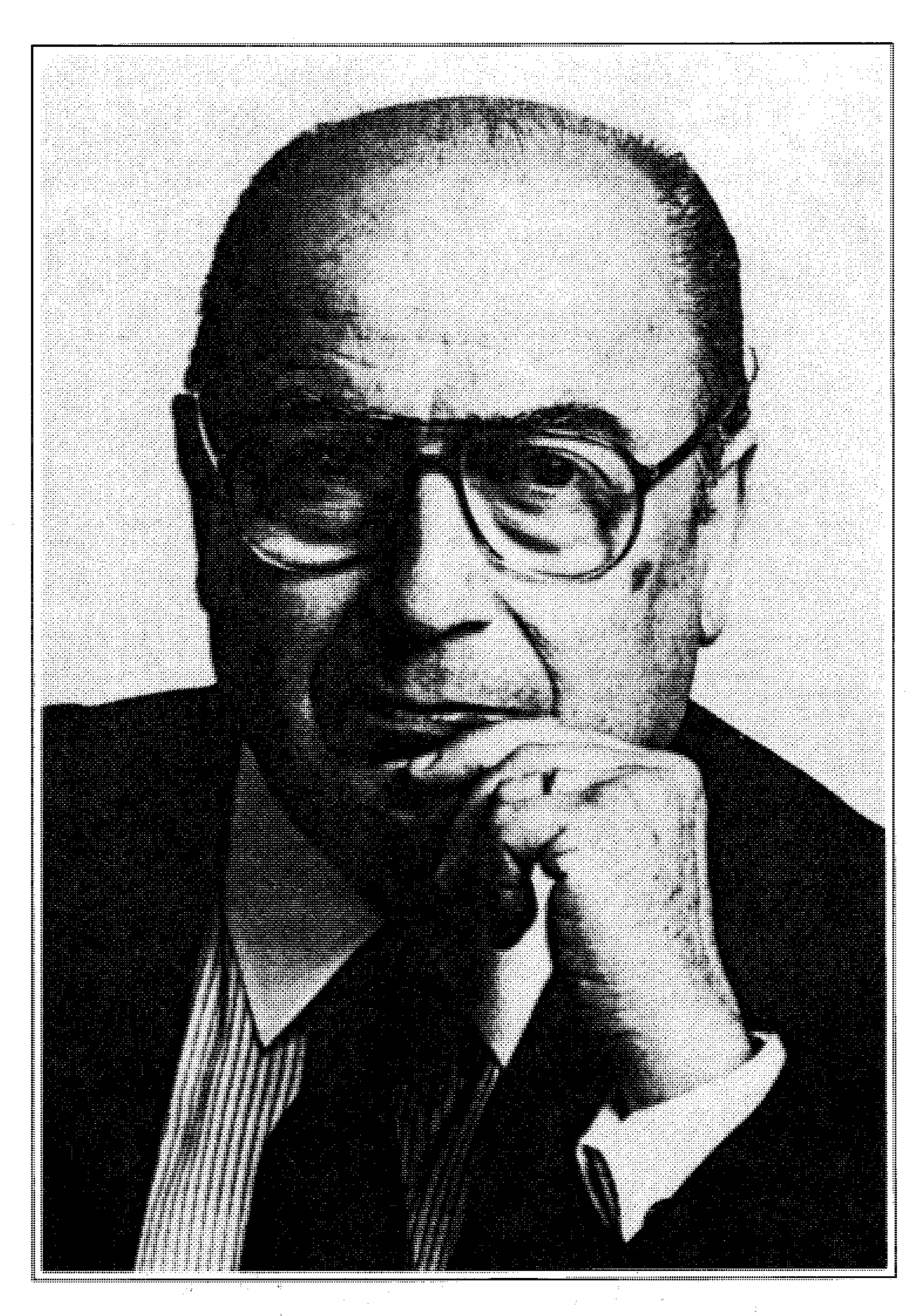
الدكتور يوسف عزالدين بالملابس العربية في الشتاء ١٩٩٠



صفاء خلوصي



المؤلف مع وزير الاعلام شفيق الكمالي سنة ١٩٧١ وقد ظهر بينهما سالم الألوسي مدير الثقافة العام .



نجدة فتحي صفوة

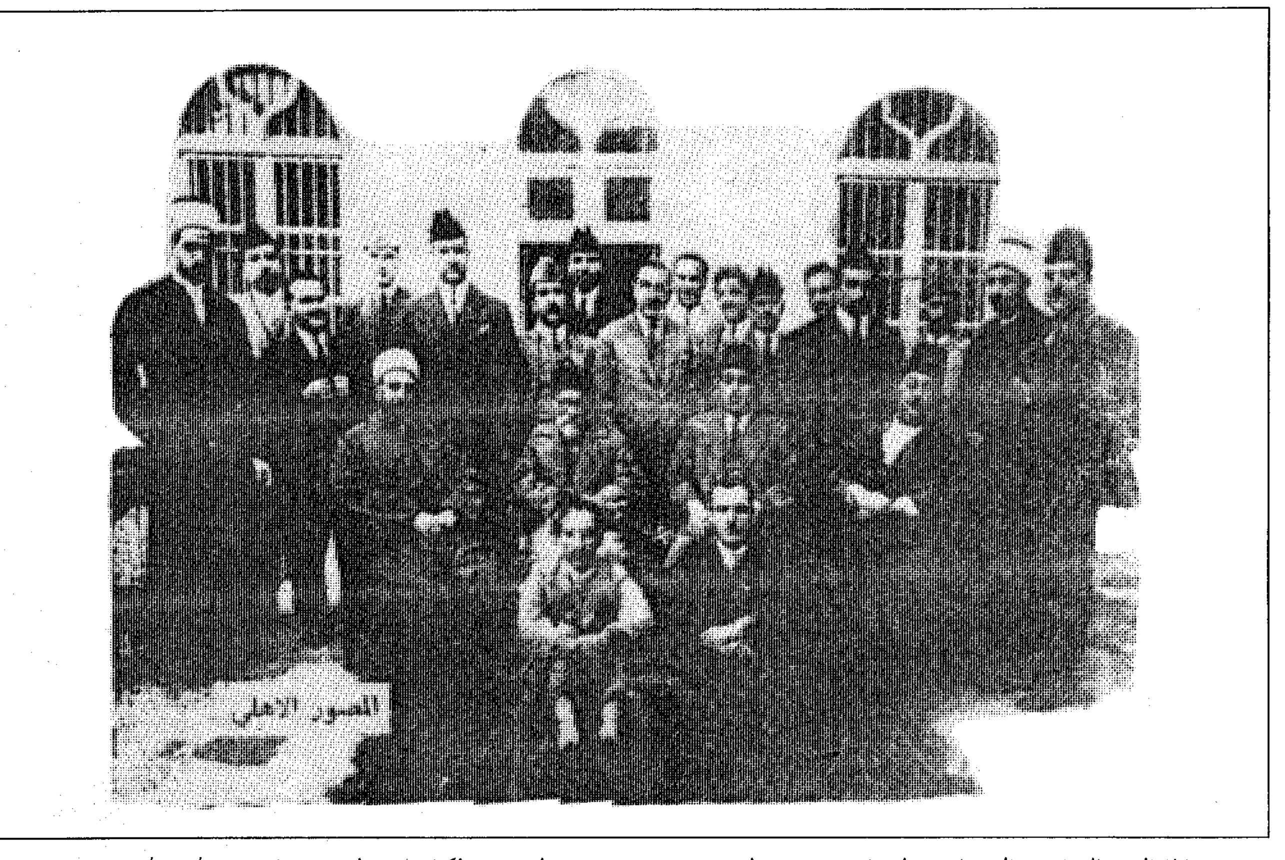


خالص عزمي

مير بصري والدكتور جليل العطية، لندن ١٩٩٢



المؤلف مير بصري (في الوسط) والى يمينه الشاعر بلند الحيدري والى يساره الدكتور محمد مكية
في ديوان الكوفة ، لندن ١٩٩٥



حفلة المصالحة بين الرصافي والزهاوي في دار السيد محمود صبحي الدفتري الكائن في الحيدرخانة في ٨/ ١٢/ ١٩٢٨

الواقفون من اليمين : علي محمود الشيخ علي ، بهاء الدين النقشبندي ، جميل المدفعي ، طه الراوي ، موفق الألوسي ، رؤوف الكبيسي ، عبد المسيح وزير ، ابراهيم كمال ، محمود صبحي الدفتري صاحب الدعوة ، أحمد حامد الصرّاف ، طه الهاشمي ، مزاحم الباجه جي ، علي ممتاز ، عبد العزيز المظفر ، عبدالله الشواف وبهجت الأثري .

الجالسون من اليمين : عبدالعزيز الثعالبي ، الرصافي ، الزهاوي وعطا الخطيب .

الجالسون على الأرض : في اليمين رفائيل بطّي ثم توفيق السمعاني .

من مؤلفات مير بصري

- مباحث في الاقتصاد العراقي (ملحق به معجم للمصطلحات الاقتصادية بالعربية والانكليزية والفرنسية) .
- تجارة العراق في مائة عام .
- رجال وظلال (قصص) .
- نفوس ظامئة (قصص) .
- بشر وآلهة (مسرحيات) .
- شخوص بغدادية (صور وملامح) .
- أغاني الحب والخلود (شعر)
- رحلة العمر مذكرات) .
- أعلام اليهود في العراق الحديث (جزآن) .
- اعلام اليقظة الفكرية .
- اعلام السياسة في العراق الحديث .
- اعلام الأدب في العراق الحديث (٣ اجزاء) .
- اعلام الوطنية والقومية العربية .
- اعلام الكرد .
- اعلام التركمان والأدب التركي في العراق الحديث .
- رحلة نيهولت الى العراق (ترجمة) .
- الخ . . . . .

كتب معدّة للطبع

- مواكب العصور (شعر) .
- ديوان الغربة (شعر) .
- أرانين (شعر) .
- أعلام السياسة (الجزء الثاني) .

Eminent Men of Letters in Modern Iraq
History of Modern Iraqi Literature in the Twentieth Century

Vol III



London